مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان التالي:
رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة
جامعة القدس المفتوحة
ص.ب: ٥١٨٠٠
هاتف: ٢٤٠٩٨٦١
فاكس: ٢٤٠٣١٥٩
بريد الكتروني: hsilwadi@qou.edu

تصميم واخراج فني:
توب ديزاين
02-2980138

المشرف العام

أ.د. يونس عمرو

رئيس الجامعة

هيئة تحرير المجلة:

رئيس التحرير

أ.د. حسن عبدالرحمن سلوادي

مدير برنامج البحث العلمي والدراسات العليا

هيئة التحرير

أ.د. ياسر الملاح
د. إنصاف عباس
د. تيسير جبارة
د. رشدي القواسمي
د. علي عودة
د. عواطف صيام
د. ماجد صبيح

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة الى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الاتية:

١. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٥ صفحة " ٨٠٠٠ " كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.
٣. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه.
٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على " قرص مرن / A Disk " أو CD مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم ينشر.
٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود " ١٠٠ - ١٥٠ " كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.
٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.
٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

٨ . يزود الباحث الذي نشر بحثه بخمس نسخ من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة الى ثلاث مستلات منه .

٩ . تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي : إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة .

١٠ . ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث "الفهرس" حسب الحروف الأبجدية لكنية / عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد .

١١ . بإمكان الباحث استخدام نمط "APA Style" في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار الى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب التالي : "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة" .

جميع الأفكار في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

المحتويات

الأبحــاث

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

الأبحاث

استخدام طلبة نظام التعليم المفتوح لمصادر المعلومات الإلكترونية في المكتبات الافتراضية: دراسة حالة للجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن)

د. فضل جميل كليب*

* أستاذ مساعد في المكتبات والمعلومات، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخص:

تتناول الدراسة مدى استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن)، مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الافتراضية بالتعرف إلى حجم واقع استخدامهم لها، والدوافع، وأماكن الاستخدام، وأكثر المصادر والوسائط المعلوماتية استخداماً تلبية لاحتياجاتهم المعلوماتية والتعليمية والبحثية. واستطلعت الدراسة الصعوبات والعقبات التي تواجههم في استخدام المكتبات الافتراضية.

تكونت عينة الدراسة من ٢٩٥ طالباً من أصل ٢٩٤٦ (أو ١٠٪) في التخصصات كافة، موزعين على البرامج الدراسية الستة المطروحة في الجامعة خلال الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٥/٢٠٠٦.

كشفت النتائج عن أهمية مصادر المعلومات الالكترونية التي توفرها المكتبات الافتراضية لطلبة نظام التعليم المفتوح، وأن ١٨٣ طالباً (٦٢٪) من أفراد العينة يستخدمون المكتبات الافتراضية، وأن ٧٦ طالباً (أو ٤٢٪) منهم يستخدمون المكتبات الافتراضية من خلال الحواسيب المتوافرة في مراكز الحاسوب بالجامعة، وأن ١١ طالباً (أو٦٪) منهم فقط، يستخدمونها من الحواسيب المتوافرة في مقر مكتبة الجامعة.

وكشفت الدراسة أن ١٣٥ طالباً (٧٤٪) من مستخدمي المكتبات الافتراضية يستخدمونها بدافع توفيرها للوقت والجهد، وأن ١٣٠ طالباً (٧١٪) منهم يستخدمونها لسهولة استخدامها من أي مكان وفي أي وقت. وأن أكثر المصادر الالكترونية استخداماً لدى ١٧٤ طالباً (٦٤٪) منهم هو "الفهرس الالكتروني للمكتبات الافتراضية". وأن "قواعد المعلومات المتوافرة في المكتبات الافتراضية عبر الشبكة العالمية (الانترنت)" أكثر الوسائط استخداماً لدى ١٣٥ طالباً (٧٤٪) منهم. وأن ١٦٧ طالباً (٩١٪) منهم يشعرون أن المعلومات/ مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات الافتراضية كافية لتلبية احتياجاتهم المعلوماتية بدرجات متنوعة.

وكشفت الدراسة أيضاً أن ١١٢ طالباً (٣٨٪) من أفراد العينة لا يستخدمون المكتبات الافتراضية، وأن ٧٨ طالباً (٧٠٪) منهم لا يستخدمونها بسبب "عدم معرفتهم للمواقع الالكترونية للمكتبات الافتراضية"، وأن ٧٧ طالباً (٦٩٪) منهم لا يستخدمونها بسبب عدم إتقان البحث الآلي.

ثم أوصت الدراسة بضرورة توجه مؤسسات التعليم المفتوح، نحو المكتبات الافتراضية لمواكبة التطور في تقنيات المعلومات والاتصالات، ولتتمكن من المحافظة على روادها وتلبية احتياجاتهم من المعلومات الحديثة والمتخصصة.

Abstract:

The study is concerned with the extent the students of the Open Arab University (Jordan – branch) use electronic information sources at the virtual libraries. This is achieved through identifying the type of use, motives, places of their use, and the sources most extensively used to meet users' needs for study and research. Difficulties and obstacles that face students in using the virtual libraries are also investigated.

The study sample constituted 295 students (or 10%) of the 2946 students studying in six fields at the Open Arab University (Jordan – Branch) during the second term of the academic year 2005/2006.

Results of the study indicated the importance of the source of the electronic information that the virtual libraries provide for the students of the open educational system, and 183 (62%) students of the sample use these libraries, and 42% of them use virtual libraries through the available computers in the university, but 6% only use computers available at the university library.

The study revealed that 135 students (74%) use these libraries in order to save time and efforts, and 130 students (71%) use them due to their easy access of the virtual libraries sources. Most of the electronic sources, used by 173 students (64%), are the electronic indexes for virtual libraries. The data bases of the available information in the libraries through internet are extensively used by 135 students (74%); but 167 students (91%) feel that the information secured by the virtual libraries are enough to meet their needs.

The study, also, concludes that 112 students (38%) of the sample do not use the virtual libraries, and 78 students (70%) do not use them because they don't know the electronic sites of the virtual libraries; and 77 students (69%) do not use them because they are not familiar with the electronic search process.

The study recommended that it is necessary for the institutions of the open learning to take care of the virtual libraries to comply with the development of the information technology, and to be able to keep its visitors and supply them with the updated and specialized information.

المقدمة:

أحدث تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أثراً على المكتبات الجامعية ومجموعاتها وخدماتها، وأبرز مكتبات جامعية من نوع جديد هي المكتبات الجامعية الافتراضية، مما أثر على سلوك الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية في البحث عن مصادر المعلومات فأظهر المتعلم الافتراضي الذي يتصفح مصادر المعلومات المتعددة عن بعد. وأصبحت المكتبات الجامعية حريصة على أن تصل روادها، وأصبح إرضاؤهم ليس فقط تقديم خدمات معلوماتية متطورة ومتميزة من مجموعات من المصادر المعلوماتية المتنوعة في أشكالها وأنواعها، بل أصبح من مهماتها وأهدافها توصيلهم إلى المكتبات الأخرى آلياً، ليصلوا إلى فهارسها ومصادر المعلومات المختلفة فيها، منطلقة من فلسفة حديثة وهي توفير ما يتوافق مع حاجات روادها ورغباتهم لدى المكتبات الأخرى على المستويات كافة محلياً وإقليميا وعربياً وعالمياً. ولا يتسنى للمكتبات الجامعية تحقيق هذا الهدف إلا بنشر مجموعاتها إلكترونياً على شبكة الإنترنت وارتباطها مع مقتنيات العديد من المكتبات الأخرى آلياً وهو ما أصبح يسمى الآن بـ "المكتبة الالكترونية" أو "المكتبة الافتراضية".

وكان الدافع الرئيس للتوجه نحو المكتبات الافتراضية هو المشكلات التي لاقتها المكتبات التقليدية أمام ضخامة حجم الإنتاج الفكري الذي وقفت المكتبات التقليدية عاجزة عن ملاحقته وحصره وتعريف روادها به، عدا عن الأموال الطائلة التي تبذل لتقديم الخدمات المعلوماتية، والتي بقيت قاصرة أيضاً عن إرضاء الرواد أمام عالم التقنيات المتطور بصورة هائلة وسريعة، مما أدى إلى اضطرار أخصائيي المعلومات والمكتبات وخاصة الأكاديمية منها، وذلك لمواجهة احتياجات المستفيدين، إلى سرعة التعامل مع التغيرات الالكترونية لمصادر المعلومات بسبب خفض ميزانية الشراء وتزايد أهمية مصادر المعلومات الالكترونية بالإضافة إلى توفير تكلفة التخزين، ويُسر وصول المصادر الالكترونية وسرعتها موازنة مع المصادر المطبوعة (Miller، ٢٠٠٣)، وأن اتجاهات الطلبة قد تغيرت وأصبحوا يفضلون هذه الأيام استخدام المصادر الالكترونية وعلى الأخص الذين يأخذون موادهم عن بعد عبر الانترنت، ويتطلعون إلى المكتبات بأن تفكر كيف يمكن لمصادرها وخدماتها وبرامجها التدريبية والإرشادية أن تلبي رغبات جميع الطلبة، وخاصة الذين لا يتمكنون من الوصول إلى مبنى المكتبة التقليدية

باستمرار. (Kelly، ٢٠٠٣)

إن معظم المكتبات الجامعية، كما اشارت إحدى الدراسات (العقلا، ٢٠٠٦) قد خصصت من ١- ٢٠٪ من ميزانية المواد التي توفرها للمصادر الالكترونية، وأن المستقبل للمصادر الالكترونية حيث توقعت الدراسات توقف ٨٠٪ من المجلات العالمية عن الصدور بشكلها الورقي بحلول عام ٢٠١٠.

وقد أشار زانج و لي (Changyu & Li، ٢٠٠٦) إلى أن المعلومات تستخدم عبر الحواسيب وشبكات المعلومات لتحويل المصادر الالكترونية من نصوص ورسومات وصور وصوت وفيديو إلى شكل موحد رقمي بالإضافة إلى مصادر المعلومات الرقمية أصبحت مهمة جدا مع تطور التكنولوجيا وانتشارها لأنها وسيلة لحصول الناس على المعرفة وخاصة في الدول النامية.

وقد تطور، مع الزمن المتسارع في عصر المعلومات، مفهوم هذه "المكتبة الافتراضية" فأتاحت للمستخدمين عن بعد إمكانية التشاطر بالأفكار والاتجاهات المعلوماتية. فالمكتبة الافتراضية ليست فقط مكتبة رقمية أو إلكترونية تمكن القارئ من الحصول على، أو الوصول إلى الوثائق دون مغادرة بيته أو مكتبه، بل هي مجموعة من القواعد الموجودة في نقاط مختلفة يوصل إليها عبر واجهة واحدة كما لو كانت جميع محتوياتها مجمعة في مكتبة مركزية واحدة.

وانطلاقاً مما تقدم من أهمية ظهور "المكتبة الافتراضية" في تشكيلها مصدراً أساسياً للمعلومات للباحثين عامة وللطلبة في نظام التعلم عن بعد بخاصة، جاءت فكرة هذه الدراسة في إلقاء الضوء على مدى استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة، إحدى مؤسسات نظام التعليم عن بعد، (فرع عمان) من المكتبات الافتراضية.

أهمية الدراسة:

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي يبديه الباحثون بمصادر المعلومات الالكترونية عبر الانترنت، وكثرة الدراسات في هذا المجال، فإن الدراسات التي تركز على المكتبات الافتراضية واستخدامها في مجال التعليم عن بعد تعتبر قليلة، وتندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات القليلة في المجال، كما أنها تعد الأولى من نوعها في موضوع استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) المصادر الالكترونية في المكتبات الافتراضية ، ويؤمل أن تفيد الدراسة

الفئات الآتية :

أولاً : إدارة الجامعة العربية للتعليم المفتوح وأعضاء هيئة التدريس فيها، من حيث :

١ . معرفة واقع استخدام الطلبة للمصادر الالكترونية في المكتبات الافتراضية، ومدى الاستخدام داخل الجامعة وخارجها ومكانه .

٢ . الإسهام في الكشف عن المعوقات التي تمنع فئات الطلبة من استخدام المكتبات الافتراضية والصعوبات التي تواجههم أثناء استخدامهم للمصادر الالكترونية فيها .

٣ . توجيه أنظار الهيئة التدريسية لاستخدام "المكتبة الافتراضية" لما تقدمه من دعم للتعليم والتعلم وتعزيزاً للأهداف التعليمية والتربوية .

ثانياً : الطلبة أنفسهم؛ إذ إن اطلاعهم على نتائج هذه الدراسة قد يفيدهم في توجيه أنظارهم لاستخدام مصادر المعلومات الالكترونية في "المكتبة الافتراضية" وتعينهم على فهم الصعوبات التي يلاقونها في استخدامها، للتمكن من تحقيق توظيف أفضل للمكتبات الافتراضية خدمة لأغراض التعلم والبحث العلمي .

ثالثاً : الباحثين المهتمين بإجراء دراسات نوعية مماثلة على استخدام طلبة الجامعات لمصادر المعلومات الإلكترونية المتاحة على شبكة الإنترنت .

أهداف الدراسة وأسئلتها:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى إفادة طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) من مصادر المعلومات الإلكترونية التي توفرها الجامعة في مكتبتها الافتراضية وفي المكتبات الافتراضية الأخرى المتوافرة على شبكة الانترنت من معرفة واقع استخدامهم لها، ودوافع الاستخدام، وإبراز أكثر مصادر المعلومات وأكثر الوسائط المعلوماتية استخداماً ومدى تلبية هذه المصادر لاحتياجاتهم المعلوماتية والتعليمية والبحثية، وتحديد أماكن الاستخدام . وتهدف الدراسة كذلك إلى معرفة الصعوبات التي تواجههم في استخدامها والعقبات التي تحول دون استخدامها .

ولتحقيق هذه الأهداف فإن الدراسة تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١ . ما درجة مهارات طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) في استخدام الحاسوب؟

٢ . ما حجم استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت؟

٣ . ما مدى تردد استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) للمكتبات الافتراضية وما أماكن الاستخدام؟

٤ . ما دوافع طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) لاستخدام مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الافتراضية؟

٥ . أي مصادر المعلومات والوسائط الالكترونية في المكتبات الافتراضية التي يستخدمها طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) أكثر من غيرها ؟

٦ . ما مدى تلبية المعلومات/ مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات الافتراضية لاحتياجاتهم المعلوماتية؟

٧ . ما المعوقات/ الصعوبات التي تحد أو تقلل من استخدام المصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الافتراضية لدى طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن)، وما أسباب ذلك من وجهة نظرهم؟

الإطار النظري للدراسة:

الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن):

الجامعة العربية المفتوحة هي جامعة عربية تعتمد نظام التعليم المفتوح والتعلم عن بعد، وهي واحدة من المشروعات التي يتبناها برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند). وقد أشار دليل الطالب الصادر عن الجامعة (٢٠٠٥) إلى أن الجامعة قد شرعت أبوابها للدارسين في مطلع شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٢، وذلك في عدة فروع هي الكويت (المقر الرئيس للجامعة)، ولبنان، والأردن، والبحرين، ومصر، والسعودية. وتهدف الجامعة إلى الوصول إلى فئات المجتمع كافة وخدمتهم بطرح برامج تدريبية مميزة، مستخدمة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في توفير بيئة تعليمية نوعية حديثة تؤكد التواصل المباشر ما بين الدارسين وأساتذتهم مواجهة والكترونياً من خلال نظام يسمى First Class عن طريق الانترنت ومن خلال الحواسيب المتوافرة في قسم مختبرات الحاسوب وفي مركز الوسائط التعليمية في مقر الجامعة.

وتطرح الجامعة في فرعها بعمان للعام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ ستة برامج دراسية هي: برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها، وبرنامج دراسات إدارة الأعمال (النظم الإدارية)، وبرنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.)، وبرنامج التربية في التعليم الابتدائي، وبرنامج

البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)، وبرنامج الدبلوم العالي في التربية.

مكتبة الجامعة الافتراضية:

توفر الجامعة لطلبتها مكتبة افتراضية تحتوي قواعد المعلومات العالمية ومنها قاعدة Corchia و Questia المتوافرة عبر الانترنت من خلال حاسوب مطراف Terminal واحد متوافر في مقر المكتبة، وأكثر من مائتي (٢٠٠) حاسوب مطاريف Terminals متوافرة في أربعة مختبرات حاسوب.

ويتوافر في المكتبة الافتراضية ٦٦,٠٠٠ كتاب الكتروني بنصوص كاملة، و ١,٤٠٠,٠٠٠ كتاب بعناوين ببليوغرافية، و٢٥٠ موقعاً لناشرين، و١٤٩,٠٠٠ مقالة في تخصصات مختلفة، وتتيح لهم ١٨١,٠٠٠ مجلة الكترونية يمكن للطلبة والباحثين من استخدامها و ٨٣٧,٠٠٠ صحيفة.

مصطلحات الدراسة:

التعلم عن بعد:

هو جميع أشكال التعليم والتعلم النظاميين المنظمين، حيث لا يجتمع المعلم والمتعلم في غرفة واحدة (جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠١)

التعلم الذاتي:

هو التعلم الذي يمارسه المتعلم مستقلاً بنفسه بمساعدة مواد تعليمية معدة ومصممة بطرائق خاصة تيسر عملية التعلم (جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠١)

المكتبة الافتراضية:

يشير مصطلح المكتبة الافتراضية إلى تلك المكتبة التي تجعل القارئ في وضع افتراضي بحيث تسمح له بتصفح المقتنيات عن بعد ويمكن نسخها وقراءتها، وكأنه يتعامل معها بطريقة مباشرة وهي موجودة على رفوفها. (المناصير، ٢٠٠٤)، وتعتمد "المكتبات الافتراضية" على التقنيات الحديثة لترقيم الوثائق ومعالجتها وتخزينها في قواعد البيانات وفقاً لمواصفات عالمية في حواسيب مختلفة واسترجاع جميع محتوياتها في أي زمان ومكان. وقد سميت المكتبة

الافتراضية بعدد من التسميات منها : المكتبة الإلكترونية (Electronic Library)، ومكتبة المستقبل (Library Of Future)، والمكتبة الرقمية (Digital Library)، والمكتبة المهيبرة أو المهجنة (Hybrid Library) ، والمكتبة الافتراضية (Virtual Library).

مصادر المعلومات الالكترونية:

يطلق على المصادر الالكترونية مسميات عدة منها "مصادر المعلومات المحوسبة" و"المصادر غير الورقية" أو "المصادر غير المطبوعة" أو "المصادر الرقمية". وقد عرف قنديلجي والسامرائي (٢٠٠١) مصادر المعلومات الالكترونية بأنها كل ما هو متعارف عليه من المصادر التقليدية الورقية وغير التقليدية المخزنة الكترونياً على وسائط سواء ممغنطة أو ليزرية، أو هي تلك المصادر اللاورقية المخزنة الكترونياً عندما ينتجها منتجوها أو موزعوها والتي تكون على شكل قواعد معلومات بحيث تكون متاحة للمستفيدين عن طريق الاتصال المباشر، أو داخلياً في المكتبة عن طريق الأقراص المكتنزة أو المتعددة". ويمكن تقسيم مصادر المعلومات الالكترونية وفق أسس عدة منها : التغطية الموضوعية إلى مصادر عامة ومتخصصة في موضوع/ موضوعات محددة، ووفق الجهة المنتجة لها أو المسؤولة عنها إلى مصادر معلومات تجارية، وحكومية، وخاصة أكاديمية وغير أكاديمية، ربحية وغير ربحية، ووفق نوع المعلومات إلى مصادر معلومات ببليوغرافية وصفية أو مشروحة، ومصادر معلومات نصية كالمقالات والبحوث، والموسوعات . . . وغيرها، ومصادر معلومات رقمية كالإحصائيات والمواصفات.

ويعرفها السريحي (٢٠٠٥) بأنها مصادر معلومات مخزنة الكترونياً على وسائط مليزرة أو تلك المصادر غير الورقية والمخزنة أيضاً الكترونياً حال إنتاجها من قبل مصدريها أو نشرها في قواعد بيانات متاحة للمستفيدين عن طريق الاتصال المباشر On – Line أو عن طريق نظام الأقراص المدمجة أو باستخدام شبكات بعيدة المدى مثل الانترنت.

الدراسات السابقة:

كشف البحث في الأدب المنشور عن دراسات عدة يغلب على عدد منها الجانب النظري، تناولت جانبين :

الجانب الأول: موضوع المكتبة الافتراضية من حيث مفهومها وخصائصها، وما تتميز به هذه المكتبات من توفير لمصادر معلومات الكترونية يمكن الوصول إليها عن بعد واستخدامها،

ومن خدمات معلوماتية تمكنها من إفادة روادها باستخدام التقنيات المعلوماتية وتقنيات الاتصالات مما دفع المكتبات التقليدية إلى التوجه نحو المكتبات الافتراضية.

ومن الدراسات في هذا المجال دراسة قاسم (٢٠٠٢) بعنوان "الاتصال العلمي في البيئة الالكترونية" أظهر فيها أن المكتبة الافتراضية هي مكتبة لا مركزية بطبيعتها، تمكن الباحثين، أينما كانوا، من التعامل معها، فهي ليست مستودعاً لأوعية المعلومات في موقع جغرافي معين ينتظر من يسعى إليه. وتعني تحول المكتبة من مكان تتجمع فيه أوعية المعلومات إلى نقطة للنفاذ إلى المعلومات أينما وجدت. ويعزز ذلك الباحثان Tenopir وLias (٢٠٠٢) في دراستهما المسحية لعينة من المكتبات الجامعية الأمريكية غطت الفترة ١٩٩١ - ٢٠٠١ للتعرف على التغيير الذي حدث بالنسبة للخدمة المرجعية الرقمية، والتي أبرزت الأهمية الكبيرة لمصادر المعلومات الرقمية على الشبكات المعلوماتية (الويب) من خلال الخدمات البحثية المتميزة التي يقدمها.

وفي دراسة Metz (٢٠٠٠) التي أوضح فيها عدة أسس لاختيار مصادر المعلومات الالكترونية في مكتبة جامعة كاليفورنيا منها أن سياسة الاختيار لا بد أن تتضمن المصادر الالكترونية لتلبية احتياجات طلبة الجامعة المعلوماتية من خلال النصوص الكاملة المتوافرة في قواعد البيانات.

ويعرف سويلم (٢٠٠٤) المكتبة الالكترونية في دراسته "الطريق إلى المكتبة التخيلية الالكترونية" بأنها خدمات مكتبة تشغل لتخطي عمليات المكتبات التقليدية بالإضافة إلى استئثارها بمميزات التكنولوجيا الرقمية في أغراض التخزين والاتصال وتبادل المعلومات عن بعد. وأضاف في دراسته أن النظم الآلية والشبكات تلعب دوراً بارزاً حيال التحدي الذي تواجهه المكتبات التقليدية حيث أصبح من المتعذر عليها تجميع الإنتاج الفكري العالمي على نحو شامل في أنواع شتى من المجالات الموضوعية، ولم يعد هناك مفر من اللجوء إلى الشبكات والمشاركة في الموارد خاصة بعد أن ترسخ النشر الالكتروني وأضحى واقعاً يفرض نفسه على سوق النشر.

وتبين بو معرافي (٢٠٠٣) في دراستها عن " المكتبات الرقمية" أن المكتبة الافتراضية قد سهلت الوصول إلى مصادر المعلومات بقدرتها على توفير الخدمة دون انقطاع لأي مستفيد في المعمورة. ويظهر أبو الخيل (٢٠٠٢) ما تتميز به المكتبة الافتراضية من سهولة تحديث المعلومات بصورة أسرع من المكتبة التقليدية. ويضيف المناصير (٢٠٠٤) في دراسته "الكتاب . . . عالم بلا حدود" أن المكتبة الالكترونية تتيح لنا الاتصال بها باستخدام شبكات المعلومات، فهي تقدم

لنا نصوص الكتب الكاملة أو المستخلصات بالإضافة إلى النص والصوت والصورة والحركة، كما أن الاقتباس باستخدام المكتبة الالكترونية أيسر بأسلوب القص واللصق. وفي دراسة قامت بها بو مفلح (٢٠٠٣) حول استخدام تقنية المعلومات في مكتبات الأوقاف السعودية، توصلت الباحثة إلى نتائج عدة منها أن استخدام التقنية الحديثة في اختزان النصوص الكاملة للمخطوطات والكتب النادرة يجعل المكتبات تحفظ أصول مجموعاتها بعيداً عن التداول من ناحية وتحقق إتاحة تلك المواد للمستفيدين دون قيود من ناحية أخرى.

وقد قام الباحثان Tenopir و Ennis (٢٠٠٢) بدراسة مسحية لعينة من المكتبات الجامعية الأمريكية غطت الفترة ١٩٩١ – ٢٠٠١ لمعرفة التغيير الذي حدث بالنسبة للخدمة المرجعية الرقمية، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها أن محركات البحث قد أصبحت أكثر الأدوات أهمية في استرجاع المعلومات على شبكة المعلومات (الويب) رغم ضخامة حجم الوثائق وتعدد أنواعها. وأبرزت نتائج الدراسة الأثر العميق لمصادر المعلومات الرقمية على شبكة المعلومات (الويب) بالخدمات البحثية المتميزة التي يقدمها. وأوضح الوردي (٢٠٠٣) في دراسته حول "خدمات المعلومات على الانترنت ومردوداتها" أن ارتباط المكتبات بالإنترنت لم يعد ترفاً بل ضرورة العصر الذي نعيش فيه، لأن الانترنت تعتبر بديلاً لكل وسائل العصر الناقلة للمعلومات بأشكالها المختلفة (النص، والصورة، والصوت، والرسم، والرقم)، ويمكن للمكتبات عبر الانترنت تقديم عدد من خدمات المعلومات لإفادة روادها وهي: البحث في فهارس المكتبات، والخدمات المرجعية، وخدمات الدوريات، وخدمات الاستخلاص والتكشيف، وخدمات الإحاطة الجارية، وخدمات الإعارة بين المكتبات، وخدمات التوزيع الالكتروني للوثائق، وخدمات المطالعة، وخدمات تدريب المستفيدين. وأوصى الباحث في نهاية دراسته بتشجيع المكتبات على التحول إلى عالم المكتبات الالكترونية لإكساب المستفيدين مهارات الاستقصاء الذاتي من المعلومات دون الرجوع إلى موظفي المكتبة وبالتالي توفير جهد موظفي المكتبة ووقتهم.

وفي تقرير (مركز المكتبات المحوسبة بالاتصال المباشر OCLC، ٢٠٠٤) عربه الزهري أشار إلى أهمية مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الالكترونية، حيث أظهرت أن الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية يتوجهون أولاً للمصادر الالكترونية في المكتبة قبل توجههم إلى المواد المطبوعة، وأن ٤٨٪ من الكتب ستكون جاهزة عند الطلب رقمياً وذلك بحلول عام ٢٠١٥، وأنه بمعدل ٥٠٪ من الكتب تحول إلى كتب الكترونية، ونحو ٤٥٠ ألف كتاب الكتروني يمكن إنتاجه عام ٢٠٠٧م، ومن المتوقع أن تشهد ساحة الدوريات الالكترونية

زيادة كبيرة خلال السنوات القليلة القادمة. وأن ٨٤٪ من أعضاء هيئة التدريس والباحثين في جامعة دركسل يفضلون الدوريات الالكترونية على المطبوعة، مقتنعين أنها (المجلات الالكترونية) توفر عليهم الكثير من الوقت وتضع أمامهم كماً هائلاً من المعلومات لم تكن تتوافر لهم بنفس الوقت والسهولة بالاعتماد فقط على مقابلها المطبوع. وأضاف التقرير أن ٧٥٪ من دوريات كشاف SCL أصبحت على الشبكة، وأن ٦٣٪من دوريات كشاف العلوم الاجتماعية أصبحت على الشبكة، وأن ٣٤٪ من كشاف الفنون والإنسانيات أصبحت على الشبكة العالمية (الانترنت). ويضيف التقرير خصائص تتميز بها المكتبة الافتراضية وهي:

- حيادية الموقع حيث أنها متوافرة للمستفيد في أي وقت ومن أي مكان يتوافر فيه حاسوب مرتبط بالشبكة.
- تهيئة الدخول المفتوح للعامة تمكنهم من البحث والتصفح والاستفادة من الخدمة المرجعية.
- توافر مصادر معلومات متنوعة حديثة على اختلاف أشكالها.
- مشاركة في المصادر بين المكتبات.

وقد أوضح شاهين (٢٠٠٥) في دراسته "الخدمة المرجعية الالكترونية المتاحة عبر مواقع المكتبات العربية على شبكة الانترنت" أن ما يميز المكتبات الافتراضية خدمات المعلومات التي تقدم من خلال مواقع المكتبات على شبكة الانترنت ومنها الخدمة المرجعية التي تهدف إلى الرد على أسئلة المستفيدين واستفساراتهم وإمدادهم بالمعلومات المناسبة لاحتياجاتهم. ويوصي الباحث في دراسته بالحضور الفعال للمكتبات أنفسها من مواقعها على شبكة الانترنت. وتضيف متولي (٢٠٠٤) أن المكتبات الرقمية تتميز عن المكتبات التقليدية في أن البيانات المتاحة بها يمكن أن تشمل ما يأتي:

- المعلومات غير النصية (مثل الصورة والرسومات والفنون وغيرها)
- بيانات رقمية مستمرة (مثل معلومات الأقمار الصناعية وبيانات الأرصاد الجوية . . . الخ
- الصوت الرقمي والصور المرئية المتحركة.
- تكامل هذه البيانات في تمثيلات جديدة مستمدة من مصادر مختلفة عديدة.

وليس للمكتبة الافتراضية وجود مادي من وجهة نظر قدورة (٢٠٠٢) الواردة في دراسته بعنوان "المكتبة الرقمية والنص الالكتروني أي تغيير وأي تأثير؟" وأنها غير محددة مكانياً، وهي عبارة عن مجموعة نصوص رقمية أعدت بتقنية النص الفائق وجعلها متاحة على

شبكة الإنترنت، يستطيع المستفيد الاطلاع عليها، أو تصفح محتوياتها عن بعد، عبر نظام الحاسوب. ويمكن تحميل هذه الوثائق ونسخها، وأن مصطلح "المكتبة الافتراضية" يشير إلى تحول فعلي في عملية إتاحة المجموعات والنصوص من الإتاحة المباشرة إلى الإتاحة عن بعد، وإلى تطور شكل المكتبة ونشاطها الذي سيتحول إلى صيغة افتراضية. وأن الدوافع التي دفعت المكتبات التقليدية إلى التوجه إلى المكتبات الافتراضية هي الوظائف التي تقوم بها المكتبات الافتراضية ولا تقوم بها المكتبات التقليدية. ومن هذه الوظائف:

- حفظ المواد الرقمية.
- الانتقاء واقتناء مواد معلوماتية من الويب (Web).
- فهرسة المواد المعلوماتية، ووصفها في صفحات الروابط Pages Link.
- الاتصال وإدارة حقوق الملكية.

الجانب الثاني: الدور الريادي للمكتبات الافتراضية في تعزيز التعلم الذاتي والتعليم المستمر، والبحث العلمي والمتوافق مع فلسفة التعليم عن بعد وأهداف التربية الحديثة:

من أبرز هذه الدراسات في هذا المجال دراسة Kelly (٢٠٠٣) حول "اتجاهات طلبة التعلم عن بعد نحو المصادر التقليدية" أن اتجاهات الطلبة قد تغيرت وأصبحوا يفضلون هذه الأيام استخدام المصادر الالكترونية وعلى الأخص الذين يأخذون موادهم عن بعد عبر الانترنت، ويتطلعون إلى المكتبات بأن تفكر كيف يمكن لمصادرها وخدماتها وبرامجها التدريبية والإرشادية أن تلبي رغبات جميع الطلبة وخاصة الذين لا يتمكنون من الوصول إلى مبنى المكتبة التقليدية باستمرار ويحتاجون إلى المساعدة في استخدام مصادرها وخدماتها وبرامجها التدريبية والإرشادية. وأظهرت نتائج دراسة العقلا (٢٠٠٦) حول "إفادة أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود من مصادر المعلومات الإلكترونية" أن حجم الإقبال لأفراد عينة الدراسة من أعضاء هيئة التدريس على مصادر المعلومات الإلكترونية كبيرة جداً (بمعدل استخدام يومي بنسبة ٦٧,٩٪، ومعدل استخدام أسبوعي بنسبة ٦٣,٥٪)، وأن ٥٧,٦٪ منهم يرون أن مصادر المعلومات الإلكترونية مهمة جداً ويفضلونها على نظيرتها من المصادر التقليدية. وأظهرت النتائج اعتماد ٤٠,٧٪ من المستجيبين على مصادر المعلومات التي توفرها لهم مكتبات الجامعة. أما عن أهداف استخدامهم للمصادر الالكترونية فأظهرت النتائج عدة أهداف هي: البحث عن مقالات جديدة، بنسبة ٣٥,٩٪، وتصفح محتويات المجلات بنسبة ١٥٪، والدخول على مقالات نصية نتيجة البحث عنها في قاعدة المعلومات بنسبة ١٢,٢٪.

ويوصي الباحث في دراسته بضرورة الاهتمام بتحسين خدمات تلك المصادر وزيادتها خصوصاً المجلات العلمية التي تقدم نصوصاً كاملة، والتركيز على التخصصات الموضوعية التي تتوافق واهتمامات المستفيدين.

وأوضح الزامل (٢٠٠٦) في دراسته بعنوان "واقع إفادة الجامعات العربية من خلال خدمات المعلومات المقدمة عبر شبكة الانترنت لبرامج التعليم" أنه يمكن أن تقدم الانترنت خدمات معلوماتية للمعلمين والدارسين في شتى المراحل، وللمستفيدين من برامج التعليم عن بعد على وجه الخصوص، وخاصة خدمة البريد الالكتروني التي تعتبر من أهم الخدمات التي تتوافر في الانترنت وأشهرها، وذلك بإرسال الواجبات الدراسية ومفردات المنهج إلى الطالب أو الإجابة عن استفساراته عبر البريد الالكتروني. وأظهرت نتائج دراسة السريحي (٢٠٠٥) حول مدى استخدام طالبات الدراسات العليا في جامعة الملك عبد العزيز بجدة لمصادر المعلومات الالكترونية أن هناك رؤية واسعة لتعامل طالبات الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في الحصول على خدمات معلومات الكترونية مناسبة، وأن إتاحة القواعد المتخصصة لتلبية الحاجات العلمية والبحثية لهذه الفئة من المستفيدين يعد أمراً ضرورياً وتوجهاً عالمياً. وبين Wright (٢٠٠٤) في دراسته حول الدور الرئيس للمكتبة الأكاديمية في توصيل المستفيدين لمصادر المعلومات الالكترونية، أن جزءاً من مهمات المكتبيين في المكتبات الأكاديمية القيام بتزويد الجامعات بالمعلومات، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية التوعية المعلوماتية وخاصة لطلبة الدرجة الجامعية الأولى لمساعدتهم في استخدام محركات البحث عبر الانترنت باستخدام أفضل استراتيجيات البحث المناسبة للوصول المباشر للمعلومة المطلوبة عبر مصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة على الويب. وتعتبر المكتبات أنفسها في تحد لمواجهة البيئة المعلوماتية الحديثة.

المنهجية والإجراءات:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج المسحي Survey Method لأنه الأنسب للتعرف على إفادة طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) من مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى المتوافرة على شبكة الانترنت.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من إجمالي عدد طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع عمان) في التخصصات المطروحة كافة خلال الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦ والبالغ عددهم حسب البيانات الإحصائية لدائرة القبول والتسجيل في الجامعة ٢٩٤٦ طالباً وطالبة موزعين على البرامج الدراسية الستة المطروحة. ونظراً لكبر حجم أفراد مجتمع الدراسة استُخْدم أسلوب العينة الطبقية لتمثيل مجتمع الدراسة في كل البرامج الدراسية وبنسبة ١٠٪ من مجموع طلبة كل برنامج دراسي، فبلغ أفراد العينة ٢٩٥ طالباً. ويظهر الجدول (١) حجم مجتمع الدراسة والعينة موزعين على البرامج الدراسية.

الجدول (١): توزيع أفراد عينة الدراسة على البرامج الدراسية والنسب المئوية

الرقم	البرنامج الدراسي	عدد أفراد مجتمع الدراسة	حجم العينة	النسبة المئوية
١.	برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)	٩٥٣	٩٥	٣٢,٤٪
٢.	برنامج التربية في التعليم الابتدائي	٨٣٥	٨٤	٢٨,٤٪
٣.	برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية)	٣٧٧	٣٨	١٢,٨٪
٤.	برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.)	٣٦٤	٣٦	١٢,٣٪
٥.	برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها	٣٢٠	٣٢	١٠,٨٪
٦.	برنامج الدبلوم العالي في التربية	٩٧	١٠	٣,٣٪
	المجموع الكلي	**٢٩٤٦**	**٢٩٥**	**١٠٠٪**

يبين الجدول (١) أن أكبر عدد أفراد العينة حجماً هم طلبة برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف) حيث بلغ عددهم ٩٥ طالباً ويشكلون نسبة ٣٢,٤٪، ثم تلاهم حجماً في العينة طلبة برنامج التربية في التعليم الابتدائي حيث بلغ عددهم ٨٤ طالباً ويشكلون نسبة ٢٨,٤٪، ثم طلبة برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية) حيث بلغوا ٣٨ طالباً ويشكلون ١٢,٨ ٪، ثم طلبة برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.) وبلغ عددهم ٣٦ طالباً

ويشكلون ٣ ,١٢٪ ، ثم طلبة برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها وبلغ عددهم ٣٢ طالباً ويشكلون نسبة ٨ ,١٠٪ ، وأقلهم حجماً كان طلبة برنامج الدبلوم العالي في التربية حيث بلغ عددهم ١٠ طلاب ويشكلون ٣ ,٣٪ .

إجراءات جمع البيانات:

أداة الدراسة:

استخدم الباحث الاستبانة(الملحق ١)، أداة لجمع البيانات اللازمة لأغراض الدراسة نظراً لسهولة إدارته وتنظيمه وقلة تكلفته، وكذلك لما تمتاز به هذه الأداة من إمكانية جمع كمية من المعلومات في وقت قصير وإمكانية تحليلها ببرمجيات الحاسب الآلي، مع العلم أن الباحث قد واجه صعوبة في توزيع الاستبانة على الطلبة واستعادتها لانشغال الطلبة في المحاضرات، فدعاه هذا إلى الاستعانة بأحد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة لتوزيعه عدة مرات ولمتابعة استعادته حتى اكتملت تغطية الأعداد المطلوبة للعينة في جميع البرامج الدراسية أي أن الردود اكتملت بنسبة ١٠٠٪ . وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة هي :

المحور الأول: ويهدف إلى معرفة تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة مهاراتهم في استخدام الحاسوب وإلى إبراز حجم المستخدمين منهم للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت، ومدى التردد في الاستخدام ومكان الاستخدام من داخل الجامعة وخارجها .

المحور الثاني: ويهدف إلى تحديد دوافع الاستخدام لدى الفئة المستخدمة للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت، والتعرف على مصادر المعلومات الالكترونية الأكثر استخداماً لديهم، وأكثر الوسائط المعلوماتية التي يستخدمونها، ومدى إيفاء مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات الافتراضية بالاحتياجات المعلوماتية لطلبة الجامعة من وجهة نظرهم .

المحور الثالث: ويهدف إلى حصر الصعوبات/ المعوقات من وجهة نظر الفئة غير المستخدمة للمكتبات الافتراضية التي تحد من استخدامهم لها أو تقلل منه .

صدق الأداة وثباتها:

تُحُقق من صدق الاستبانة بعرضها على ثلاثة محكمين من ذوي الاختصاص والخبرة

في مجال المكتبات، وطلب منهم تحكيمها في ضوء أهداف الدراسة. وقد أبدى المحكمون ملاحظاتهم، وقد صيغت وفق ملاحظاتهم واعتبرت هذه الإجراءات دلالات صدق ظاهري للأداة.

وقد اُستُخْرِجَ معامل ثبات الأداة، وذلك بحساب معامل الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ ألفا، وكانت قيمته (٠,٧٨) واعتبر هذا المعامل كافياً لأغراض هذه الدراسة، خصوصاً وأن الدرجة الكلية للمقياس لن تستخدم في التحليل، والذي سيستخدم هو البيانات عن كل سؤال وفقراته التابعة.

المعالجة الإحصائية:

بعد تطبيق الدراسة، فرغت الاستجابات على النماذج الخاصة بذلك، وأدخلت إلى الحاسوب لمعالجتها إحصائياً باستخدام برنامج SPSS. وفي ضوء أسئلة الدراسة وأهدافها فقد استخرجت التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الحسابي لاستجابات أفراد عينة الدراسة على محاور الدراسة.

تحليل النتائج ومناقشتها:

فيما يتعلق بالمحور الأول من الدراسة والذي يهدف إلى معرفة تقدير أفراد عينة الدراسة لدرجة مهاراتهم في استخدام الحاسوب، وذلك لأنه كلما زادت مهارات استخدام الحاسوب لدى أفراد عينة الدراسة تيسر بشكل أفضل استخدامهم للمكتبات الافتراضية التي لا تكون إلا عبر الحاسوب وشبكات المعلومات المحلية والعربية والعالمية. ويهدف كذلك إلى إبراز حجم المستخدمين للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت، ومدى التردد في الاستخدام ومكان الاستخدام من داخل الجامعة وخارجها، فقد جاءت نتائج الإجابات عن أسئلة هذا المحور متمثلة في الجداول (٢ – ٥).

السؤال الأول: ما درجة مهارات طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) في استخدام الحاسوب؟

لمعرفة درجة مهارات الطلبة في استخدام الحاسوب استطلعت وجهة نظر أفراد عينة الدراسة عن تقدير درجة مهارتهم في استخدام الحاسوب ويبين الجدول (٢) نتائج الإجابة عن هذا السؤال.

الجدول (٢): تقدير مهرات أفراد عينة الدراسة في استخدام الحاسوب

الرقم	البرنامج الدراسي	حجم العينة	تقديرات مهارة استخدام الحاسوب				
			ممتاز	جيد جداً	جيد	متوسط	دون المتوسط
١	برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها	٣٢	٩	٨	٨	٤	٣
٢	برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية)	٣٨	٨	١٠	٧	٦	٧
٣	برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.)	٣٦	١٢	١٢	٦	٣	٣
٤	برنامج التربية في التعليم الابتدائي	٨٤	١٢	١٨	٢١	١٣	٢٠
٥	برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)	٩٥	١١	٢٦	١٨	٣٢	٨
٦	برنامج الدبلوم العالي في التربية	١٠	-	٥	١	٣	١
	المجموع	٢٩٥	٥٢	٧٩	٦١	٦١	٤٢
	النسب المئوية	١٠٠٪			٢١٪	٢١٪	١٤٪

يبين الجدول (٢) التوزيع العددي والنسبي لأفراد عينة الدراسة لتقديرهم لمهاراتهم في استخدام الحاسوب، فالطلبة الذين يقدرون مستوى مهاراتهم في استخدام الحاسوب بدرجات تتراوح بين "الجيد والجيد جداً والممتاز" قد بلغ مجموعهم ١٩٢ طالباً (٦٥٪) من مجمل أفراد عينة الدراسة. و١٠٣ مستجيبين (أو ٣٥٪) من أفراد العينة من حجم العينة يقدرون مهاراتهم في استخدام الحاسوب بمستوى متوسط ودون المتوسط وهي نسبة لا يستهان بها في عينة مجتمع جامعي، وخاصة إذا ما قيست هذه النسبة على إجمالي عدد أفراد مجتمع الدراسة البالغ ٢٩٤٦ طالباً فسنجد أنه ما يقارب من ١٠٣١ طالباً مهاراتهم في استخدام الحاسوب بدرجة متوسطة ودونها. وإذا ما أخذ بالاعتبار التخصص أو البرنامج الدراسي فنجد أن هذا المستوى (المتوسط ودون المتوسط) يتركز بشكل واضح في ثلاثة برامج دراسية وهي: برنامج التربية في التعليم الابتدائي وقد شمل من العينة ٣٣ طالباً (٣٩٪)، وفي برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف) شمل من العينة ٤٠ طالباً (٤٢٪)، وفي برنامج الدبلوم

العالي في التربية شمل هذا المستوى من عينة البرنامج ٤ طلاب (٤٠٪).

ويتميز طلبة برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I . T .) -مقارنة مع البرامج الأخرى- بالنسبة الأعلى حيث بلغ عدد طلبة هذا المستوى ٣٠ طالباً (٨٣٪) من أفراد عينة الدراسة لهذا البرنامج، وإن كان من المتوقع، استناداً إلى المعلومات المتوقع أن يحصل عليها طلبة هذا البرنامج في المساقات الدراسية والمهارات الخاصة بالحاسوب واستخدامه والمكتسبة من التخصص، أن تكون نسبة هذه الفئة ١٠٠٪ ولكن يعود ذلك كما أظهرت إجابات أفراد العينة إلى أن ستة طلاب (١٣٪) من عينة البرنامج في مستوى السنة الدراسية الأولى ويبدو أن مهاراتهم في استخدام الحاسوب لا تزال متوسطة أو دون المتوسط.

السؤال الثاني: ما حجم استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت؟

لتحديد حجم فئة المستخدمين للمكتبات الافتراضية من مجموع أفراد عينة الدراسة، فقد طرح على عينة الدراسة السؤال الثاني من الاستبانة والجدول (٣) يبين نتائج الإجابة من توزيع عددي ونسبي لفئة المستخدمين للمكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة أو المكتبات الافتراضية الأخرى المتوافرة عبر شبكة الانترنت موزعة على البرامج الدراسية.

الجدول (٣): استخدام أفراد عينة الدراسة للمكتبات الافتراضية

الرقم	البرنامج الدراسي	حجم العينة	استخدام المكتبات الافتراضية			
			مجموع المستخدمين	النسبة المئوية	مكتبة الجامعة الافتراضية	مكتبات افتراضية أخرى
١	برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.)	٣٦	٣٥	٪٩٧	٢١	٢٨
٢	برنامج اللغة الإنجليزيةوآدابها	٣٢	٢٦	٪٨١	١٢	١٤
٣	برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية)	٣٨	٢٨	٪٧٤	١٦	٢٢
٤	برنامج الدبلوم العالي في التربية	١٠	٦	٪٦٠	٤	٥
٥	برنامج التربية في التعليم الابتدائي	٨٤	٤٥	٪٥٤	٢٢	٣٢
٦	برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)	٩٥	٤٣	٪٤٥	١٦	١٥
	المجموع	٢٩٥	١٨٣		٩١	١١٦
	النسب المئوية	٪١٠٠	٪٦٢		٪٥٠	٪٦٣

يبين الجدول (٣) أن مجموع المستخدمين للمكتبات الافتراضية بلغ ١٨٣ طالباً (أو ٦٢٪) من إجمالي أفراد عينة الدراسة. وأن ٥٠٪ منهم يستخدمون المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة و٦٣٪ منهم يستخدمون أيضاً المكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت. وهذا مؤشر على التكامل في الاستخدام بين مكتبة الجامعة الافتراضية والمكتبات الافتراضية الأخرى من قبل أفراد عينة الدراسة، وهم من طلبة التعلم عن بعد ويحتاجون للبحث عن المعلومات بأنفسهم عن بعد في عدة مكتبات افتراضية لتحقيق التعلم الذاتي والتعليم المستمر اللذين يعتبران سمتين مهمتين من سمات التعلم عن بعد في المؤسسات التعليمية التي تنهج سياسة التعليم المفتوح كالجامعة العربية المفتوحة -حالة الدراسة- .

ويلاحظ كذلك أن النسبة الأعلى للمستخدمين للمكتبات الافتراضية تعود لطلبة برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.) حيث بلغت ٩٧٪ ثم طلبة برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها حيث بلغت ٨١٪. وقد يرجع ذلك إلى أن طلبة برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.) يمتازون بمهارة متميزة في استخدام الحاسوب وأن طلبة برنامج اللغة الإنجليزية

وآدابها يمتازون بدرجة إتقان متميزة للغة الإنجليزية وهما متطلبان رئيسان لاستخدام المكتبات الافتراضية التي لا تكون إلا عبر الحواسيب وشبكات المعلومات ولأن اللغة الانجليزية هي لغة يتعامل بها العديد من المواقع الالكترونية ولغة أغلب المعلومات المنشورة في مصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة في المكتبات الافتراضية.

أما الطلبة الأقل استخداماً للمكتبات الافتراضية فهم طلبة برنامجي التربية في التعليم الابتدائي وبرنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)، حيث بلغت نسبة المستخدمين من هذين البرنامجين ٥٤٪ و ٤٥٪ من أفراد عينة الدراسة على التوالي.

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار حجم طلبة هذين البرنامجين من أفراد عينة الدراسة فيلاحظ، كما ورد في الجدول (١)، أنهم يشكلون الحجم الأكبر. وبلغ مجموع أفراد العينة لهما معاً ١٧٩ طالباً ويشكلون نسبة ٦٠,٧٪ من العينة، ويعود أسباب قلة الاستخدام للمكتبات الافتراضية، كما أظهرت الإجابات في الاستبانة، إلى عدم تكليف الطلبة بتدريبات بيتية تتطلب استخدام المراجع الالكترونية، وإلى قلة المساقات الالكترونية الدراسية المتوافرة في المكتبات الافتراضية لطلبة هذين البرنامجين، وإلى أن عدداً منهم يواجه صعوبات في البحث الآلي وصعوبة في التعامل مع لغة المصادر الالكترونية التي يغلب عليها اللغة الانجليزية.

السؤال الثالث: ما مدى تردد استخدام طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) للمكتبات الافتراضية وما أماكن الاستخدام؟

لمعرفة مدى تردد الطلبة على استخدام المكتبات الافتراضية فقد وجه السؤال الثالث لهم والجدول (٤) يبين التوزيع العددي والنسبي لمدى ترددهم لاستخدام المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة أو المكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت.

الجدول (٤): توزيع مدى تردد الطلبة للمكتبات الافتراضية

الرقم	البرنامج الدراسي	مدى التردد			
		دائماً	أحياناً	نادراً	أبداً
١	برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها	٥	١٩	٢	٦
٢	برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية)	٤	١٦	٦	١٠
٣	برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I.T.)	٨	٢٣	٦	١
٤	برنامج التربية في التعليم الابتدائي	٥	٣٠	١٠	٣٩
٥	برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)	٤	٣٢	٧	٥٢
٦	برنامج الدبلوم العالي في التربية	١	٤	١	٤
	المجموع	٢٧	١٢٤	٣٢	١١٢
	النسبة المئوية	٩,٢٪	٤٢٪	١٠,٨٪	٣٨٪

يبين الجدول (٤) أن عدد المستخدمين للمكتبات الافتراضية قد بلغ ١٨٣ طالباً (أو ٦٢٪) وأن عدد غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية قد بلغ ١١٢ طالبا (أو ٣٨٪) من حجم أفراد عينة الدراسة موزعة على البرامج الدراسية بنسب متفاوتة. ولو قيست هذه النسبة على مجتمع الدراسة (المجموع الكلي لطلبة الجامعة) والبالغ عددهم ٢٩٤٦ طالباً ولتقدير حجم غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية من مجموع عدد طلبة الجامعة فيمكن أن يوجد ما يقارب من ١١١٩ طالباً في الجامعة لا يستخدمون المكتبات الافتراضية. ويتركز معظمهم لدى ثلاثة برامج هي: برنامج البكالوريس التكميلي في التربية (معلم صف)، وبرنامج التربية الابتدائي، وبرنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية). وقد فاقت فئة الطلبة غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية نصف حجم العينة من هذا البرنامج حيث بلغ عددهم ٥٢ طالباً (أو ٥٥٪)، وفي برنامج التربية في التعليم الابتدائي بلغ عددهم ٣٩ طالباً (أو ٤٦ ٪) من أفراد عينة الدراسة في هذا البرنامج، وفي برنامج الدبلوم العالي في التربية بلغ عددهم ٤ طلاب (أو ٤٠٪) من أفراد عينة الدراسة في هذا البرنامج. وهذه النتيجة جديرة باهتمام المسؤولين في الجامعة إذا ما أخذ بعين الاعتبار أن مجتمع الدراسة طلبة جامعيون يتعلمون عن بعد،

والمكتبات الافتراضية تعتبر عنصراً رئيساً في تحقيق التعلم الذاتي والتعليم المستمر . وستعرف أسباب عدم الاستخدام أو المعوقات التي تحد من استخدامها لاحقاً عند مناقشة النتائج المتعلقة بالمحور الثالث من الاستبانة .

ويبين الجدول كذلك أن ٢٧ (أو ٢ , ٩٪) من أفراد عينة الدراسة يستخدمون المكتبات الافتراضية بشكل دائم ، وأن أكثرهم من طلبة برنامج تقنيات المعلومات والمحوسبة (I . T.) حيث بلغ عددهم ٨ طلاب . وأن النسبة الكبرى (٤٢٪) من أفراد عينة الدراسة يستخدمونها أحياناً ، و(٨ , ١٠٪) منهم يستخدمونها بشكل "نادر" .

ولتحديد أماكن استخدام المكتبات الافتراضية من الفئة المستخدمة لها ، فإن الجدول (٥) يوضح نتائج الإجابة عن السؤال المتعلق بذلك .

الجدول (٥): توزيع المستخدمين للمكتبات الافتراضية حسب مكان الاستخدام

الرقم	البرنامج الدراسي	المستخدمون للمكتبات الافتراضية	مدى التردد					
			الجامعة					
			المكتبة	مراكز الحاسوب	مقاهي الانترنت	البيت	أماكن أخرى	
١	برنامج اللغة الإنجليزية وآدابها	٢٦	١	٧	٥	١٥	٥	
٢	برنامج إدارة الأعمال (النظم الإدارية)	٢٨	٣	٩	٨	١٨	٣	
٣	برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (I . T.)	٣٥	٢	٢٥	١٤	١١	٢	
٤	برنامج التربية في التعليم الابتدائي	٤٥	٢	١٩	٧	١٨	٢	
٥	برنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)	٤٣	٢	١٤	١٩	٢٠	١	
٦	برنامج الدبلوم العالي في التربية	٦	١	٢	٢	١	-	
	المجموع	١٨٣	١١	٧٦	٥٥	٨٣	١٦	
	النسبة المئوية	١٠٠٪	٦٪	٤٢٪	٣٠٪	٤٣٪	٧٪	

يبين الجدول (٥) أن ٧٦ (أو ٤٢٪) من المستخدمين للمكتبات الافتراضية يستخدمونها من الحواسيب المتوافرة في مراكز الحاسوب بالجامعة. ويعود ذلك إلى أن الجامعة قد وفرت للطلبة حوالي ٢٠٠ حاسوب في مراكز الحواسيب فيها، ويلاحظ كذلك أن أقل الأماكن استخداماً للمكتبات الافتراضية هي مكتبة الجامعة. وجاءت نسبة استخدامهم لها ٦٪، ويعود ذلك إلى قلة عدد الحواسيب المتوافرة في المكتبة حيث لا يتوافر فيها إلا حاسوب واحد ولا يستخدم الطلبة مصادر المعلومات الالكترونية وإنما يكون بالاستعانة بمسؤول المكتبة للاستفسار عن المعلومات/ مصادر المعلومات الالكترونية. أما فيما يتعلق بأماكن الاستخدام الأخرى خارج الجامعة فيلاحظ، وكما أظهرتها بيانات الاستبانة، أن هناك عدداً من المستخدمين للمكتبات الافتراضية يستخدمونها أيضاً من أماكن أخرى خارج الجامعة ويعود ذلك كما أوضحوا إلى عدم تمكن الطلبة من قضاء وقت طويل بالجامعة لأن معظمهم موظفون، وإلى قلة كفاية أجهزة الحاسوب في الجامعة مما يتطلب منهم المزيد من الوقت في الانتظار لاستخدام الحواسيب المتوافرة. فمن الطلبة من يستخدمها أيضاً من بيوتهم وبلغت نسبتهم ٤٣٪، ومنهم من يستخدمها أيضاً من مقاهي الانترنت وبلغت نسبتهم ٣٠٪، ومنهم من يستخدمها أيضاً من الحواسيب المتوافرة في أماكن أخرى أشاروا إليها في الاستبانة كالمؤسسات التي يعملون بها والجامعات الأخرى والمكتبات العامة وبلغت نسبتهم ٧٪.

وفيما يتعلق بالمحور الثاني من الدراسة والذي يهدف إلى تحديد الدوافع التي تدفع الفئة المستخدمة للمكتبة الافتراضية من أفراد عينة الدراسة لاستخدام المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت، وكذلك يهدف إلى معرفة أكثر مصادر المعلومات الالكترونية والوسائط المعلوماتية استخداماً لديهم، وإلى تحديد مدى تلبية مصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة في المكتبات الافتراضية لاحتياجاتهم المعلوماتية المطلوبة. و توضح الجداول (٦ – ٧) جانباً من الإجابات عن أسئلة هذا المحور.

السؤال الرابع: ما دوافع طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن) من استخدام مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الافتراضية؟

لمعرفة الدوافع وراء استخدام فئة المستخدمين للمكتبات الافتراضية التي توفرها الجامعة والمكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكة الانترنت، فالجدول (٦) يوضح الدوافع التي عبر عنها المستخدمون للمكتبات الافتراضية.

الجدول (٦): الدوافع التي تدفع فئات المستخدمين لاستخدام للمكتبات الافتراضية (مرتبة تنازلياً)

الرقم	الدوافع	التكرار	النسبة	الرقم	الدوافع	التكرار	النسبة
١	توفير الوقت والجهد	١٣٥	٧٤٪	١١	إمكانية تحميل (Download) ملفات معلوماتية معينة	٧٥	٤١٪
٢	إمكانية استخدامها من أي مكان وفي أي وقت	١٣٠	٧١٪	١٢	مجانية الاستخدام	٦٤	٣٥٪
٣	سهولة الاستفسار عن المعلومات	١٢٥	٦٨٪	١٣	شمولية التغطية	٥٩	٣٢٪
٤	تحقيق التعلم الذاتي	١١٢	٦١٪	١٤	استخدام المساقات الجامعية الالكترونية للدراسة الجامعية	٥٣	٢٩٪
٥	استخدام المساقات الجامعية الالكترونية لتأدية التدريبات (الواجبات البيتية)	١١٠	٦٠٪	١٥	تأدية الامتحانات الجامعية الكترونياً	٣٨	٢١٪
٦	استخدام وسائط المعلومات المتنقلة	١٠٠	٥٥٪	١٦	المشاركة في الدورات/ ورشات العمل/ الندوات الالكترونية عن بعد	٣٨	٢١٪
٧	وجود مصادر معلومات ومواقع تتيح التعلم عن بعد	٩٩	٥٤٪	١٧	قلة التكاليف الإجمالية	٣٥	١٩٪
٨	عدم وجود مصادر معلومات مطبوعة تلبي الاحتياجات	٩٥	٥٢٪	١٨	المشاركة في المنتديات الالكترونية	٣١	١٧٪
٩	استمرارية تحديث المعلومات	٩٣	٥١٪	١٩	توفير العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة	١١	٦٪
١٠	التفاعل مع الصوت والصورة والحركة التي تتميز بها مصادر المعلومات فيها	٨٨	٤٨٪				

يبين الجدول (٦) بروز (١٩) دافعاً لاستخدام الطلبة للمكتبات الافتراضية وقد تفاوتت نسب تكرارها. ولتيسير مناقشة النتائج يمكن تقسيم نسب التكرار إلى فئتين هما:

الفئة الأولى: الدوافع التي زادت نسب تكرارها من المستخدمين للمكتبة الافتراضية من أفراد عينة الدراسة عن ٥٠٪. وقد اشتملت هذه الفئة على الدوافع الآتية:

- دوافع بلغت نسبة تكرارها أعلى من ٧٠٪ وهي : "توفير الوقت والجهد" حيث بلغت ٧٤٪ من المستخدمين وتليها نسبة ٧١٪ للدافع "إمكانية استخدامها من أي مكان وفي أي وقت" . وهذان الدافعان يعززان مميزات المكتبة الافتراضية .
- دوافع تراوحت نسبة تكرارها ما بين ٦٠ - ٦٩٪ واشتملت على عدة دوافع هي : "سهولة الاستفسار عن المعلومات" ونسبة تكراره ٦٨٪ ، ودافع "التعلم الذاتي" ونسبة تكراره بلغت ٦١٪ ، و "استخداماً للمساقات الجامعية الالكترونية" ونسبة تكراره ٦٠٪ . وكلها دوافع لها علاقة في دعم دور المكتبة الافتراضية في مجال التعلم عن بعد .
- دوافع تراوحت نسبة تكرارها ما بين ٥٠ - ٥٩٪ واشتملت هذه الفئة أيضاً على الدوافع التي تعتبر أيضاً معززة لدور مصادر المعلومات ووسائطها المتوافرة في المكتبات الافتراضية في نظام التعلم عن بعد وهي : "إمكانية استخدام وسائط معلومات متنقلة" وبلغت نسبتها ٥٥٪ ، و "وجود مصادر معلومات ومواقع تتيح التعلم عن بعد" ونسبتها ٥٤٪ ، و "عدم وجود مصادر معلومات مطبوعة تلبي الاحتياجات المعلوماتية" وكانت نسبتها ٥٢٪ ، و"استمرارية تحديث المعلومات في المكتبات الافتراضية" كانت نسبتها ٥١٪ .

الفئة الثانية : الدوافع التي جاءت نسب تكرارها أقل من ٥٠ ٪ واشتملت على دوافع تعزز ميزات المكتبات الافتراضية ومقتنياتها والتي تتميز بها عن المكتبات التقليدية . وهي : "التفاعل مع الصوت والصورة والحركة التي تتميز بها مصادر المعلومات الالكترونية فيها" وكانت نسبة تكراره ٤٨٪ ، و " إمكانية تحميل Download)) ملفات معلوماتية مطلوبة" وبلغت نسبة تكراره ٤١٪ ، و "مجانية الاستخدام" ونسبته ٣٥٪ و"شمولية التغطية" ونسبته ٣٢٪ .

واشتملت كذلك على دوافع متعلقة بالنشاطات المنهجية واللامنهجية وهي : : "استخدام المساقات الجامعية الالكترونية للدراسة الجامعية" بنسبة ٢٩٪ ، وبنسبة ٢١٪ لدافعين هما دافع "تأدية الامتحانات الجامعية الكترونياً" ودافع "المشاركة في الدورات/ ورشات العمل/ الندوات الالكترونية عن بعد" . وهذه النسب المنخفضة نسبياً تعتبر مؤشراً على قلة المساقات الجامعية التي تقدم امتحاناتها الكترونياً ولقلة توجيه الطلبة للمشاركة في الدورات/ ورشات العمل/ الندوات الالكترونية عن بعد. ودوافع جاءت نسب تكرارها أقل من ٢٠٪ وهي أدنى الدوافع نسبة ، وقد جاءت لدوافع ثلاثة هي : "قلة التكاليف الإجمالية" ونسبته ١٩٪ ، ويعود ذلك من وجهة نظر الطلبة إلى أن معظم الواجبات البيتية التي يكلفون بها يطلب تقديمها للمدرسين ورقياً وليس آلياً عبر البريد الالكتروني أو الوسائط الآلية الأخرى مما يزيد التكلفة

عليهم لما تتطلبه من أجور الطباعة . ويليه الدوافع "المشاركة في المنتديات الالكترونية" بنسبة (١٧٪)، وأقل الدوافع نسبة دافع "توفير العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة" وكانت نسبته ٦٪ . ويعود ذلك كما أوضح الطلبة إلى عدم توافر عدد كاف من الحواسيب في الجامعة يتناسب مع عدد الطلبة .

السؤال الخامس: أي مصادر المعلومات والوسائط الالكترونية في المكتبات الافتراضية الأكثر استخداماً من طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن)؟

إن إجابات أفراد العينة فيما يتعلق بتحديد أكثر مصادر المعلومات الالكترونية استخداماً من الفئة المستخدمة للمكتبات الافتراضية في أفراد عينة الدراسة يوضحها الجدول (٧) .

الجدول (٧): مصادر المعلومات الأكثر استخداماً والنسب المئوية

الرقم	المصادر	التكرار	النسبة
١	الفهرس الآلي للمكتبات الافتراضية	١١٧	٦٤٪
٢	المجلات الالكترونية في مجال التخصص	١٠٦	٥٨٪
٣	الكتب الالكترونية في مجال التخصص	٩٢	٥٠٪
٤	الموسوعات الالكترونية في مجال التخصص	٦٢	٣٤٪
٥	نصوص المساقات الجامعية الالكترونية	٥٥	٣٠٪
٦	المعاجم الالكترونية في مجال التخصص	٥١	٢٨٪
٧	الببليوغرافيات الالكترونية في مجال التخصص	٤٢	٢٣٪
٨	المجلات الالكترونية في غير مجال التخصص	١٥	٨٪
٩	الكتب الالكترونية في غير مجال التخصص	١١	٦٪
١٠	المعاجم الالكترونية في غير مجال التخصص	٩	٥٪
١١	الموسوعات الالكترونية في غير مجال التخصص	٩	٥٪
١٢	الببليوغرافيات الالكترونية في غير مجال التخصص	٧	٤٪

يبين الجدول (٧) تفاوت نسب التكرار لمصادر المعلومات الالكترونية المستخدمة . ولتيسير مناقشة النتائج يمكن تقسيم نسب التكرار إلى فئتين :

الفئة الأولى: مصادر معلومات زادت نسب تكرار استخدامها عن ٥٠٪ ، وقد اشتملت

على ثلاثة مصادر معلومات الكترونية، يشير استخدامها إلى مجالات البحث بالاتصال المباشر التي يتوجه لها طلبة التعلم عن بعد وهي: "الفهرس الآلي للمكتبات الافتراضية" ونسبة تكرارها ٦٤٪، وقد يعود تفوق نسبة استخدام "الفهرس الآلي" على غيره لأن الفهرس الآلي هو مفتاح الوصول للمصادر الالكترونية المتوافرة ومنه يبحث الطلبة عن المعلومات ومصادر المعلومات التي تلبي رغباتهم واهتماماتهم من مقالات وكتب في مجال تخصصاتهم. وجاءت "المجلات الالكترونية في مجال التخصص" تالية في النسبة للفهرس الآلي وبلغت ٥٨٪، بينما جاءت نسبة تكرار استخدام "الكتب الالكترونية في مجال التخصص" ٥٠٪. وقد يعود ذلك إلى أن حاجة الباحثين والطلبة للمجلات الالكترونية المتخصصة أكثر من الكتب الالكترونية المتخصصة وذلك لما تتميز به الدوريات عن الكتب من حداثة وتخصص وشمولية.

الفئة الثانية: مصادر المعلومات التي قلت نسبة تكرار استخدامها عن ٥٠٪. وتنوعت هذه المصادر بين مصادر المعلومات في مجال تخصص الطلبة وبين مصادر المعلومات في غير مجال تخصصهم. فأظهرت النتائج أن نسبة تكرار استخدام "الموسوعات الالكترونية في مجال التخصص" (٣٤٪) وبلغت نسبة تكرار استخدام "المعاجم الالكترونية في مجال التخصص" ٢٨٪. وهذا مؤشر على قلة استخدام الموسوعات والمعاجم الالكترونية وقد يعود ذلك لعدم توجيه الطلبة لاستخدامهما في الواجبات البيتية والبحثية المتعلقة بمصادر المعلومات الالكترونية ومنها الموسوعات والمعاجم. وقد تدنت أيضاً نسبة استخدام هذه الفئة لنصوص المساقات الجامعية الالكترونية فجاءت نسبة تكرار استخدامها ٣٠٪، وهذا مؤشر على عدم قيام الجامعة بطرح نصوص المساقات الجامعية الكترونياً بشكل يشمل جميع التخصصات.

أما المنتجات المعلوماتية التي تعبر عن الببليوغرافيات "قوائم حصر الإنتاج الفكري" المنشورة في مجالات مختلفة، فقد لوحظ تدني نسبة استخدامها من الفئة المستخدمة للمكتبة الالكترونية؛ فتشير النتائج إلى أن نسب تكرار استخدامها كان أقل من ٢٥٪ وجاءت تنازلياً: "الببليوغرافيات الالكترونية في مجال التخصص" وبلغت نسبة تكرار استخدامها ٢٣٪، و "الفهارس الآلية لمكتبات أخرى" وبلغت نسبة تكرار استخدامها ٢٢٪.

أما المصادر الالكترونية في غير مجال تخصص الطلبة فبلغت نسب تكرار استخدامها أدنى النسب حيث لم ترق إلى نسبة ١٠٪ وهي: "المجلات الالكترونية في غير مجال التخصص"، و "الكتب الالكترونية في غير مجال التخصص"، و "المعاجم الالكترونية في غير مجال التخصص"، و "الموسوعات الالكترونية في غير مجال التخصص"، وقد يرجع ذلك إلى تركيز الطلبة على استخدام المصادر التي تلبي احتياجاتهم لغايات الدراسة الجامعية في مجال

التخصص والواجبات البيتية والنشاطات المنهجية أكثر من غيرها.

ولمعرفة أكثر الوسائط المعلوماتية المحمولة والثابتة استخداماً من مستخدمي المكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة، فيشير الجدول (٨) إلى النتائج المتعلقة بذلك.

الجدول (٨): الوسائط المعلوماتية الأكثر استخداماً والنسب المئوية

الوسائط	التكرار	النسبة
قواعد المعلومات المتوافرة في المكتبات الافتراضية عبر الشبكة العالمية (الانترنت)"	١٣٥	٧٤٪
قواعد البيانات المتوافرة في المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة عبر الانترانت INTRANET	١٠١	٥٥٪
الوسائط المحمولة مثل (Floppy Discs، DVDs، CDs، . . . . وغيرها)	٦٢	٣٤٪

يبين الجدول (٨) ردود الطلبة المستجيبين بأنهم يستخدمون ثلاثة وسائط معلوماتية بنسب متقاربة هي "قواعد المعلومات المتوافرة في المكتبات الافتراضية عبر الشبكة العالمية (الانترنت)" وكانت الأعلى نسبة وبلغت ٧٤٪ من أفراد العينة المستخدمين للمكتبات الافتراضية، أي أن حوالي ثلاثة أرباعهم يستخدمون قواعد البيانات المتوافرة في المكتبات الافتراضية عبر الانترنت (الشبكة العالمية) ويحصلون على المعلومات المطلوبة من خلال الوصول المباشر إلى المعلومة فيها. وأن ٥٥٪ منهم يستخدمون قواعد البيانات المتوافرة في المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة عبر الانترانت INTRANET (الشبكة المحلية في الجامعة) ويحصلون على المعلومات المطلوبة من خلال الوصول المباشر إلى المعلومة فيها.

إن ٦٢٪ منهم يستخدمون الوسائط المحمولة مثل (Floppy Discs، DVDs، CDs، . . . . وغيرها) للوصول إلى المعلومات المطلوبة أو تخزين المعلومات عليها من قواعد البيانات الثابتة، وهذا مؤشر على أن المستخدمين للمكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة يستخدمون مختلف أنواع الوسائط الالكترونية بالاتصال المباشر بقواعد البيانات وبالاتصال غير المباشر بالوسائط المتنقلة.

السؤال السادس: ما مدى تلبية المعلومات/ مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات

الافتراضية لاحتياجاتهم المعلوماتية؟

وفيما يتعلق بمعرفة تقدير المستخدمين للمكتبات الافتراضية لمدى تلبية مصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة في المكتبات الافتراضية لاحتياجاتهم المعلوماتية المطلوبة فالجدول (٩) يوضح إجابات المستخدمين للمكتبات الافتراضية من عينة الدراسة .

الجدول (٩): مدى تلبية مصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة في المكتبات الافتراضية للاحتياجات المعلوماتية المطلوبة والنسب المئوية

الرقم	درجة التلبية	التكرار	النسبة
١	كبيرة	٤٦	٢٥٪
٢	متوسطة	١٢١	٦٦٪
٤	قليلة	١٦	٩٪

يبين الجدول (٩) أن حوالي ثلثي المستجيبين (٦٦٪) يشعرون أنها تلبي احتياجاتهم المعلوماتية بدرجة متوسطة و ٢٥٪ منهم يشعرون أنها تلبي احتياجاتهم المعلوماتية بدرجة كبيرة، أي أن ٩١٪ من المستخدمين يشعرون أن مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات الافتراضية كافية لتلبية احتياجاتهم المعلوماتية بدرجة تتراوح بين الكبيرة والمتوسطة، وهذا يعزز أهمية المكتبات الافتراضية في تلبية احتياجات المستفيدين في مختلف تخصصاتهم، ويدعم دوافع الاستخدام لها والتي ظهرت نتائجها في الجدول (٦) في أنها تلبي احتياجاتهم المعلوماتية. ويلاحظ أن ٩٪ منهم فقط يشعرون أنها تلبي احتياجاتهم المعلوماتية بدرجة قليلة .

أما نتائج إجابات أسئلة المحور الثالث من الدراسة والذي يهدف إلى معرفة المعوقات/ الصعوبات التي جعلت هذه الفئة من غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية فإن الجدول (١٠) يوضح نتائج الإجابات المتعلقة بأسئلة هذا المحور .

السؤال السابع : ما المعوقات/ الصعوبات التي تحد أو تقلل من استخدام المصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات الافتراضية لدى طلبة الجامعة العربية المفتوحة (فرع الأردن)، وما أسباب ذلك من وجهة نظرهم؟

الجدول (١٠): الصعوبات التي تحد من استخدام المكتبات الافتراضية

لفئة الطلبة غير المستخدمين لها والنسب المئوية

الرقم	الصعوبات/المعوقات	التكرار	النسبة
١	عدم معرفة المواقع الالكترونية للمكتبات الافتراضية	٧٨	٪٧٠
٢	عدم إتقان البحث الآلي	٧٧	٪٦٩
٣	الكم الهائل من المعلومات المنشورة الكترونياً مما يقلل القدرة على الإحاطة بها والتمييز بينها	٦٥	٪٥٨
٤	البطء في الوصول إلى المعلومة الالكترونية	٦٠	٪٥٤
٥	اللغات غير العربية لمصادر المعلومات الالكترونية	٥٦	٪٥٠
٦	عدم الثقة بالمصادر الالكترونية	٤٤	٪٣٩
٧	التكلفة العالية	٤٣	٪٣٨
٨	عدم توفر الوقت الكافي لاستخدام المكتبات الافتراضية	٣٧	٪٣٣
٩	عدم توفر العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة	٣٥	٪٣١
١٠	القيود على استخدام مصادر المعلومات الالكترونية	٣٤	٪٣٠
١١	وجود مصادر معلومات مطبوعة كافية	٢٢	٪٢٠
١٢	صعوبات/ عوائق أخرى	٥	٪٤,٥

لتيسير مناقشة النتائج التي يبينها الجدول (١٠) يمكن تقسيم المعوقات/ الصعوبات التي جعلت هذه الفئة من غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية من وجهة نظرهم ونسب التكرارات لها إلى فئتين :

الفئة الأولى: المعوقات/ الصعوبات التي تزيد نسبة تكرارها عن ٥٠٪ ، وقد اشتملت على عدد من المعوقات/ الصعوبات كانت أعلاها نسبة "عدم معرفة المواقع الالكترونية للمكتبات الافتراضية" و "عدم إتقان البحث الآلي" حيث بلغت ٧٠٪ و ٦٩٪ على التوالي ، ثم تلاهما العائق "توافر كم هائل من المعلومات المنشورة الكترونياً مما يقلل القدرة على الإحاطة بها والتمييز بينها " بنسبة تكرار قدرها ٥٨٪، و"البطء في الوصول إلى المعلومة الالكترونية" ونسبة تكرارها ٥٤٪، و "اللغات غير العربية لمصادر المعلومات الالكترونية" ونسبة تكرارها ٥٠٪ . وهذه المعوقات متلازمة لمن لا يتقن استخدام المكتبات الافتراضية عبر

الشبكات، ولمن لا يتقن اللغة الانجليزية وتقنيات واستراتيجيات البحث بالاتصال المباشر في قواعد المكتبات المتوافرة في المكتبات الافتراضية.

الفئة الثانية: المعوقات/ الصعوبات التي تقل نسبة تكرارها عن ٥٠٪ وقد شملت عدة معوقات/ صعوبات هي: "عدم الثقة في المصادر الالكترونية" وبلغت نسبتها ٣٩٪، و "التكلفة العالية" وبلغت نسبتها ٣٨٪، و "عدم توفر الوقت الكافي لاستخدام المكتبات الافتراضية" وبلغت نسبتها ٣٣٪، و"عدم توفر العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة" وبلغت نسبتها ٣١٪، و"القيود على استخدام مصادر المعلومات الالكترونية" وبلغت نسبتها ٣٠٪. وقد ظهرت أقل نسب التكرار (٢٠٪) للعائق "وجود مصادر معلومات مطبوعة كافية".

وأعرب خمسة طلاب (أو ٥ , ٤٪) من غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية أسباباً أخرى غير الواردة في الاستبانة هي: عدم كفاية ما هو منشور من مصادر المعلومات باللغة العربية، وإلى أن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة يعملون موظفين وفي نفس الوقت يدرسون بالجامعة، وإلى عدم ألفة الطلبة لمصادر المعلومات الالكترونية. ورغم هذه الأسباب وغيرها فإنه يمكن التغلب عليها بعد تجاوز أسباب المعوقات/ الصعوبات الواردة في الفئة الأولى.

الاستنتاجات:

توصلت الدراسة إلى نتائج عدة منها :

١ . أن ١٠٣ طلاب (أو ٣٥٪) من إجمالي أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم ٢٩٥ طالباً يقدرون مهاراتهم في استخدام الحاسوب بمستوى متوسط ودون المتوسط .

٢ . أن مجموع المستخدمين للمكتبات الافتراضية بلغ ١٨٣ طالباً يشكلون ما نسبته ٦٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة، وهم موزعون على البرامج الدراسية المطروحة بنسب متفاوتة كان أعلاها طلبة برنامج تقنيات المعلومات والحوسبة (.I.T) حيث بلغت نسبتهم ٩٧٪ من حجم العينة لطلبة هذا البرنامج، وأدناها يعود لطلبة برنامجين دراسيين هما : برنامج التربية في التعليم الابتدائي وبرنامج البكالوريوس التكميلي في التربية (معلم صف)، بنسب ٥٤٪ و ٤٥٪، على التوالي من حجم العينة لطلبة هذين البرنامجين .

٣ . أن ١٥٪ من فئة المستخدمين للمكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة يستخدمون المكتبات الافتراضية بشكل دائم، وأن النسبة الكبرى (٦٨٪) من المستخدمين للمكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة يستخدمونها أحياناً، و(١٧٪) منهم يستخدمونها بشكل نادر .

٤ . أن ٤٢٪ من فئة المستخدمين للمكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة يستخدمون المكتبة الافتراضية من خلال الحواسيب المتوافرة في مراكز الحاسوب بالجامعة، وأن منهم من يستخدمها أيضاً من أماكن أخرى خارج الجامعة؛ فمنهم من يستخدمها أيضاً من بيوتهم وبلغت نسبتهم ٤٣٪، ومنهم من يستخدمها أيضاً من مقاهي الانترنت وبلغت نسبتهم ٣٠٪، ومنهم من يستخدمها أيضاً في أماكن أخرى كالمؤسسات التي يعملون بها ومكتبات الجامعات الأخرى والمكتبات العامة . وأن ٦٪ منهم فقط يستخدمونها من الحواسيب المتوافرة في المكتبة، وذلك لقلة عدد الحواسيب المتوافرة في المكتبة حيث لا يتوافر فيها إلا حاسوب واحد .

٥ . أن دوافع استخدامهم للمكتبات الافتراضية متعددة، ونسبها متفاوتة؛ فأعلاها بلغ ٧٤٪ للدافع "توفير الوقت والجهد"، وأدناها جاءت لثلاثة دوافع هي : "قلة التكاليف الإجمالية" بنسبة ١٩٪، و "المشاركة في المنتديات الالكترونية" بنسبة ١٧٪، و "توفير العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة" بنسبة ٦٪ وهي أقل هذه النسب .

٦ . أن أكثر مصادر المعلومات الالكترونية استخداماً كان : "الفهرس الالكتروني لمكتبة الجامعة" وبنسبة ٦٤٪ . تلاها مصادر المعلومات في مجال تخصص الطلبة واشتملت على "المجلات الالكترونية في مجال التخصص" بنسبة ٥٨٪، و"الكتب الالكترونية في مجال التخصص" بنسبة ٥٠٪ . وأدنى النسب كانت للمصادر الالكترونية في غير مجال تخصص الطلبة ولم ترق نسبة استخدامها إلى ١٠٪ وهي : "المجلات الالكترونية في غير مجال التخصص" بنسبة ٨٪، و"الكتب الالكترونية في غير مجال التخصص" بنسبة ٦٪، و"المعاجم الالكترونية في غير مجال التخصص" بنسبة ٥٪، و"الموسوعات الالكترونية في غير مجال التخصص" بنسبة ٥٪، و"الببليوغرافيات الالكترونية في غير مجال التخصص" بنسبة ٤٪ .

٧ . أن الوسائط الالكترونية في المكتبات الافتراضية الأكثر استخداماً من الفئة المستخدمة للمكتبات الافتراضية، كانت : "قواعد المعلومات المتوافرة في المكتبات الافتراضية عبر الشبكة العالمية (الانترنت)" وبلغت نسبة مستخدميها من أفراد العينة ٧٤٪ يحصلون على المعلومات المطلوبة من خلال الوصول المباشر إلى المعلومة فيها، و ٥٥٪ منهم يستخدمون قواعد البيانات المتوافرة في المكتبة الافتراضية التي توفرها الجامعة عبر الانترانت (الشبكة المحلية في الجامعة) ويحصلون على المعلومات المطلوبة من خلال الوصول المباشر إلى المعلومة فيها . ولم يقتصر الاستخدام على الاتصال المباشر في قواعد البيانات بل تستخدم أيضاً الوسائط المتنقلة مثل (Floppy Discs، DVDs، CDs، . . . . وغيرها) وبلغت نسبة مستخدميها ٦٢٪ منهم من يستخدمها كوسيط غير مباشر للوصول إلى المعلومة المطلوبة ومنهم من يستخدمها لتخزين المعلومات المطلوبة عليها من قواعد البيانات الثابتة .

٨ . أن ٩١٪ من المستخدمين يشعرون أن مصادر المعلومات التي توفرها المكتبات الافتراضية كافية لتلبية احتياجاتهم المعلوماتية بدرجة تتراوح بين الكبيرة (٢٥٪) والمتوسطة (٦٦٪)، وأن ٩٪ منهم فقط يشعرون أنها تلبي احتياجاتهم بدرجة قليلة .

٩ . أن عدد الذين لا يستخدمون المكتبات الافتراضية من أفراد عينة الدراسة قد بلغ ١١٢ طالباً ويشكلون نسبة ٣٨٪ من حجم أفراد عينة الدراسة موزعة على البرامج الدراسية بنسب متفاوتة .

١٠ . أن المعوقات/ الصعوبات التي تواجه فئة غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية كان أعلاها نسبة "عدم معرفة المواقع الالكترونية للمكتبات الافتراضية" حيث بلغت

٧٠٪، و "عدم إتقان البحث الآلي" بنسبة ٦٩٪، و"توافر كم هائل من المعلومات المنشورة الكترونياً" بنسبة ٥٨٪، و"البطء في الوصول إلى المعلومة الالكترونية" بنسبة ٥٤٪، و "اللغات غير العربية لمصادر المعلومات الالكترونية" بنسبة ٥٠٪ . وأن أقل المعوقات/ الصعوبات نسبة كانت ٢٠٪ للعائق "وجود مصادر معلومات مطبوعة كافية".

١١. أن أسباباً عدة كانت وراء ظهور هذه المعوقات/ الصعوبات، من وجهة نظر الفئة غير المستخدمة من أفراد عينة الدراسة، منها: عدم كفاية ما هو منشور من مصادر المعلومات باللغة العربية، وأن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة يعملون وفي نفس الوقت يدرسون بالجامعة ولا يتمكنون من استخدام المكتبات الافتراضية لعدم توافر الوقت الكافي لديهم، وإلى عدم ألفة الطلبة لمصادر المعلومات الالكترونية المتوافرة في المكتبات الافتراضية.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه نتائج هذه الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:

١. زيادة اهتمام الجامعة بمواكبة التطور العلمي والتقني والإفادة من تقنيات المعلومات والاتصالات في العملية التعلمية التعليمية وذلك باستخدام الوسائط التعليمية الآلية الحديثة عن بعد، وكذلك النشاطات المنهجية واللامنهجية كالواجبات البيتية والمحاضرات والندوات، وتخزينها وتوفيرها في المكتبات الافتراضية عبر قواعد البيانات المتوافرة في شبكتي الانترنت والانترانت والوسائط المتنقلة، وتوفير عدد أكبر من الحواسيب في مختبرات الجامعة ومكتبتها لاستخدام الطلبة.

٢. العمل على زيادة مهارات استخدام طلبة الجامعات في جميع البرامج المطروحة للحواسيب وتطوير مهاراتهم في البحث الآلي المباشر في قواعد البيانات، وتدريبهم من خلال عقد الدورات واللقاءات وورشات العمل المتخصصة.

٣. العمل على زيادة إتقان طلبة الجامعات في جميع البرامج المطروحة للغة الانجليزية لتيسير استخدام المعلومات المنشورة الكترونياً باللغة الانجليزية.

٤. زيادة اهتمام الجامعة بالمكتبات الافتراضية ومصادرها الالكترونية باستخدام تقنيات التسويق الآلي للمكتبات الافتراضية بغرض توجيه الطلبة والهيئة التدريسية والباحثين إليها في مختلف الكليات والبرامج الدراسية، وتعزيز دوافع استخدامهم لمختلف أنواع

المصادر الالكترونية المتوافرة فيها لتحقيق التعلم الذاتي والتعليم المستمر لديهم.

٥. قيام الجامعة بتشجيع غير المستخدمين للمكتبات الافتراضية بزيادة توعيتهم بها وبما تشتمل عليه من معلومات تتوافق مع اهتماماتهم ورغباتهم، واستثمارها واستخدامها بشكل دائم أثناء دراستهم وفي وظائفهم وحياتهم اليومية، وتذليل المعوقات/ الصعوبات التي ظهرت في الدراسة وغيرها، لزيادة حجم فئة المستخدمين للمكتبات الافتراضية وخدماتها الحديثة بشكل أفضل.

٦. قيام الجامعة بالعديد من النشاطات الهادفة كورشات العمل والمحاضرات والندوات والدورات المتخصصة في استخدام الحاسوب واستراتيجيات البحث في قواعد المعلومات المتوافرة في المكتبات الافتراضية، والبرامج الإعلامية والتدريبية والإرشادية الموجهة للطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية.

المراجع:

١ . الجامعة العربية المفتوحة : دليل الطالب ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ ، عمان : الجامعة ، ٢٠٠٥

٢ . جامعة القدس المفتوحة . تعلم كيف تتعلم . ط ٢ . عمان : الجامعة ، ٢٠٠١ . ص ٢٣ .

٣ . أبو الخيل ، عبد الوهاب بن محمد . المكتبة الرقمية (الالكترونية) بين النظرية والتطبيق . دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات ، مج٧ ، ع ٢ (٢٠٠٢) . ص ٣٧ - ٦٢

٤ . الزامل ، منصور بن عبدالله . واقع إفادة الجامعات العربية من خلال خدمات المعلومات المقدمة عبر شبكة الانترنت لبرامج التعليم . مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية . مج ١١ ، ع٢ (أغسطس ٢٠٠٥ - يناير ٢٠٠٦) . ص ٢٣ - ٤٧ .

٥ . الزهري ، سعد بن سعيد . الخدمات المرجعية الالكترونية : ماهيتها وواقعها ، وكيفية استخدام المكتبات العربية لها . مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية . مج ١٠ ، ع٢ (سبتمبر ٢٠٠٤ - فبراير ٢٠٠٥) . ص ٦٤

٦ . السريحي ، حسن عواد ، وبا محمود ، وفاء ، وعبد العزيز ، شادن . استخدام طالبات الدراسات العليا في جامعة الملك عبد العزيز بجدة لمصادر المعلومات الالكترونية . مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية . مج ١٠ ، ع ٢ (سبتمبر ٢٠٠٤ - فبراير ٢٠٠٥) . ص ١٦٠

٧ . سويلم ، محمد نبهان . الطريق إلى المكتبة التخيلية الالكترونية . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . مج ٢٤ ، ع ١ (يناير ٢٠٠٤) . ص ٧٣

٨ . شاهين ، شريف كامل محمود؛ عرض وتقديم صلاح بن عيسى . الخدمة المرجعية الالكترونية المتاحة عبر مواقع المكتبات العربية على شبكة الانترنت : مواقعها ومستقبلها . المجلة العربية للعلوم والمعلومات . ع ٥ (يونيو ٢٠٠٥) . ص ١٠٣ - ١٠٧

٩ . العقلا ، سليمان بن صالح . إفادة أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود من مصادر المعلومات الالكترونية . مجلة المكتبات والمعلومات . س٢٦ ، ع١ (يناير ٢٠٠٦) ، ص ٥ - ٤٢ .

١٠ . قاسم ، حشمت . الاتصال العلمي في البيئة الالكترونية . مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية . مج ٨ ، ع١ (مارس - أغسطس ٢٠٠٢) . ص ١٧٦

١١ . قدورة ، وحيد . المكتبة الرقمية والنص الالكتروني أي تغيير وأي تأثير؟ . المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات . مج٦ ، ع١١ - ١٢ (ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٢) .

ص ١٠٩ - ١١٢ .

١٢ . قنديلجي، عامر والسامرائي، إيمان. قواعد وشبكات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. عمان: دار الفكر،]٢٠٠١[. ص ٥٨ .

١٣ . متولي، ناريمان اسماعيل. الانترنت والأطر البحثية في استرجاع المعلومات. مجلة الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات. مج ١٢، ع ٢١ (يناير ٢٠٠٤). ص ٦٩ .

١٤ . مركز الفهرسة الآلية (OCLC)؛ تعريب سعد بن سعيد الزهري. الاتجاهات المستقبلية لأشكال مصادر المعلومات، المعلوماتية، ع ٨ (اكتوبر ٢٠٠٤)، ص ١٦ - ٢٧

١٥ . بو معرافي، بهجة مكي. المكتبات الرقمية. الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات. مج ١١، ع ٢٠ (٢٠٠٣). ص ٤٧ -٥٥

١٦ . بو مفلح، فاتن سعيد. استخدام تقنية المعلومات في مكتبات الأوقاف السعودية: دراسة للواقع وتطلعات المستقبل. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. مج ٨، ع ٢ (سبتمبر ٢٠٠٢ - فبراير ٢٠٠٣) ص ٥ - ٣١ .

١٧ . المناصير، محمد. الكتاب . . . عالم بلا حدود. مجلة رسالة المكتبة. مج ٣٩، ع ٣ -٤ (أيلول - كانون الأول ٢٠٠٤). ص ٥٩ .

١٨ . الوردي، حسين زكي. خدمات المعلومات على الانترنت ومردوداتها على المكتبات: عرض وتحليل. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. مج ٨، ع ٢ (سبتمبر ٢٠٠٢ - فبراير ٢٠٠٣). ص ١٩٤ - ٢٠٤ .

19. Kelly, kimberly B. and Orr, Gloria. "Trends in distant student use of electronic resourses: A survey". College and Research Libraries. Vol. No. (May 2003). P> 176 – 191.

20. Metz, Paul. Principles of selection for electronic resources. Library Trends. (Spring 2000). P. 711 - 727

21. Miller, Ruth H. Electronic Resources and Academic Libraries, 1980-2000: A Historical Perspective. Library Trends. (Spring 2003). p.645–669.

22. Wright, Corol A. The Academic library as a gateway to internet: an analysis of the extent and nature of search engine access from academic library home pages. College and Research Libraries. V. 65, no.4 (July 2004) P. 276 – 288.

23. Tenopir, C & Lias. Ennis. A Decade of digital reference services. Reference & User Quarterly. V. 41, no. 3 (Spring 2002) p.265 – 273

24. Zhang, Chengyu , Li, Li. Digital teaching reference book service: a case study on knowledge – object – based microstructure of digital resources. The International Information &Library Review. V.38. No.3.(September 2006). P. 110 – 116.

ملحق رقم (١)

الاستبانة

أولا: معلومات شخصية:

الرجاء التكرم بوضع إشارة (√) أمام العبارة المناسبة :

١ . التخصص (البرنامج الدراسي) :

٢ . مهارة استخدامك للحاسوب :

( ) ممتاز( ) جيد جدًا ( ) جيد ( ) متوسط ( ) دون المتوسط

ثانياً: إستخدام المكتبة الافتراضية:

* هل يتكرر إستخدامك لمصادر المعلومات الإلكترونية المتاحة في مكتبة الجامعة الافتراضية؟

( ) لا ( ) نعم

* هل يتكرر إستخدامك لمصادر المعلومات الإلكترونية المتاحة في المكتبات الافتراضية الأخرى عبر شبكات المعلومات؟

( ) لا ( ) نعم

** إذا كانت الإجابة بـ (نعم) يرجى تحديد ما يأتي :

١ . مدى التردد على استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية المتاحة في المكتبات الافتراضية :

( ) دائماً/ بانتظام ( ) أحياناً ( ) نادراً ( ) أبداً أي لا أستخدمها مطلقاً

٢ . مكان استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية المتاحة في المكتبات الافتراضية

( ) من خلال الحواسيب المتوافرة داخل المكتبة

( ) من مختبرات الحاسوب المتوافرة في الجامعة خارج المكتبة

( ) من مقاهي الإنترنت ( ) من البيت

( ) من أماكن أخرى (يرجى ذكرها)

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

٣ . دوافع إستخدام المصادر الإلكترونية المتاحة في المكتبات الافتراضية :

(   ) المشاركة في المنتديات الالكترونية

(   ) استخدام وسائط المعلومات المتنقلة

(   ) تأدية امتحانات الجامعة الكترونياً

(   ) استمرارية تحديث المعلومات

(   ) سهولة الاستفسار عن معلومات

(   ) إمكانية تحميل (Download) ملفات معلومات معينة

(   ) التفاعل مع الصوت والصورة والحركة التي تتميز بها مصادرها المعلوماتية

(   ) شمولية التغطية

(   ) توفير الوقت والجهد

(   ) عدم وجود مصادر معلومات متخصصة مطبوعة تلبي الاحتياجات

(   ) تحقيق التعلم الذاتي

(   ) إمكانية استخدامها من أي مكان وفي أي وقت

(   ) توفير العدد الكافي من الحواسيب في المكتبة

(   ) وجود مصادر معلومات ومواقع تتيح التعلم عن بعد

(   ) المشاركة في الدورات/ ورشات العمل/ الندوات الالكترونية عن بعد

(   ) تأدية الواجبات البيتية

(   ) مجانية الاستخدام

(   ) قلة التكاليف الإجمالية

(   ) استخدام المساقات الجامعية الالكترونية للدراسات الجامعية

(   ) أسباب أخرى (يرجى ذكرها)

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

٤ . مصادر المعلومات الإلكترونية التي تستخدمها أكثر من غيرها :

(   ) المجلات الإلكترونية في مجال التخصص

(   ) المجلات الإلكترونية في غير مجال التخصص

(   ) الكتب الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) الكتب الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) المعاجم الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) المعاجم الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) الموسوعات الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) الموسوعات الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) الببليوغرافيات الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) الببليوغرافيات الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) نصوص المساقات الجامعية الالكترونية
(   ) الفهرس الآلي للمكتبات الافتراضية
(   ) المجلات الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) المجلات الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) الكتب الإلكترونية في مجال التخصص
(   ) الكتب الإلكترونية في غير مجال التخصص
(   ) مصادر أخرى (يرجى ذكرها)
(١) ....
(٢) ....
(٣) ....

٥ . الوسائط الإلكترونية التي تستخدمها للوصول إلى المعلومات الإلكترونية :
(   ) قواعد المعلومات المتوافرة في الشبكة المحلية (الإنترانت / INTRANE)
(   ) قواعد المعلومات المتوافرة في الشبكة العالمية (الإنترنت / INTERNET)
(   ) الوسائط الإلكترونية المتنقلة مثل (DVD ، CDs ، Floppy Disc . . . .)
(   ) وسائط أخرى (يرجى ذكرها)
(١) ....
(٢) ....
(٣) ....

٦ . مدى تلبية المعلومات/ مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبة الافتراضية للاحتياجات المعلوماتية

(   ) متوافرة بدرجة كبيرة

(   ) متوافرة بدرجة متوسطة

(   ) متوافرة بدرجة قليلة

** إذا كانت الإجابة بـ (لا) يرجى تحديد الصعوبات / المعوقات التي تشعر/ ين بها أنها تقلل / تمنع من إستخدام مصادر المعلومات الإلكترونية في المكتبة الافتراضية :

(   ) عدم معرفة المواقع الالكترونية للمكتبات الافتراضية

(   ) عدم إتقان طرق البحث الآلي

(   ) اللغات غير عربية (اللغة الانجليزية، الفرنسية، الألمانية، . . .) لمصادر المعلومات

(   ) البطء في الوصول إلى المعلومة الالكترونية

(   ) عدم الثقة في المصادر الإلكترونية

(   ) القيود على استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية

(   ) التكلفة العالي

(   ) عدم توفر العدد الكافي من الحواسيب في الجامعة

(   ) عدم توافر الوقت الكافي لاستخدام المكتبات الافتراضية

(   ) وجود مصادر معلومات مطبوعة كافية

(   ) الكم الهائل من المعلومات المنشورة الكترونياً مما يقلل القدرة على الإحاطة بها والتمييز بينها

(   ) صعوبات / عوائق أخرى (يرجى تحديدها)

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

الممارسات الداعمة لحق العودة لدى تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين

د. يوسف عواد ذياب*

* أستاذ مساعد، مدير منطقة نابلس التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

ملخص:

تعرض هذه الدراسة أحداث نكبة سنة (١٩٤٨م)وما ترتب عنها من أخطار وخسائر فادحة ، تمثلت في تشريد شعب بأكمله لينعم شعب آخر بخيراته ، وسط إخفاق دولي في حل مشكلة اللاجئين ، مما جعل حق العودة حلماً يراود عقول اللاجئين الفلسطينيين وقلوبهم ، رغم تغير الأحوال واختلاف الأوضاع وتبدل الأجيال . وهذا ما حدا بالباحث إلى دراسة واقع التربية على حق العودة تجسيداً لهذا الحق وتعزيزه .

سعت الدراسة الحالية بشكل رئيس إلى الإجابة عن السؤال الآتي : ما مدى استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول بعض الممارسات الداعمة لحق العودة ؟! وهل تختلف تلك الاستجابات باختلاف متغيري الجنس والصف الدراسي للتلاميذ ؟!

أشارت نتائج الدراسة إلى أن الدرجة الكلية لمتوسط استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول بعض الممارسات الداعمة لحق العودة كانت متوسطة ، كما تتباين هذه الممارسات من حيث درجة شيوعها : من العالي (كالاستماع لذكريات المهجرين والاحتفاظ بما يثبت ملكياتهم . . .)إلى المتوسطة (كمعرفة البلد التي ينحدر منها التلميذ وما تشتهر به ، والمشاركة بأنشطة ذات علاقة بحق العودة) ، وأخيرا المتدنية(كتشجيع الزواج المتبادل بين المهجّرين ومن ظلوا في الداخل) .

كما بينت النتائج ، باستخدام تحليل الانحدار المتعدد حول مدى تأثير أبعاد الممارسات الداعمة لحق العودة ، أن البعد المتعلق بالالتزام نحو الممارسة الداعمة لحق العودة احتل المرتبة الأولى ، فيما احتل البعد المتعلق بالجانب المعرفي المرتبة الثانية ، وأخيراً احتل البعد المتعلق بالميل أو الرغبة بالممارسة الداعمة لحق العودة المرتبة الثالثة ، وقد بينت النتائج أن العلاقة ما بين هذه الأبعاد طردية . كما أظهرت نتائج الدراسة باستخدام تحليل التباين الثنائي وجود فرق يعزى لمتغير الصف الدراسي ؛ حيث تفوق طلاب الصف التاسع على طلاب الصف الثامن

الأساسي في استجاباتهم حول مدى ممارساتهم الداعمة لحق العودة، فيما لم تظهر النتائج وجود فرق يعزى لمتغير الجنس وإلى التفاعل ما بين متغيري الجنس والصف الدراسي. وأوصى الباحث بضرورة إجراء دراسات مقارنة عن واقع التربية على حق العودة لدى تلاميذ اللاجئين الفلسطينيين في الداخل الفلسطيني والضفة الغربية وفي الشتات، وكذلك أوصى بدمج حقوق اللاجئين الفلسطينيين بعامة وحق العودة بخاصة ضمن المناهج الفلسطينية.

to practice the supporting activities came in the third place. Moreover, the study revealed that there was a direct relationship between these dimensions. Furthermore, Two-Way ANOVA analysis indicated significant differences due to the grade variable when the ninth grade students scored higher than the eighth grade students in terms of their responses regarding the use of supporting practices. However, no significant differences were found that can be attributed to sex variable or to the interaction between sex and grade variables.

The researcher recommended that other researchers conduct comparative studies so as to investigate the effect of education on the "right of return" among the refugee students in the occupied territories either in 1948 territories or the West-Bank and the Diaspora. Furthermore, the researcher recommended integrating the rights of Palestinian refugees in general and the right of return in particular into the Palestinian Curricula.

Abstract:

This study tries to discuss some of the disastrous effects of 1948 war, being called An-Naqba, among Palestinians. An-Naqba "The Catastrophe" was the main cause of the Palestinian refugee problem when a great number of the Palestinians were forced to leave their homeland and to settle down in some other places while their villages and towns had been destroyed or resettled with Jews. During the last decades, the International Community has failed to find a fair resolution to the problem of refugees. Nevertheless, the" right of return" is still the dream of millions of refugees who hope to return to their homeland one day. Therefore, the researcher aims at investigating the role of education in supporting and empowering the "right of return" among the Palestinian refugee students.

Generally speaking, this paper aims at answering two main questions: What are the responses of the Eighth and Ninth grade students regarding the use of some practices which aim to support the "right of return"? and do these responses differ due to sex and grade variables?

The results of the study revealed that the overall degree of the students' responses was in the middle, and that the practices range from high (such as listening to the memories of the eldest refugees and preserving their own entities) to medium (such as remembering the home village of the refugee student and what it was famous of in addition to the degree of participating in some activities that support the "right of return), to low (such as encouraging marriage between the refugees and those Palestinians who remained in their homes.

Using multi-regression analysis to identify the effect of using such supporting practices on the "right of return", the study showed that the dimension of "commitment" to the supporting practices scored the highest while the dimension of " knowledge and competence" in terms of the " right of return" scored the second place and the dimension of " tendency and desire"

مقدمة:

بعد ثلاثة عقود من الاحتلال والانتداب، أعلنت الحكومة البريطانية لهيئة الأمم المتحدة في مطلع سنة (١٩٤٧م) عن نيتها سحب قواتها من فلسطين، وعندها قررت الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة تشكيل لجنة خاصة تقدم توصياتها بشأن مستقبل فلسطين في أيلول سنة (١٩٤٧م) (العودة إلى ديارهم، ٢٠٠١).

وفي تشرين الثاني سنة (١٩٤٧م) قررت الأمم المتحدة فرض خطتها لتقسيم فلسطين إلى دولتين، إحداها للعرب وأخرى لليهود، دون احترام أو اهتمام لرغبات الأغلبية السكانية فيها. حيث دعا قرار الجمعية العامة رقم (١٨١) إلى تأسيس دولة لليهود على (٥٦٪) من مساحة فلسطين، في الوقت الذي كان فيه اليهود يشكلون نسبة تقل عن ثلث السكان من جهة، ولا يمتلكون أكثر من(٧٪)من الأرض من جهة أخرى، مما عزّز من رفض العرب والفلسطينيين لهذه الخطة، بل رفضها اليهود أنفسهم ولدوافع مختلفة (مركز بديل، ٢٠٠٠).

وكان المؤرخ اللبناني قسطنطين زريق أول من استعمل مصطلح "النّكبة" لوصف أحداث "١٩٤٨" وذلك في كتابه "معنى النكبة" . . . وأصبح هذا المصطلح "النكبة" فيما بعد الاسم الذي يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم وهدم معظم معالم مجتمعهم السياسية والاقتصادية والحضارية في سنة(١٩٤٨)، وهي السنة التي طرد فيها الشعب الفلسطيني من بيته وأرضه وخسر وطنه لصالح إقامة دولة يهودية (الجمعية العربية للبحث والتطوير، ٢٠٠٥).

وقد استخدمت العصابات الصهيونية القتل الجماعي والحرب النفسية، والتخويف والضغوطات الاقتصادية والقانونية، والحصار والتهديد، بل الشاحنات أيضا لنقل الفلسطينيين وترحيلهم وإلقائهم بعيداً أو خارج حدود التواصل الاستيطاني الجغرافي الصهيوني(السلقان، ١٩٩٨).

كما شملت أحداث النكبة عشرات المجازر والفظائع وأعمال النهب ضد الفلسطينيين، وهي إن لم تقم بتدمير بعض تلك القرى أو المدن، فقد حولت لتصبح يهودية، كما طُرِدَ معظم القبائل البدوية التي كانت تعيش في النقب محاولة تدمير الهوية الفلسطينية ومحو الأسماء الجغرافية العربية، وتبديلها بأسماء عبرية، أو تدمير البلاد العربية الأصلية بخلق مشهد طبيعي أوروبي.

وقد تسببت حرب سنة(١٩٤٨)في تفريغ (٥٣١) قرية وتدميرها على يد القوات

الصهيونية، وإلى اقتلاع (٨٠٪)من السكان الفلسطينيين العرب الأصليين أصحاب تلك الأرض (بتربيل، ٢٠٠٠). ففي عامها الأول سجلت الأنروا حوالي تسعماية الف واربعة عشرالفا ومائتين وواحداً وعشرين (٩١٤٢٢١) لاجئاً فلسطينياً ضمن مناطق عملياتها، وقد فقد هؤلاء اللاجئون كل ما لهم من مأوى ومصدر رزق، وأصبح اعتمادهم في الحياة اليومية مرتكزاً على ما تزودهم به وكالة الغوث من مأكل ومشرب ومأوى، وخدمات أخرى لمنع وقوع المجاعة وتفشي الأوبئة والأمراض بينهم (جيرهارد و انغريد، ١٩٩٧) .

ويمثّل اللاجئون الفلسطينيون هذه الأيام أكبر مجموعة لاجئين في العالم، إذ يصل عددهم إلى خمسة ملايين لاجئ، يعيش أكثر من ثلثهم خارج الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل الخط الأخضر أو ما تقوم عليه دولة إسرائيل). يقطن(٣,٦)مليون نسمة ممن هم مسجلون لدى الأنروا في مناطق عمل الأنروا وهي: الضفة الغربية، وقطاع غزة، والأردن، وسوريا، ولبنان. كما يعيش حوالي ثلث اللاجئين المسجلين لدى الانروا في (٥٩) مخيماً للاجئين منذ تأسيسها في سنة (١٩٤٩) (مركز بديل، العودة إلى ديارهم، ٢٠٠١م) .

وتتوزع المخيمات الفلسطينية البالغ عددها (٥٩)مخيما بوجود (١٠) مخيمات منها في سوريا، و(١٠) مخيمات أخرى في الأردن، بينما يوجد(١٢) مخيماً في لبنان، ويتوزع (٢٧) مخيماً منها في الضفة الغربية وقطاع غزة، منها(١٩) مخيماً في الضفة الغربية و(٨) في قطاع غزة. ومن الجدير ذكره أن هناك مخيمين في لبنان قد دُمّرا، وهما: مخيم دكوانه، ومخيم النبطية، كما أن مخيما آخر في الضفة الغربية (النويعمة) غير مأهول. (مركز بديل، اللاجئون الفلسطينيون في الشتات، ٢٠٠٠).

ولعل من المؤسف حقاً أن غالبية اللاجئين يعيشون في مناطق لجوء لا تبعد أكثر من (١٠٠) مئة كيلو متر عن قراهم ومدنهم الأصلية التي هجروا منها، مما يزيد من معاناتهم النفسية، كما أن من بين كل ثلاثة لاجئين في العالم هناك لاجيء فلسطيني، وهذا ما يعطي هذه المعاناة بعدا دوليا كبيرا.

إن مصير اللاجئين الفلسطينيين لم يحرك مشاعر الذنب أو الندم بين الإسرائيليين، بل على العكس تماماً، فقد كتب (موشيه شاريت) في ١٥ حزيران (١٩٤٨م)، أن رحيل العرب كان ظاهرة عظيمة في تاريخ البلاد، ومن وجهة نظره كانت أكثر روعة من قيام دولة إسرائيل (سمارة، ١٩٩٩).

ولعل من الواضح أن معظم البلدان العربية التي تستضيف الغالبية العظمى من اللاجئين

الفلسطينيين تتردد حتى اليوم بقبول الجاليات الفلسطينية التي تعيش على أرضها على أساس دائم وضمن حقوق كاملة يتمتعون بها، بل يعتبرون عاملاً قد يزعزع الاستقرار الوطني لتلك الدول، وهم بالتالي يخضعون لرقابة خاصة من مخابرات دولهم، ولا ينظر إليهم على أنهم لاجئون ولكن ينظر إليهم كأنهم قضية أمن دولة، بحيث أصبحت حياتهم وحريتهم السياسية وحصولهم على الحقوق المدنية والإنسانية تكاد تحددها تماماً متغيرات الظروف السياسية التي لا حول ولا قوة للاجئين الفلسطينيين في تشكيلها، وإنما هم ضحايا تلك الأوضاع .

كما يتعرض الفلسطينيون المهجرون ويقيمون داخل الخط الأخضر إلى تجاهل وإهمال متعمد من الحكومة الإسرائيلية، حيث يواجهون كثيراً من المشكلات التي يواجهها الفلسطينيون الآخرون، ومن تلك المشكلات التي يواجهونها الافتقار إلى الحماية الوطنية والدولية، وعدم التوصل إلى حلول دائمة لقضاياهم كالعودة واستعادة السكن والممتلكات والحصول على تعويض، وكذلك عدم وجود هيئة أو آلية دولية توفر لهم الحماية، أو تسعى إلى إيجاد حلول دائمة لقضاياهم (مركز بديل، الفلسطينيون المهجرون في الداخل، ٢٠٠٣).

ولعل المتتبع للبرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية يدرك تماماً أن هناك إغفالاً لحق العودة، إذ يعتبر حزب العمل أن تسوية مشكلة اللاجئين يجب أن تتم خارج حدود إسرائيل، فيما يقف حزب الليكود ضد العودة بشكل تام ويرفض في إطار ذلك زيادة عدد السكان الفلسطينيين من خلال إيجاد وتائر منتظمة ومتزايدة لآلية جمع الشمل، بينما ينظر يمين إسرائيل لطرد الفلسطينيين من البلاد، أما المفدال فينظر إلى وجود مشروط للعرب داخل الخط الأخضر، كما يقف حزب المهاجرين الروس (يسرائيل بعاليا)وحركة الطريق الثالث موقفاً رافضاً لحق العودة بشكل قاطع (سالم، ١٩٩٧) .

منذ أوائل الخمسينيات، لم توفّر لجنة التوفيق للاجئين الفلسطينيين الحماية الدولية الأساسية الممنوحة لغيرهم من اللاجئين. واقتصر تركيز اللجنة على التوثيق وتقدير حجم ممتلكات اللاجئين إلى حد استبعاد حقوق اللاجئين الأخرى كافة و المصانة دولياً، الأمر الذي كان له عواقب وخيمة على اللاجئين الفلسطينيين (تيري رمبل، ٢٠٠٠).

وفي الوقت نفسه اتخذت الحكومة الإسرائيلية عددا من الإجراءات التي تمنع عودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم، بل اتخذت قراراً في ١٦ تموز (١٩٤٨م) خوّل القوات الصهيونية باطلاق النار على كل من يحاول العودة من اللاجئين، وبالمقابل استوطن المهاجرون اليهود في بيوت يملكها اللاجئون الفلسطينيون (مركز بديل، اللاجئون الفلسطينيون في الشتات، ٢٠٠٠).

ويؤكد القانون الإنساني على حق العودة لجميع المهجّرين في العالم إلى ديارهم، بصرف

النظر عن الذين هجّروا في فترة صراع أو حرب، وفق ما ورد في معاهدة جنيف للمدنيين لعام(١٩٤٩)، وكذلك معاهدة لاهاي(١٩٧٠ م) اللتين توجبان قيام المحتل بتطبيق قانون صاحب السيادة المبعد مؤقتاً، بما في ذلك القانون الخاص بحقوق الجنسية والإقامة، وهذا الوضع يعطي السكان المحليين الحق بمزاولة أعمالهم وإمكانية العودة للأشخاص الذين هجرّوا من بلادهم في أثناء الحرب أو نتيجتها (مركز بديل، العودة إلى ديارهم، ٢٠٠١).

إن الدعم السياسي الضعيف والمحدود لحقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة واستعادة الممتلكات وتلقي التعويضات قد أثار العديد من النقاشات التي يمكن من خلالها استغلال القوانين الدولية المتوافرة لتطبيق هذه الحقوق .

وفي الواقع ساعد إنشاء وكالة الغوث (الأنروا) على إبقاء قضية اللاجئين الفلسطينيين قائمة وحّية، لأن التسجيل الذي قامت وما زالت تقوم به الوكالة يثبت على الدوام واقع قضية اللجوء، لأنه إذا ما فقد اللاجئون الفلسطينيون الاعتراف بقضيتهم قبل إيجاد حل سياسي عادل يلبي طموحاتهم بالعودة، فإنه من السهل اعتبارهم جزءاً من البيئة السكانية المؤقتة في الدول التي استضافتهم، تمهيداً لاندماجهم في تلك المجتمعات، وفي حالة الاندماج هذه، يفقد اللاجئون حقهم في العودة والتعويض كما نص عليه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٩٤)الفقرة (١١).

وفي الوقت الحاضر لا يوجد للاجئين الفلسطينيين أي هيئة تمكنهم من توثيق دعاويهم الفردية المطالبة بالعودة واستعادة حقوقهم وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم جراء تشريدهم من منازلهم وديارهم في سنة(١٩٤٨م) . وهذا ما ينسجم مع المادة (١) من الملحق (٧) من معاهدة دايتون(١٩٧٢م)، التي ترى على أنه لكل اللاجئين والمهجرين الحق في العودة إلى منازلهم وديارهم الأصل عودة طوعية آمنة، ولهم الحق كذلك في استعادة ممتلكاتهم التي حرموا منها أو جردوا منها جراء الحرب، ولهم الحق في تلقي تعويضات عن أي من الممتلكات التي لا يمكنهم استردادها (مركز بديل، العودة إلى ديارهم، ٢٠٠١) .

مشكلة الدراسة:

يُعدّ القرار رقم (١٩٤) الصادر بتاريخ ١١ كانون الأول (١٩٤٨م) من أكثر قرارات الأمم المتحدة علاقة باللاجئين الفلسطينيين، وقد تعرض هذا القرار في كثير من الحالات إلى تفسيرات غير صحيحة، نظراً لقلة المعلومات المتوافرة، وفي حالات أخرى كانت التفسيرات خاصة أو

مغلوطة لغرض تقليل حقوق اللاجئين الفلسطينيين التي نص عليها القرار أو تحجيمها.

وتأتي هذه الدراسة في ظل ثقافة عامة تتبنى تدني مستوى الثقة في القرارات الدولية التي لم تتمكن لغاية تاريخه من حل مشكلة اللاجئين بحسب تلك القرارات، وأصبح حق العودة حلماً يراود عقول اللاجئين ويمتزج بالأحزان والمعاناة دونما تغيير واضح لصالحهم، مما حدا بالغيورين على هذا الحق إلى بذل مزيد من الجهود الداعمة له وتعزيزه.

ونظرا لما للبعد التربوي من دور مهم في حياة الشعوب الذي يمكن من خلاله تنشئة الأطفال تنشئة تخدم مصالح الشعب وتجذر عقيدته وتغرس في مواطنيه حب الانتماء للوطن والتمسك بثوابته، فقد سعى الباحث إلى تشخيص واقع التربية على حق العودة، بعدما أكدت مداخلات وندوات ومقالات وورش عمل أهمية هذا الموضوع الذي لم يعط الاهتمام الكافي في مجال البحث العلمي، وبخاصة أن الباحث لم يعثر على دراسة واحدة تناولت حق العودة للاجئين الفلسطينيين من زاوية تربوية .

إزاء ما تقدم يمكن تحديد مشكلة الدراسة على النحو الآتي:

ما مدى استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول بعض الممارسات الداعمة لحق العودة ؟! وهل تختلف تلك الاستجابات باختلاف متغيريً الجنس والصف الدراسي للتلاميذ والتفاعل بينهما ؟!

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها لأنها تتناول موضوعاً مهماً يتعلق بحق العودة للاجئين الفلسطينيين من زاوية تربوية، وبخاصة أن المحاولات الإسرائيلية تتعاظم يوماً تلو آخر في طمس هذا الحق وإلغاء وجوده، عبر استراتيجيات ممنهجة تقوم على تذويب الانتماء الوطني للاجئين الفلسطينيين عن مدنهم وقراهم التي هجّروا منها، وهي إلى جانب ذلك تكتسب أهمية خاصة من حيث إثارتها لهذا الموضوع في ظل تركيز الاهتمام الحالي نحو إجراءات الاحتلال واعتداءاته وجرائمه المتعلقة بالجدار العازل والقتل والتدمير والهدم والإغلاق، دون إبداء الاهتمام نفسه لحق العودة الذي يستحق أكثر من ذلك .

كما يمكن لهذه الدراسة أن تثير الاهتمام حول قضايا تكريس مبدأ حق العودة في ظل رغبة إسرائيلية واضحة بأن تمتص اللاجئين الفلسطينيين، وان يفنى اكبر عدد ممكن إن لم يكن جميعهم ويفنى بذلك حق العودة معهم بحسب اعتقادهم، ولعل في هذه الدراسة ما

يفتح الأذهان نحو استثمار الجهود التربوية وتعزيز دورها في تجسيد الحق الفلسطيني المتمثل بالعودة والتحرير.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لمعرفة:

- ❋ مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة بين تلاميذ الصفين السابع والثامن الأساسيين، وبما يعكس التربية على حق العودة.
- ❋ أثر بعض المتغيرات المتعلقة بالتلاميذ على ممارساتهم الداعمة لحق العودة.
- ❋ ترتيب الممارسات والأبعاد الداعمة لحق العودة بحسب أهميتها.
- ❋ بعض الأساليب التربوية المتبعة في المنهاج الرسمي التربوي وغير الرسمي من حيث تكريس هذا الحق وتطويره.

سؤال الدراسة وفرضيتاه:

أولاً: سؤال الدراسة:

ما مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة بين تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين في مدارس مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في مدينة نابلس ؟!

ثانياً: فرضيتا الدراسة:

١- لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة الإحصائية (∂ = ٠٥ .) بين متوسطات الأبعاد الثلاثة (الالتزام، والبعد المعرفي "الوعي"، والرغبة أو الميل) في استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين لمدى الممارسات الداعمة لحق العودة.

٢- لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة الإحصائية (∂= ٠٥ .) بين متوسطات استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة تعزى لمتغيري الجنس والصف الدراسي والتفاعل بينهما ؟!

تعريف المصطلحات:

اللاجئ الفلسطيني:

هو الشخص الذي عاش في فلسطين لمدة سنتين على الأقل قبل اندلاع النزاع العربي الإسرائيلي في سنة(١٩٤٨م)، والذي فقد بسبب ذلك بيته ووسائل كسب عيشه(الطويل، ١٩٩٦).

قرار حق العودة:

ورد في البند الحادي عشر من قرار (١٩٤) الصادر سنة (١٩٤٨م) "تقرر وجوب السماح بالعودة، وفي أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندها يكون من الواجب، وفقاً لمبادئ القانون الدولي والإنصاف، أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسئولة" (سالم، ١٩٩٧).

الممارسة:

كل ما من شأنه أن يبقي حق العودة ماثلاً في وجدان اللاجئ الفلسطيني وعقله وسلوكه، ويتمثل ذلك بالرغبة أو الميل والالتزام والبعد المعرفي بالأمور المتعلقة بحق العودة، وتعرف الممارسة إجرائيا في هذه الدراسة بالدرجة التي تحدد في ضوء المقياس المستخدم.

المنهج والاجراءات:

وقد تضمن الآتي:

المنهج المستخدم: استخدم الباحث المنهج الوصفي الميداني بتطبيق أداة الدراسة على عينة من تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين (ذكورا وإناثا) في مدارس مخيمات نابلس التابعة لوكالة الغوث، وذلك في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين التابعين لمدارس وكالة

الغوث في مخيمات نابلس الثلاثة (مخيم بلاطة، ومخيم عين بيت الماء، ومخيم عسكر)، وقد بلغ عددهم(١٨١٩) تلميذا موزعين بحسب الجدول الاتي:

الصف/ الجنس	ذكور	اناث	المجموع
الثامن الاساسي	٤٨٠	٤٧٣	٩٥٣
التاسع الاساسي	٣٨٩	٤٧٧	٨٦٦
المجموع	٨٦٩	٩٥٠	١٨١٩

عينة الدراسة:

اختيرت عينة الدراسة بالطريقة العشوائية المنتظمة، حيث وزعت الاستبانات لكل مدرسة ولكل صف دراسي بحسب النسبة المحددة، ومن ثم اختيرت العينة بحسب مكان جلوسهم بالصف، وقد بلغت نسبة تمثيلها حوالي (٢٢٪) من مجتمع الدراسة، والجدول الآتي يوضح توزيع عينة الدراسة بحسب الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة المؤية ٪
ذكور	١٨٦	٤٦,٥
اناث	٢١٤	٥٣,٥
المجموع	٤٠٠	١٠٠

كما يوضح الجدول الآتي توزيع عينة الدراسة بحسب الصف الدراسي:

الصف	التكرار	النسبة المئوية ٪
الثامن الأساسي	١٧٩	٤٤,٧
التاسع الأساسي	٢٢١	٥٥,٣
المجموع	٤٠٠	١٠٠

أداة الدراسة:

أعد الباحث أداة للدراسة (استبانة) لغرض جمع المعلومات بعدما اسْتُعْرِضَ الأدب التربوي الخاص باللاجئين الفلسطينيين. وقد تضمنت الأداة رسالة موجهة للتلاميذ حول الهدف من الدراسة وكيفية تعبئة الاستبانة، وجزأين، يتضمن الأول منهما: متغيرين مرتبطين بالتلاميذ وهما: الجنس والصف الدراسي، أما الجزء الثاني: فيتكون من قائمة مكونة من (٣٠) عبارة لها علاقة بممارسات التلاميذ الداعمة لحق العودة، وهي موزعة على ثلاثة أبعاد وهي:

- بعد الالتزام (ويشمل العبارات ذات الارقام الآتية:
١، ٢، ٤، ٩، ١٠، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٦، ٢٨).
- البعد المعرفي (ويشمل العبارات ذات الارقام الآتية:
٦، ٧، ٨، ١١، ١٢، ١٧، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥).
- بعد الميل أو الرغبة بالممارسة (ويشمل العبارات ذات الارقام الآتية:
٣، ٥، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٧، ٢٩، ٣٠).

وقد تدرجت الاستبانة ثلاثيا بحسب مقياس (ليكرت) لتحديد مستوى موافقة التلاميذ عليها، وهي (أوافق، متردد، أعارض).

صدق الاداة:

١-صدق المحتوى: عرضت الاستبانة على ثمانية محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص حيث أبدوا ملاحظات حول تعديلات معينة أخذت بعين الاعتبار، وقد اعتمد اتفاق المحكمين بنسبة ٩٠٪ أساساً لاعتماد كل فقرة من فقرات الاستبانة. كما حُسِبَ معامل ارتباط كل فقره من فقرات الاستبانة على الدرجة الكلية، حيث حصلت جميعها على معامل ارتباط مناسب باستثناء الفقرة (١٧) التي حذفت علماً انه اعتمد معامل ارتباط (٠,٢٥)وهو الحد الأدنى لقبول الفقرة. كما حسب معامل ارتباط بيرسون لكل بعد من الأبعاد الثلاثة على الدرجة الكلية وكانت النتائج حسب الجدول الآتي:

البعد	معامل الارتباط	الدلالة
بعد التزام	٠,٧٤	٠,٠٠٠*
البعد المعرفي	٠,٧٠	٠,٠٠٠*
بعد الميل	٠,٧٤	٠,٠٠٠*

٢-ثبات الأداة: حسب الباحث معامل الثبات باستخدام معامل كرونباخ ألفا (٧١, ٠)، وهو معامل ثبات جيد يفي بأغراض الدراسة وقد حذفت الفقرة (١٧)لعدم حصولها على معدل ثبات مناسب .

إجراءات الدراسة:

أجريت الدراسة وفق الخطوات الآتية :

-إعداد أداة الدراسة بصورتها الحالية .

-تحديد أفراد عينة الدراسة .

- توزيع الاستبانة .

- تجميع الاستبانة من أفراد العينة وترميزها وإدخالها إلى الحاسب الآلي ومعالجتها إحصائيا باستخدام البرنامج الإحصائي(SPSS) .

متغيرات الدراسة:

أ- المتغيرات المستقلة : وتتمثل في الآتي :

- الجنس وله مستويان : ذكر وأنثى .
- الصف الدراسي وله مستويان : الصف الثامن والصف التاسع .

ب -المتغير التابع : ويتمثل بالدرجة التي يحصل عليها التلميذ في إجابته عن فقرات أداة الدراسة وتتحدد بـ (٩٠) أي أعلى درجة محتملة و(٣٠) أي أدنى درجة محتملة .

المعالجة الإحصائية:

عولجت الدراسة الحالية إحصائياً بعد أن أدخلت البيانات إلى الحاسب الآلي وعولجت باستخدام برنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) حيث استخدمت الأساليب الآتية :

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمدى الربيعي .
- تحليل الانحدار المتعدد .
- تحليل التباين الثنائي .

نتائج الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى شيوع بعض الممارسات الداعمة لحق العودة لدى تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين في مدارس مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في محافظة نابلس (بلاطة، وعسكر، وعين بيت الماء) وإلى ترتيب الأبعاد المتعلقة بتلك الممارسات الداعمة لحق العودة بحسب أهميتها، كما هدفت إلى معرفة تبيان أثر متغيري الدراسة (الجنس، والصف الدراسي والتفاعل بينهما) في التمسك بالممارسات الداعمة لحق العودة. ولتحقيق هدف الدراسة طورت استبانة مكونة من (٣٠) فقرة تأكد الباحث من صدقها ومعامل ثباتها، وبعد عملية جمع الاستبانات رُمِّزت وأدخلت إلى الحاسوب وعولجت إحصائيا باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وفيما يأتي نتائج الدراسة.

أولا النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة:

ما مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة بين تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين في مدارس مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في مدينة نابلس ؟

وقد حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأفراد عينة الدراسة (ن=٤٠٠) على المقياس الكلي، ويبين الجدول الآتي ترتيباً تنازلياً لفقرات الاستبانة تبعاً للمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

الرقم	رقمها في الاستبانة	الفقرة	المتوسط	الانحراف	شيوع الممارسة
١	٦	أستمع لحديث كبار السن عن ذكرياتهم في بلدانهم التي هجروا منها.	٢,٧٨	٠,٤٤٣	عالٍ
٢	١٩	أشجع بقاء الاحتفاظ بالأوراق الثبوتية للملكية في أرضنا المسلوبة.	٢,٧٧	٠,٤٨٣	عالٍ
٣	١	يزداد إيماني بحق العودة يوماً تلو الآخر.	٢,٧٦	٠,٤٩٢	عالٍ
٤	٢٢	أعمل على الاحتفاظ ببعض قطع الأثاث والأدوات التراثية المرتبطة بالعودة.	٢,٧٦	٠,٤٧٤	عالٍ
٥	٤	ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من نكبات متلاحقة يعزز التمسك بحق العودة.	٢,٧٥	٠,٥٨٠	عالٍ

الرقم	رقمها في الاستبانة	الفقرة	المتوسط	الانحراف	شيوع الممارسة
٦	٢٠	أعتقد أن ملبوسات التراث الشعبي تعزز مبدأ الحق في العودة.	٢,٧٣	٠,٥٣٢	عالٍ
٧	٢٧	عندما أشاهد صورة من صور النكبة يتولد لدي دافع التحدي للعودة.	٢,٧٠	٠,٥٦٥	عالٍ
٨	١٨	اقدر احتفاظ أهلي بمفاتيح منزلهم مما يبعث في النفس الأمل بالعودة.	٢,٦٨	٠,٥٨٦	متوسط
٩	٢١	أجلس كثيراً للاستماع عن أحداث واجهت المهجرين.	٢,٦٧	٠,٥٩٠	متوسط
١٠	٥	تجذبني المشاهد التي تحوي دلالات بحق العودة كالمفاتيح مثلاً.	٢,٦٥	٠,٥٩٤	متوسط
١١	٢٣	أعرف عدداً من أسماء القرى التي دمرت وهجر أصحابها.	٢,٦٥	٠,٦٠٣	متوسط
١٢	١٥	كثيراً ما تعرضت لمواقف زادت من شعوري بحق العودة.	٢,٦٥	٠,٦١٤	متوسط
١٣	١٢	أعرف ما كانت تشتهر به بلدي من زراعة وصناعة وغيرها...	٢,٥٩	٠,٦٨١	متوسط
١٤	٢	كثرة المصائب التي تواجهنا لكوننا لاجئين تزيد من حقنا بالعودة.	٢,٥٨	٠,٦٧٥	متوسط
١٥	٢٦	أُقدر من يسمون أبناءهم على أسماء مدن أو أحياء داخل الخط الأخضر.	٢,٥٨	٠,٦٦٠	متوسط
١٦	٨	أعرف (باستخدام الخريطة أو بدونها) موقع البلد الذي عاش به أهلي.	٢,٥٥	٠,٧١٧	متوسط
١٧	١٣	أشجع التواصل مع من تبقى من عائلتي داخل الخط الأخضر.	٢,٥٢	٠,٧١٩	متوسط
١٨	٢٨	أحتفظ بصورة على الأقل تظهر مشهداً من مشاهد الهجرة.	٢,٥١	٠,٧٢٧	متوسط
١٩	١٦	أشارك بأنشطة وفعاليات تكرس حق العودة.	٢,٤٤	٠,٧٦٠	متوسط
٢٠	٢٥	لدي معرفة بالتقاليد المتعلقة بالأفراح والأحزان التي مارسها الآباء والأجداد	٢,٤٢	٠,٧٢٥	متوسط
٢١	١١	لدي معرفة بالطريقة التي رحل بها أهلي عن بلدهم.	٢,٣٦	٠,٧٩٤	متوسط

الرقم	رقمها في الاستبانة	الفقرة	المتوسط	الانحراف	شيوع الممارسة
٢٢	٩	اعتبر أن التعويض على حساب حق العودة قرار ظالم .	٢,٣٠	٠,٨٥٣	متوسط
٢٣	١٠	اعتقد أن التعويض عن حق العودة مرفوض .	٢,٢٨	٠,٨٥٥	متدنٍ
٢٤	١٤	أعاتب أهلي لأنهم تركوا أرضهم التي يجب أن يصمدوا فيها .	٢,٢٦	٠,٧٩٨	متدنٍ
٢٥	٧	لدي تفاصيل دقيقة (معلومات) عن البلدة أو المدينة التي هجرّنا منها .	٢,٢٥	٠,٧٧٩	متدنٍ
٢٦	٢٤	لدي معرفة بالتركيبة العائلية للبلد التي انحدر منها أهلي .	٢,١٧	٠,٧٨٨	متدنٍ
٢٧	٣	حصولنا على مساعدات يعزز حاجتنا الملحة لحق العودة .	٢,١٢	٠,٨٨٥	متدنٍ
٢٨	٣٠	أشجع زملائي على الزواج من داخل الخط الأخضر .	١,٩٩	٠,٨٦٧	متدنٍ
٢٩	٢٩	أشجع زواج قريباتي من عرب يقيمون داخل الخط الأخضر .	١,٩٨	٠,٨٣٨	متدنٍ
الدرجة الكلية			٢,٤٩	٠,٢١٢	متوسطة

يتبين من نتائج الجدول السابق أن الدرجة الكلية لممارسات التلاميذ الداعمة لحق العودة كانت متوسطة (٤٩ , ٢) ، حيث اعتبر الباحث أن المتوسط (٥ , ١ –٢)للممارسة متدنية الشيوع ، والمتوسط (٢ , ٠–٥ , ٢) للممارسة متوسطة الشيوع ، والمتوسط (٥ , ٢–٣) للممارسة عالية الشيوع .

يتضح من نتائج الجدول (٣) السابق وباستخدام الـمَئين (٢٥) أن هناك ثماني ممارسات من أصل (٢٩) تتسم درجة ممارستها بالعالية ، فيما يشير الـمَئين (٥٠) الى أن هناك (١٤) ممارسة يتصف مدى ممارستها بالمتوسط ، وأخيرا يظهر الـمَئين (٧٥) أن هناك (٨) ممارسات من أصل (٢٩) ممارسة يتصف مدى ممارستها بالمتدني .

ويرى الباحث أن مدى ممارسة التلاميذ لحق العودة بدرجة متوسطة يعد أمراً مقبولاً ، لغياب دور مؤسساتي وتربوي ناجح لأن دور المناهج في ذلك محدود ، حيث يدمج حق العودة ضمن سلسلة مشروع تعليم حقوق الإنسان والتسامح وحل النزاعات ، ورغم أهمية ذلك ، إلا أنّه لا يصل بالتلاميذ إلى وضع متقدم بهذا الخصوص ، كما يكتسب الأبناء هذه الممارسات

بطريقة عفوية غير منظمة، إذ تكتسب بالمشاهدة أو المشاركة في مهرجانات أو نشاطات أو أمسيات أو أحاديث الآباء والأجداد والجيران، وهذه الطرق والوسائل رغم أثرها لكنها لا تصل بالفرد إلى درجة كبيرة من الممارسة والوعي اللازمين لقضية أثارت جدلاً كبيراً دون أن تحقق نتائج مرجوة للاجئين، مما افتر من همتهم و خلخل من ثقتهم في تحقيق عودتهم رغم تنامي عقيدتهم المرتبطة بحب الأرض وعشقها.

وفيما يخص أبرز ثماني (٨) ممارسات لدى هؤلاء التلاميذ يرى الباحث أن معظم هذه الممارسات ذات علاقة برغبة شديدة بإبقاء حق العودة قائماً، بل ربما تمثل الحد الأدنى لبقاء حق العودة ماثلاً. وتتمثل هذه الممارسات بالحفاظ على الأوراق الثبوتية للممتلكات، والحفاظ على الملبس وبعض مشاهد الهجرة ومفاتيح المنازل التي أصبحت تأخذ شعاراً للعودة.

أما الممارسات ذات المدى المتوسط وعددها (١٣) ممارسة، فهي ذات ارتباط بذكريات مؤلمة للمهجرين، وإن استمرار أخذها بالاعتبار يبقي ذاكرة الوطن حية في الحاضرة الفلسطينية، ومثال ذلك المعرفة الدقيقة لبلدان المهجرين وقراهم، وما تشتهر به من مزروعات وبعض التقاليد المتعلقة بالأفراح والمناسبات، بالإضافة إلى احتواء بعض الصور والدلالات لحق العودة.

وفيما يخص الممارسات التي حصلت على درجة متدنية من الممارسة فهي ذات علاقة بمبدأ التعويض وتقريع الأهل على هجرتهم لوقوع ذلك قسرياً، بالإضافة إلى غياب معرفة دقيقة بجغرافية البلد التي ينحدرون منها، وكذلك التركيبات العائلية لبلداتهم، كما تأتي قضية الزواج من داخل الخط الأخضر أو العكس في أدنى مرتبة لتدني الثقة بالقرارات الإسرائيلية التي تهمل الحقوق الفردية وتعقيدات التنقل والتواصل بين الأهل في الجانبين.

النتائج المتعلقة بفرضيتي الدراسة:

الفرضية الاولى:

و تنص هذه الفرضية على أنه " لا توجد فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\partial \leq$ ٠.٠٥) بين متوسطات الأبعاد الثلاثة (الالتزام، والبعد المعرفي "الوعي، والرغبة أو الميل) في استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين لمدى الممارسات الداعمة لحق العودة.

وقد كانت النتائج المتعلقة بتحليل الانحدار المتعدد لمدى تأثير أبعاد الممارسات الداعمة لحق العودة عند تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين بحسب الجدول الآتي:

تحليل الانحدار المتعدد لمدى تأثير أبعاد الممارسات السلوكية الداعمة لحق العودة

البعد	معامل الارتباط	معامل التفسير	معامل التغيير	معامل ميل خط الانحدار واتجاهه(b)	قيمة (ت)	الدلالة
						*٠،٠٠٠
التزام	٠,٨٧٣	٠,٧٦٢	٠,٣٨٥	٠,٧٦٢	٧٩,٩١٧	*٠،٠٠٠
معرفي	٠,٩٥٩	٠,٩١٩	٠,٣٠٣	٠,١٥٧	٦٦,١١١	*٠،٠٠٠
ميل	٠,٩٩٦	٠,٩٩٣	٠,٣٠٠	٠,٠٧٤	٦٣,٣٦٣	
الثابت a				-٠,٠٣٦٧	-٣,٤٧٥	٠,٠٠١

* دال على مستوى المعنوية (∂=٠,٠٥)

يتضح من نتائج الجدول السابق أن العلاقة ما بين الأبعاد الثلاثة على الدرجة الكلية هي علاقة طردية حيث أن قيمة (b) موجبة في جميع الحالات، وهذا ما يشير إلى أن الممارسات الداعمة لحق العودة ذات موقف شمولي تكاملي، بحيث أن هذه الأبعاد تتفاعل فيما بينها لترسخ هذا الحلم وتجعله (متذوتاً) في شخصيات التلاميذ .

كما يتبين من نتائج الجدول أن البعد المتعلق بالالتزام كان له أكبر الأثر على ممارسات التلاميذ الداعمة لحق العودة، حيث فسَّره ما نسبته (٠,٧٦٢) فيما فسر البعد المتعلق بالمعرفة (الوعي) ما نسبته(٠,١٥٧)، أما البعد المتعلق أو بالميل أو الرغبة في الممارسات الداعمة لحق العودة فقد مثل المرتبة الأخيرة حيث فسره ما نسبته (٠,٠٧٤) .

ويفسر الباحث حصول البعد المتعلق بالالتزام على المرتبة الأولى بأن ذلك يأتي تتويجاً للإصرار الفلسطيني على هذا الحق، ولما تلعبه الأوساط الرسمية وغير الرسمية في الحفاظ عليه، وبخاصة أن الأوضاع التي يعيشها هؤلاء التلاميذ في مخيماتهم وما يقترن فيها من صعوبة مازالت تشعر الأجيال الناشئة بمدى خسارة الأجداد، وان الإيمان باستعادة حقوقهم قضية ورثوها عنهم بل بمثابة أمانة في أعناقهم، هذا جنباً إلى جنب مع الفتاوى التي تحرم التنازل عن ذرة تراب من هذا الوطن النفيس بل يعد بمثابة خيانة كبرى، ولما يتعلق بالبعد المعرفي أو (الوعي) فلعل النكبة وما تحويه من خبرات مؤلمة لا يمكن إزالتها أو تجاهلها رغم تبدل الأجيال، لأنها ترتبط بحاجات أساسية إلى جانب حاجات أخرى ذات علاقة بتحقيق الفرد لطموحاته وأهدافه التي تحتل فيه الأرض والمسكن مكانة مهمة في وجدان اللاجئين وتفكيرهم، هذا، عدا

عن ان شعور اللاجئين بالحرمان من جهة، ونظرة الآخرين إليهم على أنهم لاجئون لتأخذ بعين الاعتبار العطف والإنسانية من جهة ثانية، وهذا يضيف إليهم دافعاً قوياً نحو معرفة بعض التفاصيل المتعلقة بالهجرة كمعرفة بلدانهم وما تشتهر به تعويضاً لما فقدوه.

وفيما يتعلق بالبعد الخاص بالرغبة أو الميل في ممارسة السلوكات الداعمة لحق العودة، يرى الباحث أن هذا البعد رغم حصوله على أدنى مرتبة بين الأبعاد الثلاثة، إلا أنه يعتبر مؤشراً مهماً نحو بقاء هذا الحق قائماً في المستقبل، فيتوارثه الأبناء جيلاً بعد جيل و تبقى استعداداتهم ورغباتهم تتعمق في فهم أوضاعهم وأسباب نكبتهم ونتائجها شغلاً شاغلاً لهم، وهذا مؤشر مهم بأن بارقة الأمل باقية رغم المعاناة، وهي بذلك تمثل بعداً استراتيجياً يتسم بطابع وطني خالد عنوانه فهم ما يدور من حول هذا الحق وتكريس ذلك لخدمته، منطلقاً من الصمود المتفاني ومقاومة النكبات وتحديها .

يتضح مما سبق أن الأبعاد الثلاثة لممارسات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين تقع على خط متصل، وتتكامل فيما بينها لتعطي توجهاً جاداً نحو هذا الحق يأخذ بعد الالتزام فيه حصة الأسد، كما أن هذا الحق يكتسب بعداً معرفياً، وكأن المسألة هنا ليست ذات طبيعة عمياء بل لها مرتكزاتها وخبراتها ومعاناتها التي لا تجد بديلاً عنها، فيتجسد ذلك في رغبة جادة في ممارسة كل ما له علاقة بدعم هذا الحق والمحافظة عليه، بل جعله بوصلة تلتف الأنظار من حوله .

الفرضية الثانية:

وتنص هذه الفرضية على أنه :

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الاحصائية (∂ = ٠,٠٥) بين متوسطات استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة تعزى لمتغيري الجنس والصف الدراسي والتفاعل بينهما .

وقد حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأثر متغيري الجنس والصف الدراسي وكانت النتائج بحسب الجدول الآتي :

الجنس	الصف	المتوسط	الانحراف
ذكر	الصف الثامن	٢,٢٦	٠,٤٠٥
	الصف التاسع	٢,٤٥	٠,٢٠٤
المجموع		٢,٣٦	٠,٣٢٩
أنثى	الصف الثامن	٢,٣٣	٠,٣٧٤
	الصف التاسع	٢,٤٦	٠,٢١٨
المجموع		٢,٤١	٠,٢٩٩

كما استخدم الباحث اختبار تحليل التباين الثنائي 2-Way ANOVA (2X2) للمتغيرات المستقلة وكانت النتائج بحسب الأتي :

مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
الجنس	٠,١٨٢	١	٠,١٨٢	١,٩٨١	٠,١٦
الصف	٢,٥٦٣	١	٢,٥٦٣	٢٧,٨٤٧	٠,٠٠٠*
التفاعل	٠,١١٣	١	٠,١١٣	١,٢٢٧	٠,٢٦
الخطأ	٣٦,٣٥٣	٣٩٥	٠,٠٩٢		
المجموع	٣٩,١٦٨	٣٩٨			

يتضح من نتائج الجدول السابق أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطات استجابات تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين حول الممارسات الداعمة لحق العودة تعزى لمتغير الجنس والتفاعل بين متغيري الجنس والصف الدراسي ، فيما أشارت النتائج بوجود فرق دالٍ إحصائياً يعزى لمتغير الصف الدراسي .

ويمكن تفسير عدم وجود فرق حول الممارسات الداعمة لحق العودة بين التلاميذ يعزى إلى متغير الجنس(ذكوراً و إناثا) إلى تشابه الأوضاع المؤثرة على وعي التلاميذ لإدراك حق العودة والتمسك به ، سواء على الصعيد الأسري من جهة أو المدرسة من جهة ثانية ، حيث أن الفرصة

مهيأة لذات الجنسين بأن يتبنوا هذه الممارسات بحكم احتكاكهم ومتابعتهم ومشاركتهم، بل مشاهدتهم لصور وجداريات تكسو جدران مخيماتهم، وهي مشاهد تكرس هذا الحق.

أما فيما يخص وجود فرق يعزى لمتغير الصف الدراسي حيث تفوق تلاميذ الصف التاسع على تلاميذ الصف الثامن الدراسي، يرى الباحث أن هذه النتيجة منطقية حيث يتنامى الإحساس بهذا الحق ومن ثم ممارسة السلوك الداعم له بازدياد الصف الدراسي، حيث تتمثل هذه الزيادة في جانبين: أحدهما وله علاقة بالتطور والوعي الفكري وإدراك هذا الجانب المهم والناتج عن قدرة أكبر (بحكم زيادة العمر) في تفسير معاناة اللاجئين في مخيماتهم سواء في المسكن أو الشارع أو مختلف الخدمات، والمحاكاة العقلية لذات التلميذ التي باتت تدرك تماماً أن النكبة التي تعرض لها اللاجئون هي السبب في كل الأزمات الخانقة التي تنتابهم، وإن عودتهم إلى ديارهم ستخفف من تلك الأزمات.

أما الجانب الثاني فان زيادة الحصيلة الدراسية للتلميذ والأنشطة المرافقة للنشاطات التعليمية الرسمية وبخاصة أن معظم المدارس باتت تدرك مدى أهمية انخراط التلميذ في مشكلات مجتمعه، في وقت تساعدها على ذلك جمعيات ولجان وشخصيات وطنية ذات اهتمام عالٍ بحق العودة، لأن وكالة الغوث الدولية أعدت كراسات خاصة بحقوق الإنسان وضمنت حق العودة فيها، كما تتضمن مناهج السلطة الفلسطينية معلومات كبيرة عن جغرافية الداخل الفلسطيني ومعاناة اللاجئين وتوزيع مخيماتهم في الداخل والخارج، وبالتالي تزداد حصيلتهم المعرفية بزيادة الصف الدراسي .

كما يمكن تفسير عدم وجود فرق يعزى لتفاعل متغيري الجنس مع الصف الدراسي للتلميذ بأن الحياة التربوية الفلسطينية قد أوجدت قواسم مشتركة حول حق العودة، مما قلل من الهوة بين أثر هذه المتغيرات، وبالتالي بلورة موقف عام داعم لهذا الحق.

التوصيات:

استناداً إلى نتائج الدراسة الحالية، فإن الباحث يوصي بالآتي :

١- تنشيط دور المؤسسات المجتمعية لدعم حق العودة في سائر أرجاء الوطن .

٢- إجراء مزيد من الدراسات حول حق العودة لفئات عمرية مختلفة، ولمخيمات أخرى داخل الوطن .

٣- إجراء دراسات مقارنة لواقع التربية على حق العودة في الداخل الفلسطيني والشتات .

٤- إصدار نشرات دورية تتضمن أفكاراً متعلقة بالموضوع لتدعيم ثقافة حق العودة لمختلف المراحل الدراسية .

٥- دمج حقوق اللاجئين و بضمنها حق العودة في المناهج الفلسطينية .

٦- قياس أثر برامج إرشادية تدريبية تجريبية في زيادة التمسك بحق العودة للتلاميذ .

٧- إجراء دراسات تكشف عن واقع حق العودة لتلاميذ آخرين يقيمون في مدن وقرى فلسطينية .

٨- إنشاء مراكز ومؤسسات تهدف إلى تعزيز حق العودة وتوظيف العمل المسرحي والتمثيلي النشط .

٩- إجراء برامج تلفازية وحلقات إذاعية ومسابقات شفوية وكتابية تسهم في استلهام حق العودة لدى التلاميذ .

١٠-تنظيم مؤتمرات علمية تبحث في خطورة التنازل عن حق العودة وتعزيز الانتماء لهذا الحق المقدس .

المراجع باللغة العربية:

* تيري رمبل(٢٠٠٠) لجنة الأمم المتحدة للتوفيق حول فلسطين، الحماية والحل الدائم للاجئين الفلسطينيين، مركز بديل/ بيت لحم.
* جيرهارد بلفر وانغريد جاسنر(١٩٩٧)، وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (بين مطرقة السياسة وسندیان خدمة اللاجئين))، مشروع حقوق المواطنة واللاجئين الفلسطينيين، مركز المعلومات البديلة / بيت لحم.
* سالم، موسى(١٩٩٧) حق العودة، بانوراما، المركز الفلسطيني لتصميم الديموقراطية وتنمية المجتمع.
* سالم، وليد(١٩٩٧)حق العودة/ البدائل الفلسطينية، بانوراما -المركز الفلسطيني لتعميم الديموقراطية وتنمية المجتمع .
* السلقان، عدنان(١٩٩٨) الهجرة القسرية، اتجاهات اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات الضفة الغربية نحو التوجهات السياسية بعد مؤتمر مدريد (١٩٩١)، ومؤتمر أوسلو ١٩٩٣، مجلة الهجرة القسرية، جامعة النجاح الوطنية.
* الطويل، فالح(١٩٩٦) اللاجئون الفلسطينيون، قضية تنتظر حلاً، مطبعة ابن خلدون / إربد، الأردن.
* سمارة، عادل(١٩٩٩)، اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة واستدخال الهزيمة.
* ــــــــــــــ (٢٠٠٥) هوية وانتماء، مشروع المصطلحات الأساسية للطلاب العرب، صادر عن ابن خلدون (الجمعية العربية للبحث والتطوير ومركز مكافحة العنصرية / حيفا).
* ــــــــــــــ (٢٠٠٣) اللجنة الشعبية للدفاع عن حق العودة، لا بديل عن حق العودة، عائدون. مؤتمر عقد بتاريخ١/ ١٢/ ٢٠٠٣، نابلس.
* ــــــــــــــ (٢٠٠٣) الفلسطينيون المهجرون في الداخل، أوراق عمل يقدمها بديل للنقاش، مركز بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.
* ــــــــــــــ (٢٠٠١) العودة إلى ديارهم، حملة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين، مركز بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.
* ــــــــــــــ(٢٠٠٠) اللاجئون الفلسطينيون في الشتات، حملة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين، بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين الفلسطينيين.

ملحق

استبانة

الممارسات الداعمة لحق العودة

الأخ الطالب الكريم،
تحية طيبة وبعد،

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى شيوع الممارسات الداعمة لحق العودة عند تلاميذ الصفين الثامن والتاسع الأساسيين في مدارس مخيمات نابلس الأساسية الثلاث (بلاطة، وعسكر، وعين بيت الماء).

آمل الإطلاع على الفقرات الواردة في هذه الاستبانة والإجابة عليها بحسب ما تراه مناسباً متمنياً عدم ترك عبارة واحدة دون الإجابة عليها وأن لا تجيب عن اية عبارة بأكثر من إجابة.

شاكراً حسن تعاونكم سلفاً،

الباحث
د. يوسف ذياب عواد

القسم الأول:

ضع شارة X للبند الذي ينطبق عليك:

الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

الصف: الثامن الأساسي ☐ التاسع الأساسي ☐

القسم الثاني:

أمامك مجموعة من العبارات والمطلوب وضع شارة T تحت البند الذي يتفق ووجهة نظرك:

الرقم	العبارة	أوافق	متردد	أعارض
١.	يزداد إيماني بحق العودة يوماً تلو الآخر.			
٢.	كثرة المصائب التي تواجهنا لكوننا لاجئين تزيد من حقنا بالعودة.			
٣.	حصولنا على مساعدات يعزز حاجتنا الملحة لحق العودة.			
٤.	ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من نكبات متلاحقة تعزز لدي التمسك بحق العودة.			
٥.	تجذبني المشاهد التي تحوي دلالات لحق العودة كالمفاتيح مثلاً.			
٦.	أستمع لحديث كبار السن عن ذكرياتهم في بلدانهم التي هجروا منها.			
٧.	لدي تفاصيل دقيقة (معلومات) عن البلدة أو المدينة التي هجرّنا منها.			
٨.	أعرف(باستخدام الخريطة أو بدونها) موقع البلد الذي عاش فيه أهلي.			
٩.	أعتبر أن التعويض على حساب حق العودة قرار ظالم.			
١٠.	اعتقد أن التعويض بديلاً عن حق العودة مرفوض.			
١١.	لدي معرفة بالطريقة التي رحل بها أهلي عن بلدهم.			
١٢.	أعرف ما كانت تشتهر به بلدي من زراعة وصناعة وغيرها...			
١٣.	أشجع التواصل مع من تبقى من عائلتي داخل الخط الأخضر.			
١٤.	أعاتب أهلي لأنهم تركوا أرضهم التي يجب أن يصمدوا فيها.			
١٥.	كثيراً ما تعرضت لمواقف زادت من شعوري بحق العودة.			
١٦.	أشارك بأنشطة وفعاليات تكرس حق العودة.			
١٧.	كلما مات قسم من المسنين المهجرين يضعف أملي بالعودة.			
١٨.	اقدر احتفاظ أهلي بمفاتيح منزلهم لما يبعث في النفس الأمل بالعودة.			
١٩.	أشجع بقاء الاحتفاظ بالأوراق الثبوتية للملكية في أرضنا المسلوبة.			
٢٠.	أعتقد أن ملبوسات التراث الشعبي تعزز مبدأ الحق في العودة.			
٢١.	أجلس كثيراً للاستماع عن أحداث واجهت المهجرين.			
٢٢.	اعمل على الاحتفاظ ببعض قطع الأثاث والأدوات التراثية المرتبطة بالعودة.			
٢٣.	أعرف عدداً من أسماء القرى التي دمرت وهجر أصحابها.			
٢٤.	لدي معرفة بالتركيبة العائلية للبلد التي انحدر منها أهلي.			
٢٥.	لدي معرفة بالتقاليد المتعلقة بالأفراح والأحزان التي مارسها الآباء والأجداد			

٢٦ .	أُقدر من يسمون أبناءهم على أسماء مدن أو أحياء داخل الخط الأخضر .				
٢٧ .	عندما أشاهد صورة من صور النكبة يتولد لدي دافع التحدي للعودة .				
٢٨ .	أحتفظ بصورة على الأقل تظهر مشهداً من مشاهد الهجرة .				
٢٩ .	أشجع زواج قريباتي من عرب يقيمون داخل الخط الأخضر .				
٣٠ .	أشجع زملائي على الزواج من داخل الخط الأخضر .				

ملاحظة : حذفت الفقرة رقم ١٧ لعدم حصولها على معامل ثبات مناسب .

ظاهرة العولمة: تحدياتها وآثارها كما يراها طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية

د. عبد عساف*

د. علي حبايب**

---

* أستاذ مشارك، كلية التربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

** أستاذ مشارك، كلية التربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح نحو ظاهرة العولمة بأبعادها الثلاثة وهي الموقف العام من ظاهرة العولمة، ومحور الثقافة والعولمة، ومحور الدين والعولمة. كما هدفت إلى الكشف عن أي فروق ذات دلالة احصائية تبعا لمتغيرات (الجنس، و التخصص، و المستوى الدراسي للطالب، والحالة الاجتماعية، ومستوى دخل الأسرة، ووضع الطالب الدراسي وموقع السكن و العمر).

ضم مجتمع الدراسة ٣٣٪ من جميع طلبة الدراسات العليا في الكليات العلمية والأدبية الذين اختيروا بطريقة عشوائية. وتضمنت أداة الدراسة التي أعدها أسعد وعبد الغفور (٢٠٠٣) وعدلت وقننت من الباحثين لتشمل (٢٥) فقرة يجيب عنها الطالب وفقا لمقياس ليكرت الخماسي (موافق جداً، موافق، محايد أومعتدل، معارض، معارض جداً). وجرى التأكد من صدقها بعرضها على (١٠) محكمين من اعضاء الهيئة التدريسية في جامعة النجاح الوطنية، وجرى كذلك التأكد من ثباتها بطريقة كرونباخ ألفا وكانت (٨٥, ٠) وقد استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وتحليل التباين الأحادي واختبار (ت) لتحليل النتائج.

أشارت النتائج إلى أن الطلبة كان موقفهم من المحور الأول " الموقف العام من العولمة " يميل الى المعارضة متوسط ٤, ٦٤ ٪. بينما كان معارضاً في المحور الثاني الثقافة والعولمة حيث كان المتوسط ٤, ٧٠ ٪، كذلك في البعد الثالث الدين والعولمة كان معارضا بمتوسط قدره ٨, ٧١٪. كما أشارت النتائج الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في موقف طلبة الدراسات العليا من ظاهرة العولمة تعزى لمتغيرات (التخصص، والمستوى الدراسي للطالب، و الحالة الاجتماعية و مستوى دخل الاسرة، ووضع الطالب الدراسي، وموقع السكن، والعمر). بينما كانت هناك فروق تعزى لمتغيرات الجنس، وموقع السكن.

وقد بينت الدراسة أهم ايجابيات العولمة ومن أهمها :

١- ساعدت العولمة على التقدم العلمي والإلكتروني وخصوصاً في مجال الاتصالات فأدى إلى تقدم المواطن العربي ورقيه فكرياً وثقافياً .

٢- توفير سهولة الاتصالات بين المجتمعات العربية بعضها ببعض أو مع غيرها من مجتمعات العالم مما أدى إلى تبادل الخبرات والمعلومات في المجالات جميعها .

كما بينت أهم السلبيات منها:

١- تعد العولمة غزوا اقتصاديا و ثقافيا و حضاريا باتجاه واحد فيجعل المواطن يشعر بالدونية والتبعية .

٢- التشويه ليس للفكر فحسب وإنما للبيئة كذلك واستنفاد موارد الطبيعة واستغلالها من الغرب .

وأخيرا بينت الدراسة أهم الطرق أو الأساليب التي تحد من الآثار السلبية للعولمة ومن أهمها : توعية المواطنين عبر وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة وبآثارها السلبية على المواطن، واللغة والحضارة العربية .

Abstract:

This study aimed at investigating the opinions of graduate students towards the phenomenon of globalization, its challenges and the existence of any significant mean differences between graduate student's opinions with regard to (sex, specialization, study level, martial status, income, work status, place of living and age). The population of the study consisted of (500) graduate students from all colleges. A random sample of 33% was chosen which represents (121) students whose responses were analyzed in this study. The researchers applied a questionnaire used by As'ad & Abdulghafoor(2003) about globalization after some adjustments being made. Validity and reliability were determined by the researchers to validate the questionnaire. The averages, means, percentage, standard deviations t-test, and one way ANOVA were used to analyze the data. The result of study showed that the graduate students have an objective opinion towards the general position of globalization which represents (64.4%). It showed negative opinions toward the second dimension of culture and globalization, which represents (70.4) and it showed also an objection towards the dimension of religion and globalization with a mean of (71.8%). The study showed that there were no significant mean differences in their opinions on globalization with regard to the demographic variables of (specialization, level of students' studies, martial status, students' income, working status, and age). As far as sex and place of living are concerned there were significant mean differences.

The study pointed out the most important positive and negative aspects of globalization on the Arab people in particular on their culture. Means and methods to deal with this phenomenon were suggested.

مقدمة الدراسة و خلفيتها:

يشيع مصطلح العولمة هذه الايام بين المثقفين و الادباء و تتناقله الصحف و المجلات ووسائل الاعلام المختلفة عبر تقارير مراسليها و برامجها المختلفة فما العولمة؟ وهل يمكن ان تؤثر فينا أو نتأثر بها؟ وما طبيعة هذه الاثار؟

العولمة في العربية هي ترجمة لكلمة "Globalization" و تقابلها في الفرنسية "Modularization" وهي حديثة في اللغة العربية و تعود إلى كلمة عالَم و تعني تعميم الشيء ليصبح عالميا وفي أبسط تعريفاتها سهولة حركة الناس و المعلومات و الأموال و الأفكار بين مختلف الدول على نطاق الكرة الارضية، و يعبر عن ذلك بالقرية الكونية، وهي تطور تلقائي للنظام الرأسمالي كما يرى يكن (١٩٩٩) بينما يعارض يسن (٢٠٠٠) فكرة هذا التطور التلقائي ويعدها ظاهرة أيدولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم على المستوى الاقتصادي و السياسي و التكنولوجي و الثقافي، ولكن لهذه الهيمنة آثاراً إيجابية و سلبية ليس على الافراد و الحضارات ولكن على المستوى الاقتصادي و المهني للطلبة والشركات في المجتمع نفسه و بين المجتمعات (Daver and Others، ٢٠٠٣).

إن العولمة طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسان موحدا أو نازعا للتوحد (والوحدة) حيث لا تعني التجانس و التساوي بين جميع أجزاء العالم و المجتمع البشري و لكنها تعني درجة عالية من التفاعل و التباين بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة وبالتالي ازدياد درجة التاثر والتأثير المتبادلين، فيؤدي الى التصادم بين المجتمعات المختلفة (Huntington، ١٩٩٦).

إن العولمة ظاهرة أو حركة معقدة ذات أبعاد اقتصادية و اجتماعية وسياسية وحضارية وثقافية وتكنولوجية أنتجتها ظروف العالم المعاصر و تؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات والدول المعاصرة تأثيرات عميقة، و مهما يكن من أمر فإن العولمة ليست تلك التعريفات الأكاديمية التي تختلف حول مفردات وحدود، انما العولمة بلا حدود و ضد الحدود، وليست العولمة مجرد لفظ نتماحك حول صحة نحتها اللغوي او عدمه، فالعولمة وصلت بالفعل الى غرفة نومنا حتى انها منعتنا من النوم حتى عدنا بلا اسرار (المناصرة، ١٩٩٩).

ويرى بعض المفكرين العرب المعارضين للعولمة بان مخاطر العولمة على الهوية الثقافية انما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية

الثقافية، إذ تعني العولمة مزيدا من تبعية الأطراف للمركز، وتقذف عليها مفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل بيت الطاعة في نظام العالم الجديد لحقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، وحقوق المرأة، والتدخل في مفهوم النوع (Gender)، في كل شيء من ثقافات لم تعرف بعد مفهوم المواطنة التي لا تفرق بين ذكر وأنثى (ظاهر، ١٩٩٥، التيزيني، ٢٠٠١، حنفي، ١٩٩٩).

بينما يرى فريق آخر من المفكرين العرب أنه لا يتأتى الدفاع عن الهوية الثقافية ضد مخاطر العولمة عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الآخر فهذا تصحيح الخطأ بخطأ ومجموع الخطأين لا يكون صواباً، انما يتأتى ذلك اولا بإعادة بناء الموروث القديم المكون الرئيس للثقافة الوطنية بتجديد لغته من لغة القطعية و الالفاظ التشريعية الى اللغة المفتوحة و الالفاظ الطبيعية، تغيير مستويات تحليله من المستوى الإلهي الغيبي إلى المستوى الإنساني الحسي التحرري، وهذا يتطلب الدفاع عن الهوية الثقافية بإعادة الاختيار بين البدائل واختيار الأصلح لنا الذي ربما لم يكن الأصلح للقدماء في عصرهم فان لم تسعف البدائل القديمة على الثقافة العصرية ايداع بدائل جديدة تكون إضافة من اجل هذا الجيل على اجتهادات الاجيال السابقة على هذا النحو يمكن تجديد الثقافة العربية، إذ لا تعني الخصوصية الانغلاق والتقليد والانكفاء على الذات واستبعاد الآخر والخوف من العصر، انما تعني الخصوصية البداية بالأنا قبل الآخر والقريب قبل البعيد (حجازي، ١٩٩٨، الربيعي ٢٠٠٠، وحنفي ١٩٩٩).

ويتطلب الدفاع عن الهوية الثقافية كسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة جذبه وذلك برده الى حدوده الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، فكل ثقافة مهما ادعت انها عالمية تحت تأثير أجهزة الإعلام فإنها نشأت في بيئة محددة و في عصر تاريخي معين ثم انتشرت خارج حدودها بفعل الهيمنة وبفضل وسائل الاتصال (حنفي، ١٩٩٩).

كما يمكن التخفيف من غلواء العولمة عن طريق قدرة الأناعلى الإبداع بالتفاعل مع ماضيها وحاضرها بين ثقافتها وثقافات العصر، ولكن ليس قبل عودة الثقة بالانا بذاتها و ليس قبل التحرر من الانبهار بالآخر كنقطة جذب لها وإطار مرجعي لثقافتها. وما التفاعل في الواقع الخصب و احضار الماضي و المستقبل في الحاضر الا السبيل للمزج العضوي بين الخصوصية و العولمة و صهرهما في القرن الجديد (حنفي ١٩٩٩).

ويعد الاختراق الثقافي من أبرز الأساليب المتبعة من قبل قوى العولمة الثقافية في صراعها مع الثقافة العربية فتدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة و الإعلام و الثقافة الحديثة لا يقصد منها إلا إشاعة مفاهيم جديدة في اوساط المثقفين العرب، وبالتالي التوغل الى منظومة المبادئ

والمفاهيم الأساسية للثقافة العربية وزعزعة القناعات بها والترويج لقيم ومبادئ ومفاهيم قوى عولمة الثقافة التي تتمركز حول تفهم الثقافة الاجنبية الوافدة و لا شك في أن الاختراق الثقافي يمثل أحد المداخل المهمة لاقتحام عقول المثقفين العرب و المخاطر الفكرية معهم ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالأسس و المرتكزات الجوهرية التاريخية للثقافة العربية (علوان ١٩٩٩).

إننا نقف اليوم أمام تحولات عالمية كبرى يريد الغالب بها أن يحكم سيطرته على المغلوب ومن الدعوة الى عولمة الثقافة الى صورة متقدمة من صور المركزية الثقافية الجديدة ،وصورة من صور التحولات السريعة في عالم الاقتصاد والسياسة والقوى العسكرية والظواهر الاجتماعية والثقافية العامة التي قد تؤدي الى صراع بين الثقافات والحضارات (Huntington، ١٩٩٦).

ومن اللافت للنظر ان العقل العربي لم يستطع أن يوائم بين علمية العصر والمبادىء التراثية الدينية و التاريخية، و ليس مرد ذلك ثبات العقلية العربية على المبدأ الديني لأن الثبات على المبدأ الديني لا يتعارض مع العملية الذهنية، فالله سبحانه و تعالى لم يمنح الانسان قوة العقل و مدركاته ليعطل مهمته في الحياة خاصة وأن العقل يعد اقوى وسيلة استدلالية. كما ان العقل العربي و تأخره عن الإسهام في عملية العصر ليس مرده ثبات مبادئه و هيمنة عنصر المشاكلة و الدوام فيها لأن ذلك الثبات لم يعطل اية ملكة بشرية منتجة ذهنية او حسية (الحارثي، ١٩٩٩).

إن الثقافة العربية قابلة للتطور و التجدد و غير قابلة للتغير الجذري لأن أصولها المحركة لها أصول إلهيةغير بشرية تمنح من ذلك التراث الالهي، وبهذا فالمجتمع العربي مجتمع تاريخي يقبل التطور و يخضع له وفق امكاناته، انه تطور يعيد خلق التراث في ثوب يلائم مستجدات الحياة و يحافظ على هويتنا و ليست الثقافة العربية عصية على مبدأ التحاور، ففيها من المرونة ما يجعلها قابلة للانفتاح على ثقافات العالم خاصة وإن كان التحاور يقوم على حرية التواصل والاحترام بين الثقافات العالمية وتبادل المنافع لتستعين كل ثقافة بالمفيد من الثقافات الأخرى إذ كل ثقافة قابلة للتأثر و التأثير في آن واحد (الحارثي، ١٩٩٨).

وباختصار، فان موقف المفكرين العرب متناقض فبعضهم يرفض العولمة ويعتبرها شيطاناً أكبر لأنها خطر على ثوابت الأمة العربية الإسلامية، وأنها خطر على الدين والهوية وهي الوجه البغيض للهيمنة الامبريالية والصهيونية وتؤدي بنا إلى الشعور بالدونية والنقص والاغتراب التيزيني (٢٠٠١)، وحرب (١٩٩٣)، وطاهر (١٩٩٥) وعبد الله (١٩٩٩). بينما يرى الفريق الاخر إنها ظاهرة وضرورة حتمية تؤدي إلى تطور الأمة العربية والإسلامية

ورقيها، فهي ملاك طاهر و ضرورة حضارية وتاريخية لا علاقة لها بالدين وتدعو إلى الحرية و الديموقراطية والتقدم لذلك يدعو الى الاقبال على هذه الثقافة الكونية واستهلاكها دون نقد وتمحيص (الرميحي، ٢٠٠٠، وأبو حلاوة ٢٠٠١، والخياري١٩٩٨)، وهناك موقف معتدل ينظر للعولمة بوصفها ظاهرة تحتمل السلب والايجاب بصورة عالية. فالعولمة هي عطاءات النكنولوجيا والحاسوب والاتصال وثورة المعرفة ولا يستطيع أحد أن ينكر أهمية هذه العطاءات للحياة الانسانية وتقدمها ورقيها. ومن جهة اخرى يدرك أصحاب هذا الاتجاه بأن العولمة تحمل تحديات ثقافية و اقتصادية و سياسية مشبعة بكثير من الجوانب السلبية التي تتصل بالتعاون والقيم والدين وتؤثر سلبيا على الانسان، وانطلاقا من هذه الرؤية فإنهم يرون إمكانية الاستفادة من الإيجابيات ورفض السلبيات على نحو انتقائي (حجازي١٩٩٨ والربيعي٢٠٠٠).

وفي هذا السياق جاءت هذة الدراسة كي تبين رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في ظاهرة العولمة "كمثال" و هل يختلف رأي الطلبة عن موقف المفكرين العرب واساتذتهم في الجامعات حول تحديات هذه الظاهرة ومخاطرها وكيفية التعامل معها.

مشكلة الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى معرفة رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من ظاهرة العولمة، وبيان اثر متغيرات (الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي، والحالة الاجتماعية، ومستوى دخل الأسرة، ووضع الطالب الدراسي، وموقع السكن، والعمر) في ظهور هذه الاراء، كما حاولت هذه الدراسة بيان أهم التأثيرات الإيجابية والسلبية لظاهرة العولمة على المواطن العربي، وبيان الوسائل والطرق لمواجهة سلبيات هذه الظاهرة.

وباختصار حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلةالآتية:

أولاً: ما رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في ظاهرة العولمة، في محاورها الثلاثة الموقف العام من ظاهرة العولمة، الثقافة والعولمة، والدين والعولمة؟

ولمعرفة أثر المتغيرات الدراسية المستقلة على طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة فقد طرحت الاسئلة الاتية:

١- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير الجنس؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة

تعزى لمتغير المستوى الدراسي للطالب؟

٣- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير الحالة الاجتماعية؟

٤- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير دخل الأسرة؟

٥- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير وضع الطالب الدراسي؟

٦- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير موقع سكن الطالب؟

٧- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في رأي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تعزى إلى متغير عمر الطالب؟

ثانيا: اذكر ثلاثة تأثيرات إيجابية لظاهرة العولمة على المواطن العربي اذا كان لها إيجابيات.
ثالثا: اذكر ثلاثاً من سلبيات ظاهرة العولمة على المواطن العربي اذا كان لها سلبيات.
رابعا: اذكر ثلاث طرق او أساليب تحد من الآثار السلبية لظاهرة العولمة على المواطن العربي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. معرفة رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من الموقف العام من ظاهرة العولمة، الثقافة و العولمة و الدين و العولمة.

٢. معرفة أثر متغيرات الديموغرافية على رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من ظاهرة العولمة بأبعادها جميعاً.

٣. معرفة الآثار الايجابية و السلبية لظاهرة العولمة على المجتمع العربي من وجهة نظر أفراد العينة.

٤. معرفة الطرق و الوسائل لمواجهة الآثار السلبية لظاهرة العولمة من وجهة نظر أفراد العينة.

أهمية الدراسة:

١- تكتسب الدراسة أهمية فائقة و ذلك لحداثة الموضوع و بخاصة ان الدراسات التي تناولت رأي الطلبة نحو ظاهرة العولمة لا تزال قليلة جدا في فلسطين خاصة و في الوطن العربي بصفة عامة .
٢- تلقي هذه الدراسة المزيد من الضوء و الاهتمام حول الآثار السلبية والإيجابية لظاهرة العولمة على الشعب العربي ما يشجع المفكرين والسياسين والتربويين الاهتمام بهذه القضية و مظاهرها وتحدياتها .
٣- تساعد على فهم طبيعة ظاهرة العولمة و مظاهرها و تحدياتها والكشف عن أفضل السبل الممكنة لمواجهة سلبياتها .

محددات الدراسة:

تتمثل أهم حدود الدراسة في الآتي :
١ . اقتصرت هذه الدراسة على عينة من طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية .
٢ . أجريت هذه الدراسة خلال انتفاضة الأقصى في الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م .
٣ . افترضت هذه الدراسة أن الأداة المستعملة لقياس رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح هي أداة صادقة و صالحة للمجتمع و صالحة للدراسة .
٤ . افترضت الدراسة أن العينة التي اختيرت من طلبة الدراسات العليا عينة ممثلة للمجتمع الأصلي .

مصطلحات الدراسة:

التعريف الإجرائي للعولمة : هي الدرجة التي يحصل عليها الطالب على استبانة ظاهرة العولمة من حيث تحدياتها و اثارها كما يراها طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية وتتمثل في الموقف العام من ظاهرة العولمة ، والثقافة والعولمة ، والدين والعولمة .
طلبة الدراسات العليا : هم الطلبة المنتظمون في الدراسة في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية خلال فترة اعداد الدراسة وهم الطلبة الذين يدرسون للحصول على شهادة الماجستير في جميع التخصصات العلمية و الانسانية (دليل جامعة النجاح الوطنية) .

الموقف أو الرأي: هو سلوك لفظي او كتابي يعبر عنه الفرد و يستند الى خلفية معرفية وجدانية معينة تبين وجهة نظر الفرد تجاه قضية ما ايجابية او سلبية أو محايدة.

جامعة النجاح الوطنية: هي احدى الجامعات الفلسطينية التي تقع في مدينة نابلس بشمال الضفة الغربية، وتضم عدداً من الكليات العلمية والإنسانية، ويدرس بها حوالي ١٢ الف طالب و طالبة (دليل جامعة النجاح الوطنية ١٩٩٤).

منهج الدراسة:

لقد استُخدِم المنهج الوصفي المسحي باستخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات والمعلومات نظرا لملاءمته لأغراض الدراسة.

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكون مجتمع الدراسة من طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية خلال الفصل الدراسي الثاني ٢٠٠٣-٢٠٠٤ اذ بلغ عددهم ٥٠٠ طالب و طالبة ممثلين التخصصات في الكليات العلمية والإنسانية كافة، واختيرت عينة الدراسة بشكل عشوائي وذلك باختيار من كل شعبة ما يساوي ثلث الطلبة وذلك باختيار رقم ١ , ٣، ٦، ٩ . . . حسب قائمة الكمبيوتر لاسماء الطلبة لكل مساق قد بلغ حجم العينة "١٦٨" طالبا و طالبة استجاب منهم "١٢٩" منها "٨" استبانات غير صالحة و بهذا تكون عينة الدراسة التي أجري عليها التحليل الاحصائي "١٢١" و تمثل ما نسبته ٢ , ٢٤٪ من حجم مجتمع الدراسة الاصلي و الجدول (١) يبين توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها المستقلة.

الجدول (١)
توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيراتها المستقلة

المتغيرات	فئات المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	١ . ذكور	٥٨	٪٤٧,٩
	٢ . اناث	٦٣	٪٥٢,١
التخصص	١ . علوم انسانية	٧٤	٪٦١,٢
	٢ . علوم طبيعية	٤٧	٪٣٨,٨
المستوى الدراسي للطالب	١ . انهى اقل من ١٨ ساعةمعتمدة	٦٧	٪٥٥,٤
	انهى اكثر من ١٨ ساعةمعتمدة	٥٤	٪٤٤,٦
الحالة الاجتماعية	١ . غير متزوج	٥١	٪٤٢,١
	٢ . متزوج او ارمل او مطلق	٧٠	٪٥٧,٩
مستوى دخل الأسرة	١ . اقل من ٣٠٠ دينار	٣٥	٪٢٨,٩
	٢ . من ٣٠٠-٦٠٠ دينار	٥٨	٪٤٧,٩
	٣ . اكثر من ٦٠٠ دينار	٢٨	٪٢٣,١
وضع الطالب الدراسي	١ . متفرغ للدراسة	٤٠	٪٣٣,١
	٢ . طالب بوظيفة تربوية	٢٨	٪٢٣,١
	٣ . طالب بوظيفة حرة	١٠	٪٨,٣
موقع السكن	١ . مدينة	٦٤	٪٥٣,٩
	٢ . قرية	٤٩	٪٤,٠٥
	٣ . مخيم	٠٨	٪٦,٦
العمر	١ . اقل من ٢٥ عام	١٣	٪١٠,٧
	٢ . من٢٦-٣٥ عام	٦٧	٪٥٥,٤
	٣ . اكثر من ٣٥ عام	٤١	٪٣٣,٩

أداة الدراسة:

لمعرفة رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في ظاهرة العولمة استخدم الباحثان استبانة أسعد و محمد (٢٠٠٣) بعنوان "الثقافة العربية الاسلامية ازاء تحديات العولمة و فرصها : آراء عينة من اعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكويت . وتكونت استبانة البحث

الأصلية من مقياس يشمل ٢٢ بندا تغطي ثلاثة محاور :

١ . محور الموقف العام من ظاهرة العولمة ٢ . محور الثقافة العربية و العولمة ٣ . محور الدين والعولمة . وقد أجرى أسعد و محمد (٢٠٠٣) الصدق الخارجي للاستبانة وفقا لملاحظات المحكمين وآرائهم، وقد بنيت الاستبانة وعدلت بناء على ملاحظتهم، ثم حسب صدق المضمون وصدق المحتوى لمصفوفة الارتباط و الاتساق الداخلي للفقرات و بينت مصفوفة الارتباط الخاصة بالأداة أن الارتباط بين مختلف العبارات دال بدرجة ٩٥ , ٠٪ وهذه نتيجة تدل على دلالة عالية من صدق الانساق الداخلي للاستبانة . ثم أجرى الباحثان صدقاً خارجيا آخر للاستبانة وذلك بتوزيعها على ١٠ محكمين من جامعة النجاح الوطنية من التخصصات كافة حيث طلب منهم تقديم ملاحظاتهم و اقتراحاتهم وتعديلاتهم، ومن ثم تنقيح الاستبانة وفقا لهذه الملاحظات بحيث اصبح عدد بنودها " ٢٥ " فقرة وهي أرقام " ٢٤، ١٥، ٢٥ " . كذلك أضيفت ثلاثة أسئلة انشائية، إضافة إلى تغيير سلم الاستجابات إلى نظام ليكرت الخماسي كما هو مبين في عرض النتائج وهي: معارض جدا (٥) معارض (٤)، معتدل (٣) موافق (٢)، موافق جدا (١) واعتبر اتفاق المحكمين بنسبة ٨٥٪ أساسا لاعتماد الفقرة أو تبديلها أو تعديلها .

ثبات الأداة:

لقد حسب الباحثان أسعد و محمد (٢٠٠٣) معامل ثبات الأداة حسب معادلة كرونباخ ألفا Cronpach Alpha لحساب الثبات وقد بلغ معامل الثبات للاداة بصورتها الكلية ألفا ٥٢٥ , ٠ وهذا يمثل ارتباطا مقبولا يدل على ثبات الآداة كما أجرى الباحثان أسعد و محمد صدق المضمون أو المحتوى وفقا لمصفوفة الارتباط والاتساق الداخلي للمحاور كما هو مبين في الجدول (٢). كما أجرى الباحثان ثباتا داخليا آخر للاستبانة على استجابات طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية وفقا لمعادلة كرونباخ ألفا فكان ٨٥ , ٠ وهذا يمثل ارتباطا عاليا يدل على ثبات جيد للاستبانة .

الجدول (٢)

مصفوفة الارتباط و الاتساق الداخلي لمحاور الاستبانة

المحاور	الموقف	الثقافة	الدين
محور الموقف العام من العولمة	١	—	—
محور الثقافة العربية من العولمة	**٠,٣٣٠	—	—
محور الدين من العولمة	**٠,٢٥٠	**٠,٥٤٢	١

تصميم الدراسة:

تضمنت الدراسة المتغيرات الآتية :

أ. المتغيرات المستقلة:

١ . الجنس : أ: ذكر ب : أنثى

٢ . التخصص أ: علوم انسانية وادارية ب : علوم طبيعية او تطبيقية

٣ . المستوى الدراسي للطلبة أ : أنهى اقل من ١٨ ساعة معتمدة

ب : أنهى اكثر من ١٨ ساعة معتمدة

٤ . الحالة الاجتماعية : أ : غير متزوج ب : متزوج، ارمل او مطلق

٥ . مستوى الدخل للاسرة : أ: اقل من ٣٠٠ دينار اردني

ب : من ٣٠٠-٦٠٠ دينار اردني

ج: اكثر من ٦٠٠ دينار اردني

٦ . وضع الطالب الدراسي : أ : متفرغ للدراسة

ب : غير متفرغ للدراسة

ج : اذا كنت غير متفرغ اذكر المهنة

٧. موقع السكن : أ. مدينة ب: قرية ج: مخيم

٨. العمر : أ: اقل من ٢٥ عاماً ب: من ٢٥-٣٥ عاما

ج : اكثر من ٣٥عاماً.

ب: المتغير التابع:

و يتمثل باستجابة طلبة جامعة النجاح الوطنية نحو استبانة اراء طلبة جامعة النجاح الوطنية

نحو ظاهرة العولمة بمحاورها الثلاثة : وهي ١ . الموقف العام من ظاهرة العولمة ٢ . مؤشرات الثقافة والعولمة ٣ . محور الدين و العولمة .

المعالجة الإحصائية:

لقد استُخدم البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) في تحليل نتائج الدراسة و ذلك باستخدام المعالجات الاحصائية الآتية :

١ . المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية و النسب المئوية .
٢ . اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين (Independent T__test) .
٣ . تحليل التباين الاحادي "One -Way ANOVA" .
٤ . اختبار "LSD" لقياس الفروق البعدية بين متوسطات الدراسة .
٥ . معادلة كرونباخ الفا لاحتساب معامل ثبات أداة الدراسة .

عرض النتائج و مناقشتها:

هدف البحث الحالي إلى معرفة رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من ظاهرة العولمة ومعرفة آثارها الإيجابية والسلبية وطرق الحد من سلبياتها، و لتحقيق ذلك استخدم الباحثان استبانة تشمل على "٢٥" فقرة مقسمة الى ثلاثة محاور وهي : محور الموقف العام من ظاهرة العولمة، ومحورالثقافة والعولمة، ومحور الدين والعولمة، بالإضافة إلى ثلاثة أسئلة انشائية : الأول يتعلق بذكر أهم التأثيرات الايجابية و الثاني يتعلق بذكر التأثيرات السلبية والثالث يتعلق بالطرق والأساليب للحد من سلبيات ظاهرة العولمة . وطبقت الدراسة على عينة عشوائية تتمثل في ٣٣٪ من مجتمع الدراسة ثم استخدمت الأساليب الاحصائية المناسبة، و توصل الباحثان الى النتائج الآتية :

أولا: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

ما رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من ظاهرة العولمة في محاورها الثلاثة : الموقف العام من ظاهرة العولمة، و الثقافة والعولمة، و الدين و العولمة؟

للإجابة عن هذا السؤال حدد المتوسط العام والنسبة المئوية للمؤيدين والمحايدين والمعارضين لكل فقرة ومستوى الاتجاه لكل فقرة ولكل محور من عناصر الاستبانه في الجداول المرفقة . ولتفسير النتائج اعتمدت النسبة المئوية الآتية لتفسير مستوى الموقف من ظاهرة العولمة :

١ . أقل من ٤٠٪ مؤيد لظاهرة العولمة
٢ . من ٤٠٪ - ٦٠٪ محايد أو معتدل الرأي تجاه ظاهرة العولمة
٣ . أكثر من ٦٠٪ معارض لظاهرة العولمة

أما الأساس الذي اعتمد عليه في توزيع ذلك فهو الأساس الإحصائي القائم على توزيع المسافات بين فئات التدرج بشكل متساوٍ حسب سلم الاستجابات .

الجدول (٣)

يبين النسب المئوية للموافقين و المعتدلين و المعارضين و المتوسط الحسابي لكل من فقرات المحور الاول " الموقف العام من العولمة "

الرقم	فقرات المحور الاول	المتوسط	الانحراف المعياري	النسبة المئوية للموافقين على العبارة	النسبة المئوية للمعارضين على العبارة	مستوى الموقف من العولمة
١	العولمة ظاهرة غير حتمية و يمكن تفاديها	٢,٦١	١,٢١	٥٢,٢٪	٤٧,٨٪	متوسط او معتدل
٢	العولمة ظاهرة سلبية بمختلف مظاهرها	٣,١٦	١,١٦	٦٣,٢٪	٣٦,٨٪	معارض
٣	ارى إيجابيات العولمة اكثر من سلبياتها	٣,٤٠	١,٠٦	٣٢,٠٪	٦٨,٠٪	معارض
٤	هناك قلة اهتمام في الحديث عن اخطار العولمة	٣,١٤	١,٠٩	٦٢,٨٪	٣٧,٢٪	معارض
٥	العولمة ضروية من اجل تقدم مجتمعاتنا العربية	٣,٣٦	١,٠١	٣٢,٨٪	٦٧,٢٪	معارض
٦	القيم التي تؤكدها العولمة هي قيم إيجابية على الاغلب	٣,٦٣	١,٠١	٢٧,٨٪	٧٢,٢٪	معارض

يبين الجدول (٣) ان رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من ظاهرة العولمة كان معارضاً إذ كان المتوسط العام "٤ , ٦٤٪" وبانحراف معياري (١٥ , ١)، كما هو مبين في الجدول . و ان ٢ , ٥٢٪ من الطلبة عدوا العولمة ظاهرة غير حتمية "اختيارية " ويمكن تفاديها ، وأن ٢ , ٦٣٪ أنها ظاهرة سلبية و(٦٨٪) ترى أن سلبياتها أكثر من إيجابياتها ، وان (٢ , ٦٧٪)

هي غير ضرورية لتقدم مجتمعاتنا، وأن (٢, ٧٢٪) تعد أن القيم التي تؤكدها هي قيم سلبية على الاغلب، وبالنتيجة فإن الرأي العام لطلبة الدراسات العليا من ظاهرة العولمة كان معارضاً وخاصة في مجال القيم لانهم يعدون غالبية قيمها سلبية. ونلاحظ أن نتائج هذه الدراسة تختلف الى حد ما عن دراسة أسعد و محمد (٢٠٠٣) التي وافق غالبية أعضاء هيئة التدريس على ظاهرة العولمة وعدوها أكثر ايجابية وأقل خطراً من الطلبة في جامعة النجاح الوطنية. تتفق نتائج هذه الدراسة كذلك مع الرأي الانتقائي ممثلا في (حجازي، ١٩٩٨، وربيعي ٢٠٠٠) في ظاهر العولمة تحتمل السلب والإيجاب وهي عطاءات التكنولوجيا و الحاسوب والاتصال و المعرفة ولكن سلبياتها كثيرة وخصوصاً في مجال القيم والدين لذلك يمكن الاستفادة من الايجابيات ورفض السلبيات. وفي دراسة الشكعة (٢٠٠٠) عن اتجاهات الطلبة في جامعة بيرزيت والنجاح نحو التحديث تبين أن اتجاهاتهم تميل الى السلبية حيث بلغت نسبة الرفض ٥٦,٥٪. وهذا يعني أن الطلبة يميلون الى رفض الأفكار الحديثة عن العولمة وغيرها وأن اتجاهاتهم تميل إلى النزعة الدينية المتعصبة وهذه تتفق مع نتائج هذه الدراسة.

المحور الثاني: الثقافة و العولمة

حسبت المتوسطات الحسابية و النسب المئوية و الانحرافات المعيارية ومستوى الموقف أو رأي لكل فقرة من فقرات المحور والدرجة الكلية كما هو مبين في الجدول "٤" كما أجاب عنها طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية.

الجدول (٤)

النسب المئوية للموافقين و المعتدلين و المعارضين و المتوسط الحسابي لكل من فقرات المحور الثاني من الثقافة والعولمة

الرقم	فقرات المحور الثاني	المتوسط	الانحراف المعياري	النسبة المئوية للموافقين على العبارة	النسبة المئوية للمعارضين على العبارة	مستوى الموقف من العولمة
٧	للعولمة تأثيرات إيجابية في ثقافتنا العربية	٢,٩٥	١,١٤	٤١,٠٪	٥٩,٠٪	محايد
٨	يمكن للعولمة ان تعزز هويتها الثقافية	٢,٩٨	١,٠٩	٤٠,٤٪	٥٩,٦٪	محايد
٩	تتوافق قيم العولمة مع القيم السلبية في تراثنا العربي	٣,٦٣	١,٠٢	٧٢,٦٪	٢٧,٤٪	معارض
١٠	العولمة تهدد لغتنا العربية و تهمشها	٣,٤٢	١,٠٧	٦٨,٤٪	٣١,٦٪	معارض
١١	تفرض العولمة نمط الثقافة الغربية على الشعوب العربية	٤,٠٢	٠,٩٨	٨٠,٤٪	١٩,٦٪	معارض
١٢	العولمة هي صورة من صور الغزو الثقافي للعام العربي	٤,٠٧	١,٠٨	٨١,٤٪	١٨,٦٪	معارض
١٣	تعكس العولمةارادة الهيمنة الامريكيةعلى المجتمعات العربية	٤,٠٣	١,٠٤	٨٠,٦٪	١٩,٤٪	معارض
١٤	تعد العولمة امتدادا لتأثير الحركة الصهيونية العالمية على الشعب العربي	٣,٦٩	١,١	٧٣,٨٪	٢٦,٢٪	معارض
١٥	تؤدي العولمة الى الشعور بالاغتراب الثقافي والفكري للمواطن العربي	٣,٨٠	١,٠٣	٧٦٪	٢٤٪	معارض
١٦	لا يمكن مواجهة العولمة بتجنبها و الانكفاء على ثقافتنا العربية	٣,٠٤	١,٢١	٦٠,٨٪	٣٩,٢٪	معارض
١٧	يمكن مجابهة العولمة عن طريق تأكيد الانتماء القومي العربي	٣,١٠	٠,٩٩	٦٠,٢٪	٣٩,٨٪	مؤيد
	الدرجة الكلية للمحور	٣,٥٢	١,٢٣	٧٠,٤٪	٢٩,٦٪	معارض

يبين الجدول (٤) ان موقف طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية من محور الثقافة و العولمة كان معارضا حيث ان ٧٠,٤٪ من افراد العينة وبانحراف معياري ١,٢٣ يعارضون العولمة. وكما هو مبين في الجدول فإن ٧٢,٦٪ يرون أن العولمة تتفق مع قيمنا السلبية، و ان ٨٠,٤٪ من الطلبة يعتبرون أنها تفرض نمط الثقافة الغربي على شعوب العربية، وأن

٤ , ٨١٪ من الطلبة يعدونها صورة من صور الغزو الثقافي، وأن ٨ , ٧٣٪ من الطلبة يعتبرونها امتدادا للحركة الصهيونية. وان ٧٦٪ من الطلبة يعتقدون انها تؤدي الى الشعور بالاغتراب الثقافي و الفكري للامة العربية. ويعتقد ٢ , ٦١٪ منهم أن افضل طريقة لمواجهة العولمة هو تأكيد الانتماء القومي العربي. وهذه الدراسة تختلف الى حد ما عن دراسة أسعد و محمد (٢٠٠٣) في أن للعولمة تأثيرا ايجابيا في ثقافتنا بنسبة ٤ , ٧٠٪ بينما في هذه الدراسة ٦ , ٢٩٪ والاتفاق في الدراستين على أن مواجهة العولمة يكون بتأكيد الانتماء القومي العربي. كذلك تتفق نتائج هذه الدراسة في غالبيتها مع المعارضين للعولمة في ان تاثير العولمة أكثر سلبية على ثقافتنا وكياننا العربي من إيجابياته. (التيزيني، ٢٠٠١، وطاهر ١٩٩٥، وحرب ١٩٩٣). ولكن هذا لا يعني رفض العولمة كما يرى المعارضون، وإنما الحد من سلبياتها والاستفادة من ايجابياتها بقدر الامكان، وهذا واضح في استجابة الطلبة عن سؤال ٧ و ٨ في أن للعولمة تأثيرات إيجابية، وأنها يمكن أن تعزز من هويتنا الثقافية والوطنية.

المحور الثالث – الدين و العولمة

حسبت المتوسطات الحسابية و النسب المئوية والانحرافات المعيارية ومستوى الموقف لكل فقرة من فقرات المحور والدرجة الكلية للمحور كما هو مبين في الجدول (٥) كما اجاب عنها طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية.

الجدول (٥) محور الدين و العولمة

الرقم	فقرات المحور الثالث	المتوسط	الانحراف المعياري	النسبة المئوية للموافقين على العبارة	النسبة المئوية للمعارضين على العبارة	مستوى الموقف من العولمة
١٨	تتعارض قيم العولمة مع الدين الاسلامي	٣,٧٠	١,٠٥	٧٤٪	٢٦٪	معارض
١٩	تضعف العولمة الوازع الديني الاسلامي عند الاطفال و الناشئة	٣,٧٩	٠,٩٩	٧٥,٨٪	٢٤,٢٪	معارض
٢٠	العولمة تهدد قيمنا الاسلامية	٣,٨٤	١,٠٤	٧٦,٨٪	٢٣,٢٪	معارض
٢١	تعد العولمة حركة معادية للدين	٣,٥٣	١,٠٢	٧٠,٦٪	٢٩,٤٪	معارض
٢٢	تعتبر الثقافة العربية الاسلامية غير محصنة ضد مخاطر العولمة	٢,٤٦	١,٠٢	٤٩,٢٪	٥٠,٨٪	متوسط أو محايد
٢٣	لا يمكن مواجهة العولمة بتعزيز التعليم الديني الاسلامي في التربية و التعليم	٣,٧١	٠,٩٦	٧٤,٢٪	٢٥,٨٪	معارض
٢٤	تتعارض العولمة مع عاداتنا و تقاليدنا العربية الاسلامية	٣,٨٠	.٩٥	٧٦٪	٢٤٪	معارض
٢٥	تشجع العولمة على التقليد الاعمى للحضارة الغربية بما يتنافى وقيمنا الاسلامية	٣,٩٧	١,٠٢	٧٩,٤٪	٢٠,٦٪	معارض
	الدرجة الكلية للموقف	٣,٥٩	١,٢١	٧١,٨٪	٢٨,٢٪	معارض

يبين الجدول (٥) أن موقف طلبة الدراسات العليا من موقف الدين و العولمة كان معارضا حيث أن ٧١,٨٪ من طلبة الدراسات العليا معارضون للعولمة وكان أكثرها نسبة ٧٩,٤٪ بأن العولمة تشجع على تقليد الحضارة الغربية، وبنسبة ٧٦,٨٪ بأن العولمة تهدد قيمنا الإسلامية، وأن ٧٦٪ يرون أنها تتعارض مع عاداتنا و تقاليدنا العربية والاسلامية، ويرى نسبة ٧٥,٨ من الطلبة بأن العولمة تضعف الوازع الديني الاسلامي عند الاطفال و الناشئة. وتعتقد نسبة ٤٩,٢٪ بأن الثقافة العربية الإسلامية غير محصنة ضد العولمة، وأن ٧٤,٢٪ يرون انه لا يمكن مواجهة العولمة بتعزيز التعليم

الديني الاسلامي . وهذه تختلف عن نتائج دراسة أسعد و محمد (٢٠٠٣) عن أعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت إلى النظر إلى العولمة على أنها لا تتناقض مع الدين ولا تهدد قيمه، وتتفق هذه الدراسة الى حد ما مع المعارضين لظاهرة العولمة في أن العولمة خطر على الدين و الهوية والمجتمع، وتؤدي بنا الى الشعور بالدونية والاغتراب والبعد عن قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا العربية والإسلامية . (التيويني، ٢٠٠١، عبد الله، ١٩٩٩، طاهر، ١٩٩٥، وحرب ١٩٩٣).

ثانيا: للإجابة عن السؤال الثاني هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية من رأي طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح نحو ظاهرة العولمة تعزى لمتغيرات (الجنس، و التخصص، والمستوى الدراسي، والحالة الاجتماعية، ومستوى دخل الأسرة، و الوضع الدراسي للطالب، وموقع السكن، والعمر)؟ وقد استخدم الباحثان اختبار "ت" واختبار تحليل التباين الاحادي للاجابة عن هذا السؤال ونتائج الجدول "٦" و "٧" تبين ذلك :

الجدول (٦)

نتائج اختبار "ت" لقياس دلالة الفروق بين موقف أو راي طلبة الدراسات العليا تبعا للمتغيرات المستقلة من ظاهرة العولمة

المتغير	المستوى	العدد	النسبة المئوية	المتوسط	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
الجنس	١. ذكور	٦٣	%٥٢.١	٣.٢٦	٠.٥٩	٢.١٧	*٠.٠٣
	٢.إناث	٥٨	%٤٧.٩	٣.٤٧	٠.٤٨		
التخصص	١. الكليات الانسانية	٧٤	%٦١.٢	٣.٤٦	٠.٦٢	١.٧٤	٠.٠٨
	٢. الكليات العلمية	٤٧	%٣٨.٣	٣.٢٩	٠.٤١		
المستوى الدراسي للطالب	١. اقل من ١٨ ساعة معتمدة	٦٧	%٥٥.٤	٣.٤٢	٠.٥٣	١.٤١	٠.١٦
	٢. اكثر من ١٨ ساعة معتمدة	٥٤	%٤٤.٦	٣.٢٨	٠.٥٨		
الحالة الاجتماعية	١. عَزب	٥١	٤٢.١	٣.٤٤	٠.٥٥	١.٣٨	٠.١٦٩
	٢. متزوج	٧٠	٥٧.٩	٣.٢٠	٠.٥٥		

تابع الجدول (٦)
العدد والنسبة المئوية والمتوسط والإنحراف المعياري للمتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة

	الفئة	العدد	النسبة	المتوسط	الإنحراف المعياري
مستوى دخل الأسرة	١. أقل من ٣٠٠ دينار	٣٥	%٢٨.٩	٣.٣٦	٠.٧٢
	٢. من ٣٠٠-٦٠٠ دينار	٥٨	%٤٧.٩	٣.٣٣	٠.٥٠
	٣. اكثر من ٦٠٠ دينار	٢٨	%٢٣.١	٣.٤١	٠.٤٩
وضع الطالب الدراسي	١. متفرغ للدراسة	٤٠	%٣٣.١	٣.٤٠	
	٢. غير متفرغ -- طالب يعمل اداري -- طالب تعلم -- طالب و عمل اخر	٤٣ ٢٨ ١٠	%٣٥.٥ %٢٣.١ %٨.٣	٣.٣٠ ٣.٤٦ ٣.١٦	٠.٧٩ ٠.٥٨ ٠.٦٨
موقع السكن	١. مدينة	٦٤	%٥٢.٩	٣.٤٨	٠.٤٥
	٢.قرية	٤٩	%٤٠.٥	٣.٢٤	٠.٦٥
	٣.مخيم	٠٨	%٦.٦	٣.١٦	٠.٤٧
العمر	١. أقل من ٢٥ عاما	١٣	%١٠.٧	٣.٣١	٠.٤٧
	٢. من ٢٥-٣٥ عاما	٦٧	%٥٥.٤	٤.٤٠	٠.٦٠
	٣. اكثر من ٣٥ عاما	٤١	%٣٣.٩	٣.٣٠	٠.٤٨

يتضح من الجدول ما يأتي :

١ . انه يوجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠٥, ٠) بين الذكور و الاناث حيث كانت قيمة "ت" ١٧ , ٢ وهي دالة احصائيا عند مستوى أقل من (٠٥, ٠) وبما ان متوسط الاناث أعلى فهن أكثر رفضاً لظاهرة العولمة من الذكور، وقد يعود ذلك الى ان الطالبات العربيات لا تزال أكثر محافظة من الطلاب وأكثر تديناً وانغلاقاً لذلك كن أكثر معارضة من الذكور لظاهرة العولمة .

٢ . بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مستويات متغيرات (التخصص، والمستوى الدراسي للطالب، والحالة الاجتماعية) في موقفهم أو رأيهم تجاه ظاهرة العولمة مع العلم أنهم يعارضون ظاهرة العولمة، ويرونها تضر بالثقافة العربية والدين الإسلامي وقد يعود ذلك الى أن مجتمعنا ما يزال مجتمعا متدينا ومنغلقا وفكرة العولمة ظاهرة لا تزال غريبة عليه، وتعني سيطرة العالم الغربي وخاصة أمريكا واسرائيل وهيمنته على الشعب العربي .

الجدول (٧)
نتائج اختبار التباين الاحادي لدلالة الفروق بين رأي طلبة الدراسات العليا تبعا للمتغيرات المستقلة من ظاهرة العولمة

المتغير	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجة الحرية	متوسط الانحرافات	ف المحسوبة	مستوى الدلالة
مستوى دخل الاسرة	بين المجموعات	٠.١٢٣	٢	٠.٦٢	٠.١٩٨	٠.٨٢
	داخل المجموعات	٣٦.٦٠٥	١١٨	٠.٣١		
	المجموع	٣٦.٧٢٨	١٢٠			
وضع الطالب الدراسي	بين المجموعات	٠.٨٩٧	٣	٠.٢٩٩	٠.٩١٦	٠.٤٠٦
	داخل المجموعات	٣٥.٨٣١	١١٧	٠.٣٠٦		
	المجموع	٣٦.٧٢٨	١٢٠			
موقع السكن	بين المجموعات	٢.٠٩٨	٢	١.٠٤٩	٣.٦٨	٠.٠٣١*
	داخل المجموعات	٣٤.٦٣٠	١١٨	٠.٢٩٣		
	المجموع	٣٦.٧٢٨	١٢٠			
العمر	بين المجموعات	٠.٣١٤	٢	٠.١٥١	٠.٥١٠	٠.٦٠٢
	داخل المجموعات	٣٦.٤١٤	١١٨	٠.٣٠٩		
	المجموع	**٣٦.٧٢٨**	**١٢٠**			

يتبين الجدول (٧) أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين مستويات متغيرات مستوى دخل الأسرة، ووضع الطالب الدراسي والعمر في رأي طلبة الدراسات العليا من ظاهرة العولمة بينما توجد فروق تعود الى متغير السكن. ولمعرفة لمن هذه الفروق الاحصائية استخدم اختبار (LSD) لقياس دلالة هذه الفروق.

الجدول (٨)
يبين نتائج اختبار (LSD) لقياس دلالة الفروق البعدية
على موقف أو رأي طلبة الدراسات العليا من ظاهرة العولمة تبعا لمتغير السكن

مكان السكن	مدينة	قرية	مخيم
مدينة		*-٠,٢٣٩	٠,٣٦٦
قرية			-٠,١٢٧
مخيم			

يتضح من الجدول (٨) أن الفروق كانت دالة احصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في راي طلبة الدراسات العليا نحو ظاهرة العولمة تبعا لمتغير مكان السكن بين مستوى مدينة و قرية و لصالح مستوى القرية، بينما لم تكن المقارنات الاخرى دالة إحصائيا، وهذا يعني أن طلبة القرى أكثر رفضا لمبدأ العولمة من طلبة المدن و المخيمات وقد يعود ذلك لأنهم أكثر تمسكا بالعادات و التقاليد وأكثر محافظة من سكان المدن و المخيمات.

السؤال الثالث: للإجابة عن السؤال الثالث "أذكر أهم ثلاثة تأثيرات إيجابية لظاهرة العولمة على المواطن العربي إذا كان لها إيجابيات؟"

بلغ عدد من اجابوا عن هذا السؤال المفتوح (٦٣) من افراد عينة الدراسة ويشكلون ما نسبته ٤٨,٤٪ وصنفت الاستجابات الايجابية لظاهرة العولمة حسب أهميتها الى ما يأتي:

١) ساعدت على التقدم العلمي و الالكتروني و خاصة في مجال الاتصالات ما أدى إلى تقدم المواطن العربي الفكري و الثقافي ورقيه.
٢) توفير سهولة الاتصال بين المجتمعات العربية مع بعضها وغيرها من مجتمعات العالم مما أدى إلى تبادل الخبرات و المعلومات في جميع المجالات.

٣) وفرت ثروة معلوماتية هائلة تدفقت إلينا من جميع أنحاء العالم بيسر و سهولة ودون قيود ما يساعد في تطور مجتمعاتنا و تقدمها و حل مشكلاتها الاقتصادية و البيئية والاجتماعية و التربوية . . . . . الخ .

٤) زيادة وعي المواطن العربي في أهمية الفكر الديموقراطي وحقوق الانسان، و الشورى واعتبارها أحد معايير الحكم على مدى تقدم الدول في العالم .

٥) إتاحة الفرصة للدول المتأخرة في الوطن العربي من الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في مجالات التكنولوجيا والبحث العلمي والتجارة و الاتصالات .

٦) الانفتاح الفكري للمواطن العربي على الثقافة الغربية و على حضاراتها و قيمها الإيجابية والسلبية .

٧) وضع المواطن العربي وقيادته أمام تحدي الغرب في مجال التطوير السياسي والاقتصادي و الاجتماعي و التكنولوجي .

٨) زيادة وعي المواطن في مطالبته بحقوق المواطن العربي من قيادته في جميع المجالات العلمية والتعليمية والسياسية و الضمان الاجتماعي . . . . وغيرها .

وأخيرا بين ٥ ,٢٧٪ من أفراد العينة أنه لا يوجد أي آثار إيجابية للعولمة على المواطن العربي .

للاجابة عن السؤال الرابع : أذكر أهم ثلاث سلبيات لظاهرة العولمة على المواطن العربي إذا كان لها سلبيات؟

بلغ عدد الذين أجابوا عن هذا السؤال " ٨١ " من أفراد عينة الدراسة ويشكلون ما نسبته (٨ ,٦٢٪) و صنفت الاستجابات السلبية لظاهرة العولمة حسب أهميتها تقريبا الى ما يأتي :

١) تعد غزوا اقتصاديا وثقافيا وحضاريا باتجاه واحد ما يجعل المواطن العربي يشعر بالدونية والتبعية .

٢) تعد تشويها ليس للفكر فحسب، وانما للبيئة، وتعد كذلك استنفادا للموارد الطبيعية العربية و استغلالها من الغرب .

٣) مساهمة تكنولوجيا المعلومات في المعلومات في زيادة الهوة بين العالم الصناعي المتقدم والدول العربية النامية مما يزيد من مشكلات المجتمع العربي .

٤) بروز جرائم و الصاقها بالعرب و المسلمين ومن أهمها الإرهاب الدولي وأن المسلمين إرهابيون وغير متحضرين .

٥) ومحاربة الإسلام و القومية العربية و القيم و العادات والتقاليد العربية والإسلامية .

٦) سيادة نظام تقوده دولة واحدة وهي ضد العرب و الاسلام وبهذا تتحكم باقتصاديات العالم العربي وحركته السياسية .

٧) بروز الثقافة الغربية لتصبح نموذجا للثقافة العربية .

٨) عولمة التربية والسيطرة على المناهج العربية بما يخدم المصالح الغربية و الإسرائيلية .

٩) محاربة اللغة العربية من خلال تشجيع اللغات البربرية والكردية والتداول باللغة الانجليزية أو الفرنسية في بعض الدول العربية .

١٠) العولمة تؤدي الى خلق ثقافة اتكالية في الوطن العربي ثقافة العطاء والهبات، والدعم المجاني، والتمويل الخيري .

للإجابة على السؤال الخامس:

أذكر ثلاث طرق أو اساليب تحد من الآثار السلبية لظاهرة العولمة على المواطن العربي؟

أجاب عن هذا السؤال " ٥٢ " من أفراد عينة الدراسة و يشكلون ما نسبته ٣, ٤٠٪ وصنفت الاستجابات حسب أهميتها تقريبا الى ما يأتي :

١) توعية المواطنين عبر وسائل الاعلام بأشكالها المختلفة بسلبيات العولمة و بآثارها على المواطنين والدين و اللغة و الحضارة العربية و القيم .

٢) توفير مساقات تعليمية دراسية في المدارس و الجامعات عن العولمة ومساوئها على المواطن العربي .

٣) تعزيز الوحدة الاقتصادية و السياسية للوطن العربي وما يترتب على ذلك من تنمية أحساس الطلبة بالشعور القومي العربي .

٤) محاربة الفساد و الرشوة و الترهل الاداري في المؤسسات العربية .

٥) تعزيز الانتماء القومي العربي و التمسك بالعادات و التقاليد و القيم الدينية العربية والإسلامية .

٦) الاهتمام بتطوير التعليم الجامعي وتحسين مستواه العلمي و الثقافي ومردوده المادي والاقتصادي .

٧) تعزيز دور الاسرة في مجابهة سلبيات العولمة من خلال الندوات الثقافية والمحاضرات وورشات العمل .

٨) مساهمة المواطنين و الشركات في دعم التعليم الجامعي و البحث العلمي .

٩) تطوير المناهج المدرسية وتحديثها وتحسين مستوى الاستاذ المدرسي علميا و ماديا .

١٠) تنمية إحساس الطلبة بالغيرية والاعتماد على الذات وحب الوطن و الاخلاص في العمل .

باختصار يرى الباحثان ان هناك تبايناً في رأي الطلبة تجاه ظاهرة العولمة ولكن يمكن إجمال أهم النتائج فيما يأتي :

١ . رأى غالبية أفراد العينة ٨٠٪ فأكثر أن العولمة تفرض نمط الحياة الغربية و هي صورة من صور الغزو الثقافي وتعكس إرادة الهيمنة الامريكية على الشعب العربي .
٢ . رأى غالبية أفراد العينة ٧٤٪ فأكثر أن العولمة تتعارض مع قيم الدين الاسلامي ، وتضعف الوازع الديني ، وتتعارض مع عاداتنا و تقاليدنا ، وتشجع على التقليد الاعمى للحضارة الغربية ، وتضعف الوازع الديني عند الاطفال .
٣ . رأى (٦١ , ٢) أن مواجهة العولمة تكون بتأكيد الانتماء القومي العربي وكذلك رأى ٦٠ , ٨٪ أن لا يمكن مواجهة العولمة بتجنبها و الانكفاء على ثقافتنا العربية .
٤ . رأت الغالبية أن العولمة ظاهرة تحتمل السلب والايجاب فمن سلبياتها هو خلق ثقافة اتكالية والهيمنة الامبريالية والصهيونية على اللغة والدين والعادات والتقاليد مما جعلت المواطن العربي يشعر بالاغتراب و الدونية . أما من إيجابياتها فقد ساعدت على التقدم العلمي والتكنولوجي والإلكتروني وخاصة في مجال الاتصالات .
٥ . رأت الغالبية أنه يمكن الحد من الآثار السلبية لظاهرة العولمة وذلك عبر توعية المواطنين ، وتعزيز الوحدة الاقتصادية ، وزيادة الانتماء وتطوير التعليم المدرسي والجامعي في الوطن العربي .

التوصيات:

١ . توعية الطلبة و المواطنين عبر وسائل الاعلام المختلفة حول ايجابيات العولمة و سلبياتها وتأثيرها على المواطن و على اللغة العربية و الدين الاسلامي و الحضارة العربية .

٢ . إعداد مواضيع تعليمية في المنهاج المدرسي في المراحل الدراسية المختلفة عن العولمة و آثارها الايجابية وعلى الطلبة .

٣ . توفير مساقات تعليمية إجبارية أو اختيارية عن العولمة وحقوق الانسان و الديموقراطية وغيرها في الجامعات .

٤ . إعداد ورشات عمل للشباب في النوادي و الجامعات و المؤسسات و المراكز الاجتماعية حول مفهوم العولمة و آثارها الايجابية و السلبية على الشباب العربي .

٥ . تكوين مفهوم إيجابي للمواطن العربي عن تاريخه و حضارته و شعبه و لغته و دينه يعتز بها أمام غيره ومحاربة الافكار السلبية التي تقلل من قيمه و كرامة الانسان العربي و أخلاقه العربية و الاسلامية .

٦ . إجراء دراسات على طلبة الجامعات و المدراس و المعلمين و اعضاء هيئة التدريس في الجامعات لبيان أثر العولمة عليهم و على الثقافة و اللغة و الدين الاسلامي و اقتراحاتهم لتحسين آثارالعولمة و الحد من سلبياتها .

المراجع:

- أبو حلاوة، كريم. الاثار الثقافية للعولمة و حظوظ لخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة، عالم الفكر، . العدد الثالث، المجلد ٢٩، يناير / مارس (٢٠٠١)، ص. ص: ١٧١-٢٠٢.
- أسعد، وطفة، و محمد، عبد الغفور. الثقافة العربية الاسلامية إزاء تحديات العولمة و فرصها أراء عينة من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكويت، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد ٤١، لبريل و نيسان (٢٠٠٣)، ص. ص: ١٠١-١٥٧.
- التبزيني، الطيب الواقع العربي و الالفية الثالثة، ضمن ندوة حوارات في الفكر والواقع العربي وتحد يات الالفية الثالثة، مراجعة وتدقيق ناصيف نصار، مؤسسة عبد الحميد شومان العدد ٣ عمان (٢٠٠١) ص. ص: ١٧-٤٢
- الحارثي، محمد بن مريسي، في مركزية الثقافة العربية، المؤتمر العلمي الرابع (١٩٩٩).
- حجازي مصطفى. العولمة و التنشئة المستقبلية، مجلة العلوم الانسانية، جامعة البحرين، العدد ٢، صيف (١٩٩٩)، ص. ص: ١٨-٤٧.
- حرب، علي. غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، الفكر العربي، عدد ٧٤(١٩٩٣)، ص. ص٦٣-٧٨، الكويت.
- حنفي، حسن الدين. الثقافة والسياسة، والوضع الفكري الراهن، دار قباء القاهرة (١٩٩٨).
- حنفي، حسن، الثقافة العربية بين العولمة بين العولمة و الخصوصية، اوراق المؤتمر العلمي الرابع، منشورات في جامعة فلادلفيا، الاردن (١٩٩٩).
- حنفي، حسن، دراسة التاريخ و الوعي بالتاريخ في هموم الفكر و الوطن. الجزء الاول، دار قباء القاهرة (١٩٩٨).
- الخياري، عبد الله التعليم و تحديات العولمة، فكر ونقد، عدد ١٢، السنة الثانية، أوكتوبر (١٩٩٨)، ص. ص: ٤٥-١٣٥.
- الرميحي، محمد. ثمن العولمة، البيان (مجلة الكترونية)، الثلاثاء مايو (٢٠٠٠).
- الشكعة علي. اتجهات الطلبة لدى جامعتي النجاح و بيرزيت. فلسطين نحو التحديث. مجلة جامعة النجاح الوطنية للابحاث (ب) العلمو الانسانية. المجلد ١٤، العدد ٢،

حزيران (٢٠٠٠).

- طاهر، مسعود. خصوصية الثقافة في مواطن الثقافة الكونية. العربي، مايو العدد ٤٣٨(١٩٩٥) ص. ص: ٥٨-٦٢.
- عبد الله، عبد الخالق. العولمة جذورها و فروعها و كيفية التعامل معها، عالم الفكر، الكويت المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، ديسمبر (١٩٩٩)، ص. ص: ٧٩-٨٠.
- علوان، حسين، العولمة و الثقافة العربية، المؤتمر العلمي الرابع (١٩٩٩)
- غلبون، برهان العرب وتحديات العولمة الثقافية مقدمات في عصر التشرد الروحي، المستقبل العربي، العدد ١٢١، تموز (١٩٩٧).
- المناصرة، عز الدين، العولمة و الهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الاداب والفنون منشورات (١٩٩١)، جادة فيلادلفيا. الاردن.
- يسين السيد، العولمة فرص ومخاطر تحرير د. شبل بدران، بيرزيت للنشر و المعلومات، الطبعة الاولى القاهرة (٢٠٠٠) ص: ٢٠.
- يكن فتحي. العولمة الحقيقية والابعاد، مؤتمر كلية الشريعة الثامن، بعنوان (برامج استرتيجية المشروع الاسلامي في مطلع القرن القادم) الكويت، نوفمبر (١٩٩٩)، م. ص٣.

المراجع الاجنبية:

- Daverr,F.g Manasse, PSerra, D. The Twin effects Of globalization, World bank Researeh (HYPERLINK “http://www.econ.worldbanck.org” www.econ.worldbanck.org), 2003.
- Huntington, Clash of Civilization. London: Touchstone Books, 1996. pp.27-30.

المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى طلبتها

د. محمود أحمد أبوسمرة*

د. محمد عبدالإله الطيطي**

---

* أستاذ مساعد، قسم التربية، الدراسات العليا، جامعة القدس، القدس، فلسطين.

** أستاذ مساعد، دائرة التخطيط، جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة واقع المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين، وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى طلبتها، كما هدفت إلى معرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى (α=٠٥ , ٠) في درجات كل من المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز التي تعزى إلى متغيرات: الجامعة والجنس والكلية. ولتحقيق ذلك استخدم الباحثان المقاييس اللازمة وتأكدوا من صدقها وثباتها بالطرق الإحصائية والتربوية، وقاموا بتطبيقها على عينة طبقية عشوائية مكونة من (٦٤٢) طالب وطالبة، من طلبة مستوى السنة الثالثة في جامعات الضفة الغربية في فلسطين (جامعة بيرزيت، جامعة القدس، جامعة بيت لحم، جامعة الخليل) وذلك خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (٢٠٠٣-٢٠٠٤م).

وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين، ودرجة دافعية الإنجاز لدى طلبتها كانت " متوسطة "، وان هناك فروقا دالة إحصائيا عند مستوى (α=٠٥ , ٠) بين متوسطات درجات المناخ الجامعي وكذلك درجات دافعية الإنجاز، تعزى لمتغير الجامعة، في حين كانت الفروق بين المتوسطات غير دالة إحصائيا حسب متغيري الجنس والكلية، كما أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز. وفي ضوء نتائج الدراسة أوصى الباحثان بمجموعة من التوصيات المتعلقة بنتائج الدراسة.

Abstract:

This study aims at identifying the common nature of a university climate in the West Bank universities and its relation to the achievement and students' motivation. In addition, it aims at identifying the statistical differences at level (α =0.05) in each of the university climate and achievements' motivation which can be resulted from variables like university, gender, and faculty.

The measurements were applied on a random sample which consisted of (642) third year students during the academic year (2003 -2004).

The study showed that the reality of the university climate and the achievement motivation of the students have been in the middle level. Statistical significant differences at level (0.05= α) were found due to university climate variable. However, no significant statistical differences were found due to gender and faculty variables. Also, the researchers found that there is a joint relation of statistical significance at level (0.05= α), between the university climate and the achievement motivation.

مقدمة:

يعتبر التعليم العالي من الأدوات الأساسية التي تسهم في تأصيل هوية المجتمع وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل معا، وهو ضمان التطور السليم للأمة في مسيرتها نحو أهدافها في مختلف ميادين الحياة وهو السبيل الأكيد لإعداد القوى البشرية المتخصصة التي تخطط لنمو المجتمعات وتقدمها.

وتعتبر الجامعة إحدى أهم مؤسسات المجتمع على تنوعها فهي التي تعلم وتبحث، وتنشىء جيلا بعد جيل، وتبني مدنية، وتعطي المجتمع وتأخذ منه، وتسارع دوما للبحث عن حلول لمشكلاته، لا بل تفكر فيها قبل أن تحل بالمجتمع.

والجامعة مؤسسة تضم بين طياتها شريحة مهمة من شرائح المجتمع، هي شريحة الشباب التي تعد من اكبر شرائح المجتمع، والشباب أهم قوة بشرية لأي مجتمع من المجتمعات، فهم مصدر الطاقة والتجديد والإنتاج، ولهذا تعمل الدول على توفير المؤسسات التربوية والاجتماعية لإعدادهم الإعداد المناسب الذي يؤهلهم لاستلام زمام المسؤولية، والمشاركة في عملية تحقيق حاجات الأمة وتطويرها نحو الأفضل.

ويرى كل من الزوبعي والسامرائي(١٩٩٣) أن حجم هذه الشريحة والسمات والخصائص التي تتسم بها والمهمات التي تنتظرها، تجعل منها عنصرا مهما من عناصر بناء المجتمع، ففيها تتمثل كل عناصر النهوض وتطور المجتمع، والوعي بالحقوق والواجبات والاعتماد على هدى العقل والضمير في مواجهة مشكلات الحياة، ويتمثل في هذه الشريحة الأصالة والتمسك بالقيم، وتقبل التغيير والسعي إلى ابتكار وسائله وأساليبه.

وتعتبر مرحلة الشباب الجامعي مرحلة مهمة في تكوين الشخصية، وعليه فان ما يتعرض له الفرد في هذه المرحلة من ضغوطات وصدمات سلبية، تترك أثرا سلبيا في بنيته الشخصية، بحيث تظهر في شكل اضطرابات نفسية، مثل: الشعور بالنقص، وفقدان الثقة بالنفس، والإحباط والخوف على تحصيله الجامعي، إضافة إلى تشويش تفكيره في مختلف القضايا التي تواجهه سواء في الحياة الدراسية، أو في مجمل الحياة التي يحياها (سعادة وزامل وأبو زيادة، ٢٠٠٢).

والمهمات التي أوكلت إلى الشباب لايمكن تحقيقها إلا ببناء الشخصية بناء سليما تتمثل فيه القيم الرفيعة والاتجاهات الايجابية، ومثل هذا البناء يتطلب جهودا مشتركة من المؤسسات التربوية، ويتطلب فترة زمنية ليست بالقصيرة، كما يتطلب وعيا وإدراكا بقيمة الوسائل التي تتبع في بناء الشخصية وأهميتها.

والبيئة الجامعية ليست مكانا لتعليم المهارات الأكاديمية فحسب، وإنما هي مجتمع مصغر يتفاعل فيه الأعضاء، يؤثر بعضهم في بعض، فالعلاقات الاجتماعية بين الطلبة والمعلمين، وبين الطلبة أنفسهم تؤثر تأثيرا كبيرا في الجو الاجتماعي الجامعي، وهذا يؤثر بدوره في نواتج التعليم، ولذلك يجب توفير الوسائل والإمكانيات اللازمة لتهيئة المناخ المناسب للطلبة.

فنجاح العملية التربوية في الجامعات يرتبط بمتغيرات عديدة من شانها أن تسهم في تحقيق النجاح المنشود، فأداء الجهاز الإداري والأكاديمي ونوع العلاقات بين العاملين، وما تقدمه الجامعة لطلبتها من مستلزمات الحياة الجامعية، سواء أكان على المستوى الأكاديمي أم كان على المستوى الإداري و ألخدماتي، كل هذا يساعد على إيجاد "المناخ التنظيمي" " الجامعي" الصحي الذي يرضى عنه أفراده وترتفع منه روحهم المعنوية ودافعيتهم للإنجاز، ويزيد عطاؤهم وترتفع إنتاجيتهم.

ومصطلح المناخ التنظيمي تعبير مجازي أطلق على مكان العمل باعتبار التنظيم كياناً مؤسسياً يتفاعل مع البيئة المحيطة (المغربي، ١٩٩٥). وتشير المسند(١٩٩٤) إلى ان (Cornell) هو أول من استخدم مصطلح المناخ التنظيمي، ويعرف المغربي(١٩٩٥) المناخ التنظيمي بأنه مجموعة من الخصائص التي تميز بيئة المؤسسة التي يعمل بها الفرد فتؤثر على قيمه وسلوكه واتجاهاته وادراكاته، في حين يعرف الزوبعي والسامرائي(١٩٩٣) المناخ الجامعي(بالنسبة للطلبة) بأنه الجو الجامعي الذي يحيط بالطلبة وماله علاقة بالتأثير في شخصياتهم، ويتمثل في المناهج وأساليب التدريس والإدارة والعلاقات بين الطلبة وبينهم وبين الأساتذة ومجموعة النشاطات العلمية والأدبية والرياضية والترفيهية التي توفرها الجامعة.

وللمناخ الجامعي عناصره وأبعاده، التي بمجموعها وخصائصها، تشكل نمطا خاصا لمناخ الجامعة أو المؤسسة ومنها: نمط القيادة والإشراف، والمشاركة في اتخاذ القرارات، ونمط الاتصالات، والهيكل التنظيمي (القريوتي، ١٩٩٧، والمغربي، ١٩٩٥).

ولكل جامعة أو مؤسسة شخصيتها المستقلة التي تتميز بها من خلال مناخها الجامعي، هذا المناخ الذي يعمل على تحقيق أهداف الجامعة وله الأثر الناجع في استقرارها وجذب الكفاءات العلمية والإدارية إليها أو التسرب منها، ومن خلاله يشعر الطلبة بخصوصية جامعتهم وعطائها المميز وتفاعلها مع مشكلاتهم وعملها الدؤوب في سبيل الوصول بطلبتها إلى الحد الأسمى من مستوى الطموح. وأشارت العديد من الدراسات في هذا المجال(شهاب، ١٩٩٢، وطعامنة، ١٩٩٦، ونيول، ١٩٩٣) إلى عدد من العوامل التي لها علاقة بنجاعة المؤسسات وجودة مخرجاتها من أهمها الجو السائد في هذه المؤسسات.

والمناخ الجامعي ليس قدرا محتوما على الجامعات لا يمكن تطويره أو تحسينه أو تغييره، بل هو من الأمور الممكنة إذا توفرت الإرادة والإمكانيات. صحيح أن الأمر ليس سهلا، لان المناخ الجامعي يرتبط بعوامل وعناصر قد تكون خارجة عن إرادة الجامعة، ولكن الأمر ليس مستحيلا في جميع الأحوال. فالتفكير بواقع المناخ الجامعي وتلمس السبل والوسائل القادرة على الرقي بهذا الواقع لما هو أفضل، هو من سجايا القيادة. وهناك العديد من المجالات التي يمكن لإدارات الجامعات أن تعمل فيها لتحسين المناخ الجامعي وتطويره، سواء من وجهة نظر الطلبة أو العاملين ومنها: كفاءة الجهاز الإداري والأكاديمي، والتعامل مع الطلبة على اعتبار أنهم أمانة وأمل من خلال الرعاية والتوجيه والتحفيز، والاهتمام بالمناهج التعليمية والتربوية لتتناغم مع احتياجات المجتمع وقيمه، وإطلاق الطاقات المبدعة ورعايتها بخاصة.

ومن المؤكد أن إهمال هذه العناصر وغيرها يعتبر من موجبات تشكل المناخ الجامعي المغلق والذي لا يساعد على تأدية الجامعات لرسالتها المنشودة، وبالتالي سينخفض تقدير الطلبة والعاملين لمناخ مؤسساتهم التعليمية، وكذلك انتماؤهم وعطاؤهم لها، مما قد يؤثر على دافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى الطلبة.

لهذا يعتبر الاهتمام بالمناخ الجامعي والعمل على تطويره وتحسينه، لأنه ليس قدرا على الجامعات، أمرا ضروريا، ليس لارتباطه بمتغيرات تتعلق بالطلبة(أدائهم، وروحهم المعنوية، و دافعيتهم للإنجاز، و مستوى الطموح لديهم) بل أيضا لارتباطه بالعاملين في الجامعة، لأنه يحقق لهم الرضا الوظيفي، والدافعية، والنجاعة في الأداء.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتمحور مشكلة الدراسة حول واقع المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى طلبتها، وذلك لما لهذين المتغيرين من أهمية في حياة الطالب الجامعي، الحاضرة والمستقبلية، وضرورة الاهتمام بهما لإيجاد جيل من الشباب، قادر على العطاء والإبداع، وعلى خدمة أمته ووطنه، في أجواء تسودها العلاقات الإنسانية بين الطلبة وجامعاتهم. وحاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما درجة المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين كما يراها طلبتها؟
٢. ما درجة دافعية الإنجاز لدى طلبة الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية في فلسطين؟
٣. هل تختلف درجات كل من المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز باختلاف متغيرات الدراسة(الجامعة، والجنس، والكلية) ؟
٤. هل توجد علاقة ارتباطية بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز لدى طلبة

جامعات الضفة الغربية في فلسطين؟

فرضيات الدراسة:

وقد انبثقت الفرضيات الصفرية الآتية من السؤالين الأخيرين :

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(α=٠٫٠٥) في درجاتالمناخ الجامعي تعزى لمتغير الجامعة .

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى α=٠٫٠٥ في درجاتالمناخ الجامعي تعزى لمتغير الجنس .

٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى α=٠٫٠٥ في درجاتالمناخ الجامعي تعزى لمتغير الكلية .

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى α=٠٫٠٥ في درجات دافعية الإنجاز تعزى لمتغير الجامعة .

٥- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى α=٠٫٠٥ في درجات دافعية الإنجاز تعزى لمتغير الجنس .

٦- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى α=٠٫٠٥ في درجات دافعية الإنجاز تعزى لمتغير الكلية .

٧- لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا عند مستوى α=٠٫٠٥ بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها :

١- تتعامل مع شريحة عمرية مهمة من حياة الإنسان ألا وهي مرحلة الشباب، لا بل مرحلة الشباب الجامعي، وهي مرحلة النضج والبناء .

٢- تدرس متغيرات في غاية الأهمية وتتمثل في : المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز لدى طلبة جامعات الضفة الغربية .

٣- من الدراسات الرائدة في هذا المجال، ولعلها الأولى حسب علم الباحثين، التي تتناول متغيري المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز في الجامعات الفلسطينية .

٤- تقدم بيانات كمية وكيفية للقائمين على الجامعات الفلسطينية لتعزيز الجوانب الايجابية ومحاولة التغلب على الجوانب السلبية في جامعاتهم فيما يتعلق بالمناخ الجامعي بالذات لدوره المهم في العملية التعليمية التعلمية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة درجة المناخ الجامعي في الجامعات الفلسطينية، وكذلك درجة دافعية الإنجاز لدى طلبتها، كما تهدف إلى معرفة اثر متغيرات الدراسة على كل من المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز، إضافة إلى ذلك تحاول الدراسة معرفة العلاقة بين درجة المناخ الجامعي ودرجة دافعية الإنجاز. وستكون النتائج التي ستخلص إليها الدراسة، إن شاء الله، عاملا مساعدا لراسمي السياسات التربوية ومتخذي القرار في الجامعات الفلسطينية، لتعزيز الجوانب الايجابية في جامعاتهم ومحاولة حصر الجوانب السلبية في حدها الأدنى.

الدراسات السابقة:

قام الطواب (١٩٩٠ م) بدراسة أثر تفاعل مستوى دافعية الإنجاز والذكاء والجنس على التحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة وطالباتها، كما هدفت الدراسة إلى معرفة الفروق في التحصيل الدراسي عند كل من الطلبة والطالبات نتيجة اختلاف مستويات الدافعية للإنجاز.

وأظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الطلبة والطالبات في دافعية الإنجاز، كما أظهرت نتائج الدراسة أن لدافعية الإنجاز تأثيراً رئيسياً بالنسبة للتحصيل الدراسي، أي أن تأثير دافعية الإنجاز المرتفع في التحصيل الدراسي يختلف بصورة دالة إحصائيا عن تأثير الدافعية المنخفضة للإنجاز.

وسعى الرفاعي (١٩٩٤) في دراسته لمعرفة أثر المناخ التنظيمي في كليات المجتمع الأردنية على تحصيل الطلبة في امتحان دبلوم كليات المجتمع، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل الطلبة في بعض التخصصات تعزى لنمط المناخ السائد في الكلية ولصالح النمط المفتوح، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود اثر لمتغير الجنس على نمط المناخ التنظيمي السائد في الكلية.

وركزت دراسة العمر (١٩٩٥) على مدى توفر الدافعية الداخلية والخارجية نحو التدريس

عند طلبة كلية التربية بجامعة الكويت، إضافة إلى أثر بعض المتغيرات المستقلة (كالجنس، والتخصص، والوحدات المجتازة والمعدل) على هذين المتغيرين.

وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات الذكور ودرجات الإناث في متغير الدافعية الداخلية لصالح الإناث، كما تبين أن طلبة التخصصات العلمية يفوقون طلبة التخصصات الأدبية في الدافعية الداخلية، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين طلبة التخصصات العلمية والتخصصات الأدبية في متغير الدافعية الخارجية.

وأجرى المحبوب(١٩٩٧) دراسة بعنوان "المناخ الأكاديمي كما يدركه الطلبة والطالبات في مستويات دراسية وتخصصات أكاديمية في كلية التربية بجامعة الملك فيصل" .

وأظهرت نتائج الدراسة أن إدراك المناخ الأكاديمي في الجامعة لا يختلف باختلاف كل من الجنس والمستوى الدراسي، في حين اختلف إدراك المناخ الجامعي باختلاف متغير التخصص الأكاديمي.

كما قام الحوسني(١٩٩٨). بإجراء دراسة هدفت إلى معرفة المناخ الصفي كما يراه طلبة السنة الرابعة في جامعة السلطان قابوس وعلاقته بالتحصيل الدراسي، وأظهرت نتائج الدراسة أن أبعاد المناخ الصفي مجتمعة تسهم في التحصيل الدراسي، كما أظهرت النتائج أن معاملات الارتباط بين كل من أبعاد المناخ المركز على التعليم واهتمام عضو هيئة التدريس بالطلبة والمناخ غير الودي والحزم الأكاديمي، والبيئة التنظيمية، والتحصيل الدراسي عند الإناث أعلى منه عند الذكور، أما بالنسبة لبعد الانتماء فقد كان معامل الارتباط أعلى عند الذكور منه عند الإناث.

في حين هدف عبابنه (١٩٩٩) من خلال دراسته حول دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة اليرموك وعلاقتها ببعض سمات الشخصية إلى معرفة أثر بعض السمات في مستوى دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة اليرموك.

وأظهرت نتائج الدراسة أن مستوى دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة اليرموك يقع ضمن المستوى المتوسط، كما أظهرت النتائج عدم وجود أثر ذي دلالة إحصائية لمتغير الجنس والكلية والمرحلة الجامعية في مستوى دافعية الإنجاز، فيما وجد فرقاً ذا دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطلبة في مستوى دافعية الإنجاز تعزى إلى المستوى الأكاديمي ولصالح المستوى الأكاديمي جيد جدا فما فوق.

أما الصافي (٢٠٠١) في دراسته " المناخ المدرسي وعلاقته بدافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية وطالباتها بمدينة أبها" ، فقد هدف إلى معرفة طبيعة العلاقة

بين المناخ المدرسي السائد في المدرسة الثانوية وبين دافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى عينة من الطلبة، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى (٠,٠١) بين متوسطات درجات طلبة المدارس ذات المناخ المدرسي المفتوح ومتوسطات درجات طلبة المدارس ذات المناخ المدرسي المغلق في دافعية الإنجاز ومستوى الطموح لصالح طلبة المدارس ذات المناخ المدرسي المفتوح.

وحاول عابدين وأبو سمرة (٢٠٠١) معرفة درجة تقييم أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس للمناخ التنظيمي السائد فيها، والمتمثل في المجالات الستة: الأسلوب الإداري والقيادي، والعلاقات والاتصالات، واتخاذ القرارات والصلاحيات، والإجراءات والسياسات، والتقدم والنمو المهني، وحوافز العمل. وأشارت نتائج الدراسة إلى ان تقييم أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس للمناخ التنظيمي السائد فيها، بشكل عام، كان متدنيا، وكان المتوسط الحسابي لمجال الأسلوب الإداري والقيادي هو الأدنى، حيث كان ٨٩,٢٩٪.

وقام عطية (٢٠٠٢) بدراسة دافعية الإنجاز لدى طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية من الجنسين حيث هدفت الدراسة إلى تحديد مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية من الجنسين والكشف عن الفروق في درجة دافعية الإنجاز وفقا للمستويات العمرية والاجتماعية الثقافية المختلفة لكلا الجنسين.

وأظهرت نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق في مستويات دافعية الإنجاز بين الجنسين، وذلك في المرحلة الإعدادية وكذلك في المرحلة الثانوية.

وهدفت دراسة (Maos ، 1970) إلى الكشف عن الفروق بين الطلبة في إدراك بيئة الكلية، وأظهرت نتائج دراسته وجود فروق دالة إحصائيا تعزى إلى الجنس، حيث يدرك الطلبة الذكور بيئة الكلية على أنها ودودة وعملية في حين يدرك طلبة السنة الثانية البيئة على أنها أكثر وعيا بالمناسبات الخاصة.

وأجرى (Dunham ,1973) دراسة هدفت إلى التنبؤ بالتحصيل الأكاديمي عن طريق قياس دافعية الإنجاز لدى الأفراد، وتألفت عينة الدراسة من (١٦١) طالب و(١٤٢) طالبة من طلبة كلية هانوفر (Hanover) في ولاية إنديانا، وقد أظهرت نتائج الدراسة انه يمكن التنبؤ بالتحصيل الأكاديمي عن طريق دافعية الإنجاز.

وهدفت الدراسة التي قام بها كل من (Neoth & Day,1974) إلى تقييم إدراك الطلبة لبيئة الجامعة الواقعية، إضافة إلى إدراكهم لما ينبغي أن تتميز به البيئة المثالية. وأشارت النتائج

إلى وجود تقارب في تصورات الطلاب والطالبات لبيئة الجامعة الواقعية والمثالية.

وقد هدفت دراسة (Wilson , 1983) إلى معرفة تأثير المناخ المدرسي في المرحلة الابتدائية على دافعية الإنجاز لدى التلاميذ، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية الإنجازبين المناخ المدرسي المفتوح والمناخ المدرسي المغلق لصالح المناخ المدرسي المفتوح.

وأظهرت نتائج دراسة(Pokay & Blumenfeld , 1990) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مجال الدافعية للإنجاز تعزى للجنس.

وقام (linzy, 1990) بدراسة هدفت إلى معرفة العلاقة بين المناخ التنظيمي في المدرسة وإنجاز الطلبة، و أظهرت نتائج الدراسة أن للمناخ التنظيمي السائد أثرا ذا دلالة مهمة على إنجاز الطلبة.

كما هدفت دراسة (Nachtwey، 1994) إلى معرفة العلاقة بين المناخ المدرسي وبين مستوى الطموح والحاجة للإنجاز، وتكونت العينة من (١٣٢) طالب من المدرسة الثانوية. وأوضحت النتائج أن هناك فروقا دالة على أبعاد مستوى الطموح والحاجة للإنجاز لصالح المناخ المدرسي المفتوح.

كما قام (Golden،1996) بدراسة حول تفاعل سلوك المدرس واتجاه التلميذ نحو المدرسة على دافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى التلاميذ، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أنه كلما كان سلوك المدرس مركزاً على التلميذ والمادة الدراسية معاً كان اتجاه التلميذ إيجابياً نحو المدرسة وترتفع دافعيته للإنجاز.

كما قام (Boyd، 1998) بدراسة حول المناخ التنظيمي ودافعية الإنجاز لدى التلاميذ، واتضح من نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة بين المدارس ذات المناخ المفتوح ودافعية الإنجاز لدى التلاميذ.

نلاحظ أن هناك دراسات عديدة تناولت المناخ التنظيمي، ومنه الجامعي، وكذلك دافعية الإنجاز لدى فئات عمرية مختلفة، ولكن الدراسات الارتباطية بين المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز لدى الطلبة الجامعيين كانت نادرة، وفي فلسطين تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة في هذا المجال.

محددات الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في الآتي :

١- اقتصرت الدراسة الحالية على طلبة السنة الثالثة في جامعات الضفة الغربية في فلسطين (بيرزيت، و القدس، و بيت لحم، والخليل) للعام الجامعي ٢٠٠٣-٢٠٠٤ .

٢- تحددت هذه الدراسة بمقاييسها : مقياس المناخ الجامعي، ومقياس دافعية الإنجاز .

مصطلحات الدراسة :

١- المناخ الجامعي:

وهو الجو الجامعي العام الذي يحيط بالطلبة وماله من علاقة بالتأثير في شخصياتهم والذي يتمثل بالمناهج وأساليب التدريس والإدارة والعلاقات بين الطلبة والمدرسين وبين الطلبة أنفسهم والمرافق والخدمات والأبنية، ومجموع النشاطات العلمية والأدبية والفنية والرياضية والترفيهية التي يوفرها الجو الجامعي العام (الزوبعي السامرائي، ١٩٩٣) .

٢- الجامعات الفلسطينية:

وهي جامعات : بيرزيت، والقدس، وبيت لحم، والخليل، وهي جامعات عامة، الدراسة فيها منتظمة وتقع في الضفة الغربية في فلسطين .

٣- الطالب الجامعي:

هو الطالب أو الطالبة المسجل بإحدى الجامعات الفلسطينية محل الدراسة للحصول على درجة البكالوريوس، ومن مستوى السنة الثالثة في إحدى التخصصات الجامعية(العلمية أو الإنسانية) .

٤ - دافعية الإنجاز:

هو دافع داخلي يتمثل في حرص الفرد على تحقيق الأشياء الصعبة والتحكم في الأفكار مع حسن تناولها وتنظيمها والقيام بعمل الأشياء على نحو جيد وسريع بقدر الإمكان وبطريقة استقلالية، والتغلب على العقبات والوصول إلى درجة الامتياز والتفوق على الذات ومنافسة الآخرين وتخطيهم والتفوق عليهم .

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من طلبة السنة الثالثة في جامعات الضفة الغربية في فلسطين (جامعة بيرزيت، وجامعة القدس، وجامعة بيت لحم، وجامعة الخليل) للعام الجامعي

٢٠٠٣-٢٠٠٤م، والبالغ عددهم (٣٢٤٥) طالب وطالبة، حيث بلغ عدد الطلبة الذكور (١٣٠٥) طالب، في حين بلغ عدد الطالبات (١٩٤٠) طالبة، واستبعدت قسرا" جامعة النجاح الوطنية لعدم سماحها للباحثين بتوزيع الاستبانة لأسباب تعود إلى الجامعة نفسها، والجدول (١) يبين توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب متغيري الجنس والجامعة.

الجدول (١)

توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب متغيري الجنس والجامعة

الجامعة	الجنس		المجموع
	ذكر	أنثى	
الخليل	٢٥٦	٥٨٦	٨٤٢
بيت لحم	١٠٥	٢٤٧	٣٥٢
القدس	٥٣٩	٥٦٧	١١٠٦
بير زيت	٤٠٥	٥٤٠	٩٤٥
المجموع	١٣٠٥	١٩٤٠	٣٢٤٥

واختيرت عينة الدراسة بالطريقة الطبقية العشوائية حسب متغيري الجامعة والكلية، حيث بلغ حجم العينة (٦٤٢) طالب وطالبة، بنسبة ١٩,٧٪ من مجتمع الدراسة، منهم (٢٥٢)طالب و(٣٩٠) طالبة. ويوضح الجدولان (٢) و(٣) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيري الجامعة والجنس ونسبة كل فئة من العينة.

الجدول (٢)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجامعة

الجامعة	العدد	النسبة المئوية
الخليل	١٩٥	٣٠,٤٪
بيت لحم	١٢٦	١٩,٦٪
بيرزيت	١٧٠	٢٦,٥٪
القدس	١٥١	٢٣,٥٪
المجموع	٦٤٢	١٠٠٪

الجدول (٣)
توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكر	٢٥٢	٣٩,٢٪
أنثى	٣٩٠	٦٠,٨٪
المجموع	٦٤٢	١٠٠٪

أدوات الدراسة:

في ضوء أهداف الدراسة ومتغيراتها قام الباحثان باستخدام الأدوات الآتية :

١- استبانة المناخ الجامعي:

قام الباحثان ببناء استبانة لقياس واقع المناخ الجامعي في الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر الطلبة ، بالاستعانة بالأدب التربوي في هذا المجال ، إضافة إلى أداة القياس التي استخدمها المحبوب(١٩٩٧) لقياس المناخ الأكاديمي في كلية التربية بجامعة الملك فيصل من وجهة نظر الطلبة ، وكذلك مقياس الصافي ومحمد(٢٠٠١)، وتضمن المقياس في صورته النهائية (٣٤) فقرة موزعة على أربعة أبعاد(الملحق (١)) :

البعد الأكاديمي : (١٠) فقرات ، الفقرات من (١-١٠) .
البعد الإداري : (١٠) فقرات ، الفقرات من (١١-٢٠) .
البعد الاجتماعي : (٥) فقرات ، الفقرات من (٢١-٢٥) .
البعد الخدماتي : (٩) فقرات ، الفقرات من (٢٦-٣٤) .

صدق المقياس وثباته:

عرض مقياس المناخ الجامعي الذي أعد ليناسب غرض الدراسة على لجنة من المحكمين تكونت من أربعة عشر محكما من ذوي الاختصاص والخبرة والكفاءة في مجالات التربية ، والعاملين في عدد من الجامعات الفلسطينية . وبعد تجميع آراء المحكمين أجريت التعديلات المطلوبة التي اقترحها ٨٠٪ فأكثر من المحكمين .

واستخرج معامل ثبات المقياس (مقياس المناخ الجامعي) باستخدام معامل الثبات " كرونباخ ألفا " حيث بلغ للمقياس الكلي (٠,٨٨)، وكذلك بطريقة التجزئة النصفية وبلغ(٠,٧٩) .

وتعتبر هذه القيم مقبولة تربويا. كذلك حسب الباحثان قيمة معامل صدق مقياس المناخ الجامعي من خلال المعادلة الرياضية(عبد الحميد، ٢٠٠٠): معامل الصدق = الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وكانت قيمته ٠,٨٩، ٠,٩٤ على التوالي.

٢- مقياس دافعية الإنجاز:

استعين بمقياس العبابنه (١٩٩٩) لقياس دافعية الإنجاز لدى أفراد عينة الدراسة، ويتضمن المقياس (٢٠) فقرة، وتأكد الباحث في حينه من صدق المقياس وثباته، حيث بلغ معامل الثبات (٠,٨٤).

صدق المقياس وثباته:

بالإضافة إلى صدق المقياس وثباته لدى عبابنه (١٩٩٩)، قام الباحثان بالتأكد من صدقه وثباته وفق الطرق الإحصائية والتربوية، حيث عرضاه على لجنة من المحكمين (١٤ محكما) من ذوي الخبرة والكفاءة والاختصاص في مجالات التربية، وأخذ بتوصيات المحكمين وملاحظاتهم التي اقترحها ٨٠٪ منهم.

ولحساب معامل ثبات المقياس استخدم الباحثان معادلة كرونباخ ألفا، حيث بلغ معامل الثبات (٠,٩٠)، وكذلك بطريقة التجزئة النصفية، فكان(٠,٨٨)، وقد اعتبرت هذه القيم مناسبة لأغراض الدراسة. كما حسب الباحثان معامل صدق مقياس دافعية الإنجاز بالمعادلة الرياضية: معامل الصدق = الجذر التربيعي لمعامل الثبات، فكان ٠,٩٥، ٠,٩٤، على التوالي.

ولحساب استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات المقياسين استخدم مقياس ليكرت الخماسي (دائما، غالبا، أحيانا، نادرا، مطلقا)، وأعطيت لها العلامات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على التوالي في حال كون الفقرات ايجابية، والعلامات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) في حال كونها سلبية.

واعتمد الباحثان المقياس الآتي لوصف درجات المتوسطات الحسابية:

الدرجة مرتفعة: إذا كان متوسطها الحسابي أعلى من (٣+ انحراف معياري واحد)،

الدرجة متوسطة: إذا كان المتوسط الحسابي محصورا بين(٣+ انحراف معياري واحد)،

والدرجة منخفضة: إذا كان المتوسط الحسابي اقل من٣ (انحراف معياري واحد).

متغيرات الدراسة:

المتغيرات المستقلة:

١- الجامعة : ولها أربع مستويات : الخليل، وبيت لحم، و القدس، و بيرزيت .

٢ - الكلية : ولها مستويان : العلمية، والإنسانية .

٣- الجنس : وله مستويان .

المتغيرات التابعة:

١ -المناخ الجامعي ٢دافعية الانجاز .

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة والتحقق من فرضياتها، حسبت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحرافات المعيارية ومعامل ارتباط بيرسون، واستخدم الباحثان اختبار ت (t-test) وتحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA)، واختبار شيفيه (Scheffe) للفروق البعدية، ومعادلات الثبات "كرونباخ ألفا" و "التجزئة النصفية" ، وذلك باستخدام برنامج الرزم الإحصائية (SPSS) .

مناقشة نتائج الدراسة:

نتائج السؤال الأول: ما درجة المناخ الجامعي في جامعات الضفة الغربية في فلسطين كما يراها طلبتها؟

وللإجابة عن هذا السؤال، حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلبة "عينة الدراسة" على جميع فقرات مقياس المناخ الجامعي ممثلة في أربعة أبعاد: البعد الأكاديمي، والبعد الإداري، والبعد الخدماتي، والبعد الاجتماعي، إضافة إلى الدرجة الكلية .

وأظهرت نتائج الدراسة ان درجة المناخ الجامعي (الدرجة الكلية)، كما يراها طلبة جامعات الضفة الغربية في فلسطين جاءت "متوسطة" ، وبمتوسط حسابي مقداره (٣,٠٩)، وانحراف معياري مقداره(٠,٥٥) .

ويبين الملحق (٢) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات استبانة المناخ الجامعي مرتبة تنازليا، والمتوسط الحسابي للمقياس الكلي(الدرجة الكلية)، في حين يبين الجدول (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد المقياس والدرجة الكلية ورتبة كل بعد .

وعند ملاحظة استجابات أفراد عينة الدراسة حول المناخ الجامعي تبين أن الفقرة "أعضاء

هيئة التدريس في جامعتي مؤهلون علميا " جاءت في أعلى سلم الاستجابات وبمتوسط حسابي (٤,٠٦)، والفقرة " يتعرض الطلبة للإرهاق النفسي مع بداية كل فصل بسبب الرسوم الجامعية " في المرتبة الأخيرة، وبمتوسط حسابي (١,٦٨). ويظهر من نتائج المتوسطات الحسابية ان تقديرات أفراد عينة الدراسة لفقرات المناخ الجامعي كانت "مرتفعة" ل(٥) فقرات من فقرات الاستبانة فقط، و "منخفضة" ل(٤) فقرات أخرى، و "متوسطة" ل(٢٥) فقرة، الملحق (٢).

ويتبين من الجدول (٤) والمتعلق بالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد المناخ الجامعي أن البعد الأكاديمي جاء في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي مقداره (٣,٣٤) تلاه في المرتبة الثانية البعد الخدماتي وبمتوسط حسابي مقداره (٣,٢٥)، ثم في المرتبة الثالثة البعد الاجتماعي وبمتوسط حسابي مقداره (٣,١٣) وجاء في المرتبة الأخيرة البعد الإداري وبمتوسط حسابي (٢,٧٢)، وجميعها تدلل على أن تقديرات أفراد عينة الدراسة للمناخ الجامعي في جامعاتهم جاءت بدرجة "متوسطة".

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد مقياس المناخ الجامعي مرتبة تنازليا

الترتيب	البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	الأكاديمي	٣,٣٤	٠,٦٥
٢	الخدماتي	٣,٢٥	٠,٦٦
٣	الاجتماعي	٣,١٣	٠,٩٢
٤	الإداري	٢,٧٢	٠,٥٠
الدرجة الكلية		٣,٠٩	٠,٥٥

وقد تعزى هذه القيم إلى عدم كفاية الموارد المالية لتأمين مستلزمات الحياة الجامعية بشكل مرض، من مبان ومرافق أو مختبرات أو منح دراسية وإعفاءات للطلبة، كما أن الجامعات تواجه صعوبة في تطورها في ظل الاحتلال الإسرائيلي والتدمير المستمر، إضافة إلى الاغلاقات التي وصلت في حالات معينة لأشهر عدة، كذلك عدم السماح للطلبة والموظفين بالوصول الآمن والمنتظم إلى أماكن عملهم وكذلك اعتقال العديد من المدرسين والطلبة، كما أن فعاليات مجالس الطلبة والأطر الطلابية وفي مناسبات عديدة داخل الجامعات وخلافاتها مع الإدارات الجامعية، كل ذلك أوجد إرباكا في العملية التعليمية مما أدى إلى شعور الطلبة بمناخ جامعي بدرجة متوسطة، أما كون درجات البعد الإداري كانت هي الأقل من بين أبعاد المناخ

الجامعي ، فقد يعزى ذلك لعجز الإدارات الجامعية عن تامين مستلزمات الحياة الجامعية التي يتمناها الطلبة ، وكونها مسئولة عن جوانب الحياة الجامعية جميعا ، سواء " ما يتعلق بسياسات القبول والتسجيل أو الإعفاءات أو الامتحانات او غيرها ، فالظروف الاقتصادية التي تعاني منها الجامعات الفلسطينية خاصة ، والمجتمع الفلسطيني عامة ، في أثناء سنوات الاحتلال ، تركت أثرا بالغا في رسم ملامح جوانب عديدة من حياة الشعب الفلسطيني .

السؤال الثاني : ما درجة دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعات الضفة الغربية في فلسطين ؟

وللإجابة عن هذا السؤال ، حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلبة على جميع فقرات استبانة دافعية الإنجاز ، الجدول (٥) .

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات استبانة دافعية الإنجاز مرتبة تنازليا

الترتيب	الفقـــرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	أسعى نحو النجاح لأنه يحقق لي الاحترام	٤,٤٤	٠,٩٤
٢	أتحمل المشكلات والأعباء التي أواجهها	٣,٩٥	٠,٩٨
٣	إذا بدأت بعمل لا اتركه حتى أكمله	٣,٩١	٠,٩١
٤	أنجز الأعمال الموكولة إلي بشكل صحيح	٣,٨٤	٠,٩١
٥	املك العزم والتصميم على الفوز في أي منافسة	٣,٧٩	١,٠٦
٦	أحب القيام بالأعمال التي لا يتطلب إنجازها وقتا طويلا	٣,٧٠	١,٠٧
٧	أشعر بأنني أمتلك قدرة على الصبر	٣,٦٢	١,٠٨
٨	أصر على إتمام العمل إذا كان صعبا	٣,٥٨	١,٠٧
٩	أحب القيام بالأعمال التي لا تتطلب جهدا كبيرا	٣,٥٧	١,١١
١٠	اعمل ساعات إضافية لإتمام العمل الذي يعطى لي	٣,٣٥	١,١١
١١	اشعر بأنني أكثر نشاطا من زملائي	٣,٢٨	٠,٩٦
١٢	أشغل نفسي بعمل آخر عندما أجد العمل الذي أقوم به صعبا	٣,٠٨	١,١٢
١٣	أشعر بالملل والتعب بعد فترة قصيرة من بداية العمل	٣,٠٥	١,٠٦
١٤	أتجنب تحدي الآخرين في عملي	٢,٩٦	١,١٦
١٥	أتجنب تحمل المسؤوليات	٢,٨٩	١,٢٤
١٦	من السهل أن أشعر بالإحباط	٢,٨٥	١,٢١

١٧	ابذل جهدا قليلا في تحقيق هدف ذي قيمة	٢,٨٢	١,٠٢
١٨	أتوقف عن إتمام ما أقوم به من عمل عندما تواجهني مشكلات وصعوبات	٢,٨٠	١,٠٦
١٩	أؤجل ما أقوم به من عمل لوقت آخر	٢,٧٧	١,١٨
٢٠	أقوم بعمل الأشياء قبل التفكير بها جديا	٢,٤٦	١,١٧
الدرجة الكلية	٣,٣٣	٠,٣٥	

ويبين الجدول (٥) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات الاستبانة وعلى المقياس الكلي (الدرجة الكلية).

وتشير النتائج الواردة في الجدول أن المتوسط الحسابي لدرجة دافعية الإنجاز عند الطلبة هي (٣,٣٣) بانحراف معياري هو (٠,٣٥)، وهو متوسط حسابي يقع ضمن الدرجة المتوسطة. كما أن (١٠) فقرات من فقرات المقياس حصلت على متوسطات حسابية ضمن الدرجة المرتفعة وفقرة واحدة كان متوسطها الحسابي ضمن الدرجة المنخفضة.

وقد يعزى ذلك إلى الظروف التي يعيشها الطلبة في الجامعات الفلسطينية، فدافعيتهم للإنجاز محكومة بظروف شتى، منها الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأمني، وكلها ليست بالدرجة التي يتمناها الطالب الجامعي الفلسطيني. إضافة إلى أن ظروف الجامعات الفلسطينية، التي من المفروض أن تكون عونا للطلبة على رفع درجة دافعية الإنجاز لديهم، ليست بأحسن حال، فهي الأخرى تعيش الظروف أنفسها، وتصارع من اجل بقائها، فوضع الجامعات هذا اثر على الحوافز المادية والمعنوية التي قد تساعد على رفع درجة دافعية الإنجاز لدى الطلبة.

وتتفق نتائج هذه الدراسة في هذا المجال ونتائج دراسة العبابنه (١٩٩٩) التي أشارت إلى أن مستوى دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة اليرموك يقع ضمن المستوى المتوسط.

السؤال الثالث: هل تختلف درجات المناخ الجامعي ودافعية الإنجاز باختلاف متغيرات الدراسة: الجامعة، والجنس، والكلية؟

وللإجابة عن هذا السؤال حسب الباحثان المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات: الجامعة، والجنس، والكلية، ولمعرفة فيما إذا كانت الفروق بين هذه المتوسطات دالة إحصائيا فحصها الباحثان بالفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α=٠,٠٥) في درجات

المناخ الجامعي تعزى لمتغير الجامعة.

ولاختبار هذه الفرضية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس المناخ الجامعي لأبعاده الأربعة وللمقياس الكلي "الدرجة الكلية" وفق متغير الجامعة.

ويبين الجدول (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد المناخ الجامعي والدرجة الكلية حسب متغير الجامعة.

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد المناخ الجامعي والدرجة الكلية حسب متغير الجامعة

الأبعاد	الجامعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
البعد الأكاديمي	بيرزيت	٣,٤٠	٠,٦٥
	القدس	٣,٢٣	٠,٧٠
	بيت لحم	٣,٧٢	٠,٥٧
	الخليل	٣,١٤	٠,٥٤
البعد الإداري	بيرزيت	٢,٧٧	٠,٥١
	القدس	٢,٤٩	٠,٤٣
	بيت لحم	٣,١١	٠,٤٩
	الخليل	٢,٦٢	٠,٤٠
البعد الاجتماعي	بيرزيت	٣,٣٥	٠,٦٣
	القدس	٣,٠٣	٠,٦٨
	بيت لحم	٣,٥٧	٠,٦٠
	الخليل	٣,١١	٠,٦١
البعد الخدماتي	بيرزيت	٣,٦٧	٠,٧٦
	القدس	٢,٥١	٠,٨١
	بيت لحم	٣,٨١	٠,٦٠
	الخليل	٢,٧٠	٠,٧٣
الدرجة الكلية	بيرزيت	٣,٢٨	٠,٥١
	القدس	٢,٧٩	٠,٤٩
	بيت لحم	٣,٥٤	٠,٤٤
	الخليل	٢,٨٧	٠,٤١

وتشير قيم المتوسطات الحسابية في الجدول إلى أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية للمناخ الجامعي لدى طلبة جامعة بيت لحم كانت الأعلى من بين الجامعات الفلسطينية وبمتوسط حسابي قدره(٣,٥٤)، في حين كان المتوسط الحسابي لجامعة القدس هو الأدنى من بين الجامعات وبمتوسط حسابي قدره (٢,٧٩)، أما على مستوى الأبعاد فكانت درجة المناخ الجامعي في جامعة بيت لحم هي الأعلى أيضا على جميع الأبعاد، في حين كانت المتوسطات الحسابية لدرجة المناخ الجامعي في جامعة القدس هي الأدنى أيضا في جميع الأبعاد باستثناء البعد الأكاديمي، حيث كان هذا البعد الأدنى في جامعة الخليل.

ولمعرفة فيما إذا كانت هذه الفروق في المتوسطات الحسابية دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=٠,٠٥)، استخدم الباحثان تحليل التباين الأحادي، الجدول (٧).

الجدول (٧)

نتائج تحليل التباين الأحادي لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو المناخ الجامعي حسب متغير الجامعة

الأبعاد	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة
البعد الأكاديمي	بين المجموعات	٣	٢٨,٢٥٥	٩,٤١٨	٢٤,٢٨٧	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٦٣٩	٢٤٧,٠٢٥	٠,٣٨٨		
	المجموع	٦٤٢	٢٧٥,٢٨٠	-		
البعد الإداري	بين المجموعات	٣	٢٩,٢٧٥	٩,٧٥٨	٤٥,٥٤٤	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٦٣٩	١٣٦,٤٨٥	٠,٢١٤		
	المجموع	٦٤٢	١٦٥,٧٦٠	-		
البعد الخدماتي	بين المجموعات	٣	٢٠١,١١٢	٦٧,٠٣٧	١٢٢,٤٠٤	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٦٣٩	٣٤٨,٠٦٧	٠,٥٤٨		
	المجموع	٦٤٢	٥٤٩,٩٧٤	-		
البعد الاجتماعي	بين المجموعات	٣	٢٥,٦٦٢	٨,٥٥٤	٢١,٢٩٨	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٦٣٩	٢٥٥,٨٣٨	٠,٥٤٨		
	المجموع	٦٤٢	٢٨١,٥٠٠	-		
الدرجة الكلية	بين المجموعات	٣	٥٤,٧٢٣	١٨,٢٤١	٨٣,١٣٢	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٦٣٩	١٣٩,٧٢٣	٠,٢١٩		
	المجموع	٦٤٢	١٩٤,٤٩٧	-		

يتبين من الجدول (٧) أن الفروق في المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجامعة هي فروق دالة إحصائيا عند مستوى(α=٠٥, ٠)، على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية .

ولإيجاد مصدر هذه الفروق استخدم الباحثان اختبار شيفيه للمقارنات البعدية وذلك كما هو مبين في الجدول (٨) .

الجدول (٨)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجامعة

المجالات	الجامعة / المقارنات	بير زيت	القدس	بيت لحم	الخليل
الأكاديمي	بيرزيت	–	****	–	****
	القدس	****	–	****	–
	بيت لحم	–	****	–	****
	الخليل	****	–	****	–
الإداري	بيرزيت	–	****	–	****
	القدس	****	–	****	–
	بيت لحم	–	****	–	****
	الخليل	****	–	****	–
الاجتماعي	بيرزيت	–	****	–	****
	القدس	****	–	****	–
	بيت لحم	–	****	–	****
	الخليل	****	–	****	–
الخدماتي	بيرزيت	–	****	–	****
	القدس	****	–	****	–
	بيت لحم	–	****	–	****
	الخليل	****	–	****	–
الدرجة الكلية	بيرزيت	–	****	–	****
	القدس	****	–	****	–
	بيت لحم	–	****	–	****
	الخليل	****	–	****	–

*** تعني أن الفروق دالة إحصائيا عند مستوى α = ٠٥, ٠

يتبين من نتائج اختبار شيفيه أن الفروق كانت لصالح كل من جامعتي بيت لحم وبيرزيت ولجميع أبعاد مقياس المناخ الجامعي والدرجة الكلية، أي أن الفروق في المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة بين جامعتي بيت لحم وبيرزيت من جهة وجامعتي القدس والخليل من جهة أخرى هي فروق دالة إحصائيا ولصالح جامعتي بيت لحم وبيرزيت.

ويرى الباحثان أن ذلك قد يعزى إلى ظروف كل من جامعتي بيت لجم وبيرزيت، سواء أكانت الإدارية أم الموقع والمباني أم الإمكانيات المالية، ويرى الباحثان أن جامعتي بيت لحم وبير زيت تتمتعان بوضع مالي مستقر أكثر من جامعتي الخليل والقدس مما يتيح لهما التركيز على الجوانب المادية والفيزيقية للجامعتين وبالتالي رضا الطلبة عن البيئة الجامعية التي يعيشون بها. بخلاف الحال في جامعة القدس والظروف المالية التي تعيشها، كذلك يمكن ملاحظة المتوسطات الحسابية للبعد الإداري، حيث كان المتوسط الحسابي لجامعة القدس (٢,٤٩) وبدرجة "ضعيفة"، وهو المتوسط الأدنى بين الجامعات، والبعد الاداري هو البعد الأهم في العملية التعليمية لأنه القادر على النهوض بالعملية التعليمية وضبطها وفق الإمكانيات المتاحة ومعايير الأداء المطلوب. وتتفق نتائج هذه الدراسة ونتائج دراسة عابدين وابوسمرة(٢٠٠١) التي أشارت إلى المستوى المتدني للمناخ التنظيمي لجامعة القدس، وخاصة المجال الإداري.

الفرضية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(α=٠,٠٥) بين درجات المناخ الجامعي تعزى لمتغير الجنس.

ولاختبار هذه الفرضية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس، لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك الدرجة الكلية، الجدول (٩)، وتشير النتائج المتعلقة بالمتوسطات الحسابية إلى أن هناك فروقا في المتوسطات الحسابية للدرجة الكلية، فقد بلغ المتوسط الحسابي للذكور (٣,٠٥) في حين بلغ للإناث(٣,١١)، ولمعرفة فيما إذا كانت هذه الفروق دالة إحصائيا عند مستوى α=٠,٠٥ استخدم الباحثان اختبار "ت" (t- test)الجدول (٩).

وتشير النتائج المبينة في الجدول (٩) أن الفروق بين متوسطات استجابات الذكور والإناث غير دالة إحصائيا عند مستوى α=٠,٠٥.

الجدول (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج تحليل اختبار ت لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس

المجالات	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	ذكر	٣,٠٥	٠,٥٣		
	انثى	٣,١١	٠,٥٥	-١,٣١٥	٠,١٨٩

ويرى الباحثان أن ذلك قد يعزى إلى كون المناخ الجامعي هو نفسه للطلبة والطالبات سواء في البعد الأكاديمي أو الإداري أو الخدماتي أو الاجتماعي، فالطلبة يعيشون نفس المناخ لا فرق بين الطالب والطالبة، فالطالب أو الطالبة تقدم لهم نفس الخدمات ويعاملون بنفس المقياس في جميع دوائر الجامعة، فالجامعة تنظر إلى الطالب على انه طالب وليس للطالب على انه ذكر أو أنثى. وتتفق نتائج هذه الدراسة ونتائج دراسة المحبوب(١٩٩٧) ونتائج دراسة الرفاعي (١٩٩٤)، وكذلك مع نتائج دراسة كل من (Neoth and Day ,1974)، في حين تختلف ونتائج دراسة (Maos، ١٩٧٠).

الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(α=٠,٠٥) في درجات المناخ الجامعي تعزى لمتغير الكلية.

ولاختبار هذه الفرضية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الكلية، الجدول (١٠).

وتشير النتائج الواردة في الجدول أن هناك فروقا في المتوسطات الحسابية في استجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الكلية، حيث كان المتوسط الحسابي لأفراد عينة الكليات العلمية على الدرجة الكلية(٣,١٣)، في حين كان المتوسط الحسابي لأفراد عينة الكليات الإنسانية على البعد نفسه(٣,٠٦).

ولمعرفة فيما إذا كانت هذه الفروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة α=٠,٠٥ استخدم الباحثان اختبار (ت) الجدول (١٠).

الجدول (١٠)
المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار "ت" لأبعاد استبانة المناخ الجامعي حسب متغير الكلية

المجال	الكلية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	علمية	٣,١٣	٠,٥٥	١,٥٦٧	٠,١١٨
	إنسانية	٣,٠٦	٠,٥٤		

تشير البيانات الواردة في الجدول (١٠) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α=٠,٠٥) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو المناخ الجامعي تعزى لمتغير الكلية.

وقد يعزى ذلك إلى كون الطلبة في الكليات العلمية والإنسانية يعيشون نفس المناخ الجامعي ويتعاملون مع أعضاء هيئة تدريس من نفس البيئة الفلسطينية ولهم الظروف أنفسها، والخدمات التي تقدم للطلبة في الكليات العلمية هي الخدمات أنفسها التي تقدم للطلبة في الكليات الإنسانية كما أن المرافق المتوفرة في الجامعة هي مرافق لجميع الطلبة دون استثناء، أما بالنسبة للمختبرات في الكليات العلمية والتي قد تميز بين الكليات العلمية والإنسانية فهي متوفرة في جميع الجامعات للطلبة، وبالتالي نلاحظ أن جميع الطلبة يعيشون في مناخ جامعي واحد بغض النظر عن كلياتهم.

كما أن التفاعل بين الطلبة يكون في جميع الكليات بغض النظر عن الكلية التي ينتمي إليها الطالب كذلك الخدمات التي تقدم في المكتبة لجميع الطلبة بغض النظر عن تخصصاتهم أو كلياتهم. كما أن هناك مساقات تدرس لطلبة الجامعة بغض النظر عن تخصصاتهم أو كلياتهم. وتتفق نتائج هذه الدراسة في هذا المجال ونتائج دراسة العمر(١٩٩٥)، في حين تختلف ونتائج دراسة المحبوب(١٩٩٧) التي أشارت إلى وجود فروق دالة إحصائيا في ادراكات الطلبة للمناخ الأكاديمي الجامعي تعزى للتخصص.

الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيا عند مستوى (α=٠,٠٥) في درجات دافعية الإنجاز تعزى لمتغير الجامعة.

ولاختبار هذه الفرضية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو دافعية الإنجاز حسب متغير الجامعة، الجدول (١١).

الجدول (١١)
المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية
لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو دافعية الإنجاز حسب متغير الجامعة

الجامعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
بيرزيت	٣,٣٧	٠,٣٠
القدس	٣,٢٩	٠,٣٨
بيت لحم	٣,٣٦	٠,٢٨
الخليل	٣,٣٠	٠,٣١

تبين قيم المتوسطات الحسابية لدافعية الإنجاز لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، وحسب متغير الجامعة، أن هناك فروقا في المتوسطات تعزى لمتغير الجامعة، وكانت القيمة الأعلى لطلبة جامعة بيرزيت وبمتوسط حسابي (٣,٣٧)، في حين كانت القيمة الأدنى لطلبة جامعة القدس وبمتوسط حسابي مقداره (٣,٢٩).

ولمعرفة فيما إذا كانت هذه الفروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالةα =٠,٠٥، استخدم الباحثان تحليل التباين الأحادي، الجدول (١٢).

الجدول (١٢)
نتائج تحليل التباين الأحادي لاستجابات أفراد عينة الدراسة
نحو دافعية الإنجاز حسب متغير الجامعة

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	٣	٠,٨٨٢	٠,٢٩٤	٢,٨٣٦	٠,٠٣٧
داخل المجموعات	٦٣٩	٦٥,٩٠١	٠,١٠٤		
المجموع	٦٤٢	٦٦,٧٨٣	-		

يتبين من خلال قيمة الدلالة الواردة في الجدول (١٢) انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α=٠,٠٥) بين درجات دافعية الإنجاز لدى أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغير

الجامعة .

ولإيجاد مصدر هذه الفروق استخدم اختبار شيفية للمقارنات البعدية كما هو مبين في الجدول (١٣) .

الجدول (١٣)

نتائج اختبار شيفية للمقارنات البعدية

بين استجابات الطلبة نحو درجة دافعية الإنجاز حسب متغير الجامعة

المقارنات الجامعة	بيرزيت	القدس	بيت لحم	الخليل
بيرزيت	--	***	--	***
القدس	***	--	**	--
بيت لحم	--	***	--	***
الخليل	***	--	***	--

تشير نتائج اختبار شيفيه لدرجة دافعية الإنجاز حسب متغير الجامعة أن الفروق كانت لصالح جامعتي بيرزيت وبيت لحم ، أي أن الفروق بين جامعتي بير زيت وبيت لحم من جهة وجامعتي القدس والخليل من جهة أخرى هي فروق حقيقية ، ولصالح جامعتي بيرزيت وبيت لحم .

ويرى الباحثان أن السبب في ذلك قد يعزى إلى دور الجامعة في استثارة دافعية الإنجاز لدى طلبتها سواء بشكل مباشر أوغير مباشر ، كما أن للجامعة دوراً مهماً في تهيئة الطلبة وحفزهم لإنجاز الأعمال الموكلة إليهم ، كذلك تساعدهم في إدراك ما عليهم من أعباء وواجبات يجب إنجازها كما أن للجامعة دوراً كبيراً في مساعدة الطلبة على رسم أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها أو تحقيق اكبر قدر ممكن منها وبالتالي توفر لديهم الدافع لإنجازها . وربما يعزى أيضا إلى مدى توافر الحوافز المادية والمعنوية من الجامعة والذي بدوره يؤدي الى التفكير بان الجامعة تقدر الكفاءات والقدرات مما يدفع الطلبة إلى التفوق وبالتالي ترتفع إنجازاتهم للأعمال ، ولأن الفروق كانت لصالح جامعتي بيرزيت وبيت لحم فقد يعزى ذلك لكون الجامعتين تتمتعان بوضع مالي مستقر أكثر من جامعتي القدس والخليل ، كذلك النمط الإداري القائم في كلتيهما يساعد على بلورة سياسات قادرة على تخطي المعوقات التي قد تعترض المسيرة التعليمية فيهما ، وقد يعزى السبب أيضا إلى مستوى الطلبة في الجامعة ، فمعدلات القبول

لطلبة السنة الأولى في جامعة بير زيت للعديد من التخصصات تكون مرتفعة، وتغلق أبواب العديد من التخصصات في وقت مبكر وعلى معدلات عالية بخلاف جامعات أخرى.

الفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى (α=٠,٠٥)في درجات دافعية الإنجاز يعزى لمتغير الجنس.

ولاختبار هذه الفرضية حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس دافعية الإنجاز حسب متغير الجنس، الجدول (١٤).

الجدول (١٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار" ت" لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس دافعية الإنجاز حسب متغير الجنس

الجنس	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ذكر	٣,٣١	٠,٣٤	-١,٣٣٣	٠,١٨٣
أنثى	٣,٣٤	٠,٣١		

تشير قيم المتوسطات الحسابية في الجدول (١٤) أن المتوسط الحسابي لاستجابة أفراد العينة من الذكور على مقياس دافعية الإنجاز هو(٣,٣١)، في حين كان المتوسط الحسابي لاستجابة أفراد العينة من الإناث هو(٣,٣٤)، ولمعرفة فيما إذا كان الفرق بين المتوسطات دالاً إحصائيا استخدم الباحثان نتائج اختبار (ت) للفروق بين استجابات الطلبة نحو دافعية الإنجاز حسب متغير الجنس وذلك كما هو واضح من الجدول (١٥).

ومن خلال مستوى الدلالة الوارد في الجدول(اكبر من ٠,٠٥) نستنتج أن الفرق بين المتوسطات الحسابية لاستجابات الذكور والإناث غير دال إحصائيا.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى تقارب نظرة الشاب والفتاة للحياة العصرية وتشابههما وخاصة طلبة الجامعات، فكل منهما يدرك ما عليه من أعباء وواجبات يجب إنجازها وكل منهما يضع لنفسه أهدافا يسعى إلى تحقيقها، وقد يعزى السبب أيضا إلى طبيعة الحياة التي يعيشها المجتمع والى الدور المتغير الذي انتقلت إليه الفتاة في المجتمع الفلسطيني خاصة والمجتمع العربي عامة، ومع توفر الجامعات وقدرة الفتاة على التعلم بسهولة ويسر، ونظرة المجتمع للفتاة المتعلمة بأنها قادرة على العطاء أكثر من غير المتعلمة، وقادرة على فهم متغيرات العصر، حيث ترتب على ذلك أن تتطلع الفتاة إلى تحقيق اكبر قدر ممكن من الإنجاز، فأصبحت ترسم لنفسها أهدافا

تسعى إلى تحقيقها وتوفر لديها الدافع لإنجازها كما للشاب من أهداف وطموحات. واتفقت هذه النتيجة مع ما توصل إليه كل من الطواب (١٩٩٠)، والعبابنة(١٩٩٩)، وPokay and Blumenfeld (١٩٩٠)، وعطية (٢٠٠٢)، في حين اختلفت نتائج الدراسة جزئيا مع نتائج دراسة العمر(١٩٩٥).

الفرضية السادسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(α=٠,٠٥) في درجات دافعية الإنجاز تعزى لمتغير الكلية.

ولاختبار هذه الفرضية حسب الباحثان المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس دافعية الإنجاز حسب متغير الكلية، الجدول (١٤). وتشير قيم المتوسطات الحسابية إلى أن هناك فرقا (مقداره ٠,٠١) بين المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة الدراسة يعزى لمتغير الكلية، حيث كان المتوسط الحسابي لاستجابات أفراد العينة من الكليات العلمية(٣,٣٣) في حين كان المتوسط الحسابي لأفراد العينة من الكليات الإنسانية(٣,٣٢). ولمعرفة فيما إذا كان هذا الفرق دالاً إحصائيا استخدم الباحثان اختبار "ت"، الجدول (١٥).

الجدول (١٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ونتائج اختبار "ت"

لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مقياس دافعية الإنجاز حسب متغير الكلية

الكلية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
علمية	٣,٣٣	٠,٣٠	-١,٣٣٣	٠,١٨٣
إنسانية	٣,٣٢	٠,٣٣		

ويتبين من الجدول (١٥) أن الفرق بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حسب متغير الكلية غير دال إحصائيا عند مستوى الدلالة المحدد.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى طبيعة التدريس الجامعي وطرقه في الجامعات الفلسطينية، في الكليات العلمية والإنسانية، والتي تبدو متشابهة وتعتمد بالدرجة الأولى على المحاضرة، إضافة إلى انعدام الحوافز التي قد تنمي دافعية الإنجاز لدى الطلبة، وان وجدت فهي نفسها لطلبة الكليات العلمية والإنسانية، فالإعفاءات ومنح التفوق وحوافز التشجيع لا تعتمد على

الكلية بل هي عامة لطلبة الجامعة، وهذا يجعل دافعية الإنجاز متشابهة لدى طلبة الكليات المختلفة.

واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة العبابنة (١٩٩٩) التي أشارت إلى عدم وجود اثر ذي دلالة إحصائية لمتغير الكلية على مستوى دافعية الإنجاز. واتفقت جزئيا ونتائج دراسة العمر(١٩٩٥)، التي أظهرت عدم وجود فروق بين طلبة التخصصات العلمية والأدبية في الدافعية الخارجية.

الفرضية السابعة: لا توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا عند مستوى α)=٠,٠٥) بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز.

ولاختبار هذه الفرضية حسب معامل ارتباط بيرسون لمعرفة قوة العلاقة الارتباطية بين درجة المناخ الجامعي في الجامعات الفلسطينية واتجاهها ودافعية الإنجاز لدى طلبتها، كما تؤكد فيما إذا كانت قيمة معامل بيرسون المحسوبة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالةα)= ٠,٠٥) الجدول (١٦).

الجدول (١٦)

معامل ارتباط بيرسون بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة معامل الارتباط (ر)	الدلالة الإحصائية
المناخ الجامعي	٦٤٢	٣,٠٩	٠,٥٥	٠,٢**	٠,٠٠٠
دافعية الإنجاز	٦٤٢	٣,٣٣	٠,٣٢		

نلاحظ من خلال القيم الواردة في الجدول (١٦) أنه توجد علاقة ارتباطية موجبة وضعيفة (ضئيلة) وذات دلالة إحصائية عند المستوى(α=٠,٠٥) بين درجات المناخ الجامعي ودرجات دافعية الإنجاز، حيث بلغت قيمة (ر) (٠,٢) وكانت دالة إحصائيا، ومع ان قيمة معامل الارتباط هذه تعتبر ضئيلة، ولكنها في نفس الوقت دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة المحدد.

وقد يعزى السبب، في أن قيمة معامل الارتباط ضعيفة، إلى أن دافعية الإنجاز لدى طلبة الجامعات الفلسطينية تشارك في تشكيلها عوامل متعددة، والظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني عامة والطلبة خاصة، تسيطر على ماجريات أمورهم، فليس المناخ الجامعي

وحده القادر على رفع درجة دافعية الإنجاز لدى طلبة الجامعات، فهناك عناصر أخرى كالسمات الشخصية والقلق ومتغيرات اجتماعية (الشعراوي، ١٩٩٩ وعبابنة، ١٩٩٩ وحامد، ١٩٩٦).

ولان الارتباط هنا دال إحصائيا فهذا يعني أن المناخ الجامعي الذي يقابل احتياجات الطلبة ويحقق توقعاتهم قد يؤدي إلى تحقيق توافقهم الدراسي ويرفع مستوى دافعية الإنجاز لديهم، بينما المناخ الجامعي الذي يكرهه الطلبة لعدم احتوائه على خبرات محببة إلى أنفسهم، ويفشل في تحقيق احتياجاتهم ومتطلباتهم سوف يؤدي إلى سوء توافقهم الجامعي والشخصي والاجتماعي ويقلل من دافعيتهم. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة الصافي (٢٠٠١)، ونتائج دراسة Linzy (١٩٩٠)، ونتائج دراسة Boyd (١٩٩٨)، ونتائج دراسة Wilson (١٩٨٣) حول علاقة المناخ المؤسسي بدافعية الإنجاز.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثان الجامعات الفلسطينية بالاتي :

أن تولي اهتماما ملحوظا لمناخها الجامعي، بما يكفل جانب الرضا من قبل الطلبة لأبعاد هذا المناخ.

أن تعمل على رفع دافعية الإنجاز لدى طلبتها، من خلال تقصد العناصر الكفيلة التي تساعد على هذا الجانب.

أن تولي جامعة القدس، خاصة، البعد الإداري(في المناخ الجامعي) أهمية خاصة لأنه حصل على اقل متوسط حسابي من بين الأبعاد.

أن تسعى الجامعات للتخفيف على الطلبة، فيما يتعلق بإجراءات التسجيل والمالية، وتحري جانب العدل عند توزيع المنح الدراسية والإعفاءات الأخرى.

أن تعمل الجامعات، سواء المستوى الإداري فيها أو الأكاديمي، على تنمية الإبداع لدى الطلبة، واستخدام أساليب التعزيز للطلبة المتفوقين ورعاية الطلبة الموهوبين والمبدعين.

إجراء دراسات مستقبلية تتعلق :

بعلاقة المناخ الجامعي بالتحصيل.

بدافعية الإنجاز ومستوى الطموح وعلاقتها بالتخصص (طب، علوم، آداب، . . . .)

بدراسة المناخ الجامعي في بيئات جامعية مختلفة: جامعة القدس المفتوحة، وجامعة جنين الأمريكية، وموازنة النتائج بنتائج هذه الدراسة.

المراجع:

- الحامد، محمد. (١٩٩٦). قياس دافعية الإنجاز الدراسي علي البيئة السعودية، رسالة الخليج العربي، عدد ٥٨، ص ص١٣١-١٦٩.
- الحوسني، يوسف. (١٩٩٨). المناخ الصفي كما يراه طلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقته بالتحصيل الدراسي واختلاف ذلك باختلاف الجنس والتخصص الأكاديمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية والعلوم الإسلامية، جامعة السلطان قابوس، عمان.
- الرفاعي، جاسر. (١٩٩٤). أثر المناخ التنظيمي في كليات المجتمع الأردنية على تحصيل الطلبة في امتحان دبلوم كليات المجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- الزوبعي، عبد الجليل، والسامرائي، مهدي. (١٩٩٣). تأثير المناخ الجامعي في اتجاهات الطلبة الذكور والإناث بعضهم الآخر، مجلة التعريب، العدد ٥، ص ص٧٥-١٠٣.
- سعادة، جودت، وزامل، مجدي، وأبو زيادة، إسماعيل. (٢٠٠٢). المشكلات التي يعاني منها الطلبة المغتربون في جامعة النجاح الوطنية خلال انتفاضة الأقصى، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد ٤٠، ص ص٢٥٠-٢٥٧.
- الشعراوي، علاء. (١٩٩٩). سمات الشخصية والدافع والإنجاز الأكاديمي وعلاقتهما بالرّضا عن الحياة في المرحلة الجامعية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، عدد٤١، ص ص١٤٩-١٩٦.
- شهاب، حليمة عبد الفتاح. (١٩٩٢). اثر المناخ التنظيمي على الرضا الوظيفي لدى معلمي ومعلمات المدارس الثانوية في وادي الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- الصافي، عبد الله، ومحمد، محمد حسنين. (٢٠٠١). الفروق في القابلية للتعلم الذاتي وقلق الاختبار ومستوى الطموح بين الطلبة، مجلة العلوم الاجتماعية، ابريل ٢٠٠١، ص ص٧١-٩٦.
- الصّافي، عبد اللّه. (٢٠٠١). المناخ المدرسي وعلاقته بدافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية بمدينة أبها، مجلة رسالة الخليج العربي، عدد ٧٩،

ص ص٦١-٩٠ .

- طعامنة، محمد. (١٩٩٦). اثر وحدات التطوير الإداري في المناخ التنظيمي السائد في القطاع العام في الأردن، مجلة دراسات (العلوم الإدارية)، عدد ٢٣، مجلد٢، ص ص ١٠-١٤.
- الطوّاب، سيدّ. (١٩٩٠). اثر تفاعل مستوى دافعية الإنجاز والذكاء والجنس على التحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلة كلية التربية، عدد ٥، جامعة الإمارات العربية، ص ص١٩-٥٠.
- عابدين، محمد، وأبو سمرة، محمود. (٢٠٠١). المناخ التنظيمي في جامعة القدس كما يراه أعضاء هيئة التدريس فيها. دراسة حالة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ب، المجلد١٥، ص ص٢٧٧-٣٠٩.
- العبابنة، محمد فلاح. (١٩٩٩). مستوى دافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة اليرموك وعلاقتها لبعض سمات الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد.
- عبد الحميد، محمد. (٢٠٠). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة.
- عطية، عمر. (٢٠٠٢). دافعية الإنجاز لدى طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية من الجنسين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدّراسات العليا، جامعة عين شمس.
- العمر، بدر. (١٩٩٥). الدافعية الداخلية والخارجية لطلبة كلية التربية مستواها وبعض المتغيرات المرتبطة بها، المجلة التربوية، عدد ٣٧، المجلد العاشر، جامعة الكويت، ص ص٧١-١٠١.
- القريوتي، محمد قاسم. (١٩٩٧). السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات الإدارية، عمان، دار الشروق.
- المحبوب، عبد الرحمن. (١٩٩٧). المناخ الأكاديمي كما يدركه الطلبة و الطالبات في مستويات دراسية وتخصصات أكاديمية مختلفة في كلية التربية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد ٣٢، ص ص٤٤-٨٨.
- المسند، شيخة. (١٩٩٤). نمط المناخ المؤسسي السائد في جامعة قطر كما يدركه أعضاء هيئة التدريس فيها وعلاقته ببعض المتغيرات. حولية كلية التربية، جامعة قطر، عدد ١٠، ص ص٦١-٩٥.

- المغربي، محمد كامل. (١٩٩٥). السلوك التنظيمي، مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، ط٢، دار الفكر، عمان.
- نيول، كلارنس. (١٩٩٣). السلوك الإنساني في الإدارة التربوية، ترجمة محمد الحاج خليل وطه الحاج الياس، مجدلاوي للطباعة للنشر والتوزيع، عمان.

- Boyd, E. (1998) . Organizational Climate and Student Achievement Motivation, Journal. of Educational Research , Vol 42, No. 4, PP. 94-106.
- Dunham , R . (1973) . Achievement Motivation Aspredictive of Academic Performance : A multivariate analysis. The journal of Educational Research. Vol . 67, no . 2, pp (70 –73) .
- Golden, M . (1996) . A Study of The Relation Between Local Cosmopolite and Characteristic of Teacher, Pupil Interaction, Achievement Motivation and Level of Aspiration, Journal. of Gentic. Psychology., vol. 88, No. 5, PP. 163-175.
- Linzy, M. j. S . (1991) . Acomparative Study of The Relationship Between School Climates and Student Achievement In Fifth, Seventh, and Ninith Grades In Anorth Florida School District. Dissertationa Abstracts International , vol.51,P.2977-A.
- Maos, M. (1970).Differential Perception of Junior College Environment Student , Staff and Community. Dissertationa Abstracts International , , vol . 31 , no . 4-A,3189 .
- Nachtwey, R. (1994). The Relationship Between School Climate, Level of Aspiration and The Need Achievement, Journal. of Educational Research., Vol. 35, No. 6, PP. 283 – 295.
- Neoth, H.& Dye, G. (1974) . Students Affective Development Within The College Environment. Journal of Higher Education, , 640 – 660 .
- Pokay , P & Bumenfeld, P .(1990) . Predicting Achievement of Early and Latin The Semester: The Role of Motivation and Use of Learning Strategies, Journal of Educational Psychology, 82 (1), pp . 41-50 .
- Wilson, R. (1983) . Effect of School Climate of Elementary School on Achievement Motivation, Journal. of Psychology., Vol. 19, No. 3, P. 373-390.

الملحق (١)

مقياس المناخ الجامعي

البعد الأكاديمي:

الرقم	العبارات	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	إطلاقا
١ .	يهتم أعضاء هيئة التدريس بتحصيل الطلبة .					
٢ .	أعضاء هيئة التدريس في جامعتي مؤهلون علميا .					
٣ .	يهتم أعضاء هيئة التدريس بما يستجد من أفكار وأساليب لها علاقة بتخصصهم					
٤ .	يقوم أعضاء هيئة التدريس بإرشاد الطلبة وفق الخطط الدراسية .					
٥ .	يحرص أعضاء هيئة التدريس على تقييم الطلبة بشكل موضوعي .					
٦ .	اشعر بأمانة أعضاء هيئة التدريس في العمل الجامعي .					
٧ .	يتعاون أعضاء هيئة التدريس مع الطلبة خارج وقت المحاضرة .					
٨ .	تعمل الجامعة على تشجيع إبداعات الطلبة .					
٩ .	أجد في مكتبة الجامعة ما احتاج إليه من كتب ومراجع .					
١٠ .	يهتم أعضاء هيئة التدريس بالمشكلات الخاصة بالطلبة .					
البعد الإداري :						
١١ .	أنظمة الجامعة وتعليماتها واضحة للطلبة .					
١٢ .	يتميز الإداريون في الجامعة بسرعة الأداء . .					
١٣ .	لا أجد المساعدة من المسئولين في الجامعة حين أطلبها .					
١٤ .	تقوم إدارة الجامعة بمعرفة مشكلات الطلبة بشكل دوري .					
١٥ .	تتميز إجراءات التسجيل في الجامعة بالسهولة .					
١٦ .	العقوبات التي تفرضها الجامعة على المخالفين من الطلبة لا تنفذ .					
١٧ .	يُعامل الطلبة بالعدل عند دفع الرسوم الجامعية .					
١٨ .	يتعرض الطلبة للإرهاق النفسي مع بداية كل فصل بسبب الرسوم الجامعي .					
١٩ .	يقوم نظام الإعفاءات المتبع في الجامعة على أسس مزاجية					
٢٠ .	تقدم الجامعة مساعدات خاصة بالطلبة المحتاجين .					

البعد الاجتماعي:						
٢١ .	يوجد تفاعل بين الطلبة داخل الحرم الجامعي .					
٢٢ .	يتقبل أعضاء هيئة التدريس مشاعر الطلبة .					
٢٣ .	يؤثر الاختلاط في الجامعة سلبا على الطلبة .					
٢٤ .	يتعامل المجتمع المحلي مع الطالب الجامعي باحترام وتقدير .					
٢٥ .	يشعر الطلبة بسعادة داخل الحرم الجامعي .					
البعد الخدماتي:						
٢٦ .	تتوافر في الجامعة قاعات مريحة للمحاضرات .					
٢٧ .	المرافق الصحية في الجامعة متوفرة للطلبة .					
٢٨ .	يستطيع الطالب مراجعة طبيب الكلية في عيادته طيلة ساعات الدوام .					
٢٩ .	تتميز ساحات الجامعة ومرافقها بالنظافة .					
٣٠ .	يوجد مكان مناسب لتناول وجبات الطعام داخل الجامعة .					
٣١ .	يقدم بريد الجامعة خدماته للطلبة بشكل منتظم .					
٣٢ .	تتوافر داخل الحرم الجامعي أماكن مناسبة للاستراحة وقت الفراغ .					
٣٣ .	سهولة المواصلات من الجامعة واليها .					
٣٤ .	يساعد مجلس الطلبة على حل مشكلات الطلبة داخل الجامعة .					

الملحق (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات استبانة المناخ الجامعي مرتبة تنازليا

ترتيب الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	أعضاء هيئة التدريس في جامعتي مؤهلون علميا .	٤,٠٦	٠,٩١
٢	يقوم نظام الإعفاءات المتبع في الجامعة على أسس مزاجية	٣,٧٩	١,٣٢
٣	يوجد تفاعل بين الطلبة داخل الحرم الجامعي .	٣,٧٦	١,١١
٤	يقوم أعضاء هيئة التدريس بإرشاد الطلبة وفق الخطط الدراسية .	٣,٧٢	١,١٣
٥	يوجد مكان مناسب لتناول وجبات الطعام داخل الجامعة .	٣,٦٧	١,٣٨
٦	يهتم أعضاء هيئة التدريس بما يستجد من أفكار وأساليب لها علاقة بتخصصهم	٣,٥٨	١,٠٢
٧	يتعامل المجتمع المحلي مع الطالب الجامعي باحترام وتقدير .	٣,٥٣	١,١١
٨	أنظمة الجامعة وتعليماتها واضحة للطلبة .	٣,٥٣	١,١٥
٩	تتميز ساحات الجامعة ومرافقها بالنظافة .	٣,٥٢	١,٣٣
١٠	يهتم أعضاء هيئة التدريس بتحصيل الطلبة	٣,٥٠	١,٠٧
١١	المرافق الصحية في الجامعة متوفرة للطلبة	٣,٤٨	١,٣٦
١٢	العقوبات التي تفرضها الجامعة على المخالفين من الطلبة لا تنفذ .	٣,٤٢	١,١٩
١٣	يتعاون أعضاء هيئة التدريس مع الطلبة خارج وقت المحاضرة .	٣,٤١	١,١١
١٤	أجد في مكتبة الجامعة ما احتاج إليه من كتب ومراجع .	٣,٣٧	١,٢٦
١٥	اشعر بأمانة أعضاء هيئة التدريس في العمل الجامعي .	٣,٣٥	١,١٥
١٦	يحرص أعضاء هيئة التدريس على تقييم الطلبة بشكل موضوعي .	٣,١٨	١,٠٩
١٧	يؤثر الاختلاط في الجامعة سلبا على الطلبة .	٣,١٤	١,٢٩
١٨	تتوفر داخل الحرم الجامعي أماكن مناسبة للاستراحة وقت الفراغ .	٣,١٤	١,٣٧
١٩	يشعر الطلبة بسعادة داخل الحرم الجامعي .	٣,٠٦	١,٨٥
٢٠	لا أجد المساعدة من المسئولين في الجامعة حين أطلبها .	٣,٠٦	١,٢٤
٢١	سهولة المواصلات من الجامعة واليها .	٣,٠٢	١,٤٩
٢٢	تتوفر في الجامعة قاعات مريحة للمحاضرات	٣,٠١	١,٣١
٢٣	تعمل الجامعة على تشجيع إبداعات الطلبة .	٢,٨٦	١,١٩
٢٤	يساعد مجلس الطلبة على حل مشكلات الطلبة داخل الجامعة .	٢,٨٤	١,٣١
٢٥	يقدم بريد الجامعة خدماته للطلبة بشكل منتظم .	٢,٨٠	١,٣٥

٢٦	يتقبل أعضاء هيئة التدريس مشاعر الطلبة .	٢,٧٩	١,٠٤
٢٧	تقدم الجامعة مساعدات خاصة بالطلبة المحتاجين .	٢,٧٩	١,١٢
٢٨	يتميز الإداريون في الجامعة بسرعة الأداء .	٢,٧٧	١,٢٠
٢٩	يستطيع الطالب مراجعة طبيب الكلية في عيادته طيلة ساعات الدوام	٢,٧٤	١,٤٣
٣٠	يهتم أعضاء هيئة التدريس بالمشكلات الخاصة بالطلبة .	٢,٤٧	١,١٢
٣١	تقوم إدارة الجامعة بمعرفةمشكلات الطلبة بشكل دوري .	٢,١٣	١,٠٧
٣٢	يتم معاملة الطلبة بالعدل عند دفع الرسوم الجامعية .	٢,١١	١,٢٧
٣٣	تتميز إجراءات التسجيل في الجامعة بالسهولة .	٢,٠٨	١,٢٨
٣٤	يتعرض الطلبة للإرهاق النفسي مع بداية كل فصل بسبب الرسوم الجامعية .	١,٦٨	١,١٧
	الدرجة الكلية	٣,٠٩	٠,٥٥

الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين

د. رسميه سعيد عبد القادر*

* أستاذ مساعد، كلية العلوم التربوية/قسم علم النفس والارشاد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمات النفسية في فلسطين، و تحديد الفروق في الضغوط النفسية تبعاً لمتغيرات (الجنس، والعمر، والمسمى الوظيفي، والخبرة، ومكان العمل)، وتكون مجتمع الدراسة من (٢٤٩) اخصائي واخصائية في محافظات شمال فلسطين (نابلس، وقلقيلية، وسلفيت، وجنين ، وطولكرم)، أما عينة الدراسة فتكونت من (١٥٤) اخصائي واخصائية اختيروا بالطريقة الطبقية العشوائية ، وقد شكلت ما نسبته (٨ , ٦١٪) من مجتمع الدراسة .

وبعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة تبين أن الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في شمال فلسطين جاء بدرجة متوسطة وبمتوسط حسابي (٩٣ , ٢) أي بنسبة مئوية (٦ ,٥٨٪) واحتل مجال أهمية المهنة في المجتمع المرتبة الاولى بين مجالات الضغوط النفسية . إذ جاء بدرجة عالية وبمتوسط حسابي (١٨ , ٣) وبنسبة مئوية (٨ , ٦٣٪) .

وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجالات الدراسة ، إضافة إلى انه لا توجد فروق تبعاً إلى متغيرات(الجنس ، والعمل، والمسمى الوظيفي ، ومكان العمل) .

وأوصت الباحثة بعدة توصيات من أهمها : -

- تحسين الخدمات النفسية في المؤسسات حتى تشجع الطلبة على هذه الخدمات .
- العمل على رفع كفاءة العاملين في الخدمات النفسية بإعطائهم دورات مختلفة ومتخصصة في علاج الضغوط النفسية .
- العمل على تغيير المفاهيم الخاطئة لدى المجتمع حول دراسة علم النفس عامة عن طريق الندوات وعن طريق التلفاز والاذاعة .

Abstract:

This study sought to identify the degree of psychological stresses prevalent among people working in psychological counseling services and their relationship with the variables of sex, age, job title, experience and place of work. The population of the study was 249 specialists in the northern governorates : Nablus, Qalqilya, Salfit, Jenin and Tulkarm.

The sample of the study consisted of 154 specialists chosen randomly and representing 61.8% of the study population. It was found that the degree of psychological stresses was moderate-high moderate, i.e. has an average of (2.93) equivalent to 58.6% . The importance of the job in the society occupied the first place among the domains of the psychological stresses. The degree was high and the arithmetic average was (3.18) or 63.8%.

The findings also revealed statistically significant differences among the domains of the study.

The findings confirmed that the psychological stresses among the providers of psychological counseling services come form the drop in the value of the career in the society to a low degree. In addition, the provision of psychological services also causes psychological stress to the provider. Also lack of material and moral incentives significantly affect the psyche of the provider when he/she provides the service.

The researcher gave some important recommendations.

مقدمة الدراسة:

يمر الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة بمرحلة جديدة وليدة لسنوات الاحتلال ومسبباتها من النواحي الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية ، وما يحدث الآن هو بمثابة وضع جديد وظاهرة جديدة أو نسميها تجربة جديدة لها آثارها وردود الفعل على المجتمع كله أفراداً أو جماعات ، ويمكن لأي وضع جديد في حياة الانسان أن يولد لديه ضغوطات وحدة هذه الضغوطات، تتفاوت من شخص إلى آخر، وكلها تتطلب من الفرد او الجماعة مواجهتها والتأقلم معها .

وتتوقف كيفية مواجهة الفرد للضغط على عدة عوامل منها المهارة ودوافعه ومدى تحمله للضغط والدعم الذي يتلقاه أو لا يتلقاه من بيئته (كناغن، ١٩٨٩) .

ويعتبر علماء النفس الضغط على انه مثير ومثيران، والضغط يعتبر بشكل عام حوادث مفروضة على الشخص، فالضغوطات الناتجة عن تغيير مجرى حياة الإنسان سواء كان هذا التغيير إيجابياً أو سلبياً فانه يتطلب التأقلم له إذ أنه أي نوع من ردة الفعل النفسي الملازم للضغط يتنوع ما بين مشاعر ايجابية كالشعور بالنشوة والمرح وما بين مشاعر سلبية كالشعور بالاكتئاب والغضب والخوف (اسعد، ١٩٩٨) .

وعلى الرغم من أن مصطلح الضغط النفسي (Stress)، لدى كثير من العلماء، مرادف لمعنى القلق والإحباط والصراع والدفاع وبعض الانفعالات كالغضب والخوف فإن هذا المصطلح اصبح مألوفاً وجزءاً من مصطلحات هذا العصر له معنى خاص به .

وتعد الضغوط النفسية ظاهرة انسانية ينتج عنها خبرة حادة مؤلمة بحيث يظهر تأثيرها بشكل كبير على السلوك كما يظهر تأثيرها في فعالية التكيف (عربيات، ١٩٩٤) .

وغالبا ما يرتبط الضغط النفسي بالحالات المزعجة أو غير المرغوب فيها أو المشاعر التي يمتلكها الأفراد أنفسهم وتتضمن هذه الحالات انفعالاتهم ووضعهم الجسمي، وبناءً على ذلك فاننا نقيم هذه الحالات ونعدها حالات ضاغطة، ومن الناحية النفسية، ، فان الضغط النفسي يحدث نتيجة التقييمات المعرفية التي تصدر عن المطالب الداخلية والخارجية المتزايدة التي نهتم بها او تتراكم علينا في وقت ما .

و ينشأ الضغط النفسي بعامة عن الطريقة التي نفكر في عن أنفسنا وظروفنا وأحوالنا وفي المعنى الذي تفضي به المطالب التي تتراكم علينا (الشايب، ١٩٩٤) .

والحياة الحديثة مليئة بالضغوط خاصة في المجالات التي تستدعي التكيف مع المشكلات المعقدة، و يمكن أن تؤدي الضغوط ما يسمى بالاحتراق النفسي الذي يتضمن حالة انفعالية متطرفة وغضباً جسمانياً يشعر عندها الفرد بفقدان الامل والتعاسة (التل، ١٩٩٣).

ويختلف الأفراد في الطرق التي يتعاملون بها مع الضغوط النفسية والأحداث الضاغطة التي يتعرضون لها، وإننا لا نتصور انساناً دون ضغوط الا في حالة الموت فقط، غير أن التعرض المستمر للضغوط ولا سيما في مستواها الشديد يمكن أن يؤدي إلى الارتباك في الحياة والعجز عن اتخاذ القرار، ونقص التفاعل مع الآخرين، وتفشي أعراض الأمراض الجسمية وغير ذلك من نواحي الاختلال الوظيفي(Cohen &Wills,1995)

وفي ضوء إحساس الباحثة تتفشى هذه الظاهره لدى العاملين بفلسطين، وبناءً على ما لمسته من عزوف الأخصائيين والمرشدين النفسيين عن عملهم جاءت فكرة هذا البحث مستهدفة الوقوف على اسباب الضغوط النفسية وتحديد مصادرها.

إن ثمة مهناً تقتضي من المرء التخفيف من التوتر وتتطلب من ممارسيها ضبط عوامل الضغط والقلق حتى يتسنى لهم أداء واجباتهم الوظيفية على النحو المرضي والمتوقع منه أن ينجح الأخصائي النفسي في تقليص ضغوط مرضاه وقلقهم، وهو يعاني بدرجة واضحة من هذه الضغوط اذ كان فاقد الشيء لا يعطيه.

مشكلة الدراسة:

وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين؟

٢- هل تختلف الضغوط النفسية باختلاف متغيرات (الجنس، والعمر، ومكان العمل، والمسمى الوظيفي؟

أهمية الدراسة:

يمكن ايجاز أهمية الدراسة بما يأتي: -

١- محاولة تشخيص ظاهرة الضغوط النفسية لدى فئة الأخصائيين والمرشدين النفسية للوقوف على مصادرها وأسبابها، ويمكن أن يساعد القائمين على الأمر في وضع

استراتيجيات الوقاية والعلاج لهذه الظاهرة عند هذه الفئة .

٢- إن أهمية هذا البحث تعزى إلى الباحثة بتقييم استبانة الضغوط النفسية وتقنينها على البيئة الفلسطينية ، وهذا يعد إثراء للمكتبة السيكولوجية .

٣- يسعى البحث الحالي إلى المزاوجة بين المنهجين السيكومتري والإكلينيكي ، حيث يتعرف إلى طبيعة الضغوط النفسية – مصادرها وأسبابها اعتمادا على إحدى العينات الإكلينيكية (مقابلة مفتوحة) ، وهذا يعمق سبل البحث ووسائله .

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- معرفة درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين .

٢- التعرف إلى الفروق في درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تبعاً إلى متغيرات (الجنس ، و العمر ، والمسمى الوظيفي ، ومكان العمل) .

فرضيات الدراسة:

سعت هذه الدراسة للتحقق من الفرضيات الصفرية الآتية :

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين مجالات الدراسة .

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير الجنس .

٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير العمر .

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥) بين درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير

المسمى الوظيفي .

٥- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥ = α) بين درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير مكان العمل .

حدود الدراسة:

التزمت الباحثة اثناء إجراء الدراسة بالحدود الآتية :

١- اقتصرت الدراسة على المرشدين والأخصائيين النفسيين جميعاً ذكوراً وإناثا في محافظات شمال فلسطين (جنين، ونابلس ، وطولكرم، وقلقيليه، وسلفيت) .

٢- اجريت الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة من (٨/ ٢٠٠٥ إلى ٢/ ٢٠٠٦) .

٣- تتحدد نتائج الدراسة بالمعطيات الخاصة لمقياس الضغوط النفسية لدى العاملين في الخدمات النفسية .

مصطلحات الدراسة:

- الضغوط النفسية:Psychological Stress

يمكن تعريف الضغوط بأنها استجابة تكيفية تتوسطها الفروق الشخصية(الفردية) أو العمليات السيكولوجية وأنها نتيجة حدث أو فعل بيئي خارجي، بحيث تضع متطلبات سيكولوجية أو مادية مفرطة على الفرد ، ويرى جيسون أن هذا التعريف يسمح لنا بتوجيه اهتمامنا إلى حالات بيئية معينة على اعتبار أنها مصادر متوقعة للضغوط، ويطلق عليها ضواغط(Stressors) (موسوي، ١٩٩٩) .

- محافظات شمال فلسطين: وتشمل طولكرم وقلقيلية وسلفيت ونابلس وجنين .

- عاملو الخدمات النفسية: جميع المرشدين والأخصائيين النفسيين ذكوراً واناثاً العاملون في المؤسسات النفسية والاجتماعية في المناطق المذكورة سابقاً .

الأصول النظرية للبحث وأدبياته:

إن مصطلح الضغوط النفسية لا يزال يكتنفه قدر كبير من الفحوص شأنه في ذلك شأن

كثير من المفاهيم السيكولوجية والتربوية وأن الاختلاف ليس فقط مجرد تعريف المصطلح وأن لحق الاختلاف ايضاً بالمصطلحات البديلة للضغوط النفسية التي تستخدم في المواقف المختلفة (Cox,1978,p.31).

ثم انتقل المفهوم إلى مجال علم الاجتماع (١٩٤٦) حيث اوضح كوكس (Cox) أن الضغوط تظهر في مجموع المتاعب التي يقصد بها المواقف التي تخرج عن النمط العادي للحياة او مواقف تعرقل الأنشطة العادية، وتعد الضغوط النفسية احدى ظواهر الحياة الانسانية حيث يتعرض لها الانسان في مواقف واوقات متباينة فهي تتطلب منه التوافق ، واعادة التوافق مع البيئة. إن ظاهرة الضغوط لا تختلف كثيراً عن بقية الظواهر النفسية كالقلق والإحباط والعدوان، فهي توابع الوجود الانساني، كما ان الضغوط لا تكون دائماً على نحو سلبي فمحاولة الهروب منها تعني بوضوح نقص فعاليات الفرد واخفاقه في الحياة (Kobasa,1997).

ولقد أكد سيلي (Selye) المعنى السابق، فالإنسان لا يستطيع العيش دون التعرض للضغوط المعتادة، أما تعرضه للضغوط المتكررة والشديدة في الوقت نفسه فانها يمكن أن تفضي إلى أعراض بعض الأمراض الجسمية ويوضح سيلي (Selye,1976) أعراض الضغوط النفسية في ثلاثة أطوار: ففي الطور الأول (الانذار بالخطر) يؤدي الضغط إلى تنشيط آليات التوافق، وفي الطور الثاني (المقاومة) يؤدي الضغط إلى استخدام آليات التوافق ، وفي الطور الثالث (الإجهاد والاستنزاف) يؤدي الضغط إلى استخدام آليات التوافق (Selye,1976).

ومن المفيد عند دراسة الضغوط معرفة الظروف الضاغطة (Stressors conditions) فالضغوط التي يعاني منها الكبار يمكن أن تنتقل آثارها إلى الصغار فتصبح بالنسبة لهم مصادر ضغط (انظر: العربي، ١٩٨٥) والمواقف الضاغطة عموماً اذا تضمنت تحقيق مطالب في حدود امكانات الانسان وقدراته فانها تساعده على تحقيق التوافق وتكوين العلاقات، اما اذا كانت المواقف الضاغطة تفوق قدرات المرء، وتتجاوزها غاية وسعة فإنها تؤدي به إلى الاغتراب عن الذات، وهذا ما أكدته دراسات كل من (Miller,1982) و(شعيب، ١٩٨٩) و (ياسين، ١٩٩١).

مصادر الضغوط النفسية:

تؤكد الدراسات النفسية أن مصادر الضغوط متباينة ومتداخلة في آن واحد ويمكن أن تتمثل مصادر الضغوط في البيئة الخارجية كما يمكن أن تتجسد أيضا من خلال المتغيرات

التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وقد تبرز معالم هذه الضغوط من النظم والقواعد واللوائح المجتمعة ، كما أن الخوف والتهديد والإحباط جميعا تعد مصادر للضغوط النفسية (Lazarus,1966) .

إن ثمة دراسات أخرى تؤكد أن أحداث الحياة وما تشتمل عليه من اضطراب العلاقات الإنسانية وتهديد الإنسان لأخيه تعد أيضا من مصادر الضغوط الشائعة في الحياة، وهناك دراسات تبرز مصادر الضغط من أبعاده الفسيولوجية، حيث تعتبر ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة وتفشي الميكروبات من الأعراض الفسيولوجية للضغوط المهددة للجسم التي تنشط على أثرها الآليات الدفاعية لمقاومة الفيروس والاحتفاظ بالحياة .

ولقد استطاع مكبرايد (McBride) أن يبلور لنا مصادر الضغوط التي تضمنتها البحوث منذ ١٩٣٠ فيما يأتي : -

- كثرة الأعمال الإدارية ، والمسؤوليات الإضافية ، وتدني الراتب ، وظروف العمل السيئ ، والانتقال من عمل إلى آخر دون تهيئة الفرد نفسياً .
- ضعف الإمكانات المادية ، والحياة الاجتماعية للمؤسسة ، والإرهاق ، والتدخين ، وضعف الأنشطة ، وتضخم الضرائب ، وضعف الاتصال والتقليد ، والخوف من الفشل ، والانعزالية والوحدة ، نظرة المجتمع المتدنية ، وعدم التعاون ، والأنانية ، واللامبالا ، وضعف الدافعية .

وفي دراسة أعدها كاشوي وتايلور (Cushway &Taylor,1994) لمعرفة مستويات الضغط ومصادرة عند (٦١) اخصائية و (٤٠) اخصائياً نفسياً يتراوح أعمارهم بين (٢٥-٦١) أظهرت النتائج أن الأخصائيين النفسيين المؤهلين أبدوا ضغطاً أقل من المتدربين ، والأخصائيات النفسيات أظهرن مستويات الضغط واعراضه السيكولوجية أكثر من الذكور ، وأن الذكور الأقل خبرة أظهروا مستويات ضغط أكثر من ذوي الخبرة ولم يتبين ذلك عند الإناث .

الآثار التي تترتب على الضغوط النفسية:

تشير الدراسات النفسية والطبية المختلفة إلى أن للضغوط النفسية آثاراً فسيولوجية وأخرى نفسية واجتماعية يمكن أن نجملها فيما يأتي : -

الآثار الفسيولوجية:

تتمثل الآثار الفسيولوجية المرتبطة بالضغط في اضطراب الجهاز الهضمي ، الاسهال ، والامساك المزمن ، واضطراب الجهاز التنفسي ، وارتفاع ضغط الدم ، والصراع النفسي ،

وانتشار الامراض الجلدية، وتضخم الغدة الدرقية، والبول السكري، والتشنج العضلي، والتهاب المفاصل، والروماتزم، واضطراب الغذاء كفقدان الشهية اوالشره والبدانة والميل للتقيؤ والغثيان (Hass,1978)، ويضيف هيلجراد وكويك(Quick & Hilgrad,1979) بعض الآثار الفسيولوجية الأخرى مثل النوبات القلبية وقرحة المعدة، وارتفاع نسبة الكلسترول

وأوضحت دراسة هاوس وآخرون (House et.al,1987) علاقة الضغوط المهنية واثرها في الصحة الجسمية مثل الإصابة بالذبحة الصدرية ، وقرحة المعدة، و الحكة الجلدية، والسعال، وضغط الدم، والصرع ، ومرض القلب.

الآثار النفسية:

تكاد تجمع نتائج البحوث النفسية على أن للضغوط آثارا نفسية تتمثل في اضطراب إدراك الفرد، وعدم وضوح مفهوم الذات لديه، كما أن ذاكرته تضعف وتصاب بالتشتت ويصبح أكثر قابلية للمرض النفسي والعقلي والجسمي (Capler,1981). كما أن تكرار الضغوط الشديدة يؤدي بالفرد إلى الغضب والخوف والحزن والشعور بالاكتئاب وكذلك الشعور بالخجل والغيرة (Lazarus,1966).

إن الضغوط النفسية يمكن أن تؤدي إلى اضطراب النمو وعدم الثقة في النفس وتزيد من تشتت الانتباه (القرشي، ١٩٩٣).

وترتبط الضغوط عموماً باضطراب الأداء و وخفضه وتشوش السمع والحركات الزائدة وكراهية الذات وخفض الأنا وتصدع الهوية والميل للاغتراب ، وكثرة الشكوى من المرض والرغبة في النعاس (Johnson, et.al,1989).

وفي دراسة أعدها بيرس ومولي(Pierce&Molloy,1990) أسفرت عن وجود علاقة دالة بين إحساس المعلم بالضغط النفسي أو عدم الرضا المهني وبين بعض سمات الشخصية مثل الانبساط وجهة الضغط والقدرة على التحمل.

وفيما يتصل بسمات الشخصية وعلاقتها بالضغط النفسي فقد اجرى هوكبنر وميلز (Hucbner&Mills,1994) بحثاً لمعرفة مستويات الضغط النفسي والعلاقة بين الضغط النفسي وسمات الشخصية والدور المتوقع لعينة من (٩٠) اخصائياً نفسياً ثم عينوا أخصائيين في المدرسة فدلت النتائج على أن سمات الشخصية مرتبطة بالضغط النفسي ارتباطاً دالاً وأن مستويات الضغط النفسي مرتبطة بالنزعات الفردية والتنافسية ارتباطاً ضعيفاً، وقد

ظهر من خلال إجابات الأخصائيين النفسيين أن هناك ارتباطاً كبيراً بين الضغط النفسي وعدم الرضا بالدور المتوقع منهم مفضلين تكريس الجزء الأكبر من وقتهم في عملية الإرشاد والاسترشاد.

وقد توصل كوهن ووليمسون (Cohen&Wiliamsons,1991) إلى أن هناك دليلاً مقنعاً على وجود ارتباط بين الضغوط النفسية وزيادة السلوك المرضي.

الدراسات السابقة:

لقد اطلعت الباحثة على العديد من البحوث والدراسات المتعلقة بالموضوع، والتي طبقت على البيئات العربية والفلسطينية والأجنبية، ثم اختارت الدراسات التي لها علاقة بمتغيرات هذه الدراسة أو بظروفها، إذ لا بد من مراجعتها للتعرف إلى الأمور التي ركز عليها وإجراءاتها وأهم نتائجها من جهة وعلاقتها بالدراسة الحالية من جهة ثانية.

وسوف نستعرض في هذا المقام عينة من الدراسات السابقة التي تدور في فلك تلك الضغوط النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات بغية الوصول إلى تحديد فروض البحث وكذلك خطواته وإجراءاته.

وتشير كثير من الدراسات إلى أن ثمة ارتباطاً بين الدعم والمستوى الاجتماعي وبين الضغوط النفسية وهذا ما أكده جود جونسون (Good Johnson) حيث طبق مقياسين أحدهما لقياس أحداث الحياة والآخر لقياس الدعم الاجتماعي على (١٦٧) من المراهقين البيض والسود الذين ينتمون لمستويات اجتماعية متباينة، وقد خلص البحث إلى أن الدعم الاجتماعي له تأثير يسير من تخفيف الضغوط النفسية وأن الذي يزيد من إحساس الفرد بالضغوط النفسية هو المشكلات الشخصية منها، كما أكد جونسون أن الضغوط تزداد عند الطبقات الاجتماعية المنخفضة التي تعيش في ظل أحداث الحياة السلبية (Good Johnson,1982).

وفي الاتجاه نفسه أجرى أندرو وآخرون(Androw, et.al,1992) بحثاً سنة (١٩٩٢) على عينة قوامها (٨٢١) زوجاً من التوائم الإناث وقد أسفرت الدراسة عن:

- أن المتغيرات البيئية تؤثر بوضوح في تخفيض الضغوط النفسية،
- وأن الدعم الاجتماعي بعيد الأثر في تخفيف الضغوط النفسية
- وأن ثمة علاقة إيجابية بين الدعم الاجتماعي والتكيف مع الضغوط، ولا سيما الأفراد الذين لديهم ضغط داخلي.

وفي دراسة أخرى لكسلر (Kessler,1982) حول الضغوط والطبقات الاجتماعية طبق الباحث مقياس أحداث الحياة والمقابلة الاكلينيكية على عينتين : الأولى تمثل الطبقة الاجتماعية المنخفضة التي تعرضت لأحداث ضاغطة ، أما العينة الثانية فتمثل الطبقة الاجتماعية المرتفعة ولكنها تعرضت لأحداث ضاغطة ولقد تمخض البحث عن :

- أن أحداث الحياة الضاغطة تؤثر في العينين دون تمييز حيث تأثير أبناء الطبقة الاجتماعية المرتفعة بالضغوط تماماً كابناء الطبقة الاجتماعية المنخفضة .
- أن ضعف الدعم الاجتماعي يعتبر مصدراً قوياً من مصادر ضغوط الحياة .
- أن شعور الأفراد بالضغط النفسي يتباين وفق ظروفهم البيئية كما تتباين أيضاً بتباين خبراتهم وإدراكهم للموقف .

تؤكد هذه الدراسة أن الإناث أكثر شعوراً بالضغط وأكثر تعرضاً له (Kasslor,1982) .

وحول العلاقة بين الضغط النفسي عند المعالجين النفسيين والأنشطة الجانبية في وقت الفراغ ، فقد تبين وجود ارتباط دال بين وقت الفراغ والضغط النفسي المنخفض ، كما وجد أن نشاط الاسترخاء له ارتباط كبير بالضغط النفسي . وأن النشاط الكتابي والسمات الديمغرافية الاخرى لها علاقة دالة بالضغط النفسي .

وحول العلاقة بين الضغوط النفسية ومهنة التدريس وجد عبد السميع في دراسة له (عبد السميع ، ١٩٩٠) أن هناك علاقة ارتباطية بين الضغط النفسي للمعلمين والمناخ النفسي الاجتماعي المدرسي . وأن المعلمين الأعلى إدراكاً للمناخ النفسي المدرسي أقل من الضغط النفسي ، كما أن المعلمات أقل في الضغط النفسي من المعلمين وأن المعلمين المؤهلين تربوياً أقل ضغطاً من غيرهم من المعلمين (١٩٩٠ ، ص٢٠) .

وفي دراسة أخرى أعدها عسكر وآخرون (١٩٨٦) وجد أن أكثر الفئات تعرضاً للاحتراق النفسي هم المعلمون الكويتيون خاصة من ذوي سنوات الخبرة ما بين ٥-٩ سنوات .

وعن المشكلات الأكاديمية وعلاقتها بالضغوط النفسية أجريت العديد من البحوث التي وظفت طرائق البحث المختلفة وعموماً يمكن أن نجمل نتائج هذه البحوث فيما يأتي : -

- إن مصادر الضغط الأكاديمي تتمثل في الاصدقاء والوالدين والمدرسة ، والخوف من الفشل . ويلاحظ أن المتغيرات الاجتماعية والشخصية تعد مراحل أساسية في الضغط الأكاديمي (Charles, et.al,1987) .
- إن الأساتذة أكثر شعوراً بالضغط من الطلبة وطلاب السنوات النهائية أكثر إحساساً بالضغوط من السنوات الاولى .

- إن الإحساس بالضغوط النفسية أكثر شيوعاً لدى أعضاء هيئة التدريس الذين يعملون بالكليات النظرية.
- إن ثمة مصادر للضغوط بالنسبة للطالب تتمثل في الرسوب والامتحانات والمذاكرة، والمناهج المحملة، والحشو الزائد في المقررات الدراسية (ياسين، ١٩٩٢).

وعن ضغوط الحياة وعلاقتها بتوافق الآباء والأبناء أجرى لورنس وآخرون بحثاً طبقوا فيه مقاييس الضغوط النفسية – التوافق، وتقدير الذات، على (٣٣١) تلميذ من مرحلة التعليم الاساسي، وقد أسفر البحث عن وجود علاقة ارتباطية بين الضغوط الحياتية والاستجابات الوالدية، كما تبين أيضاً أن ضغوط الحياة تؤثر سلبياً في الوظائف النفسية (Lowrenc,et.al,1987).

وفي موضوع الدراسات السابقة أجرى (Yonalezer) بحثه لمعرفة علاقة الضغوط بالتوافق لدى العائلات اليهودية التي لديها أطفال معاقون، وقد أسفرت نتائج تطبيق اختبارات الضغوط النفسية والمقابلات الشخصية عن أن مصادر الضغوط لدى العائلات اليهودية تتمثل في الأزمات المالية ونقص الدعم الاجتماعي والخجل من وجود طفل معوّق، وقد أكدت الدراسة نفسها أن العائلات التي يوجد فيها طفل، تتوافق مع المشكلة بشكل معقول وأن وجود الطفل المعوق يؤثر في الأسرة ويسبب لها ضغوطاً بشكل واضح (Yanalezer,1990).

وبحثت بنوماكا (Punamaka) الضغط النفسي بين النساء الفلسطينيات تحت الاحتلال من حيث تقييم النساء لمسببات الضغط ومعالجتها، ودرست الصحة النفسية، (١٧٤) امرأة فلسطينية يعشن في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال، ومن بين هؤلاء النساء مجموعة مقارنة قوامها (٣٥) امرأة يعشن في فلسطين المحتلة منذ العام ١٩٤٨، وأظهرت النتائج أن التجارب الصادمة بسبب الاحتلال سبب لهما توتراً واجهاداً أكثر من صعوبات الحياة اليومية، وقد عبرت النساء اللواتي يعشن تحت الاحتلال الاسرائيلي عن موضوع سيطرة أكثر قوة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مقارنة بالنساء اللواتي يعشن في فلسطين (١٩٤٨).

وأعد الشايب (١٩٩٤) دراسة هدفت إلى معرفة استراتيجيات التكيف لدى المرشدين في المدارس الاردنية للتعامل مع ضغوطهم النفسية، وتألفت الدراسة من (١٥٠) مرشد ومرشدة (٨٢) مرشداً و (٦٨) مرشدة في مديرية تربية عمان، وأظهرت النتائج وجود فروق تعزى إلى الحالة الاجتماعية والخبرة في استخدام استراتيجيات وسائل الدفاع، والتمارين الرياضية، والترفيه، والاسترخاء، والتقبل، والثقة تعزى إلى الجنس والحالة الاجتماعية والخبرة.

ودراسة أبو عيشة (١٩٩٧) حول التوتر النفسي ومصادره لدى المشرفين التربويين ومديري

المدارس في فلسطين، وهدفت إلى معرفة مستوى التوتر النفسي، وأجريت الدراسة على عينة قوامها (٣٥) مشرفاً و (٢٣٠) مدير من المجتمع الأصلي وكانت نتائج الدراسة أن المشرفين والمديرين ذكوراً واناثاً يتعرضون لدرجة عالية من التوتر النفسي المتمثل بردود الفعل الفسيولوجي والانفعالية والسلوكية والمعرفية.

ودراسة ندى (١٩٩٨) حول مصادر الضغط النفسي كما يراها معلمو وكالة الغوث في نابلس بفلسطين ومعرفة علاقة الضغط بالروح المعنوية، وتكونت عينة الدراسة من (١٤٤) معلم بنسبة (٢٥٪) من المجتمع الأصلي، وكانت النتائج المؤثرة هي: ضغط المدرسة، وضغط العمل، وعبء الدور وغموضه، ووجدت الدراسة أن هناك ارتباطا سلبياً بين الضغط النفسي للمعلمين ودرجة الروح المعنوية لديهم.

ودراسة صافية (١٩٩٨) حول الضغوطات التي تواجه المرشدين التربويين في مدارس الضفة الغربية، هدفت إلى معرفة الضغوطات والصعوبات التي تواجه المرشد التربوي في عمله في المدارس، وشملت الدراسة (٢٠٠) مرشد ومرشدة، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك (٢١) صعوبة تواجه المرشدين في عملهم. من ناحية دعم المجتمع لهم والمادة والظروف السياسية ونظرة المجتمع لهم وعدم ثقة الناس بالعمل النفسي.. الخ.

وأعد الموسوي (١٩٩٨) دراسة حول الضغوط النفسية لدى العاملين في المجال النفسي وابراز العوامل الدينامية المرتبطة بهذه الضغوط، واجريت الدراسة على (١٢٤) مرشد ومرشدة ممن يعملون في المجال النفسي، وأسفرت النتائج عن تدني نظرة المجتمع وعدم تفهم أولياء الأمور، ضعف العلاوات والرواتب – وقلة فرص الترقية.

وأعد الشاعر (٢٠٠٣) دراسة حول الضغوط النفسية التي تتعرض لها المرأة الفلسطينية في محافظة قلقيلية بسبب ممارسات الاحتلال، وتكون مجتمع الدراسة من النساء الفلسطينيات في محافظة قلقيلية من عمر (١٥) سنة فما فوق، وأجريت الدراسة على عينة قوامها (١٠٠٠) امرأة اختيرت بطريقة طبقية عشوائية من منطقة قلقيلية، وأسفرت الدراسة عن أن الضغط النفسي في مجال المرأة وعلاقتها بأسرتها كبير جداً، وأن ثمة فروقاً ذات دلالة إحصائية للدرجة الكلية للضغط النفسي تبعاً للعمر، ومكان السكن، والحالة الاجتماعية، ومستوى التعليم، والمهنة، وعدد الأفراد.

ودراسة حسن (٢٠٠٦) حول التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بضغوط العمل والرضا عنه،

تهدف إلى فحص العلاقة بين التفاؤل والتشاؤم وكل من ضغط العمل والرضا عن العمل، إضافة إلى معرفة الفروق في متغيرات الدراسة.

واستخدمت عينة من (٣١٢) موظف وموظفة من الكويتيين، كما بينت النتائج أن التفاؤل ارتبط ايجابياً مع الرضا عن العمل وسلباً مع ضغوط العمل، في حين ارتبط التشاؤم سلباً مع الرضا عن العمل ، وتبين أن المتفائلين أكثر رضا عن العمل من المتشائمين، وتبين أن الإناث أكثر رضا عن العمل من الذكور.

ودراسة ستنسرود (Stensred، ١٩٨٣) هدفت إلى معرفة المهارات التي يستخدمها المرشدون للتكيف مع ضغوطهم النفسية سواء مع انفسهم او مع مسترشدهم، وذلك للتعامل مع الضغط النفسي . واستخدمت عينة قوامها (٦١) مرشداً نفسياً و (٤٠) مرشدة نفسية. وأسفرت النتائج عن التأهيل والتدريب والتدليك والتغذية واليوجا.

ودراسة (Barron، ١٩٩٩) حول الفروق بين الجنسين في الضغوط الناجمة عن أدوار العمل وتكونت العينة من (١٠٤٦) من الموظفين العاملين وكانت النتائج أن هناك فروقاً بين الموظفين والموظفات من حيث الضغوط الناجمة عن ادوار العمل حيث أن الذكور أكثر شعوراً بضغوط الدور في العمل من الموظفات في المؤسسات والوزارات.

وخلاصة القول فان تحليل الدراسات السابقة أسفرت عن أن الضغوط النفسية ترتبط بعدة عوامل يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- إن مصادر الضغط في المجال الأكاديمي تتمثل بإبلاغ الآباء بسلوك أبنائهم، التأنيب المنفرد ، وخصم الدرجات ، وتكليف التلميذ بأعمال إضافية، وطرده من الفصل، وحرمانه من الأنشطة، والعقاب أمام زملائه، والمعاملة السيئة، وسوء البناء المدرسي.
- إن ذوي المستويات الاقتصادية المنخفضة أكثر إحساساً بالضغوط النفسية.
- إن الدعم الاجتماعي يخفف من حدة الضغوط النفسية.
- يتباين إحساس الأفراد بالضغوط النفسية يتباين الظروف البيئية.
- الضغوط النفسية تزيد من درجة الاعتقاد بالخرافة والسحر.
- المتغيرات الاجتماعية تؤثر تأثيراً لأنها مصدر للضغط الأكاديمي.
- الاختلاط بين الجنسين يخفف حدة الضغوط الحياتية.

- إن الضغوط الحياتية تؤدي إلى مشكلات الصحة النفسية .
- تعد الأزمات المالية ونقص الدعم الاجتماعي من أكثر مصادر الضغوط شيوعاً .

وإن أهم ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات الأخرى هو :

١- أجريت على عينة مهمة من المجتمع الفلسطيني ، والمجتمع الفلسطيني مختلف عن غيره لظروف الاحتلال وتأثيره عليه .
٢- إن جميع الدراسات تشابهت في معرفة مستوى الضغوط ونوع الضغوط .
٣- إن هناك اختلافاً بين هذه الدراسة والدراسات الاخرى من حيث أنواع الضغوط واسبابها من حيث الظروف السياسية ، والعوامل الثقافية ، ونظرة المجتمع إلى العمل النفسي حتى نوع اختلاف المستوى العلمي للأفراد .
٤- تدني نظرة المجتمع للأخصائيين الفلسطينيين مما يؤدي ضغوطاً مختلفة ، وإضافة إلى الضغوط التي تقع على الأخصائيين الفلسطينيين وما يميزهم عن الأخصائيين في بقية الدول .
٥- تشابهت هذه الدراسة مع دراسة موسوي(١٩٩٨) في تناولها للضغوط النفسية للعاملين في المجال النفسي ، وتشابهت في النتائج ، واختلفت عنها في فترة التطبيق ، ونوع انتفاضة الاقصى التي تميزت بها ، حيث التدمير ، والقصف الجوي والبحري ، بمعنى ظروف حرب مستمرة . وكذلك الاختلاف بالأهداف ومجالات الحياة والثقافة والأوضاع التي يعانيها الأفراد بعامة .

الطريقة والإجراءات:

تتناول الدراسة عرضاً لمجتمع الدراسة وعينتها ، كما تتناول وصفاً لأداة الدراسة ودلالات الصدق والثبات المستخدمة بهذه الدراسة بالإضافة إلى متغيرات الدراسة وإجراءاتها ، والمعالجات الإحصائية .

منهج الدراسة:

استخدم المنهج الوصفي لمناسبته لطبيعة هذه الدراسة ، ويهدف المنهج الوصفي إلى تحديد الوضع الحالي ، وبعبارة أخرى فهو يسعى إلى جمع البيانات ، إما لاختبار صحة الفرضيات التي تصف الوضع الحالي لموضوع الدراسة او للإجابة على الاسئلة

المتصلة بذلك ، ولذا فإن المنهج الوصفي يلائم الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية .

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من الأخصائيين النفسيين والمرشدات النفسيات في محافظات شمال فلسطين، والبالغ عددهم (٢٩٤) .

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة الحالية من (١٥٤) اخصائي واخصائية ومرشدة نفسية اختيروا بالطريقة الطبقية العشوائية .

والجدول (١) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها المستقلة .

الجدول (١)

توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها المستقلة

المتغير	الجنس		العمر					المسمى الوظيفي		مكان العمل	
	ذكر	أنثى	٢٠-٢٤	٢٥-٣٠	٣١-٣٤	٣٥-٣٩	٤٠فأكثر	مرشد نفسي	اخصائي نفسي	مؤسسة حكومية	مؤسسة غير حكومية
العدد	٦٨	٨٦	١٥	٥٨	٣٧	٢٠	٢٦	١٢٢	٣٢	١١٣	٤١
النسبه المئوية	٤٤,٢٪	٥٥,٨٪	٧,٩٪	٣٧,٧٪	٢٢,٧٪	١٣,٠٪	١٦,٩	٧٩,٢٪	٢٠,٨٪	٧٣,٤٪	٢٦,٦٪

أداة الدراسة:

بعد مراجعة الباحثة للدراسات السابقة والاطلاع على الادب التربوي ، أعدت الباحثة استبانه الضغوط النفسية وهي تتضمن ستاً وخمسين فقرة موزعة على ستة مجالات هي : (المجال المهنيومجال العلاقات الانسانية ومجال سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح المهنية- ومجال الحوافز المادية والمعنوية ومجال أهمية المهنة في المجتمع)، (واستعانت ببعض الاسئلة من الاستبانة التي سبق تطبيقها على نفس الموضوع في الكويت) .

وتكون سلم الاستجابة على فقرات الأداة من (٥) استجابات وفق سلم ليكرت الخماسي أوافق بشدة (٥ درجات) و أوافق (٤) درجات ، غير متأكد(٣) درجات ، لا اوافق (٢) درجة، ولا اوافق بشدة (١) درجة .

صدق الأداة:

تأكدت الباحثة من صدق الأداة بعرضها على (٦) من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص، حيث اعتمدت الفقرات التي اجمع عليها (٧٠٪) من المحكمين فأكثر حيث كان عدد الفقرات قبل التحكيم (٦٥) فقرة ، واستبعدت (٩) فقرات، وبهذا أصحبت الأداة (٦٥) فقرة بصورتها النهائية، وأشار المحكمون بصلاحية أداة الدراسة .

ثبات الأداة:

لقد تم استُخْرِجَ معامل ثبات هذه الدراسة باستخدام معادلة كرونباخ الفا (Chronbach Alpha)، والجدول (٢) يبين ذلك .

الجدول (٢)

معاملات الثبات لمجالات الدراسة والمجال الكلي

المجال	معامل الثبات
الاول (المهني)	٠,٩٠
الثاني (العلاقات الانسانية)	٠,٨٤
الثالث (السمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة)	٠,٧٣
الرابع (الحوافز المادية والمعنوية)	٠,٩٠
الخامس (أهمية المهنة في المجتمع)	٠,٩٣
المجال الكلي	٠,٩٦

يتضح من الجدول (٢) أن معامل الثبات الكلي للأداة وصل إلى (٠,٩٦)، وقد أوحت معاملات الثبات للمجالات بين (٠,٧٣-٠,٩٣) وجميعها جيدة وتفي بأغراض الدراسة .

إجراءات الدراسة:-

لقد أجريت هذه الدراسة وفق الخطوات الآتية : -

- إعداد أداة الدراسة بصورتها النهائية .
- تحديد أفراد عينة الدراسة .
- اجراء المقابلة الحرة مع أفراد العينة .
- توزيع الاستبانة .
- تجميع الاستبانة من أفراد العينة وترميزها وإدخالها إلى الحاسب ومعالجتها إحصائيا باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية ((SPSS .
- تفريغ إجابات أفراد العينة .
- استخراج النتائج وتحليلها ومناقشتها .
- كتابة التوصيات .

متغيرات الدراسة:

تضمنت الدراسة المتغيرات الآتية : -

١- المتغيرات المستقلة:

- الجنس : وله مستويان (ذكر ، وأنثى) .
- العمر : وله خمسة مستويات (٢٠-٢٤ ، ٢٥-٣٠ ، ٣١-٣٤ ، ٣٥-٣٩ ، أكثر من ٤٠ سنة)
- المسمى الوظيفي : وله مستويان (مرشد نفسي ، اخصائي نفسي) .
- مكان العمل : وله مستويان (مؤسسة حكومية ، مؤسسة غير حكومية)

٢- المتغير التابع:

يتمثل في الاستجابة على فقرات الاستبانة .

المعالجات الإحصائية:

بعد تفريغ إجابات أفراد العينة جرى ترميزها وإدخال البيانات باستخدام الحاسوب ثم عولجت البيانات إحصائيا باستخدام برنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)

ومن المعالجات الإحصائية المستخدمة :

١- التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية .

٢- اختبار "ت" لعينتين مستقلتين ((Independent t-test .

٣- اختبار تحليل التباين الاحادي(One-Way ANOVA)

٤- اختيار ولكس لامبدا (Wilk's lambda)

٥- اختبار سيداك للمقارنة البعدية (Sidak)

٦- اختبار (LSD) للمقارنة البعدية

تصحيح المقياس:

اعتمدت الباحثة المستويات الآتية لتقدير درجة الضغوط النفسية :

(٨٠٪-١٠٠٪) درجة عالية جداً

(٦٠٪-٧٩,٩٪) درجة عالية

(٤٠٪-٥٩,٩٪) درجة متوسطة

(٢٠٪-٣٩,٩٪) درجة منخفضة

(اقل من ٢٠٪) درجة منخفضة جداً

نتائج الدراسة ومناقشتها:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين ، كما هدفت إلى معرفة دور متغيرات الدراسة (الجنس، والعمر، والمسمى الوظيفي، ومكان العمل) في هذه الضغوط .

ولتحقيق هدف الدراسة طورت استبانه وتؤكد من صدقها، ومعامل ثباتها، وبعد جمع الاستبيانات كان ترميزها وإدخالها للحاسوب ومعالجتها إحصائيا باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وفيما يأتي نتائج الدراسة تبعاً لتسلسل الأسئلة وفرضياتها :

أولا: النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة:

ما درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين؟

وللإجابة عن هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات الاستبانة، ثم رتبت تنازليا وفق المتوسط الحسابي، واعتمدت الباحثة المستويات الآتية للتقدير: -

(٨٠٪-١٠٠٪) عالٍ جداً

(٦٠٪-٧٩,٩٪) عالٍ

(٤٠٪-٥٩,٩٪) متوسط

(٢٠٪-٣٩,٩٪) منخفض

(اقل من ٢٠٪) منخفض جداً

والجدول (٣) يبين هذه النتائج.

الجدول (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الأول مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية ٪	التقدير
١	أرى أن هناك حاجة ماسة إلى التدريب في بعض المجالات	٣,٧٥	١,٠٠	٧٥	عالٍ
٢	اقوم باعمال روتينية يومياً	٣,٥٥	١,١١	٧١	عالٍ
٣	قلة عدد الأخصائيين في العمل مما يزيد من عبء العمل	٣,٤٨	١,٢٣	٦٩,٦	عالٍ
٤	يسود العمل الروتيني في هذه المؤسسات	٣,٤٧	١,١١	٦٩,٤	عالٍ
٥	زيادة العبء الوظيفي	٣,٤٠	١,٠١	٦٨	عالٍ
٦	هناك خلط بين عمل الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي	٣,٤٠	١,٢٩	٦٨	عالٍ
٧	ضعف الإمكانات الموجودة يؤثر على مهنتي	٣,٣٧	١,٠٤	٦٧,٤	عالٍ
٨	عدم توفر الإمكانات (الإختبارات والادوات في العمل)	٣,٣٣	١,١٨	٦٦	عالٍ
٩	ارى ضعف فرص التدريب في المهنة	٣,٢٤	١,١٦	٦٤,٨	عالٍ

١٠	قلة عددالمرشدين المتخصصين في هذا المجتمع	٣,٢٢	١,١٣	٦٤	عالٍ
١١	عدم تقدير المسؤولين بالدولة لمهنتي	٣,٠٣	١,٣٤	٦٠,٦	عالٍ
١٢	يزعجني كثرة الذهاب للمدارس والتنقل بها دون مقابل	٢,٩٢	١,٤٦	٥٨,٤	متوسط
١٣	اشعر بعدم الاستقرار في مكان واحد	٢,٨٨	١,٣٦	٥٧,٦	متوسط
١٤	التكليف باعمال خارج التخصص	٢,٨٧	١,٤٣	٥٧,٤	متوسط
١٥	اشعر بالضيق والتعب لكثرة الاعباء الملقاة على عاتقي	٢,٧٩	١,٠٦	٥٥,٨	متوسط
١٦	الشعور بعدم الرضا عن مكان عملي	٢,٣١	١,٣٣	٤٦,٢	متوسط
١٧	اشعر بعدم الراحة اثناء تأديتي لعملي	٢,٣١	١,١٩	٤٦,٢	متوسط
١٨	ليس لدي القدرة في اظهار أهمية العمل الذي اقوم به للاخرين	٢,٢٩	١,١٤	٤٥,٨	متوسط
١٩	اشعر بالاحباط في عملي	٢,١٢	١,٢٣	٤٢,٤	متوسط
٢٠	اجد صعوبة في التعامل مع أي مشكلة تصادفني او تعرض امامي	١,٨١	٠,٨٢	٣٦,٢	منخفض
	الدرجة الكلية	٢,٩٨	٠,٧٢	٥٩,٦	متوسط

يتضح من الجدول (٣) أن الدرجة الكلية للمجال الاول (المجال المهني) بلغت (٦ ,٥٩٪) وهي نسبة متوسطة ، أما الفقرات التي حصلت على تقدير عالٍ فكانت في(١٧ ، ٤ ، ٢ ،١٨ ، ٦ ، ١٥ ، ٢٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ١٣) وأن الفقرات التي حصلت على تقدير متوسط كانت في (١ ، ٥ ، ٣، ١٠ ، ٨، ٧، ١١ ، ١٢)، أما الفقرة (٩) فحصلت على تقدير منخفض.

الجدول (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الثاني (العلاقات الانسانية) مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية ٪	التقدير
٢١	عدم تفهم الاخرين لطبيعة العمل	٣,٥٦	١,١٥	٧١,٢	عالٍ
٢٢	افضل العمل الفردي على العمل الجماعي	٢,٩٨	١,١٨	٥٩,٦	متوسط
٢٣	قلة تعاون الادارة في تأدية عملي	٢,٩٠	١,٤٨	٥٨	متوسط
٢٤	اشعر بقلة التعاون بين العاملين في مجال الخدمة النفسية الاجتماعية	٢,٧٥	١,١٢	٥٥	متوسط
٢٥	قلة التعاون بين رفقاء المهنة الواحدة	٢,٥٢	١,٢٢	٥٠,٤	متوسط
٢٦	اشعر بقلة ثقة الاخرين	٢,٢٥	١,١٦	٤٥	متوسط
٢٧	اشعر بالانطواء وحب العزلة عن الاخرين	١,٥٧	٠,٨٣	٣١,٤	منخفض
	الدرجة الكلية	٢,٦٥	٠,٨٤	٥٣	متوسط

يتضح من الجدول (٤) أن الدرجة الكلية للمجال الثاني (العلاقات الانسانية) بلغت (٥٣٪) وهي نسبة متوسطة ، أما الفقرة التي حصلت على تقدير عالٍ فكانت في (٢٤)، أما الفقرات(٢٥، ٢١، ٢٣، ٢٢، ٢٦) فحصلت على تقدير متوسط. والفقرة (٢٧) حصلت على تقدير منخفض.

الجدول (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الثالث (السمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة) مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية ٪	التقدير
٢٨	لدي القدرة على تقييم نفسي	٣,٧٧	٠,٩٢	٧٥,٤	عالٍ
٢٩	هناك وجود صلاحيات في التعبير في العمل	٢,٨٦	١,٢٦	٥٧,٢	متوسط
٣٠	قلة شعور الآخرين بأهميتي بالنسبة لهم	٢,٢٥	١,٠٦	٤٥	متوسط
٣١	يغمرني احساس بالتشاؤم	١,٩٨	١,٠٧	٣٩,٦	منخفض
٣٢	يتملكني احساس قوي بعدم النجاح	١,٧٩	١,٠٠	٣٥,٨	منخفض
	الدرجة الكلية	٢,٦٥	٠,٨٤	٥٣	متوسط

يتضح من الجدول (٥) أن الدرجة الكلية للمجال الثالث(السمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة) بلغت (٥٣٪) وهي نسبة متوسطة، أما فقرات المجال التي حصلت على تقدير عالٍ فكانت في (٢٨) وأن الفقرات التي حصلت على تقدير متوسط كانت في (٣٢، ٣٠) . وأن الفقرات (٣١، ٢٩) حصلت على تقدير منخفض .

الجدول (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الرابع (الحوافز المادية والمعنوية) مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية ٪	التقدير
٣٣	اشعر بعدم عدالة التقويم في المهنة	٣,٢١	١,٣٧	٦٤,٢	عالٍ
٣٤	ضعف الحوافز وقلة الترقيات يدعني اشعر بالإحباط دائماً	٣,١٥	١,٢٣	٦٣	عالٍ
٣٥	قلة عدد الأخصائيين معي يزيد من اعباء العمل	٣,١٤	١,٢١	٦٢,٨	عالٍ
٣٦	تدني الرواتب وقلة العلاوات يؤثر على حالتي النفسية	٣,١٤	١,٣٥	٦٢,٨	عالٍ
٣٧	كثرة العوائق والانتظار على الحواجز يزهقني ويوترني	٢,٩٥	١,٥١	٥٩	متوسط
٣٨	زيادة رد تفعيل الخدمة الاجتماعية على الخدمة النفسية	٢,٩٢	١,١٩	٥٨,٤	متوسط
٣٩	ضعف الانجاز والطموح وقت الأحداث	٢,٨٥	١,١١	٥٧	متوسط
٤٠	عدم الالتزام بالمواعيد وقت الأحداث	٢,٧٩	١,١٥	٥٥,٨	متوسط
٤١	الاوضاع السياسية والامنية تؤثر سلباً على حماستي في المهنة	٢,٧٧	١,٣٢	٥٥,٤	متوسط
٤٢	لا اشعر بالامن في علاقاتي مع الاخرين وقت الأحداث	٢,٦١	١,١٢	٥٢,٢	متوسط
٤٣	كثرة الذهاب والتنقل بين المدارس دون مقابل	٢,٦٠	١,٠٩	٥٢	متوسط
	الدرجة الكلية	٢,٦٥	٠,٨٤	٥٣	متوسط

يتضح من الجدول (٦) أن الدرجة الكلية للمجال الرابع(الحوافز المادية والمعنوية) بلغت (٥٣٪) وهي نسبة متوسطة، أما فقرات المجال الرابع التي حصلت على تقدير عالٍ فكانت في (٣٣ ، ٣٦، ٣٧، ٣٨) وأن الفقرات التي حصلت على تقدير متوسط كانت في (٣٩، ٣٤، ٤١، ٤٢، ٤٠، ٤٣، ٣٥) .

الجدول (٧)
المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الخامس (أهمية المهنة في المجتمع) مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية ٪	التقدير
٤٤	هناك تردد وخجل في الذهاب للاخصائي للمساعدة	٣,٥٥	١,٠٠	٧١	عالٍ
٤٥	عدم وجود عدالة في الترقيات بين الأخصائيين	٣,٤٤	١,٣٧	٦٨,٨	عالٍ
٤٦	تسود مفاهيم خاطئة لدى المجتمع نحو المشتغلين بعلم النفس	٣,٤٢	١,١٣	٦٨,٤	عالٍ
٤٧	قلة التنسيق بين الأخصائي النفسي ووسائل الاعلام	٣,٣٥	١,١٣	٦٧	عالٍ
٤٨	يفضل المجتمع العلاج التقليدي بدلاً من العلاج النفسي	٣,٣٣	١,٠٧	٦٦,٦	عالٍ
٤٩	عدم التقدير من قبل المجتمع للعاملين في هذه المهنة	٣,٢٢	١,٢٦	٦٤,٤	عالٍ
٥٠	عدم تفهم من قبل أولياء الأمور لعمل الأخصائي والمرشد النفسي	٣,٢٢	١,٢٥	٦٤,٤	عالٍ
٥١	عدم وجود الأخصائي الاجتماعي أو النفسي عند الحاجة اليه	٣,١٤	١,٢٨	٦٢,٨	عالٍ
٥٢	صعوبة الاتصال بين الأخصائيين يؤثر على تقدم المهنة	٣,١٠	١,٠٦	٦٢	عالٍ
٥٣	صعوبة تنسيق الأخصائي النفسي للزيارات المهنية للمؤسسات	٣,٠٨	١,١٠	٦١,٦	عالٍ
٥٤	نظرة المجتمع لعمل الأخصائي النفسي سلبية	٣,٠٠	١,٢٣	٦٠	عالٍ
٥٥	قلة تعاون الأخصائي مع مؤسسات المجتمع المحلي في تقديم الخدمات	٢,٩٠	١,١١	٥٨	متوسط
٥٦	المجتمع يدعم عمل الذكر أكثر من الأنثى في هذه المهنة	٢,٥٧	١,٢٤	٥١,٤	متوسط
	الدرجة الكلية	٣,١٨	٠,٨٧	٦٣,٦	عالٍ

يتضح من الجدول (٧) أن الدرجة الكلية للمجال الخامس (أهمية المهنة في المجتمع) بلغت (٦٣,٦٪) وهي نسبة عالية، أما فقرات المجال الرابع التي حصلت على تقدير عالٍ كانت في (٥٣، ٤٥، ٥١، ٥٦، ٥٠، ٤٦، ٤٧، ٤٤، ٤٩، ٥٥، ٤٨) وأن الفقرات التي حصلت على تقدير متوسط كانت في (٥٤، ٥٢) .

الجدول (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لمجالات الدراسة مرتبة تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية٪	التقدير
الخامس(أهمية المهنة في المجتمع)	٣,١٨	٠,٨٧	٦٣,٦	عالٍ
الاول (المهني)	٢,٩٨	٠,٧٢	٥٩,٦	متوسط
الرابع (الحوافز المادية والمعنوية)	٢,٩٢	٠,٩٠	٥٨,٤	متوسط
الثاني (العلاقات الانسانية	٢,٦٥	٠,٨٤	٥٣	متوسط
الثالث(السمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة)	٢,٥٣	٠,٥٩	٤٧	متوسط
المجموع	٢,٩٣	٠,٦٩	٥٨,٦	متوسط

يتضح من الجدول (٨) أن الخامس قد حصل علىتقدير عالٍ ، كما حصل كل من المجال الاول ، والرابع ، والثاني ، والثالث على تقدير متوسط ، ، أماً الدرجة الكلية فقد حصلت على نسبة مئوية بلغت (٥٨,٦٪) بتقدير متوسط .

ثانياً : النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين مجالات الدراسة .

ولفحص هذه الفرضية استخدم اختبار تحليل التباين متعدد القياسات المتكرر والإحصائي ولكس لامبدا (Wilk's Lambda) والجدول (٩) يبين ذلك .

الجدول (٩)

نتائج استخدام تحليل التباين المتعدد القياسات المتكرر، والإحصائيWilk's lambda لفحص دلالة الفروق بين مجالات الدراسة

قيمة ولكس لامبدا	درجة حرية البسط	درجات حرية المقام	قيمة F	مستوى الدلالة*
٠,٤٤٨	٤	١٥٠	٤٦,١٦٣	٠,٠٠٠١*

* دال احصائياً على مستوى (α= ٠,٠٥)

يتضح من نتائج الجدول (٩) رفض الفرضية أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥) بين متوسطات مجالات الدراسة ، ولمعرفة لصالح من تعود الفروق، استخدم اختبار سيداك (Sidak) للمقارنة البعدية بين المجالات والجدول (١٠) يبين نتائج المقارنة البعدية بين المجالات .

الجدول (١٠)

سيداك للمقارنة البعدية بين مجالات الدراسة Sidakنتائج استخدام اختبار

المجال	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس
الأول : (المهني)		٠,٣٣٠ *	٠,٤٤٨*	٠,٠٠٥٥	- ٠,٢٠٢*
الثاني : (العلاقات الانسانية)			٠,١١٧	- ٠,٢٧٥*	- ٠,٥٣٢*
الثالث : (سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة)				- ٠,٣٩٢*	- ٠,٦٥٠*
الرابع : (الحوافز المادية والمعنوية)					- ٠,٢٥٧*
الخامس : (أهمية المهنة في المجتمع)					

* دال احصائياً على مستوى (α= ٠,٠٥)

يتضح من نتائج الجدول (١٠) أن الفروق كانت لصالح :

- المجال الأول (المهني) على المجال الثاني (العلاقات الانسانية) .

لأن المهنة للأخصائيين تسبب لهم ضغوطات خارجية ، هذا فوق الضغوطات التي يعانيها الأخصائيون من داخل أنفسهم .

- المجال الأول(المهني) على المجال الثالث (سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة) .
- المجال الرابع (الحوافز المادية والمعنوية) على المجال الثاني (العلاقات الانسانية) .
- المجال الرابع (الحوافز المادية والمعنوية) على المجال الثالث(سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة) .
- المجال الخامس(أهمية المهنة في المجتمع)على المجال الاول(المهني) .
- المجال الخامس(أهمية المهنة في المجتمع)على المجال الثاني(العلاقات الانسانية) .
- المجال الخامس(أهمية المهنة في المجتمع)على المجال الثالث(سمات الشخصية المرتبطة

بالنجاح في المهنة).

- المجال الخامس(أهمية المهنة في المجتمع)على المجال الرابع (الحوافز المادية والمعنوية)

النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠٥ , ٠) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى لمتغير الجنس.

ولفحص هذه الفرضية استخدم اختبار "ت" لعينتين مستقلتين ، والجدول (١١) يبين ذلك.

الجدول (١١)

نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لفحص دلالة الفروق تبعا لمتغير الجنس

المجال	ذكر (ن =٦٨)		أنثى (ن=٨٦)		قيمة "ت"	مستوى* الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الاول	٢,٩٤	٠,٦٨	٣,٠١	٠,٧٥	- ٠,٦٠٣	٠,٥٤٧
الثاني	٢,٥٩	٠,٨٠	٢,٦٩	٠,٨٨	- ٠,٧١٠	٠,٤٧٩
الثالث	٢,٥٤	٠,٥٦	٢,٥٢	٠,٦١	٠,١٣٨	٠,٨٩١
الرابع	٣,٩٣	٠,٩٠	٢,٩١	٠,٩٠	٠,١٠١	٠,٩٢٠
الخامس	٣,١٢	٠,٧٧	٣,٢٢	٠,٩٥	- ٠,٦٨٢	٠,٤٩٦
الدرجة الكلية	٢,٩٠	٠,٦٣	٢,٩٦	٠,٧٤	- ٠,٤٩٦	٠,٦٢١

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α= ٠٥ , ٠)، درجات الحرية = ٦٤ , ٠ قيمة ت الحرجة = ٩٦ , ١

يتضح من نتائج الجدول (١١) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= ٠٥ , ٠) بين الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى لمتغير الجنس في المجالات الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس

النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠٫٠٥) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى لمتغير العمر .

ولفحص الفرضية استخدمت الباحثة اختبار تحليل التباين الاحادي (One-Way ANOVA) ونتائج الجدولين (١٢) و (١٣) تبين ذلك

الجدول (١٢)

الوصف الإحصائي لأفراد العينة وفق متغير العمر

المجال	العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الاول (المهني)	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٣,٠٣	٠,٤٩
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٢,٩٢	٠,٧١
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٣,٠٧	٠,٧٤
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٦٩	٠,٧٧
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٢,٩٨	٠,٧٢
	المجموع	١٥٤	٣,٣٤	٠,٥١
الثاني (العلاقات الانسانية)	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٢,٦٨	١,٠٣
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٢,٥٢	٠,٧٢
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٢,٧٥	٠,٨٥
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٤٥	٠,٨٦
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٢,٩١	٠٩٢
	المجموع	١٥٤	٢,٦٥	٠,٨٤
الثالث (سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة)	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٢,٤٤	٠,٥٢
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٢,٥٧	٠,٥٨
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٢,٥٦	٠,٦٣
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٢٥	٠,٤٧
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٢,٦٦	٠,٦٢
	المجموع	١٥٤	٢,٥٣	٠,٥٣

المجال	العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المجال الرابع (الحوافز المادية والمعنوية)	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٢,٩٦	٠,٥٩
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٢,٨٤	٠,٨٨
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٢,٩٧	٠,٨٩
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٥٦	١,٠٦
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٢,٢٩	٠,٩٠
	المجموع	١٥٤	٢,٩٢	٠,٩٠
المجال الخامس (أهمية المهنة في المجتمع)	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٣,٦٤	٠,٨٧
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٣,٠١	٠,٨٢
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٣,٢٣	٠,٨١
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٩٢	٠,٩٦
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٣,٤١	٠,٩١
الدرجة الكلية	المجموع	١٥٤	٣,١٨	٠,٨٧
	٢٠-٢٤ سنة	١٥	٣,٠٦	٠,٥٥
	٢٥-٣٠ سنة	٥٨	٢,٨٥	٠,٦٥
	٣١-٣٤ سنة	٣٥	٣,٠٠	٠,٧١
	٣٥-٣٩ سنة	٢٠	٢,٦٥	٠,٧٩
	٤٠ سنة فأكثر	٢٦	٣,١٧	٠,٦٨
	المجموع	١٥٤	٢,٩٣	٠,٦٩

الجدول (١٣)
نتائج اختبار التباين الأحادي تبعا لمتغير العمر

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة f	مستوى الدلالة*
الاول (المهني)	بين المجموعات	٣,٠١١	٤	٠,٧٥٣	١,٤٦٠	٠,٢١٧
	خلال المجموعات	٧٦,٨٠٤	١٤٩	٠,٥١٥		
	المجموع	٧٩,٨١٥	١٥٤			
الثاني (العلاقات الانسانية)	بين المجموعات	٣,٨٨٧	٤	٠,٩٧٢	١,٣٧٠	٠,٢٤٧
	خلال المجموعات	١٠٥,٦٦٣	١٤٩	٠,٧٠٩		
	المجموع	١٠٩,٥٥٠	١٥٤			
الثالث (سمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة)	بين المجموعات	٢,٣٢٣	٤	٠,٥٨١	١,٦٩٠	٠,١٥٥
	خلال المجموعات	٥١,٢٠٢	١٤٩	٠,٣٤٤		
الرابع (الحوافز المادية والمعنوية)	بين المجموعات	٦,٥٤٤	٤	١,٦٣٦		
	خلال المجموعات	١١٨,٣٦١	١٤٩	٠,٧٩٤	٢,٠٦٠	٠,٨٩
	المجموع	١٢٤,٩٠٥	١٥٤			
الخامس (أهمية المهنة في المجتمع)	بين المجموعات	٧,٦٥٦	٤	١,٩١٤		
	خلال المجموعات	١١٠,٣٣٥	١٤٩	٠,٧٤١	٢,٥٨٥	٠,٠٣٩
	المجموع	١١٧,٩٩١	١٥٤			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	٣,٨٨٩	٤	٠,٩٧٢	٢,٠٧٣	٠,٨٧
	خلال المجموعات	٦٩,٨٩٧	١٤٩	٠,٤٦٩		
	المجموع	٧٣,٧٨٦	١٥٤			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥)

يتضح من الجدول (١٣) رفض الفرضية أي أنه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥) بين الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير العمر في المجال الخامس .

ولمعرفة لصالح من كانت الفروق في المجال الخامس (أهمية المهنة في المجتمع)، استخدم اختبار (LSD) للمقارنات البعدية . والجدول (١٤) يبين ذلك .

الجدول (١٤)

نتائج استخدام اختبار (LSD) للمقارنات البعدية لمعرفة الفروق في المجال الخامس تبعاً إلى متغير العمر

العمر	٢٠-٢٤	٢٥-٣٠	٣١-٣٤	٣٥-٣٩	٤٠ فأكثر
٢٠-٢٤		٠,٦٢٨٩*	٠,٤٠٨٨	٠,٧٢٣١*	٠,٢٣٢٠
٢٥-٣٠			٠,٢٢٠١ -	٠,٠٠٩٤	٠,٣٩٧٠ -
٣١-٣٤				٠,٣١٤٣	٠,١٧٦٨ -
٣٥-٣٩					٠,٤٩١١ -
٤٠ سنة فأكثر					

* دالة احصائياً عند مستوى (α = ٠,٠٥)

يتضح من الجدول (١٤) أن الفروق في المجال الخامس (أهمية المهنة في المجتمع) كانت لصالح :

- الفئة ٢٠-٢٤ سنة على الفئة ٢٥-٣٠ سنة
- الفئة ٢٠-٢٤ سنة على الفئة ٣٥-٣٩ سنة .

النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير المسمى الوظيفي .

ولفحص هذه الفرضية استخدم اختبار "ت" لعينتين مستقلتين ، والجدول (١٥) يبين ذلك .

الجدول (١٥)

نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لفحص دلالة الفروق تبعا إلى متغير المسمى الوظيفي

المجال	مرشد نفسي (ن =١٢٢)		اخصائي نفسي (ن=٣٢)		قيمة "ت"	مستوى* الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الاول	٢,٩٤	٠,٦٩	٣,١١	٠,٨٢	١,١٤٠-	٠,٢٥٦
الثاني	٢,٦١	٠,٨٠	٢,٧٧	٠,٩٨	٠,٩٤٣-	٠,٣٤٧
الثالث	٢,٥٤	٠,٥٨	٢,٤٧	٠,٦٢	٠,٦٣٩	٠,٥٢٩
الرابع	٢,٨٧	٠,٨٧	٣,١١	٠,٩٩	١,٣٠١-	٠,١٩٥
الخامس	٣,١٤	٠,٨٤	٣,٣١	٠,٩٩	٠,٩٣٥-	٠,٣٥٢
الدرجة الكلية	٢,٩٠	٠,٦٦	٣,٠٥	٠,٧٩	١,١٢٦-	٠,٢٦٢

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥)، درجات الحرية = ٠,٦٤ قيمة ت الحرجة = ١,٩٦

يتضح من نتائج الجدول (١٥) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥) بين الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير المسمى الوظيفي في المجالات الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس.

النتائج المتعلقة بالفرضية السادسة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير مكان العمل.

ولفحص هذه الفرضية استخدم اختبار "ت" لعينتين مستقلتين ، والجدول (١٦) يبين ذلك.

الجدول (١٦)

نتائج اختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين لفحص دلالة الفروق تبعا إلى متغير مكان العمل

المجال	مؤسسة حكومية(ن =١١٣)		مؤسسة غير حكومية (ن=٤١)		قيمة "ت"	مستوى* الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الاول	٣,٠٠	٠,٧٠	٢,٩٢	٠,٧٧	٠,٦٢٨	٠,٥٣١
الثاني	٢,٦٦	٠,٨١	٢,٦٢	٠,٩٣	٠,٢٤٢	٠,٨٠٩
الثالث	٢,٥٥	٠,٥٦	٢,٤٧	٠,٦٥	٠,٧٦٥	٠,٤٤٦
الرابع	٢,٩٤	٠,٨٦	٢,٨٨	١,٠١	٠,٣٧٩	٠,٧٠٥
الخامس	٣,٢٠	٠,٨٢	٣,١٣	١,٠١	٠,٤٤١	٠,٦٦٠
الدرجة الكلية	٢,٩٥	٠,٦٦	٢,٨٨	٠,٧٩	٠,٥٥٥	٠,٥٨٠

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥)، درجات الحرية = ٠,٦٤ قيمة ت الحرجة = ١,٩٦

يتضح من نتائج الجدول (١٦) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= ٠,٠٥) بين الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير مكان العمل في المجالات الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس.

مناقشة النتائج والتوصيات:

أولاً :– مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الاول والذي نصه:

" ما درجة الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين " ؟

بينت النتائج، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة، أن الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين جاءت بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (٢,٣٩) أي بنسبة مئوية (٥٨,٦٪)، واحتل مجال (أهمية المهنة في المجتمع) المرتبة الاولى من بين مجالات الضغوط النفسية، إذ جاء بدرجة عالية وبمتوسط حسابي (٣,١٨) وبنسبة مئوية (٦٣,٦٪)، فيما كان مجال (السمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة) في المرتبة الأخيرة بين مجالات الضغوط النفسية، اذ جاء بدرجة متوسطة وبمتوسط حسابي (٢,٥٣)، وبنسبة مئوية (٥٠,٣٪) . اما باقي المجالات فجاءت بدرجة متوسطة.

وترى الباحثة أن النتائج السابقة قد تعود إلى أن هناك نقصاً في تدريب العاملين في مجال الخدمة النفسية على بعض المهارات الخاصة بتقديم الخدمة النفسية، اضافة إلى وجود تردد وخجل في الذهاب للاخصائي للمساعدة ، وقلة عدد الأخصائيين في العمل، مما يزيد من عبء العمل، وهيمنة العمل الروتيني في المؤسسات التي تقدم الخدمات النفسية، وعدم وجود عدالة في الترقيات بين الأخصائيين، وزيادة العبء الوظيفي، والخلط بين عمل الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي، وضعف الإمكانات الموجودة من اختبارات وأدوات، وقلة التنسيق بين الأخصائي النفسي ووسائل الاعلام، كما أن المجتمع يفضل العلاج التقليدي على العلاج النفسي، ولا يبدي تقديراً واضحاً للعاملين في هذه المهنة، كما أن أولياء الأمور غالباً لا يتفهمون أهمية عمل العاملين في مجال الخدمات النفسية.

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة الموسوي (١٩٩٨) عن الضغوط النفسية لدى العاملين في المجال النفسي، حتى أن الضغوط الشائعة لدى المرشدين النفسيين تتمثل في تدني نظرة المجتمع، وعدم تفهم أولياء الأمور، وضعف العلاوات والرواتب، وقلة فرص الترقية.

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الاولى والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥)

بين مجالات الدراسة .

بينت النتائج، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة، رفض الفرضية أي أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) بين مجالات الدراسة، ولمعرفة هذه الفروق استخدم اختبار سيداكSidak للمقارنة البعدية، وقد أتت نتائج اختبار المقارنة البعدية لتدل على ما يأتي :

- الضغوط النفسية في المجال المهني لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال العلاقات الانسانية .
- الضغوط النفسية في المجال المهني لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح .
- الضغوط النفسية في مجال الحوافز المادية والمعنوية لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال العلاقات الانسانية .
- الضغوط النفسية في مجال الحوافز المادية والمعنوية لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح .
- الضغوط النفسية في مجال أهمية المهنة في المجتمع لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في المجال المهني .
- الضغوط النفسية في مجال أهمية المهنة في المجتمع لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في العلاقات الانسانية .
- الضغوط النفسية في مجال أهمية المهنة في المجتمع لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح .
- الضغوط النفسية في مجال أهمية المهنة في المجتمع لدى العاملين في الخدمة النفسية أكبر من تلك الضغوط النفسية في مجال الحوافز المادية والمعنوية .

وتؤكد هذه النتائج أن أكثر الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية تأتي من تدني أهمية المهنة في المجتمع بدرجة كبيرة، ، كما أن مهنة تقديم الخدمة النفسية تسبب ضغطاً نفسياً على صاحبها ، كما أن قلة الحوافز المادية والمعنوية تؤثر على نفسية العامل في تقديم الخدمات النفسية، وتخف هذه الضغوط قليلاً في العلاقات الانسانية ، وفي السمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة .

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بارون (١٩٩٩) أي أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية بين الموظفين على المتغيرات المشتقة من مقياس الضغوط النفسية ، وتتفق كذلك مع دراسة

(McBride,1994) أي أن مصادر الضغوط هي تدني الراتب ، وظروف العمل السيئ، ونظرة المجتمع المتدنية .

وتتفق هذه النتائج مع دراسة بيرس ومولي (Pierce&Molloy,1990) حول علاقة احساس بالضغط النفسي وعدم الرضا المهني ، وبين بعض سمات الشخصية مثل الانبساط والقدرة على التحمل .

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة حسن(٢٠٠٦) حول التشاؤم والتفاؤل وعلاقتهما بضغوط العمل والرضا عن العمل على عينة (٣١٢) موظفاً كويتياً، حيث اظهرت النتائج أن التفاؤل ارتبط ايجابياً مع الرضا عن العمل وسلبياً مع ضغوط العمل، كما أن المتفائلين كانوا أكثر رضا عن العمل من المتشائمين ، ولم تظهر فروق بين المجموعيتن في ضغوط العمل .

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة مستوى الدلالة (٠,٠٥ =α) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير الجنس .

بينت النتائج، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة ، قبول الفرضية ، وهذا يعني أن الإناث والذكور يشعرون بالضغوط النفسية أنفسها تقريباً عندما يقدمون الخدمات النفسية، وقد يعود هذا إلى تشابه ظروف الأفراد العاملين في تقديم الخدمات النفسية على حد سواء ، فالمجتمع ينظر إلى تقديم الخدمات النفسية بغض النظر عن مقدمها ذكراً كان ام أنثى ، كما أن الرواتب والحوافز المادية لا تميز بين الذكر والأنثى .

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة بارون (١٩٩٩) حول الفروق بين الجنسين والضغوط الناجمة عن العمل ، حيث لا توجد فروق بين الذكور والإناث من حيث الضغوط الناجمة عن ادوار العمل .

وتتفق ايضاً مع دراسة ندى (١٩٩٨) في عدم وجود فروق في الضغوط النفسية بين الذكور والإناث في العمل وعلاقته بالروح المعنوية .

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥ =α) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير

العمر .

بينت النتائج ، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة ، قبول الفرضية في مجالات : المهنة ، والعلاقات الانسانية ، وسمات الشخصية المرتبطة بنجاح المهنة ، والحوافز المادية والمعنوية ، والدرجة الكلية ، فيما رفضت الفرضية في مجال أهمية المهنة في المجتمع ، أي أن الضغوط النفسية الناشئة من أهمية المهنة في المجتمع لدى العاملين في مجال الخدمات النفسية تختلف باختلاف العمر ، واتضح ايضاً أن العاملين ذوي الاعمار (٢٠-٢٤) سنة يشعرون بضغوط نفسية مصدرها أهمية المهنة في المجتمع ، بدرجة أكبر من اقرانهم ذوي الاعمار (٢٥-٣٩) وقد يعود ذلك لحداثة عهدهم بالعمل وتقديم الخدمات ، كما أن إقبالهم على المهنة ، وممارستها فعلياً على الارض ، اظهر اختلافاً واحباطاً وصعوبة في التكيف ، عكس ما كانوا يتوقعون من خلال دراستهم النظرية لتقديم الخدمات النفسية .

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة أبو عيشة(١٩٩٧) في مصادر الضغط النفسي ومستواه لدى العاملين في المجال التربوي . كما تتفق هذه الدراسة مع دراسة موسوي (١٩٩٨) في الضغوط النفسية لدى العاملين في المجال النفسي من حيث عامل النضج وحسب المهنة ، وعامل سمات الشخصية المرتبطة بالنجاح في المهنة .

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥ = α) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير المسمى الوظيفي .

بينت النتائج ، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة ، قبول الفرضية ، ويشير هذا إلى أن المرشدين أو الأخصائيين النفسيين يشعرون بضغوط نفسية متقاربة ، وقد يعود هذا إلى أن جميعهم يحملون نفس المؤهل واحياناً يتخرجون من نفس الجامعة اوالقسم ، ويمارسون المهمات أنفسها ، حتى أن المجتمع لا يفرق بينهما من حيث النظرة أو طبيعة العمل .

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة (Lazarus,1966) أن مصادر الضغوط النفسية متباينة ومتداخلة في آن واحد .

وتتعارض هذه الدراسة مع دراسة العمر (٢٠٠٤) في أثر المتغيرات الشخصية والاسرية والمدرسية على مصادر الضغوط ومظاهرها في الوظيفة وكانت النتائج أن الجوانب السلوكية

أكثر مظاهر الضغوط النفسية بروزاً لدى عينة الدراسة وتتغير بتغير الحالة الصحيةوالدراسية والحالة التعليمية والمهنية.

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية في محافظات شمال فلسطين تعزى إلى متغير مكان العمل.

بينت النتائج، بعد تطبيق إجراءات الدراسة واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة، قبول الفرضية ويعني هذا أن لدى العاملين في المؤسسات الحكومية او المؤسسات غير الحكومية، الضغوط أنفسها في مجال تقديم الخدمة النفسية.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كسلر (Kasslor,1982) حول الضغوط والطبقات الاجتماعية، حيث أن أحداث الحياة الضاغطة تؤثر في العينتين دون تمييز حيث تأثير ابناء الطبقة الاجتماعية المرتفعة بالضغوط تماماً كابناء الطبقة الاجتماعية المنخفضة.

وتتفق كذلك مع دراسة اندرو وآخرين(١٩٩٢) بأن المتغيرات البيئية تؤثر بوضوح في تخفيض الضغوط النفسية وأن الدعم الاجتماعي يعيد الأثر في تخفيف الضغوط النفسية.

التوصيات:

وفي ضوء هذه النتائج توصي الباحثة بعدة توصيات منها :

١- العمل على تغيير المفاهيم الخاطئة عن العلاج النفسي والطب النفسي لدى أفراد المجتمع .

٢- ضرورة توفير الإمكانات المادية والمعنوية للمرشد في عمله .

٣- توضيح مفهوم الارشاد النفسي والعملية الإرشادية بين أفراد المجتمع .

٤- يجب العمل على رفع وتحسين رواتب العاملين في الخدمات النفسية وتحسينها ليحقق لهم الرضا الوظيفي .

٦- تحقيق التوازن بين عدد العاملين في الخدمات النفسية وبين عدد الأفراد الذين هم بحاجة لهذه الخدمات .

٧- تحسين الخدمات النفسية في المؤسسات حتى تشجع طالبي هذه الخدمات على الاقبال عليها .

٨- العمل على رفع كفاءة العاملين في الخدمات النفسية بإعطائهم دورات مختلفة ومتخصصة في علاج الضغوط النفسية .

٩- يجب على الجامعات أن تحسن مستوى معدل الطلاب الذين يتقدمون لدراسة علم النفس والاجتماع ليكون هناك عناصر ذوات مستوى جيد في الخدمات النفسية .

١٠- العمل على تغيير المفاهيم الخاطئة لدى المجتمع حول علم النفس عامة عن طريق الندوات والتلفاز والإذاعة .

١١- العمل على زيادة الإقبال على العلاج النفسي عند الأطباء النفسيين أنفسهم، أو من انتفع من الأفراد في العلاج .

١٢- توضيح مفهوم العلاج النفسي وأهمية العملية الإرشادية للطلاب والمدرسين والمجتمع واشراكهم في برامج التوجيه والارشاد .

١٣- عمل الأبحاث النفسية على مراكز الخدمات النفسية والعاملين فيها حتى يتسنى تقييم هذه العملية بصورة مستمرة .

المراجع:

- الشاعر، جاسم(٢٠٠٣). الضغوط النفسية التي تتعرض لها المرأة الفلسطينية في محافظ قلقيلية نتيجة العدوان الاسرائيلي اثناء انتفاضة الاقصى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية – فلسطين.
- الشايب، معروف(١٩٩٤). الاستراتيجيات التي يستخدمها المرشدون في المدارس الثانوية للتعامل مع الضغوط النفسية لديهم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان – الاردن.
- العربي، مديحه(١٩٨٥). "مكانة الدراسات التربوية والدور الذي يجب أن تقوم به كليات التربية في تطوير التعليم العالي". حولية كلية التربية، الفيوم، جامعة القاهرة.
- العمر، بدر (٢٠٠٤). اثر بعض المتغيرات الشخصية والاسرية والمدرسية على مصادر ومظاهر الضغوط النفسية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني (ص ص ١٩٣-٣٣٥).
- القرشي، عبد الفتاح(١٩٩٣). الضغوط التي تعرض لها الاطفال الكويتيون خلال العدوان العراقي وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي، عالم الفكر، المجلد (٢٢) العدد الاول.
- بارون، خضر(١٩٩٩). دراسة الفروق بين الجنسين في الضغوط الناجمة عن ادوار العمل، المجلة التربوية، العدد ٢(٥٢)، المجلد الثالث عشر.
- حسن، هدى. التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بضغوط العمل والرضا عن العمل. مجلة دراسات نفسية، المجلد السادس عرش، العدد الاول (ص ص ٨٣-١١١).
- سلامة، صافية(١٩٩٨). حول الضغوطات التي تواجه المرشدين التربويين في مدارس الضفة الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.
- شعيب، علي(١٩٨٩). مستوى الضغط النفسي لدى طلاب الثانوية العامة، بحوث المؤتمر السنوي للطفل المصري، جامعة عين شمس.
- عبد السميع، محمد(١٩٩٠). الانهاك النفسي للمعلم وعلاقتة بالمناخ النفسي والاجتماعي المدرسي، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية التربية، جامعة المنصورة.
- عسكر، علي وجامع، حسن، والانصاري، محمد(١٩٨٦). مدى تعرض معلمي

المرحلة الثانوية بدولة الكويت لظاهرة الاحتراق النفسي : دراسة ميدانية ، المجلة التربوية ، جامعة الكويت ، ٣(١٠) : ٩-٤٣ .
- كناعنه ، شريف(١٩٨٩) . الآثار النفسية والاجتماعية لسكان الخط الاخضر ، رام الله : مركز الأبحاث ، جامعة بيرزيت .
- موسوي ، حسن(١٩٩٨) . الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية "دراسة عاملية" ، المجلة التربوية ، المجلد (١٢) ، العدد السابع والاربعون .
- ندى ، يحيى(١٩٩٨) . مصادر الضغط النفسي وعلاقتها بالروح المعنوية كما يراها معلمو وكالة الغوث في نابلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية-فلسطين .

المراجع الاجنبية:

- ***Andrew, et al.(1992). Social support, depressed mood and adjustment to stress: genetic epidemiologic investigation. Journal of Personality of Social Psychology. 26; 257-272.***
- ***Billy,S. G. et al.(1981).The effects of parental stress on rat off springs learning ability. The Journal of Pschology,107;45-51.***
- ***Caplar,G.D.(1981). Mastery of stress: Psychological a spects. American Journal, 52(4),413.***
- ***Charles, et al. (1987). Stress and anxiety. Univ. of South Florida, Washington.***
- ***Cohen,D.& Williamson, G.M.(1991). Stress and infectious disease in humans. Psychological bulletin, 109(1),5-24.***
- ***Cohen,S.and Wills,T.(1985). Stress, Social support and the buffering hypothesis. Psychological Bulletin, 92,257-310.***
- ***Cox, T.(1987). Stress .London :MacMIllan, Univ.Park Press, Baltimore.***
- ***Cushway,D.& Tylor,P.(1994). Stress and coping clinical psychologists. Stress- Medicine,Jan.10(1) 35-42.***
- ***Good Johnson,M.T.(1982). Correlates of Adolescent Life Stress as Related to Teto Facts.***
- ***Hass,K.(1979). Abnormal Psychology. New York: Northland co.***
- ***Hilgard,E.R., et al.(1979). Introduction to Psychology: New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.***

- *Hoeksma,J.,Guy,J.&Brown,c.(1993). The relationship between psychotherapist burnout and satisfaction with leisure activities. Journal of psychotherapy in –Private-Practice,12 (4),51-57.*
- *House,J.S.(1987).Research on work stress and health. In J.C. Quik, r.S. Bhagat, J.E.Daltm,&J.D.Quik(Eds). Work Stress: Health Care systems in the Work place. N.Y:Prager.*
- *Huebner, E.& Mills,L.(1994). Burnout in school psychology: The contribution of personality characteristics and role expectation. Journal Special Services in the Schools, 8(2) 53-67*
- *Johnson, et al.(1989). Trauma in the Lives of Children Crisis and Stress Management Techniques for Counselors and Other Professionals. Hunter Hous*
- *Kesler,R.C.(1982). Stressful Life Events Personality and Health. Journal of Personality and Social Psychology, vol. 37.*
- *Kobsas,S.C.(1979). Stressful life events, personality and health: An inquiry into hardiness. Journal of Personality and social psychology 37(1); 1-11.*
- *Lazarus, R.S.,et al.(1966). Psychological stress and coping process. New York:McGraw Hill.*
- *Lowrence, et al. (1987). Life stress and adjustment effects of the events experienced by young adolescents and their parents. Development. Psychology, 23(4); 583.*
- *McBride, C.(1983). Teachers Stress and Burn out; contemporary issues in special education. New York, Mc Graw Hill .*
- *Pierdwe, M. & Moloy, G. (1990). Psychological and biographical differences between secondary school teachers experiencing high and low levels of burnout. British Journal of Educational. Psychology.20(1;.37*
- *Quick,J.C& Quick J.(1987). Organizational stress and preventive Management. New: York, McGraw Hill.*
- *Selye, H.(1976). Stress. In J.H. Eysenck, Encyclopedia of Psychology. Vol. 2.p.282.*
- *Styles, K.& Cavanagh.G.(1977). stress in teaching and how to handle it. English Journal.66,76-79.*
- *Yonaleyzer,(1990).”Perceived Stress and adjustment in religious families with a child who is disabled. Journal of Psychology. vol. 1, 425*

التهجير القسري لسكان فلسطين في العهد الصليبي في الفترة الواقعة بين (٤٩٢-٥٥١هـ / ١٠٩٩-١١٥٦م)

د. جلال حسني سلامة*

* أستاذ مساعد ، منطقة نابلس التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تناول موضوع التهجير القسري للشعب الفلسطيني زمن الحروب الصليبية في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، وكان سكان فلسطين قد غادروا بلادهم قسراً إلى مصر وبلاد الشام وبخاصة دمشق وحلب، كما هاجر بعضهم إلى العراق؛ بسبب عمليات القتل والمجازر البشعة التي ارتكبها الصليبيون في المناطق التي استولوا عليها، وقد تزامن ذلك مع ما كان يسود العالم الإسلامي من تمزق واضطرابات سياسية ومذهبية. وقد تناول الباحث في دراسته حال اللاجئين منذ رحيلهم عن الأرض والوطن حتى وصولهم إلى بلاد اللجوء وما عانوه من تعب وفقر وبطالة، وغيرها من الأمراض الجسدية والنفسيّة.

ويشير الباحث إلى تولي بعض اللاجئين مناصب إدارية ووزارية عليا في الدول المضيفة، وما قاموا به من دور كبير في توعية الناس، وحثهم على الجهاد، وتوحيد كلمة المسلمين، لتحرير الأرض الفلسطينية وعودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم وأراضيهم التي هجّروا منها.

Abstract:

This study aims at investigating the forced displacement of the inhabitants of some cities in Palestine at the end of fifth century of the Hegira / the end of the eleventh Century to the Islamic territories in Egypt and Syria specially in Damascus and Aleppo. In addition, some emigrants sought refuge in Iraq because of the horrible massacres that the crusaders committed in the captured territories.

The dire events coincided with disunion of Islamic world countries and its domination with political and ideological problems.

The researcher indicated that some emigrants occupied top ministerial posts in the host countries, in addition to the role they played in enlightening and educating people, persuading them to fight and to unify the Moslems' world, in order to liberate Palestine and help return the refugees to their Palestinian cities, towns, and territories they were forced to leave.

مقدمة:

جاءت دعوة البابا أربان الثاني[١] (Urban II) في مؤتمر كليرمون (Clermont) -جنوب فرنسا - في السابع والعشرين من تشرين الثاني ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، لتجهيز حملة صليبيّة ضد المشرق الإسلامي، بحيث تكون وجهتها الأرض الفلسطينية "محور الكون" -كما وصفها المؤرّخ الصليبي فوشيه الشارتري[٢]، وفق تخطيط وتوقيت تزامنا مع ما كان يسود العالم الإسلامي من حالة تمزق وانقسامات سياسية ومذهبية دينية أدت إلى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد، وألحقت ضرراً كبيراً بوحدة الجبهة الاسلامية أمام حملة الغزو الصليبي الأولى. كما كانت بلاد الشام التي استهدفتها تلك الحملة، تعاني وضعاً مفككا، حيث توزعت مدنها بين أمراء وحكام يحذر كل منهم الآخر[٣]. وبلغ الخلاف المذهبي بين الفاطميين[٤] الشيعة والسلاجقة[٥] السنّة أشده عندما بدأت قوات الغزو الصليبي تستولي على المدن الاسلامية، وقد رأى كل طرف في قدوم الصليبيين ما يحقق أهدافه في القضاء على خصمه أو الحد من سيطرته ونفوذه، مما مهد للغزو دخول فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس والمدن الداخلية والساحلية[٦].

وقد عكست الظروف السياسيّة المضطربة في بلاد الشام والعراق من ناحية، ومصر من ناحية أخرى، وضعاً اقتصادياً واجتماعياً صعباً، فضعفت الحركة التجاريّة والصناعيّة والزراعيّة، وشاعت بين عامة الناس عادات شرب الخمور، وارتياد أماكن الترف واللهو، وارتكاب الآثام والفواحش[٧]. وأمام هذا الانقسام السياسي والمذهبي وما صاحبه من تدهور اقتصادي، جاء ردّ بعض دول العالم الإسلامي على الغزو الصليبي للأراضي المقدسة باهتاً وبخاصة الاتراك السلاجقة والخلافة العباسية السنية المناوئة للخلافة الفاطمية الشيعية، فلم يكن أكثر مما جاء في وصف بعض المؤرّخين بقولهم: " وانزعج المسلمون في سائر ممالك الإسلام، بسبب أخذ بيت المقدس غاية الانزعاج "[٨]. واقتصر هذا الانزعاج في خطب المساجد ومجالس العلم والمناظرة، وعقد التجمعات العفوية والمنظمة، تضامناً مع سكان فلسطين واستياء من سياسة الصليبيين المتمثلة في عمليات الإباده بحق المسلمين، فضلا عن تفريغ الأرض من سكانها.

سياسة الصليبيين في تهجير سكان الارض الفلسطينية

تكلل نجاح الغرب الاوروبي في الدعوة للحروب الصليبية ضد المشرق الاسلامي، ومنها

الأراضي الفلسطينية بخطاب البابا أربان الثاني الذي حاول أن يجمع فيه – حسب ما ورد في بعض المصادر التاريخية – بين طموحات القادة الاوروبيين وكبار السادة الاقطاعيين الساعين من وراء هذه الحرب إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وبين رجالات الدين وعامة الناس الذين كانوا يلحون على ضرورة تخليص اخوانهم المسيحيين الشرقيين وكنائسهم من أعمال التخريب والتدمير التي تعرضت لها في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي على أيدي الاتراك السلاجقة والفاطميين حين يقول : إن "هذه الأرض التي تعيشون عليها يحيط بها البحر من كل جانب، وتحوطها قمم الجبال. . . . وهي لا تفيض بالثروات، وإنما تكاد تعجز عن توفير الغذاء لأولئك الذين يتولوّن فلاحتها. . . . ستكون الرحلة إلى الضريح المقدس للاستيلاء على تلك الأرض " [٩].

استغلّت الجيوش الصليبيّة الغازية حال الانقسامات السياسيّة وتردّي الأوضاع الاجتماعيّة في بلاد المشرق الإسلامي، فأقدمت، منذ أن وطئت أقدامها أراضي العالم الإسلامي، على استخدام أسلوب بثّ الفزع والجزع بين أهاليها الآمنين، واللجوء إلى ارتكاب مجازر جماعيّة وحشيّة بحقهّم، عدا عن ممارسة أساليب الضغط النفسي، ومثال ذلك حرمان سكان المدن والقرى التي وقعت في قبضتهم من أداء شعائرهم الدينية بحرية[١٠]، لحملهم على الهجرة، تطبيقاً للسياسة التي اعتمدها الصليبيّون في تفريغ الأرض من أصحابها الشرعيّن وفي ذلك يقول المؤرخ الصليبي وليم الصوري (William of Tyre): "ليس هناك بلاء أشدّ بلاء بالمرء. . . . من عدوّ يكون له بالمرصاد وعلى الأبواب "[١١]. ولما كان هذا البحث يتناول عمليّات التهجير القسري التي اتبعها الصليبيون في الأراضي الفلسطينية، فإن الباحث لن يتعرّض لعمليات التهجير التي وقعت خارج حدود هذه المنطقة.

كانت المذابح والمجازر البشعة التي ارتكبتها قوات الغزو الصليبي في المدن والقرى التي وقعت في قبضتها قبل وصولها إلى الاراضي الفلسطينية كأنطاكية [١٢] ومعرة النعمان [١٣] – على سبيل المثال– وراح ضحيتها الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وما تبعها من إصدار الأوامر بهدم بيوتهم وعقاراتهم بعد أن استولوا على ما فيها من سلاح وأموال ومؤن [١٤]. وكانت تلك الأعمال قد أثارت المخاوف الشديدة في نفوس سكان فلسطين، الذين علموا أن بيت المقدس أصبح وجهة الصليبيين الرئيسة، فبدأت جموع غفيرة منهم بحزم أمتعتها وتأمين مدخراتها وما استطاعت حمله من الحاجات الأساسية استعداداً للنزوح عن بلداتهم حرصا على حياة أبنائها وأطفالها وشرف بناتها والتمسك بدينها وعقيدتها كما حدث مع معظم مواطني مدن يافا[١٥] والرّملة[١٦] الذين سارعوا إلى مغادرة منازلهم وممتلكاتهم فور

وصول الأخبار إليهم عن طريق العيون والجواسيس والمراقبين للتطورات العسكرية المتسارعة للصليبيين حول نيتهم اجتياح هذه المدن والاستيلاء عليها[١٧].

وكانت سياسة تفريغ الارض الفلسطينية وتهجير سكانها عند الصليبيين قد بدأت ملامحها تظهر، عشية استيلائهم على المدينة المقدسة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٢هـ/ الموافق الخامس عشر من تموز ١٠٩٩م[١٨]، حين أقدمت قواتهم الغازية على ارتكاب مجزرة وحشية ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من سكان المدينة، ويصوّر المورخ الصليبي المعاصر فوشيه الشارتري هذا المشهد بقوله : " وفي ساحة هذا البنيان – أي المسجد الأقصى – شن رجالنا هجوماً عنيفاً على الشرقيين، فلم يكن لهم من سيوفنا مفر . . . . وقد قطعت رؤوس ما يقرب من عشرة آلاف شخص . . . ولو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى "[١٩]. ويؤكد ذلك ايضاً المؤرخ وليم الصوري الذي قال إن الصليبيين قتلوا عشرة آلاف من المسلمين في ساحة المسجد الأقصى ومثلهم في شوارع المدينة وأزقتها.

كان من الطبيعي أن يدفع هذا النصر بالصليبيين إلى أن يواصلوا تنفيذ مشروعهم القاضي بالاستيلاء على المدن الفلسطينية الباقية في الجنوب والشمال وتفريغها من سكانها الشرعيين، فلم يكد الصليبيون يسيطرون على مدينة بيت المقدس حتى تحركت مجموعة من قواتهم صوب مدينة الخليل وأريافها التي اخذت تتهاوى بأيديهم الواحدة تلو الأخرى، ثم بسطوا سيطرتهم على المدينة نفسها بعد هجوم قصير وضعف مقاومة سكانها الذين أجبروا على الخروج منها ومغادرتها[٢٠].

وواصل الصليبيون سياسة تهجير سكان المدن الشمالية الفلسطينية الأخرى أي منطقة إقليم الجليل[٢١]، فاتجهوا نحو مدينة طبرية[٢٢] التي استسلمت لهم بسهولة[٢٣]، ويعود ذلك إلى جلاء معظم سكانها عنها عندما كانوا قد علموا بأنباء قدوم الحملة الصليبية الأولى ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ[٢٤]، وتبعها كذلك مدن الناصرة[٢٥] وبيسان[٢٦]، وبنجاح هذه المهمة استولى الصليبيون على الأجزاء الشمالية من فلسطين.

وبعد أن فرغ الصليبيون من إخضاع إقليم الجليل، كان لزاماً عليهم مد نفوذهم إلى المدن الساحليّة لإحكام السيطرة على الجزء الأكبر من فلسطين الآهل بالسكان، فساروا نحو مدينة حيفا[٢٧] وفرضوا عليها حصاراً شديداً انتهى باستسلام أهلها والمدافعين عنها في ١٨ شوال ٤٩٣هـ/ ٢٠آب ١١٠٠م، أعقبها مجزرة شنيعة بحق سكانها الآمنين[٢٨] الذين رفضوا – كما يبدو– النزوح عنها أو مغادرتها. بعد ذلك اتجهت القوات الغازية جنوباً نحو أرسوف[٢٩] وقيسارية[٣٠]، فاستولت على الأولى في السابع والعشرين من جمادى الأولى

٤٩٤هـ/ التاسع والعشرين من إبريل (نيسان) ١١٠١م[٣١] . أما المدينة الثانية وهي قيسارية، فقد استبسلت حاميتها في الدفاع عنها قرابة خمسة عشر يوما اضطر أهلها في نهاية الأمر إلى تسليم المدينة عنوة في الخامس عشر من جمادى الثانية ٤٩٤هـ/ السابع عشر من مايو (أيار) ١١٠١م[٣٢] . ثم اضطروا جميعاً إلى مغادرتها بعد أن أقدمت القوات الغازية على إنزال أشد العقوبات والجرائم بحق سكانها وبخاصة الفتيات والنساء اللواتي تعرضن لسوء المعاملة والسبي واتخاذهن جواري وخادمات في منازل الأمراء والأغنياء من الصليبيين[٣٣] . ويبدو أن شدة غيرة المسلمين على نسائهم وفتياتهم إلى جانب أساليب القتل والتعذيب والسجن كان وراء قرارهم جميعاً – إلى حد ما – بالنزوح عن المدينة، ويؤيد هذا الأمر ما ورد على لسان السمعاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦١م) الذي زار المدينة أثناء خضوعها للحكم الصليبي بقوله : " دخلتها يوم الجمعة وقت الصلاة فلم أجد بها من المسلمين إلا رجلاً واحداً وأهله، واستولت عليها الفرنج "[٣٤] .

ويرى الباحث أن مبالغة الصليبيين في قسوة معاملة سكان قيسارية وبخاصة مع نسائها وفتياتها أكثر من غيرها من المدن الساحلية يعود إلى أمرين، الأول : معاقبة اللاجئين إليها من مدينة حيفا والانتقام منهم لمشاركتهم حاميتها في المقاومة والدفاع عنها[٣٥]، أما الأمر الثاني فكانت تهدف إلى نشر حالة من الخوف والرعب في نفوس سكان عكا[٣٦] وإجبارهم على مغادرة المدينة واللجوء إلى مناطق أخرى للإسراع في بسط السيطرة الصليبية عليها. وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المدينة – أي عكا – استمرت في الصمود والمقاومة– ثلاث سنوات أخرى مما أجبر القوات الصليبية إلى الاستعانة بأسطول جنوا الايطالية الذي تألف من سبعين سفينة حربية[٣٧]، فاشتد الحصار على المدينة إلى أن اضطر أهلها إلى الاستسلام والموافقة على مغادرة المدينة في شعبان ٤٩٧هـ/ أيار ١١٠٤م بعد عشرين يوماً من التضحية والمقاومة[٣٨] .

ونخلص إلى أن استيلاء الصليبيين على المدن الفلسطينية الشمالية منها والجنوبية، ثم إجلاء سكانها عنها بقوة السيف وتخريب المنازل ومصادرة العقارات، قد شكل ركيزة أساسية في عملية التوطين والتوسيع الاستيطاني، على الرغم من قلة عدد الأوروبيين في فلسطين في السنوات الأولى من سيطرتهم عليها، وقد عبر المؤرخ الصليبي وليم الصوري عن ذلك، بقوله : " وكان عدد سكان قطرنا قليلي العدد، قلة ملحوظة، ويعيشون في فقر مدقع، حيث إنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعاً من شوارعها "[٣٩] . وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على عجز الصليبيين عن توفير أعداد كافية من الجنود والفرسان يمكنهم من بسط السيطرة الكاملة على الأرض الفلسطينية، ووجه فوشيه الشارتري اللوم في ذلك إلى الفرسان والأمراء الذين

غادروا فلسطين بعد استيلائهم على المدينة المقدسة بقوله : " وقد بقيت أراضي القدس خالية من السكان لهذا السبب، ولم يتوافر فيها من الناس من يدافع عنها لو أن الشرقيين جرؤوا على مهاجمتنا " [٤٠].

ولذلك نجد أن بعض المؤرخين المعاصرين يصف الملك الصليبي بلدوين الاول (٤٩٥-٥١٢هـ/ ١١٠١-١١١٨م) ببعد النظر حين وافق على استراتيجية جديدة تحد من سياسة الابادة او التهجير الجماعي لسكان المدن والقرى الفلسطينية، فأصدر قراره بتشجيع المسيحيين في شرقي الاردن على القدوم إلى الارض الفلسطينية [٤١]، ثم السماح للسكان المسلمين بالبقاء في بلادهم وأراضيهم بعد ان أدرك حاجة الممالك الصليبية الوليدة إلى الأيدي العاملة للعمل في مجالات التجارة والصناعة والزراعة[٤٢].

ومن الجدير ذكره هنا ان قضية نقص عدد سكان الاراضي الفلسطينية في هذه المرحلة قد تدوركت من كثير من سكان المدن والقرى التي استولي عليها، ولذلك نجدهم يفضلون اللجوء إلى الريف الفلسطيني على اللجوء إلى بلاد الشام ومصر والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية، كما حصل مع عدد كبير من سكان حيفا الذين آثروا اللجوء إلى أريافها المجاورة بعد سقوطها بيد الصليبيين عام ٤٩٣هـ/ ١١٠١م[٤٣]. وتتضح صورة لجوء كثير من سكان المدن إلى القرى إلى ما أورده الرحالة الألماني ثيودريش الذي زار البلاد في الفترة الممتدة من عام ٥٥٨-٥٦٩هـ / ١١٦٢-١١٧٣م عن وجود أعداد كبيرة من سكان البلاد الأصليين في القرى المحيطة بمدينة نابلس وأنهم يمارسون حرفة الفلاحة وزراعة الأرض بمختلف المحاصيل الزراعية [٤٤].

ومع هذا كله، فإن سياسة الملك بلدوين الأول هذه لا تعني أن سياسة التهجير بحق السكان الأصليين قد توقفت تماماً، فالصليبيون استمروا في مصادرة الأراضي وطرد أصحابها منها، ووضع الخطط والاستراتيجيات لاستيعاب القادمين الجدد من الغرب الأوروبي بعد ان أخذت الاوضاع السياسية تميل إلى الهدوء والاستقرار، إلى جانب عدم قدرة الفلاحين والمزارعين على تحمل الضرائب الباهظه التي كانت تفرضها المملكة على أراضيهم، فضلاً عن الهجرة القسرية التي ظلت تلاحق من كانت السلطة الصليبية تعتبرهم يشكلون خطراً كبيراً على استقرار المملكة وأمنها، كما سيتضح ذلك في أثناء عرض الباحث لهذا الموضوع.

ومهما يكن من أمر، فقد نزحت مجموعات كبيرة من اللاجئين إلى خارج البلاد، وهي تتحمل الظروف السياسية الصعبة السائدة في العالم الإسلامي، إضافة إلى صعوبة المسالك والممرات التي كان عليها أن تسلكها بصحبة أبنائها وأطفالها وما استطاعت حمله من أمتعة

وحاجات ضرورية . ونسوق هنا الحالات التي جرى فيها خروج مثل هذه الموجات الجماعية ، فالحالة الأولى حدثت في بعض المدن التي خلت من سكانها قبل وصول القوات الصليبية إليها ، كما حصل مع سكان مدينة الرملة ، الذين جاء قرارهم بالنزوح عن المدينة ومغادرتها فراراً بأنفسهم وأموالهم قبل ذلك بيوم[٤٥] ولا بد أن عدداً منهم قد رحل عنها قبل هذا الموعد خشية منهم أن يزداد الوضع خطورة .

ووقعت الحالة الثانية عندما اضطر كثير من سكان بعض المدن إلى مغادرتها سراً وفي عتمة الليل بعدما شاهدوا بأم أعينهم ما حل بإخوانهم على أيدي الغزاة الصليبيين ، الذين لم يتورعوا عن سفك دماء الشيوخ والنساء والأطفال واستباحة المنازل والمساجد ودور العبادة ، كما هو الحال في بيت المقدس عشية استيلائهم عليها ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م[٤٦] . أما الحالة الأخرى ، فهي تلك الأفواج من المهجرين الذين اضطروا إلى الخروج من مدنهم بموجب اتفاق كان قد جرى توقيعه بين قادة حامياتها وقادة الصليبيين بعد حصار شديد استهدف ترويع السكان وتجويعهم ، عدا عن قيام الصليبيين بقصف أسوار المدن وبيوتها بالصخور والحجارة الضخمة وتدميرها ، ووقوع إصابات كثيرة في الأرواح[٤٧] ، كما حصل مع سكان مدن أرسوف وعكا الذين شردوا وهجروا من أراضيهم إلى حيث شاءوا بموجب شروط قاسية مصطحبين معهم أطفالهم وأزواجهم وبعض ممتلكاتهم المنقوله[٤٨] .

وهنا نلاحظ أن الغالبية العظمى من المهجرين في هذه المرحلة العصيبة كانت تفضل اللجوء إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، سواء إلى بلاد الشام أو العراق أو مصر على اللجوء إلى المناطق الريفيّة الفلسطينية التي كانت تشهد وجودا ضعيفاً للقوات الصليبية ، ولعل ذلك يعود إلى احتمالات عدة ، منها : أن الغرب الاوروبي سوف يدعم هذا الكيان بكل قوة من خلال زيادة عدد أفراد الجيوش الصليبية يمكنها من بسط السيطرة الكاملة على كل المدن والقرى الفلسطينية ، والاحتمال الثاني هو قبول سكان بعض المدن بشروط الصليبيين برفع الحصار ووقف القتال مقابل الخروج نهائياً من الأرض الفلسطينية أو إلى مدينة عسقلان[٤٩] جنوباً التي كانت لا تزال تحت سيطرة القوات الفاطمية المصرية[٥٠] . أما الاحتمال الثالث فقد يعود إلى يقينهم ووقوفهم على ما شاهدوه أن القوات الصليبية وحكوماتها لن تتردد في ممارسة أعمال القتل والتعذيب والاعتقال واستخدام أساليب الحرب النفسية وتضييق الخناق الاقتصادي بحق من تبقى من السكان في فلسطين لإجبارهم على النزوح واللجوء إلى البلدان الإسلامية الأخرى .

فقد تعرض سكان الريف الفلسطيني وبخاصة في المناطق المجاورة لمدينة نابلس – على

سبيل المثال – لضغوط اقتصادية خانقة تمثلت في فرض الضرائب الباهظة على محاصيلهم الزراعية من قبل بلدوين – الابن الاكبر لباين دي ميللي Payen de Milly – الذي أقدم سنة ١١٥٦م / ٥٥١هـ على ارتكاب أعمال وحشية بحق سكان هذه القرى والتنكيل بهم في السجون والمعتقلات وصلت إلى درجة تقطيع الأرجل والأطراف، لإجبارهم على دفع مثل هذه الضرائب التي تفوق قدراتهم(٥١). ولا بد أن سكان هذا الريف قد أجبروا على دفع الضرائب على محاصيلهم الزراعية منذ حازت أسرة ميللي على نابلس كإقطاعية لتسديد نفقاتها ودفع ما يترتب عليها من التزامات مادية للملك الصليبي. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن بعض الصليبيين المعروفين بتعصبهم الديني، والذين امتلكوا مساحات من الأراضي الزراعيّة والأعمال التجارية المختلفة كانوا يجبرون العمّال المسلمين على العمل في أراضيهم الزراعية ومؤسساتهم التجاريّة أيّام الجُمع والأعياد الإسلاميّة(٥٢). ونفهم من هذا كلّه أن عمال فلسطين كانوا يحارَبون بدينهم وعقيدتهم بطردهم وحرمانهم من مراكز عملهم إذا لم يلتزموا بتعليمات أصحاب العمل، وقد يدفع بهم هذا إلى هجرة وطنهم بصحبة أفراد أسرهم وعائلاتهم فراراً بدينهم وبحثا عن لقمة عيش كريمة.

ولعل أقسى أساليب التهجير القسري الذي مارسته سلطات الغزو الصليبي للسيطرة على الأرض والثروة، لجوؤها في حالات عدّة إلى توجيه إخطارات للسكان في بعض القرى بضرورة مغادرتها طوعاً أو قسراً إلى قرى أخرى والإقامة فيها(٥٣). فقد دعا الصليبيّون في الثامن والعشرين من مايو (أيار) ١١٢٨م / ٥٢٣هـ إلى اجتماع دعا إليه الملك الصليبي بلدوين الثاني(٥٤) في مدينة عكا وحضره حشد كبير من الأمراء ورجال الدين في المملكة الصليبيّة، وكان على رأس أعماله منح قرية كفر مالك(٥٥) والضياع المحيطة بها إلى كنيسة القيامة(٥٦) وتهجير سكان القرية الشرعيّن إلى قرية بيت فوريك(٥٧) بعد أن مارسوا بحقهم ضغوطاً نفسيّة واقتصاديّة(٥٨) ويعتقد أن سكان قرية كفر مالك كانوا قد واجهوا هذه الخطة بمقاومة عنيفة – وإن اختلفت موازين القوى في العدة والعتاد واتخاذ الصليبيين الاحتياطات العسكرية المختلفة لمواجهة وقوع مقاومة تعبر عن رفض سكان القرية لقرارات الغزو الصليبي القسرية بإجلائهم عن بلدتهم وحرمانهم من استغلال اراضيهم الزراعية –، وليس من المستبعد أيضاً أن بعض أهالي القرية وبخاصة الشباب منهم والقادرين على حمل السلاح والمواجهة قد استشهدوا في الدفاع عن بلدتهم، وآخرون تعرضوا للاعتقال ومختلف أساليب التعذيب في السجون لإجبارهم على تنفيذ الأوامر العسكرية الصليبية بمغادرة القرية.

واستمر الصليبيّون في اختلاق مختلف الأساليب والخطط الرامية إلى تفريغ الأراضي

الفلسطينية من سكانها، فقد عمدوا في كثير من الأحيان إلى دفع بعض ضعاف النفوس من سكان الأرض إلى التجسّس ومراقبة نشاطات العناصر الفاعلة والداعية إلى مقاومة الوجود الصليبي ومشاريعه التوسعيّة والاستيطانية، وبخاصة العلماء والفقهاء الذين كانوا يدعون الناس من على المنابر وفي مختلف المناسبات الدينية والوطنية إلى التصدي للغزو الصليبي ومخططاته، والدعوة إلى التكاتف والوحدة ونبذ الخلافات الداخلية. وقد اتخذ العلماء والفقهاء من المساجد ودور العبادة مركزاً رئيسا للقيام بهذا الدور. فقد كرّس آل قدامة في قرية (جماعيل) [٥٩] جل حياتهم في تذكير الناس بفضل الجهاد وأبعاد الغزو الصليبي لفلسطين، وبلغ من تأثيرهم على سكان القرى المجاورة وشحذ هممهم في المساجد وحلقات العلم والوعظ أن الصليبيين أقدموا على وضع خطة ترمي إلى قتلهم أو زجّهم في السجون[٦٠]. وعندما وصل إلى مسامع آل قدامة بجدية بما يخطط له الصليبيّون، أخذوا يطلبون من أبناء أسرهم وذويهم والبالغ عددهم نحو(١١٥) فرداً إلى أخذ استعداداتهم كافة والخروج سراً باتجاه مدينة دمشق السوريّة[٦١]. ويبدو أن نجاح آل قدامة وما بلغوه من تأثير وحماسة في نفوس الأهالي قد جعل من جماعين وما يجاورها من القرى واحدة من المعاقل الرئيسة في تنظيم الناس بعامة والرجال بخاصة على التحدي والمقاومة، فجاء قرار الصليبييّن بالإسراع في وضع الخطط التي تضمن لهم قتلهم أو اعتقالهم قبل أن تمتد جذوتها إلى باقي المناطق الفلسطينية.

بلاد اللجوء:

اندفعت جموع اللاّجئين الذين طردوا من ديارهم ومن أراضيهم إلى البلاد والمدن الإسلامية المجاورة، حماية لأرواحهم وصيانة أعراضهم من خطر الجيوش الصليبية بعدما ترامى إلى مسامعهم عن عمليات القتل والتمثيل بجثث المسلمين، ناهيك عن سوء معاملة هؤلاء الغزاة للنساء بعد سبيهنّ وإجبارهن على العمل جواري وخادمات في بيوت الأمراء والأغنياء، أو استخدامهنّ في المتاجرة وعمليات البيع والشراء في أسواق المدن التي وقعت تحت السيادة الصليبيّة. وكان كبار رجالات الأعمال في المدن التجارية الإيطالية وبخاصة الجنوييّن منهم أكثر من اهتم بهذا النوع من التجارة[٦٢].

تشتّتت أفواج المهجرين بين البلاد الشمالية والجنوبية الشرقية لفلسطين، فنجد أن مجموعات كبيرة من سكان بيت المقدس والقرى المجاورة وقيسارية قد ساروا شمالاً وأقاموا

في مدينة حلب(٦٣) وأقام مهجرّو نابلس، كجّماعين وجيت[٦٤] ومردا[٦٥] وعوريف[٦٦] في دمشق[٦٧]. واستقر المقام بعدد كبير من لاجئي يافا وبيت المقدس وقيسارية وأرسوف في عسقلان ومصر[٦٨]. في حين اتجهت مجموعات قليلة في هجرتها نحو العراق، وبخاصة من بيت المقدس وطبرية[٦٩]. ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة، من بينها الكثافة السكانية العالية في دمشق جرّاء لجوء أعداد كبيرة من المهجرين إليها بعد استيلاء الصليبيّن على الرّها[٧٠] وانطاكية وبعض المدن والقرى (اللبنانية) في أثناء سيرهم نحو المشرق الاسلامي [٧١].

أما العامل الثاني الأكثر خطورة، فقد يعود إلى اعتقاد عامة الناس أن مدينة دمشق سوف تصبح هدفاً رئيساً للصليبيّن، لإدراكهم أن هذه المدينة قد تشكل خطراً على الوجود الصليبي وتكون نواة صلبة للمقاومة، نتيجة للجوء أعداد كبيرة من الرجال إليها. ومن ناحية أخرى، ربما فضّل بعض المهجرين مواصلة سيرهم نحو العراق، لاعتقادهم أن نجاح الصليبيّن في توطيد أركان مملكتهم سيدفعهم إلى وضع خطة تهدف إلى حصار دمشق والاستيلاء عليها انتقاماً من الخلافة الأموية التي رسمت فيها خططها العسكرية وتسيير الجيوش الإسلامية نحو الغرب الأوروبي وتحقيق فتوحاتهم في بلاد الأندلس (إسبانيا). ومن هنا نجد أن الموجة الكبيرة من المهجرين والتي قدر عددها بحوالي ١١٥ من آل قدامة قد ساروا إلى دمشق ٥٥١هـ / ١١٥٦م [٧٢] وبعد فشل الحملة الصليبيّة الثانية على المدينة. أما لجوء أعداد أخرى من فلسطين إلى عسقلان ومصر، فإن ذلك يعود – كما يبدو – إلى أنها كانت أكثر أمناً من بلاد الشام من خطر الغزو الصليبي من جهة، ومن جهة أخرى اندفاع آلاف الشباب للانضمام إلى صفوف قوات الحامية الفاطمية التي ظلت تواصل مواجهة الصليبيين بحملاتها العسكرية [٧٣] وتوقع في صفوف قواتهم خسائر مادية كبيرة [٧٤] حتى استيلائهم على مدينة عسقلان ٥٤٧هـ / ١١٥٣م [٧٥].

أوضاع المهجّرين الفلسطينيين في بلاد اللّجوء

عاش المهجرّون في بلاد اللجوء والغربة ظروفاً مادية وإنسانية واجتماعية عصيبة، تمثّلت منذ بداية الغزو بسرقة الصليبيّن لأموالهم من الذهب والفضة والحبوب والزيوت، كما حصل مع سكان عكا وحيفا وقيسارية وغيرها، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية المتوافرة أن القوات الغازية أقدمت على ممارسة أبشع صور التمثيل بجثث الضحايا وحرقها لانتزاع الدنانير الذهبيّة التي يخبئها الأهالي في ثنايا ملابسهم وداخل أحشائهم[٧٦]. وليس من المستبعد أن يكون كثير

من سكان الأراضي المقدسة قد حرصوا على أن يكنزوا الذهب والفضة والأموال وبخاصة بعد أن وصل إلى مسامعهم عن طريق التجار وأصحاب البريد ما حلّ بسكان الرّها وانطاكية وغيرها من أعمال طرد وتهجير قسري.

وإلى جانب الظروف المادية العصيبة، فقد واجه المهجرّون صعوبات كثيرة تمثّلت في مسافات السفر الطويلة ووعورة مسالكها، حيث كان لا بد أن يجتاز المهجرون طرقاً بعيدة عن عيون الفرنجة، خشية أن يحل بهم ما حل بالمهجرين من مدينة أرسوف الذين تعرض كثير منهم لأعمال البطش والتنكيل والتمثيل بجثثهم، أو زجّهم في السجون وهم في طريقهم إلى بلاد اللّجوء(٧٧). فقد ذكر المؤرّخ الفرنجي ألبرت دي إكس Albert d'Aix عن إقدام بعض قوات الأمير الصليبي جودفري البويوني(٧٨) على ارتكاب مجزرة بشعة بحقّ عدد كبير من سكان مدينة أرسوف في فبراير (شباط) ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م في أثناء سيرهم جنوباً نحو بلاد اللجوء إلى درجة أنه لم ينج من هذه المذبحة من بين المجموعات المهاجرة أكثر من خمسمائة نفر(٧٩)، على الرغم من أنه كان قد جرى بين حامية مدينة أرسوف والجانب الصليبي اتفاق يقضي بتخيير سكان المدينة بين البقاء فيها والقبول بالواقع الجديد الذي فرضه الغزو الصليبي وكذلك الاستمرار في فلاحة الأرض وزراعتها بالكروم والأشجار المثمرة تحت إمرة الأمراء الصليبيّن والإقطاعيّن أو الرحيل عنها مع اصطحاب ما يستطيعون حمله من أمتعة وحاجات ضرورية أخرى(٨٠). ولعل هذه الصورة تبيّن بجلاء أمرين اثنين، الأول: الحجم الكبير من المهاجرين من أطفال وشيوخ ونساء آثروا الخروج من ديارهم خشية أن يحل بهم ما حل بإخوانهم من ذبح وقتل وتشريد في المدن والقرى التي كانت تمر بها القوات الصليبيّة. أما الأمر الثاني، فإنه يشير إلى عدم التزام الجانب الصليبي – وهو في نشوة انتصاره – بكل التعهدات والمواثيق التي أخذها على عاتقه بتأمين سلامة النازحين وهم في طريقهم إلى بلاد اللجوء.

ولا شك أن صعوبة الطرق ووعورة مسالكها وشدّة حرارة الجوّ أو قساوة برودته، عدا عن شحّ ما بأيدي معظم المهجّرين من نقود وأموال كافية لابتياع ما يحتاجونه من أكل وشرب قد عرّض كثيراً منهم للموت أو الأمراض المعدية أو المزمنة. ونستطيع القول، إن المعاناة الشديدة من الجوع والعطش والمرض ظلّت تلاصق حياة المهجرّين في بلاد اللّجوء التي اختلفت عليهم في طقسها وظروف مناخها، كذلك ضعف إمكانياتها في توفير منازل وبيوت لإيواء الأعداد الكبيرة منهم، يقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء، فضلاً عن عجز المدن المضيفة في توفير فرص عمل أو مساعدات مادية تؤمن للاجئين حياة كريمة(٨١).

فأسرة آل قدامة الجماعيليّة ومن هاجر معها من القرى المجاورة بعد أكثر من خمسين عاماً

من وقوع الأراضي الفلسطينية في قبضة الغزو الصليبي، قد تعرضوا لمتاعب صحيّة وأمراض شديدة في مدينة دمشق، بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة فيها وانتشار الأمراض والأوبئة الناجمة عن اكتظاظ أعداد المهاجرين فيها، ونقص الأدوية العلاجيّة، إضافة إلى سوء التغذية وانتشار حالات الفقر والمجاعة[٨٢]. ولا بد أن الأعداد الكبيرة من المهجرين والمشرّدين في بدايات الغزو الصليبي قد واجهتهم ظروف حياة أكثر قساوة وصعوبة من تلك التي ذاقها المهجّرون المتأخرون كآل قدامة، سواء من لجأ منهم إلى الشام أو مصر أو العراق أو غيرها من البلاد المجاورة.

إن السؤال الذي يثير الجدل هنا هو: كيف استطاع المهجّرون تسيير أمور حياتهم اليوميّة في بلاد اللجوء والغربة؟

وللإجابة عن هذا السؤال، يرى الباحث أنه على الرغم من قلة المصادر التاريخية المتوافرة التي تبيّن الظروف المعيشيّة والحياتيّة التي عاشها اللاجئون في الدول الإسلامية، فإن هناك بعض الإشارات التي تتناول ظاهرة الفقر والبطالة الناتجة عن عدم توفر فرص عمل كافية للشباب والرجال القادرين على العمل، سواء في فلاحة الأراضي وزراعتها أو في القطاعين الصناعي والتجاري. ولعل ذلك يعود إلى عاملين أساسيين، أولهما: عدم قدرة القطاعات الزراعية والصناعية أو التجاريّة على استيعاب الأعداد الكبيرة من المهجرين. وثانيهما: اضطراب الأوضاع السياسية الناجمة عن الغزو الصليبي للمشرق الإسلامي وآثاره السلبيّة على الوضع الاقتصادي فيه.

وكانت الدولة الفاطمية في مصر قد بذلت جهدها في التخفيف من حدّة هذه المشكلة وما قد تسببّه من مشكلات اجتماعية أخرى، كانتشار ظاهرة السرقة والسطو والنصب، فلجأت إلى تقديم بعض المساعدات العينية والنقدية لسكان مدينة عسقلان من المهجرين[٨٣]، مساهمة منها في تخفيف حدّة المعاناة التي أصابت معظم اللاجئين بعد اقتلاعهم من موطنهم مصدر رزقهم. ويبدو أن الحال ذاته ظلّ يواجه المهجرين في البلاد الإسلامية الأخرى طوال فترة الاستيلاء الصليبي على الارض الفلسطينية، وإن طرأ بعض التحسن مع الوقت. وتتضح هذه الصورة مما ورد على لسان ابن جبير الذي زار الارض الفلسطينية ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م – أي قبيل معركة حطين بفترة وجيزة– عن حال المهجرين في دمشق وحلب وبغداد وغيرها، بأن المسلمين الذين رابطوا في بلادهم وتصدّوا لكل أشكال العنف والتهجير، قد عاشوا في رفاهية كبيرة تحت الحكم الفرنجي أكثر منها في الدول الإسلامية[٨٤].

فئات المهجرين الاجتماعية وطبقاتهم

تألفت جموع المهجرين من طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، فمنها من كان، تزاول حرفة الزراعة، وهي الفئة التي كانت تشكل غالبية سكان الأراضي الفلسطينية [٨٥]، وأخرى كانت تعمل في قطاع الصناعة والتجارة الداخلية والخارجيّة[٨٦]، والوظائف والخدمات كالوزارة والقضاء والمال والطب والعلاج وأعمال حرّة أخرى.

ومع أننا نجد جل المصادر الإسلامية المتوافرة تركّز على ما حل ببلاد المسلمين من عمليات تخريب، وتدمير، ومصادرة للأموال المنقولة وغير المنقولة، وما لحق بسكانها من أعمال قتل أو تهجير أو زجّ في السجون، فقد ورد في بعضها إشارات تبيّن فيها تكيف المهجرين مع الظروف الحياتية الجديدة التي فرضها الغزو الصليبي، وتقلّدهم مختلف المهن والحرف لتوفير لقمة عيش لهم ولأسرهم، كما جاء في كتاب ابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) "بغية الطلب" أن بعض المقدسيّن الذين لجأوا إلى حلب كانوا يمارسون حرفة زراعة أشجار الكرمة وصناعة الرب من ثمارها[٨٧]. ولتحقيق فوائد ماديّة كبرى، فإنه ليس من المستبعد أن يكون بعض المهجرين قد ساهموا في إقناع أصحاب الأراضي في بلاد اللجوء وبخاصة في بلاد الشام بزراعة مساحات واسعة من الأراضي بأشجار الكرمة بغية استخدامها في صناعة النبيذ والخمور وتسويقها إلى الصليبيين الذين كانوا يكثرون من تناولها، وبخاصة في مواسم الاحتفالات والأعياد الدينيّة والوطنية، فضلاً عن المتاجرة بهذا النوع من الصناعة مع الغرب الأوروبي[٨٨].

ويذكر في هذا الصدد، أنه على الرغم من حالة الحروب والعداء بين الجانبين الاسلامي والصليبي فإن التجارة كانت رائجة، فقد أشار المؤرخ الصليبي البرت دكس Albert d’Aix أن تجار مدينة عسقلان كانوا يسوقون بضاعتهم في مناطق الصليبيين في حين كان الصليبيون يذهبون إلى هذه المدينة للتبضع والتجارة دون خوف[٨٩]. كما أن قوافل التجارة الإسلامية كانت تعبر البلاد الواقعة تحت السيطرة الصليبية، ويقول ابن جبير الذي زار بلاد الشام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م بهذا الشأن: "واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك"[٩٠].

وإلى جانب زراعة الكرمة، اهتم اللاجئون بالعمل في الأراضي المخصصة لزراعة الأشجار والمحاصيل الزراعية المثمرة، وفي مقدمتها أشجار الزيتون التي تستخدم ثمارها في صناعة الزيت، حيث وجدت صناعته رواجاً كبيراً في أسواق العالمين الإسلامي والأوروبي. فعدا عن

استخدامه في صناعة مختلف أنواع الأطعمة والحلويات وإنارة البيوت والمساجد والكنائس والمحلات التجارية ليلاً[٩١]، فقد استخدم كذلك في صناعة الصابون التي كانت تعدّ واحدة من الصناعات الشهيرة في بلاد الشام[٩٢]. أما المهاجرون إلى العراق ومصر، فيعتقد أنهم عملوا في زراعة الأشجار والمحاصيل الزراعيّة التي تتلاءم مع طبيعة التربة، كأشجار النخيل التي كانت ثمارها تعدّ مصدراً غذائياً رئيساً لسكان تلك البلاد إلى جانب بعض أنواع الخضروات والأشجار المثمرة.

وفئة أخرى من المهجرين – وهي قليلة نسبياً – وممن كانت ظروفهم تسمح لهم بحضور مجالس العلم، أو كانت لديهم خبرة في إدارة شؤون البلاد قبيل الغزو الصليبي، قد أتيحت لهم فرصة تولي أرفع المناصب في الدولة، كالوزارة والكتابة والقضاء، بعد أن لاحظ كبار مسؤولي الدولة المضيفة ما يتمتعون به من مهارة ودراية واسعة في تدبير مختلف شؤون الدولة الداخلية والخارجية، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العديم، أن خالد بن محمد بن نصر القيسراني – نسبة إلى قيسارية – قد تقلد منصباً وزارياً رفيعاً عند نور الدين محمود بن زنكي بحلب، وعهد إليه في كثير من الأحيان في أن يكون رسوله إلى صلاح الدين الأيوبي أثناء وجوده في مصر[٩٣]. وهو منصب لا يتقلّده إلا من تميّز بالسرّية والأمانة، نظراً لحساسيته من ناحية ثم حساسيّة الفترة السياسية والعسكرية التي كانت تجري فيها المراسلات بين الشام ومصر من ناحية أخرى. وبلغ إخلاص خالد القيسراني لنور الدين محمود الذي حظي بتقديره وتعلّقه به أنه لم يتوان في أن يترك منصبه الإداري الرفيع عندما بلغه وفاة نور الدين بعد عودته من مهمة في مصر، حيث ترك مجال عمله في السياسة والعمل السياسي، وصرف اهتمامه إلى الاعتناء بالأرض والعمل الزراعي[٩٤].

ويرد في بعض المصادر التاريخية أن بعض المهجرين في ديار الإسلام، ومنها مصر والشام، قد تقلّدوا مناصب قضائية فيها، ومن هؤلاء أبو المعالي مجلي بن جميّع القرشي الأرسوفي – نسبة إلى أرسوف – الذي تولى القضاء في مصر ٥٤٦هـ/ ١١٥١م[٩٥] نظراً لنزاهته ومعرفته الواسعة بالعلوم الدينية والفقهية التي كان يتلقاها مع غيره من العلماء والشيوخ في بيت المقدس قبل وقوعه تحت السيطرة الصليبيّة[٩٦].

ومن الأعمال والمناصب الأخرى التي شغلها بعض المهجرين في بلاد اللجوء الإسلامية، الإشراف على الأوقاف وإدارة شؤون البيمارستانات[٩٧] (المستشفيات)، فقد ذكر ابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م) في كتابه "تاريخ دمشق" أن الطبيب عبد الجليل المقدسي[٩٨] قد وقع عليه الاختيار للإشراف على بيمارستان دمشق[٩٩]. ولعل اختيار هذا الطبيب في هذا المنصب

يعود لحذقه وخبرته في مجال الطب والعلاج هذا من ناحية، ثم توكيله مهمة معالجة اللاجئين إلى دمشق، الذين كانوا يتعرّضون لأمراض شديدة بسبب سوء التغذية أو بفعل حرارة الجو وارتفاع نسبة الرطوبة صيفاً وقساوة برودته شتاء وعدم توفر المساكن الصحية الناجمة عن اكتظاظ السكان من ناحية أخرى.

لم تقف أعمال بعض اللاجئين في ديار الإسلام عند تولي مناصب وزارية وقضائية وبيمارستانات فحسب، بل شغل بعضهم مناصب إدارية أخرى تتميز بحساسيتها وخطورتها ككتابة الرسائل المتبادلة بين الحاكم أو الخليفة وولاته وقادة جيوشه، وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة السريّة والكتمان والأمانة، إضافة إلى ملكة الخط في كتابة الرسائل[١٠٠]. فقد ذكر ابن العديم أن سبب تقدم خالد القيسراني في بلاط نور الدين محمود يعود إلى مهارته في تدوين الرسائل وكتابتها[١٠١].

وعلى صعيد آخر، لعب اللاجئون في البلاد الإسلامية وفي مقدمتهم العلماء دوراً كبيراً في توعية الناس ورفع روحهم المعنوية وحثهم على قتال الصليبيّن لاسترداد الأراضي الإسلامية ومقدساتها، ويرى الباحث أن هؤلاء العلماء كانوا قد وجدوا في خطب المساجد أيام الجمعة وحلقات الوعظ والإرشاد والتذكير بفضائل المسجد الأقصى وفضائل زيارته، ثم تحين فرصة اجتماع المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي كافة في مواسم العمرة والحج لتذكيرهم بممارسات الصليبيين في الارض الفلسطينية ودعوة حكامهم وشعوبهم بعد عودتهم من أداء المناسك الدينية إلى توحيد الصف والكلمة لتحرير الأرض المقدسة وعودة اللاجئين إلى بيوتهم وأراضيهم التي طردوا منها. وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية المتوافرة لا تشير إلى هذا الأمر صراحة، فإن اشتراك مجاهدين من الهند وفارس وغيرها من بلاد العالم الإسلامي في جيش صلاح الدين الأيوبي فيه دلالة واضحة على نجاح العلماء واللاجئين والمجاهدين في الدولة الإسلامية للالتقاء بالمسلمين بمختلف ألوانهم وألسنتهم وجنسياتهم الهندية والإيرانية والأفغانية والباكستانية وغيرها[١٠٢]، وهو نجاح غايته تحقيق الحد الأدنى من الوحدة الإسلامية والانطلاق بها نحو تحرير الارض الفلسطينية من الغزو الصليبي بعد ثمانية وثمانين عاماً من سلب مقدراتها وتدنيس مقدساتها.

الخاتمة :

يتضح من دراستنا لهذا الموضوع أن الصليبيين نجحوا في تخطيطهم للاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها منها، واتبعوا في سبيل تحقيق أهدافهم وسائل عديدة، فقد استخدموا عمليات القتل المبرمج ضد السكان فضلاً عن عمليات الضغط النفسي والاقتصادي، مستغلين حالة الضعف السياسي والخلاف المذهبي والطائفي التي كانت سبباً رئيساً في تمزق وحدة العرب والمسلمين وخذلانهم في مواجهة الغزو الاستعماري الذي هدف إلى احتلال الانسان والأرض ونهب مقدراتها. ولذلك نرى أن حماية الوطن وكرامته تقع دائماً على عاتق قادة الامة وعلمائها، وكذلك الفئات الواعية من الشعوب العربية والإسلامية الحريصة على دوام وحدة الصف والكلمة، وللحيلولة دون تغلغل الفئات الحاقدة أو ماتعرف "بالطابور الخامس" التي تستهوي سقوط الأمة والوطن في قبضة الغزو والاحتلال.

وتبين للباحث في دراسته أن التغير الديمغرافي الذي نتج عن تدفق آلاف اللاجئين إلى ديار الإسلام كانت له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية والصحية السيئة، فلم تعد مدينة دمشق – على سبيل المثال – قادرة على استيعاب الأعداد الكبيرة منهم، مما أدى إلى تفشي ظاهرة الفقر والعوز الشديدين، وانتشار الأوبئة والأمراض المزمنة، وليس من المستبعد أن يكون ذلك واحداً من العوامل التي دفعت بالكثيرين إلى البحث عن مناطق أخرى كالعراق التي يتوافر فيها الحد الأدنى من الحياة الكريمة. و على الرغم من عبء المسؤولية الكبيرة التي وقعت على عاتق حكام بلاد اللجوء، فإنهم لم يدخروا جهداً في التعاون مع المهجرين ومحاولة التخفيف من معاناتهم، بالسماح لهم بالعمل والتملك وتقديم المساعدات العينية والنقدية للأسر والعائلات الفقيرة، كما هو الحال مع الدولة الفاطمية في مصر، إذ لم تتوان عن تقديم الأموال والغذاء للاجئي عسقلان بداية الاستيلاء الصليبي على الأرض الفلسطينية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن حكام البلاد الإسلامية ومنها دمشق، قد لجأوا إلى دمج بعض اللاجئين في أجهزتها الإدارية المختلفة للافادة من خبراتهم ومهاراتهم التي كانوا يتميزون بها في أثناء توليهم مثل هذه المناصب في بلادهم قبل سقوطها والاستيلاء عليها، فضلاً عن رغبة الحكام في تخفيف ظاهرة البطالة وآثارها النفسية والاجتماعية.

ويرى الباحث أن المهجّرين لم يتركوا للصليبيين أن ينعموا بوطنهم السليب، فوجد العلماء والشيوخ منهم أنفسهم أمام مسؤولية تاريخية كبيرة، تطلّبت منهم توعية الناس بالخطب في المساجد ومجالس المحاضرة والمناظرة والالتقاء بمختلف الجنسيات من العالم الاسلامي في

مواسم الحج والعمرة والتجارة، وتذكيرهم بممارسات الصليبيين ضد الانسان والأرض والمقدسات الدينية وفي مقدمتها المسجد الأقصى الذي انتظر وينتظر فك قيده من الأسر.

ونخلص إلى أن كرامة الإنسان تبدأ وتنتهي في وطنه "مسقط رأسه ورأس آبائه وأجداده"، فمهما نال من عز وجاه ومهما جمع من ثروة مالية أو مناصب حكومية رفيعة، فكرامته لن تكتمل إلا بالعمل على استعادة حقوق شعبه، وعودة كل المهجرين والمشردين إلى بلادهم ووطنهم الأم مهما طال الزمن.

هوامش البحث :

(١) البابا أربان الثاني UrbanII ينسب إليه جميع المؤرخين المعاصرين الدور الرئيس في تحقيق الفكرة الصليبية، كفوشيه الشارتري وبطرس توديبود وغيرهم، ومما مهد له ذلك معرفته بالأوضاع السائدة في العالم الإسلامي، إضافة إلى تربيته وتنشئته الكونية. ينظر : الشارتري، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس، ص٣١-٣٧. وتوديبود، بطرس. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص٦١.

(٢) الشارتري، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس، ص٣٢.

(٣) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٣-١٤. أبو الفداء. المختصر، ج٢، ص٢١٠. ينظر أيضاً، طقوش، محمد سهيل. تاريخ السلاجقة، ص١٩٥.

(٤) دخل القائد الفاطمي جوهر الصقلي مصر ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م واتخذ الفاطميون من مدينة القاهرة عاصمة لهم. وفي ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، ركز الفاطميون اهتمامهم على تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، واتبعت الخلافة الفاطمية في ذلك وسائل عدة، من بينها : إسناد المناصب العليا وبخاصة القضاء إلى شعائرهم المخالفة لشعائر السنيين كالأذان بحيّ على خير العمل والاحتفال باليوم العاشر من المحرم ذكرى مقتل الحسين بن علي بكربلاء العراقية. لمزيد من التفاصيل ينظر : المقريزي. اتعاظ الحنفا، ص٦٧-١٥٨، ٧٠. القلقشندي. صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٣. سرور، محمد جمال الدين. تاريخ الدولة الفاطمية، ص٧٦-٨٠.

(٥) السلاجقة : مجموعة من قبائل الأتراك الذين عُرفوا باسم "الغز"، وقد بدأوا الهجرة من أقصى تركستان خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية تحت ظروف صعبة وقاسية، وهم ينتسبون إلى رئيسهم سلجوق بن دقاق الذي جمع شملهم ووحدهم تحت زعامته. ينظر : حسنين، عبد النعيم محمد. سلاجقة ايران والعراق، ص١٦-١٧.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن أحوال العالم الإسلامي في هذه الفترة، ينظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٨٧-٨٩، ٩٨-٩٩، ١٠٨-١١٣، ١١٨-١١٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٨، ص٤٦٠-٤٩٦، ٤٦٣-٤٩٨، جـ٩، ص٨-١١.

Cf. also : Clude Cahen. The Turkish Invasion. vol. I, pp ١٣٥-١٤٤.

(٧) الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، جـ١٣، ص٢١١-٢١٣.

(٨) ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ١، ص١٧٩. الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل، جـ١، ص٣٠٨.

(٩) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٣١-٣٧.

Cf.also : James A.Brundage. The Crusaders , p.295.Riley – Smith.The Crusaders , pp.49-53.

لمزيد من التفاصيل عن هدم كنيسة القيامة على يد الفاطميين واضطهاد المسيحيين، ينظر :

Michaud , J.F., Histoire des Croisades , 7c e’dit , 1,p.24.

تاجر جاك. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى العام ١٩٢٢م، ص١٢٩. قاسم، قاسم عبده. ماهيّة الحروب الصليبيّة، ص٧٥.

(١٠) ابن جبير. رحلة ابن جبير، ص٢٤٩-٢٥١.

(١١) الصوري، وليم. الحروب الصليبيّة ١٠٩٤-١١٨٤م، ج٢، ص١٨٠.

(١٢) انطاكية : مدينة شمال سورية، ضمن لواء الاسكندرونة، أسس فيها الصليبيون إمارة منذ استيلائهم عليها ١٠٩٨م / ٤٩١هـ، واستمرت سيطرتهم على هذه الامارة حتى استعادها المسلمون المماليك ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م. عن ذلك ينظر : عطية، حسين. إمارة انطاكية، ص٨٢-٨٤.

(١٣) معرة النعمان : مدينة عربية شمال سوريا تقع ضمن أعمال مدينة حمص. ينظر : المقدسي. احسن التقاسيم، ص١٥٤.

(١٤) إبن العديم. زبدة الحلب، ج٢، ص١٤١-١٤٢. توديبود، بطرس. المصدر نفسه، ص٢٦٢. جوانفيل. اعمال الفرنجة، ص١٠٦.

(١٥) يافا : تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب قيسارية، ويافا تحريف لـ"يافي Ya " الكنعانية بمعنى "جميل " ذكرت في النقوش المصرية باسم "يابو-Yapu وIapu " وحرّف اليهود اسمها الكنعاني العربي ودعوها "يافو-Yafu " وتعد يافا من أقد مدن موانئ العالم. تعود بتاريخها إلى بنائها العرب الكنعانيين الذين نزلوا فلسطين منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة. استولى عليها الصليبيون في ١٧ حزيران ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م أي قبل سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين بنحو شهر وصلت بعض السفن الجنوية واستطاعت الاستيلاء عليها، ينظر : الدباغ. بلادنا. ج٤، ص٩٢، ٩٧-١١٤، ٩٨.

(١٦) الرملة : تعد الممر أو الجسر الذي يصل يافا بالقدس، كما تصل شمال السهل الساحلى الفلسطيني بجنوبه، وهي بذلك تقع على الطريق الساحلي الذي يربط مصر ببلاد الشام والعراق وغيرهما. ينظر : الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج٤، ص٣٧١.

Cf.also : Grousaset , R., Histoire de Croisades , vol.I,p.96.

(١٧) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٢. توديبود، بطرس. المصدر نفسه، ص٢٩٤.

Albert d'Aix. Historia Hierosolymitana , tom Iv , pp.591-594.

(١٨) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص١٢٢. الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.

(١٩) الشارتري، فوشيه : المصدر نفسه، ص٧٥. ولمزيد من التفاصيل عن حجم المأساة التي حلت بسكان المدينة المقدسة، ينظر : ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص١٩. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٧.

(٢٠) سلامة، جلال. الاستيطان، ص٩٦. Albert d'Aix. Historia، pp ٥٢٣-٥٢٤.

(٢١) شمل اقليم الجليل كل الأراضي الواقعة بين نهر الليطاني شمالاً حتى جبال نابلس جنوباً، ومن شرقي بحيرة طبرية شرقاً حتى المدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط، ومن أهم مدن هذا الإقليم، طبرية والناصرة وبيسان وصفد. ينظر : السيد، علي أحمد. إمارة الجليل، ص٤٦-٤٧، ٥٨.

(٢٢) طبرية : في الشمال الشرقي من فلسطين على الشاطئ الغربي لبحرية طبرية في تلك الهوة المنخفضة من الأرض والمسماة بالغور ويمتد هذا المنخفض من جبال لبنان في الشمال وحتى خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر في الجنوب. ينظر : شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٤٩٨.

(٢٣) Albert d'Aix. Op. cit. ، pp. ٥١٧-٥١٨.

(٢٤) ينظر أيضاً : سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص١٢١، ٩٩.

(٢٥) الناصرة : تقع داخل شمال فلسطين وترتفع عن سطح البحر ٣٥٠-٤٥٠م. ينظر : الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج١، ق١، ص١٦٩.

(٢٦) بيسان : تنخفض ١٣١ متراً عن سطح البحر، وتقع على بعد ستة كيلومترات من ضفة نهر الأردن، وفي العصر البيزنطي كانت عاصمة لفلسطين الثانية، وقد عُرفت بيسان بالاسم اليوناني "سكيثوبوليس". لمزيد من التفاصيل ينظر : جونز. مدن بلاد الشام، ص٢٠. الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج١، ق٢، ص١٨٥-١٨٧. Raoul de Caen. Gesta Tancridi ، pp. ٧٠٣-٧٠٤.
ينظر أيضاً : سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص١٠٠-١٢١، ١٠١.

(٢٧) حيفا : تقع على ساحل البحر، يحدها من الشمال عكا ومن الشرق الناصرة وجنين ومن الجنبوب طولكرم وجنين، عرفت في القرن الرابع للميلاد باسم (Efa) وهي حيفا، وأقدم ذكر لها يعود إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي حيث ذكرها الرحالة ناصر خسرو المتوفي (١٠٦١م/ ٤٥٣هـ) ثم غادرتها (عكا) إلى قرية تسمى حيفا. ينظر : الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج٧، ص٤٥٢-٤٨٦.

(٢٨) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٢-١١٣. Albert d'Aix. Op. cit. ، pp. ٥٢٢-٥٢٤.

(٢٩) أرسوف : مدينة فلسطينية كانت تقع على بُعد حوالي سبعة عشر كيلو متراً جنوبي قيسارية وعلى بعد سبعة كيلومتر شمال يافا، تم الاستيلاء عليها من قبل الصليبيين ١١٠١م/ ٤٩٥هـ، وعرفت هذه المدينة في العهد الإسلامي باسم صوزوسا Sozosa، ينظر : بورشارد. وصف الأرض المقدسة، ص١٦٢-١٦٣. جونز، أ. هـ. م، مدن بلاد الشام ص١٢، ١٣-١٥. شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، ص١١٠.

(٣٠) قيسارية : تقع على الساحل الفلسطيني على بعد ٤٢كم جنوب غرب حيفا. أول من بناها الكنعانيون وسموها "عبد عشتروت"، ولما جدد بناءها هيرودوس الكبير عام ١٠ق. م أسماها قيصرية نسبة إلى قيصر الروماني. استولى عليها الصليبيون عام ١١٠١م وظلت بأيديهم حتى استردها الظاهر بيبرس وأمر بتدميرها. ينظر : شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٦١٣. عوض، محمد مؤنس. الرحالة، ص٥٨.

(٣١) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص٤٣. الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٣.
Albert d'Aix. op.cit., pp.514-515.

(٣٢) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص٤٣. الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٤.
cf.also: Benvenisti. op.cit., p.80.

(٣٣) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٥.

cf. also : Benvenisti. p.249.

(٣٤) السمعاني. المصدر نفسه، ج٤، ص٥٧٥.

(٣٥) Albert d'Aix. op. cit. ، p٥٣٢.

(٣٦) عكا: شيدت على رأس مثلث داخل البحر لمسافة تصل حوالي ستمائة وأربعين متراً، في منطقة تحيط بها السهول والجبال، فسهل المدينة يمتد من شمال حيفا وينبسط بين البحر والتلال حتى رأس الناقورة، امتاز بالخصب لكثرة الأودية والأنهار التي تمر عبر أراضيه. واشتهرت مدينة عكا بمينائها الذي بني مع بداية تأسيسها في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد على يد قبيلة جرجاشية الكنعانية التي أطلقت عليها اسم عكو Accoأو Akko بمعنى الرمل الحار. ينظر: خسرو، ناصر. سفر نامة، ص٥٠. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٥٣٩، ص٥٤١. المنفي، احمد ظاهر. بلاد الشام، ص١٤٧-١٤٨. الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، ج٧، ق٢، ص٤١٠.

(37) Alfio Brusa. Genoa ,E.B. 10. pp. 117-119.

ينظر أيضاً: سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص١١٤.

(٣٨) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١.

(٣٩) الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

(٤٠) الشاتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٩، ١١٢.

(٤١) الصوري، وليم. المصدر نفسه ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

(٤٢) الدويكات، فؤاد عبد الرحيم، اقطاعية طبريا، ص١٢٩.

(٤٣) Albert d'Aix. op. cit. ، p٥٣٢.

ينظر ايضاً: أبو عون، عبد الرحيم حسين. اقطاعية حيفا، ص٥٠-٥١.

(٤٤) ثيودريش. وصف الأماكن المقدسة، ص١٣، ١٢٥.

(٤٥) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٠.

(٤٦) ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص١٩-٢٠. الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٤-٧٥.

(٤٧) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١. أبو الفداء. المختصر، ج٢، ص٣٠٧.

(٤٨) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١٣١. الصوري، وليم. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٤٩) عسقلان: تقع على ساحل فلسطين على بعد ١٢كم إلى الشمال من غزة، سقطت بيد الفرنجة عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ينظر: ابن الأثير. المصدر نفسه، ج٩، ص٣٩١-٣٩٣، عوض، محمد مؤنس. ص٥٦. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٥٣٣-٥٣٤.

(٥٠) ابن القلانسي . المصدر نفسه ص١٣٧ . ابن الأثير . المصدر نفسه، ج٩، ص٢١ . الشارتري، فوشيه . المصدر نفسه، ص٧٧ .

(٥١) كان الملك الصليبي بلدوين الأول قد منح نابلس ١١٠٨م / ٥٠٢هـ كاقطاعية لأسرة ميللي Milly، وكان باين دي ميللي أول من حصل على تلك الاقطاعية، وهو ينتمي لإحدى الأسر النبيلة التي استقرت في فلسطين، وترجح أسرة ميللي في أصلها إلى العنصر الفلمنكي (سكان بلجيكا) .

Jean d'Ibelin. Assicses de Jerusalem , tome I , p.453. cf. also: King, R, The Kingths , p.139.

البيشاوي، سعيد . نابلس، ص١٧٥ .

(٥٢) Mayer . The Crusades، pp ١٧٧-١٧٨ .

(٥٣) الشارتري، فوشيه . المصدر نفسه، ص١١٥ .

cf. also : Benvenisti. op. cit. , p.249.

(٥٤) بلدوين الثاني : تولى عرش المملكة الصليبية في الرابع عشر من ابريل ١١١٨م/ العشرين من ذي الحجة ٥١١هـ. ينظر : الشارتري، فوشيه، المصدر نفسه، ص١٨٥ .

(٥٥) كفر مالك : قرية في الشمال الشرقي من مدينة رام الله . شراب، محمد محمد . المرجع نفسه، ص٦٢٩ .

Genevieve , B,B. , op. cit, Acte no.43,44, pp.94-95.

سلامة، جلال . المرجع نفسه، ص١٣١ .

(56) Genevieve ,B,B.: Le Cartulaire du Chapiter Saint– Sepulcres, Acte no.43,44. pp.94-95.

(٥٧) بيت فوريك : تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس وعلى بعد تسعة كيلومترات منها . الدباغ، مصطفى مراد . المرجع نفسه، جـ٢، ق٢، ص٢٩٢ .

(٥٨) البيشاوي، سعيد . الممتلكات الكنسية، ص١٨٤ .

(٥٩) جماعين : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس، وعلى بعد ستة عشر كيلو متراً منها . ينظر شراب، محمد محمد . المرجع نفسه، ص٣٦٨-٣٦٩ .

(٦٠) ابن طولون . القلائد الجوهرية، ق١، ص٦٨ .

(٦١) المصدر نفسه، ق١، ص٧٠-٧٣ .

(٦٢) الشارتري . المصدر نفسه، ص١١٥ . سلامة، جلال . المرجع نفسه، ص١٢٢ .

Benvenisti. The Crusaders , p.249.

(٦٣) ابن العديم، (ت٦٦٠هـ) بغية الطلب، جـ٢، ص١٠١١-١٠١٦ . السمعاني . المصدر نفسه، جـ٢، ص٥١٣ .

(٦٤) جيت : تقع في الجنوب الغربي من نابلس، على بعد ١٢كم منها . الدباغ، مصطفى مراد، المرجع نفسه، جـ٢، ق٢، ص٣٥٤ .

(٦٥) مردا : تقع جنوب قرية جماعين وعلى بعد ٢كم منها. شراب، محمد محمد. المرجع نفسه، ص٦٥٦.

(٦٦) عوريف : تقع في الجنوب من نابلس وعلى بعد ١٣كم منها. الدباغ، مصطفى مراد. المرجع نفسه، جـ٢، ق٢، ص٣٦٢.

(٦٧) ابن طولون. المصدر نفسه، جـ١، ص٧٣-٧٦.

(٦٨) ابن خلكان. المصدر نفسه، جـ٤، ص٤٥٨-٤٦١. ابن عساكر. المصدر نفسه، جـ٣٤، ص٤١.

(٦٩) السمعاني. المصدر نفسه، جـ١، ص١٠٩. مجير الدين الحنبلي. المصدر نفسه، جـ١، ص٣٠٧-٣٠٨.

ابن خلكان. المصدر نفسه، جـ٤، ص١٥٤. ابن عساكر. المصدر نفسه، جـ٣٤، ص١٠٧. ابن العديم. المصدر نفسه، جـ٢، ص٩٨١-٩٨٣.

(٧٠) الرها : أولى الامارات التي أسسها الصليبيون في بلاد الشرق، ومركزها مدينة أورفة جنوب تركيا حالياً. ينظر : الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٥١-٥٣. الصوري، وليم. المصدر نفسه، جـ١، ص٢٦٥. سترانج، لي. بلدان الخلافة الشرقية، ص١٣٢-١٣٧.

(٧١) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص١٢٥-١٤٤. ابن الأثير. المصدر نفسه، جـ٩، ص١٥-١٦.

(٧٢) ابن طولون. المصدر نفسه، جـ١، ص٦٨-٧٣.

(٧٣) براور، يوشع. عالم الصليبيين، ص٤٥.

(٧٤) ابن القلانسي. المصدر نفسه، ص١٣٧. ابن الأثير. المصدر نفسه، جـ٩، ص٢١. الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص٧٧.

(٧٥) ابن الأثير. المصدر نفسه، جـ٩، ص٣٩١-٣٩٢. أبو شامة. الروضتين، جـ٢، ص٧٧. البنداري. سنا البرق، ص٢٩٤-٢٩٥.

cf0 also : Duggon , Afred. The Story of the Crusades , p.158.

(٧٦) الشارتري، فوشيه. المصدر نفسه، ص١١٥.

(٧٧) الفيتري، يعقوب. تاريخ بيت المقدس، ص٣٣-٣٤.

(٧٨) جودفري البويوني : هو أحد قادة الحملة الفرنجية الأولى، وقد عرف بلقب دوق اللورين السفلي، كان والده يوستاش من الشخصيات النبيلة، لدرجة أنه وصل إلى رتبة كونت، وهو لقب يطلق على النبلاء. ينظر : الصوري، وليم. المصدر نفسه، جـ٢، ص١٤٥-١٤٦.

(79) Albert d’Aix. op.cit., pp.512-515.

(٨٠) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص١٣٤-١٣٥.

(٨١) ابن طولون. المصدر نفسه، جـ١، ص٧٤.

(٨٢) الصوري، وليم. المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٥٦.

(٨٣) ابن جبير. المصدر نفسه، (د.ط، بيروت، ١٩٦٤م)، ص٢١.

(84) Prawer , J., The Latin Kingdom , p361. , p.253.

(٨٥) الدمشقي، الأنصاري (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، نخبة الدهر، ص٢٠٠ .

(٨٦) ابن العديم. المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٤١٣ .

(٨٧) بورشارد. المصدر نفسه، ص١٧٠ .

(٨٨) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص٢٩٨ .

(89) Albert d'Aix. op. cit. , p.516.

(٩٠) ابن جبير. المصدر نفسه، ص٢٦٠ .

(٩١) سلامة، جلال. المرجع نفسه، ص٢٩٨ .

(92) Benvenisti , M., op.cit., p.387.

(٩٣) ابن العديم. المصدر نفسه، ج٧، ص٣٠٩٦ -٣١٠١ .

(٩٤) المصدر نفسه، ج٧، ص٣١٠١ .

(٩٥) ابن خلكان. المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٤ .

(٩٦) السمعاني. المصدر نفسه، ج٥، ص٣٦٣ . عن ازدهار الحركة العلمية في بيت المقدس قبل الغزو الصليبي يُنظر : ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٤، ص٦٠-٦١، ج٢٧، ص٣٩٢-٣٩٤، ج٣٦، ص١٤٨-١٤٩ .

(٩٧) ابن عساكر. المصدر نفسه، ج٣٤، ص٤١ .

(٩٨) عبد الجليل بن عمر بن محمد بن بكران أبو محمد المقدسي المعروف بابن الخواتيمي الحنيفي الشاهد الطبيب، قدم دمشق بعد استيلاء الفرنجة على بيت المقدس واستقر فيها، وكان ينظر في أوقاف الجامع ويتولى البيمارستان وتوفى بدمشق. ابن عساكر. المصدر نفسه، ص٤١ .

(٩٩) المصدر نفسه، ج٣٤، ص٤١ .

(١٠٠) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٧، ص٣٠٩٦-٣١٠١ .

(١٠١) المصدر نفسه، ج٧، ص٣١٠١ .

(١٠٢) مجهول. الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ترجمة : حسن حبشي، (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م)، ص٨٠ .

المصادر العربية:

- ابن الأثير . (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ، ١٠ اجزاء، (ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م).
- ابن جبير . (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) رحلة ابن جبير (د. ط، بيروت، ١٩٦٤م).
- ابن خلّكان. (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان، ج١، (د. ط، دار صادر، بيروت، د. ت).
- ابن طولون. (ت ٦٥٣هـ/ ١٥٥٣م) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ق، تحقيق: أحمد دهمان، (دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)
- ابن العديم . (ت٦٦٠هـ) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٢ جزء، تحقيق: سهيل زكار، (د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ت).
- ابن العديم . زبدة الحلب من تاريخ حلب، (ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- ابن عساكر. (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، ٤٠ جزء، (د. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)
- ابن واصل. (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب جـ١-٣، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة ١٩٥٣-١٩٦٠م).
- أبو شامة. (ت ٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين، جـ٢، (د. ط، بيروت، د. ت).
- الأنصاري الدمشقي. (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، شمس الدين ابن عبد الله بن ابي طالب المعروف بشيخ الربوة. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (د. ط، بطرسبورغ، ١٨٦٥م).
- البنداري. (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، (د. ط، القاهرة، ١٩٧٩م).
- الحموي، ياقوت. (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). معجم الأدباء، ٢٠ جزء، ط٣، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- خسرو، ناصر. سفر نامه. رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، ترجمة يحيى الخشاب، (ط٣، دار الكتاب الجديد،

بيروت، ١٩٨٣م).

- السمعاني. (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦١م)، الانساب، ٥ اجزاء، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، (ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- أبو الفدا. (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، (د.ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت)
- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزء، (المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م).
- ابن القلانسي. (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦١م) تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، (ط١، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- مجير الدين الحنبلي. (ولد بالقدس ٨٦٠هـ). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، (د.ط، مكتبة النهضة).
- المقدسي. شمس الدين ابي عبد الله المعروف بالبشاري (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (د.ط، طبع في مدينة ليدن، ١٩٦٧).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د.ط، دار الفكر العربي، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

المراجع العربية والمعربة:

-براور، يوشع. عالم الصليبيين، (د. ط، مكتبة السروجي، عكا، ١٩٨٩م).
-البيشاوي، سعيد. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م).
نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م، (ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)
-تاجر، جاك. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢، (القاهرة، ١٩٥١).
-جونز، أ. هـ. م. مدن بلاد الشام، ترجمة: احسان عباس، (ط١، دار الشروق، ١٩٨٧م).
-الحياري، مصطفى. القدس تحت حكم الصليبيين، ١٠٩٩-١١٨٧م، القدس في التاريخ، (منشورات الجامعة الاردنية، عمان – الاردن، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
-الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ١٠ اجزاء، (دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١).
-الدومنيكي، أوغسطين مرمرجي. أصل كلمة الداوية، مجلة الشرق، عدد٢٩، (بيروت، ١٩٣١).
-سترانج، لي. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس ورفيقه، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
-سرور، محمد جمال الدين. تاريخ الدولة الفاطمية، (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت)
-سلامة، جلال. الاستيطان الصليبي في الاراضي المقدسة ١٠٩٩-١١٨٧م/ ٤٩٢-٥٨٣هـ، (رسالة دكتوراة – غير منشورة – جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٤م)
-السيد، علي أحمد. امارة الجليل تحت حكم اللاتين ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي، ٤٩٢-٥٤٩هـ/ ١٠٩٩-١١٥٤م) رسالة ماجستير – غير منشورة – (جامعة الاسكندرية – كلية الآداب – قسم التاريخ، ١٩٨٨م).
-طقوش، محمد سهيل. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ٤٧١-٥١١هـ/ ١٠٧٨-١١١٧م، (ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٩٥.
-عطية، حسين. امارة انطاكية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ، (ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩م).

-عوض، محمد مؤنس. الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، (د. ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م).
-أبو عون، عبد الرحيم حسين. اقطاعية حيفا ودورها في الصراع الاسلامي الفرنجي (٤٩٣-٦٩٠هـ/ ١١٠-١٢٩١م)، رسالة ماجستير - غير منشورة - (كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٤م).
-قاسم، عبده قاسم. ماهية الحروب الصليبية، (سلسلة عالم المعرفة، عدد١٤٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الصفاة - الكويت، ١٩٩٠م).
-محمد، محمد شراب. معجم بلدان فلسطين (ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م).
-المنفي، احمد ظاهر. بلاد الشام في الجغرافية العربية منذ مطلع الاسلام وحتى الحرب العالمية الاولى، (رسالة ماجستير غير منشورة)، (كلية الاداب، جامعة دمشق، د. ت).

المصادر والمراجع الأجنبية:

-Albert d'Aix. Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C-H. Occ., tom Iv, Paris, 1879. Anonymus. The Third Crusade, (N.D)

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: الحروب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة: حسن حبشي، (الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠).

-Burchard of Mount Sion. A Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S, vol. XII, (London, 1896).

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان: بورشارد. وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، (دار الشروق، عمان، ١٩٩٥ م).

-Genevieve,B,B.Le Cartulaire du Chapiter Saint – Sepulcres, de Jerusalem, (Paris, 1948).

-Jecques de Vitry. The History of Jerusalem, trans. by Aubrey Stewart, in: P.P.T.S, vol. XI, (London, 1897).

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: يعقوب الفيتري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، (ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨).

-Jean d'Ibelin. Le Livre de Jean d'Ibelin, in Asseses de Jerusalem, tome I, (Paris, 1881), pp.451-468.

-Joinville, Jean de., Chronicles of the Crusades, trans. by R.B. Shaw, (London, 1980).

اعتمد الباحث الترجمة لهذا الكتاب بعنوان: جان دي جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨).

-Raoul de Caen: Gesta Tancrid in Expeditione Hierosolymitana, ed. R.H.C-H. Occ., tome III, (Paris, 1866), 587-716.

-Theoderich: Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in: P.P.T.S, vol.v, (London, 1894), pp.1-86.

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة وتحقيق: سعيد البيشاوي ورياض شاهين، (ط١، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠٣)

-Tudebodus, P., Historia de Hierosolymitano Itinere, en: R.H.C-H. Occ, tome III, (Paris, 1866), pp.3-117.

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: بطرس توديبود. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٩).

-William of Tyre. A History of Deed Done Beyond the Sea, 2 vols. Trans. by Babcock and Key, (New York, 1943).

اعتمد الباحث الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان: وليم الصوري. الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ترجمة: حسن حبشي. (الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤-١٩٩٥).

-Benvenisti, M. The Crusaders in the Holy Land, (Jerusalem, 1976).

-Clude Cahen.The Turkish Invasion. The Silchukids, in setton,Vol.I

-Duggon, Aferd.The Story of the Crusades, (London, 1969).

-Grousset, R.Histoire de Crousaders et du Royaume. France de Jerusalem, 3Vols., (Paris, 1943-1946).

-James A.Brundage. The Crusaders, Adocumentary Survy, (Milwaukee,1962).

-King,R., The Knigths Hospitallers in the HolyLand, (London,1931).

-Mayer.The Crusades, (Oxford University, 1972).

-Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 7c e'dit, 1.

-Michel Burgueen.Mamluk Jerusalem, (London,1987).

-Prawer.Crusader Institutions, (New York, 1985).

-Prawer, J.The Latin Kingdom of Jerusalem, (Jerusalem,1972).

-Richard, J.The Population of the Crusader States, in Setton K.M. Vol.v, (The University of Wisconsin, Press, 1985).

Riley Smith. (ed) The Crusades.

مكافحة الفقر
في الاقتصاد الإسلامي

د. محمود عبد الكريم إرشيد*

* أستاذ مساعد في الاقتصاد الإسلامي، منطقة جنين التعليمية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة كيفية مكافحة الإسلام لمشكلة الفقر من خلال نصوصه القرآنية والسنية، وممارسة الراشدين المهديين الذين جسدوا الإسلام بشموليته على أرض الواقع؛ حتى خلا الزمان من الفقراء، وتهدف هذه الدراسة إلى الوصول إلى أهم وسائل النظام الاقتصادي الإسلامي في مكافحته لهذه المشكلة، وقد توصلت الدراسة إلى أن الإسلام إذا جُسِّدَ في الواقع من جديد؛ فإنه من الممكن معالجة مشكلة الفقر والتخلص منها نهائياً، وذلك لتعدد وسائل العلاج، وإذا ما بقينا نتلمس الحلول خارج النظام الاقتصادي الإسلامي فلن تحل المشكلة أبداً؛ إلا إذا فئنا إلى الله ومنهجه.

Abstract:

The present study deals with the ways Islam deals with the problem of poverty through the Quranic verses and Sunna traditions. The practices of the orthodox Khalifs who applied Islam comprehensively had shown that, during their rule, poverty disappeared. The study hence, focuses on the means of combating poverty by the Islamic economic system.

The study concluded that if Islam is properly and comprehensively applied to our reality, the problem of poverty will be totally solved and irradicated because of the diversity of means that treats such a problem. Nevertheless, if the Islamic states continue to seek solutions for their poverty problem outside the Islamic economic system, the problem will persist.

مقدمة:

الحمد لله مغني العباد، والهادي إلى الرشاد، والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله أجمعين، وبعد: يُجْمِعْ الكثير من علماء الاقتصاد والشريعة على أن الزكاة وهي أحد الأنظمة الإلزامية في التوزيع أفضل وسيلة لحل مشكلة الفقر ومكافحتها، بالإضافة إلى النظم المالية الأخرى التي تعمل على إعادة التوزيع، ولقد ظهر في الصدر الأول من الاسلام حل هذه المشكلة، وذلك بعدم وجود فقير يأخذ من مال الزكاة، في زمن الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ومن الضروري هنا أن نتعرف على حجم هذه المشكلة في حياتنا المعاصرة، وملامح الحل الاقتصادي الإسلامي لها إذا جُسّدَ الإسلام تجسيداً صحيحاً على أرض الواقع؛ كما لا بد من الإطلال على الأسباب المعاصرة التي زادت من حدة المشكلة، وذلك بمعالجة آثار اتفاقية الجات والعولمة المعاصرة، وتركها الأثر الأكبر على حدة المشكلة وزيادتها.

أولاً: أهداف البحث: هدف البحث هو:

١. يهدف البحث إلى دراسة أسباب الفقر التي تسببت في المعاناة الشديدة للمجتمعات الإسلامية في حياتنا المعاصرة، والناتج عن سوء التوزيع للموارد واستخدامها.
٢. التعرف إلى الوسائل التي بها استطاع الإسلام، عند تجسيده على أرض الواقع، أن يعالج المشكلة من جذورها، حتى خلا الزمان من الفقراء عند وجود توزيع عادل للثروات.
٣. مع اعتراف الإسلام بالفروق بين الناس تبعاً للقدرات الجسدية والعقلية، فإن إظهار أهمية التوزيع العادل على ضروريات الحياة وخاصة لطبقة الفقراء والمساكين، من تزويج، وسداد ديون، عن طريق الإجراءات التي وضعها الإسلام لذلك؛ فاحتجنا دراستها.
٤. جعل الإسلام الإجراءات المكافحة للفقر في سُلَّمينْ: أحدهما فيه جانب الإلزام، والآخر طوعي عند قيام المسلم بما فرض عليه.
٥. البحث عن طرق الاكتفاء لأفراد المجتمع المسلم ومن يعيش في كنفهم؛ ليصلوا إلى حد الكفاية.

ثانياً: أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من أهمية المشكلة التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية بعامة، والمسلمين على وجه الخصوص، وكذلك ازدياد أعداد الذين يعانون منها في العالم، والصور الجديدة من الفقر التي أطلق عليها الاقتصاد المعولم (٢٠٪ - ٨٠٪)، والتي تعني أن ٢٠ ٪ من سكان العالم أغنياء وسوف يستمرون في الغنى والقوة، وأن ٨٠٪ سوف يفرض عليهم الفقر ولن يستطيعوا التخلص منه.

وأن أغنياء العالم ٢٠٪ هم سكان البلاد المتقدمة وأفراد محدودون في البلاد الفقيرة، بالإضافة إلى نظرة الأغنياء لحل هذه المشكلة حيث يقول: (برجْنسكي) مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق: ((بشيء قليل من التغذية المخدرة يمكن السيطرة على الفقراء الذين يمثلون ٨٠٪ من سكان العالم))[١]، وهذا الرأي يجسد مظاهر التعقيد في الفقر الذي تفرضه العولمة المعاصرة وصعوبة علاجه.

بالإضافة إلى قلة الأغنياء وحجم الثراء؛ فإن ٣٥٨ ملياردير يمتلكون معاً ثروة تضاهي ما يمتلكه ٣،٥ مليار إنسان في العالم يشكلون ٥٨٪ من سكان المعمورة، وأن ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على حوالي ٨٥٪ من الناتج الإجمالي العالمي، ويمتلك سكانها ٨٦٪ من مجموع مدخرات العالم، كل ذلك لما في النظام الرأسمالي من دولة للمال بيد الأغنياء فقط[٢].

ثالثاً: منهج البحث:

في سعينا للبحث عن طرق مكافحة مشكلة الفقر؛ فلا بد لنا من الاستقراء التاريخي للراشدين وطرقهم في معالجة هذه المشكلة، خاصة أن الزمان خلا في عصورهم من الفقراء، واستقراء الأسباب المعاصرة لمشكلة الفقر، وتحليل ملامح المنهج الاقتصادي الإسلامي في علاجه لمشكلة الفقر من نصوصه القرآنية والسنية المتعلقة بالموضوع.

المبحث الأول: أسباب الفقر ووسائل الإسلام في مكافحته:

يُتَحدَّث في هذا المبحث عن الإجراءات التي قام بها الإسلام في مكافحة الفقر، والقضاء عليه في مهده عبر اجراءاته الاقتصادية الكثيرة.

المطلب الأول: تعريف الفقر وأسبابه: نتعرف هنا إلى مفهوم الفقر ومن ثم الأسباب التي تُوصِلُ إليه.

الفرع الأول: تعريف الفقر: الفقر في اللغة:

الفَقْر والفُقْر : ضد الغِنى ، (. . .) وقَدْرُ ذلك أَن يكون له ما يَكْفي عيالَه ، ورجل فَقِيرٌ من المال ، وقد فَقُرَ ، فهو فَقير ، والجمع فُقَراءُ ، قال أَبو عمرو بن العلاء فيما يَروي عنه يونُس : الفَقِيرُ الذي له ما يَأْكل ، والمسكين الذي لا شيء له ؛ وروى ابن سلام عن يونس قال : الفَقِيرُ يكون له بعض ما يُقيمه ، والمسكين الذي لا شيء له "[٣] ؛ وَفِي الاصْطِلَاحِ عَرَّفَهُ الشَّافِعِيَّةُ ، وَالْحَنَابِلَةُ بِأَنَّهُ : مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ ، أَوْ يَجِدُ شَيْئًا يَسِيرًا مِنْ مَالٍ أَوْ كَسْبٍ لَا يَقَعُ مَوْقِعًا مِنْ كِفَايَتِهِ . وَعَرَّفَهُ الْحَنَفِيَّةُ : بِأَنَّهُ مَنْ يَمْلِكُ دُونَ نِصَابٍ ، مِنْ الْمَالِ النَّامِي ، أَوْ قَدْرَ نِصَابٍ غَيْرِ نَامٍ مُسْتَغْرَقٍ فِي حَاجَتِهِ . وَعَرَّفَهُ الْمَالِكِيَّةُ : بِأَنَّهُ مَنْ يَمْلِكُ شَيْئًا لَا يَكْفِيهِ قُوتَ عَامِه[٤] .

فالفقر هو ؛ "عجز الموارد المالية للفرد ـ أو المجتمع ـ عن الوفاء بحاجاته الاقتصادية "[٥] ؛ وهو التعريف المختار عندي ؛ فالفقر مشكلة اقتصادية اعتنى الإسلام بعلاجها ووضع الحلول النظرية والعملية للقضاء عليها ، ومع أن الفقر مشكلة اقتصادية ، فهو مشكلة اجتماعية ؛ لأنها تصيب طائفة من أبناء المجتمع فتعجزهم عن القيام بدورهم في تنمية المجتمع وترقيته ، وتثير في أنفسهم ألواناً من الحسد والكراهية للموسرين من أعضاء مجتمعهم ، وقد تولد في نفوسهم النقمة على المجتمع ، والتمرد على قيمه ومثله العليا ، من غير تمييز بين الحسن والقبيح ؛ ووفق تصنيف منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ((أنكتاد)) ؛ فإن الفقير هو الذي يتقاضى أقل من دولارين في اليوم الواحد ، أما الذين يتقاضون دولاراً واحداً فقد وصفهم التقرير بأنهم يعيشون في فقر مدقع ، والحق أن الفقر يختلف من قطر إلى آخر بحسب مستوى المعيشة ؛ فالإنسان الذي يعيش في أمريكا ودول الأطلسي ويصل دخله ٢٠ $ دولاراً فهو فقير ولقد عرف تقرير البنك الدولي الفقير ؛ بأنه ((عدم القدرة على الوصول إلى حد أدنى من مستوى المعيشة))[٦] ، ورغم اتفاق هذا التعريف مع تعريف الفقهاء المسلمين ، إلا أن التساؤل المهم الذي يبقى مطروحاً هو : ما هو الحد الأدنى لمستوى المعيشة ، وكيف يقاس هذا المستوى؟ .

فالفقر يطرأ على المجتمع بسبب القحط أو الحروب أو الحصار أو الفيضان أو الزلازل المدمرة ، وغير ذلك مما يصيب موارد الأمة العامة ومصادر دخلها القومي في مقتل ، فهو من الأعداء الثلاثة التي تحاربها الدول الحديثة : الفقر ، والجهل ، والمرض .

وبناءً على قيمة الاستخلاف التي أرسى الإسلام قواعدها ؛ فإن الإسلام يعالج الفقر من نظرته الكلية للحياة عبر نظرة الإسلام إلى الإنسان خليفة الله في الأرض ، والتي جاءت الشريعة كلها في مقاصدها الكلية للحفاظ على نفس الإنسان ودينه وعقله وماله ونسله ، فهم الشريعة إشباع حاجات الإنسان ، ليس المادية فحسب ؛ بل والروحية بناءً على نظرة الإسلام

الكلية، فحتى تتحقق العمارة لهذه الأرض لا بد للإنسان من إشباع حاجاته، وتحقيق مطالبه الحيوية، ليقوم بمطالب الخلافة على الوجه الأكمل.

الفرع الثاني: أسباب الفقر:

هناك أسباب للفقر يمكن استخلاصها من مجموع النصوص القرآنية والسنية ونلخصها على النحو الآتي[٧]:

أولاً: الأسباب المباشرة للفقر:

(١) كفران المسلمين ـ والناس بشكل عام ـ بالنعم التي خلقها الله تعالى لهم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)﴾، [طه: ٢٠]؛ كما جعل الجدب والقحط ونقص الثمرات عقاباً دنيوياً لآل فرعون لظلمهم وطغيانهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(١٣٠)﴾، [الأعراف: ٧]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١)﴾ [الروم: ٣٠]، أي أن انقطاع المطر ووقوع الجدب والقحط ومحق البركات ونقص الثمرات وتلف المحاصيل كلها بسبب ما ارتكبوه من المعاصي ليذوقوا وبال أعمالهم في الدنيا دار الفناء قبل العقاب في دار البقاء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(٣٠)﴾، [الشورى: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠)يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [سورة نوح: ٧١]، فالمعاصي سبب مهم للفقر، وإنّ ما أعطى الله الكافرين في الدنيا كان إمهالاً واستدراجاً لهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(١٧٨)﴾ [سورة آل عمران: ٣]، ولمكافحة هذا السبب للفقر فلا بد من شكر الله تعالى على النعم وعدم إهدارها، والشكر يقتضي إخراج الحق الواجب من المال للفقراء.

(٢) إرادة الله تعالى في الإغناء أو ضده؛ فهو سبحانه يختار لعبده حالة الغنى أو الفقر، فبعض الناس لا يصلحهم إلا الغنى، وبعضهم لا يصلحه إلا الفقر، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(٢٧)﴾

[سورة الشورى: ٤٢].

فلا بد من القناعة والرضا والتسليم لله تعالى، ولا يعني ذلك عدم مقاومة الفقر بالعمل وغيرها من الأسباب التي تنقل الفقير إلى حد الغنى استجابة لله تعالى في أمره بالأخذ بالأسباب.

(٣) نظام الكون القائم على التنوع البشري؛ فقد جعل الله تعالى الخلق درجات، فطبيعة الحياة البشرية قائمة على هذا التفاوت في المواهب والقدرات، وهو ضروري لتنوع الأدوار المطلوبة لتحقيق الخلافة في الأرض، ولو كان الناس نسخاً مكررة ما أمكن أن تقوم حياة؛ فهذا التفاوت بين أفراد المجتمع غنى وفقراً، ليكونوا خلايا في المجتمع في نسيج متكامل، لا للتغابن والتشتت، لا للتظالم بين الأغنياء والفقراء؛ بل للتراحم، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٣٢)﴾، [الزخرف: ٤٣].

(٤) عدم تأدية حق الله في هذا المال سبب مباشر في فقر الفقراء؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم؛ فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه"[٨]، وقد جعل الله تعالى سلوك الأغنياء والمستخلفين على المال المخالف للتشريع المالي سبباً في فقر الفقراء وجوع الجائعين[٩]، فلا بد من دفع حق الفقير، فإذا ما قمنا بمعالجة هذه الأسباب معالجة إسلامية فسوف نتخلص من الفقر.

ثانياً: الأسباب غير المباشرة للفقر:

وبعد أن عرفنا أسباب الفقر العقدية؛ لا بد لنا من التعرف على أسباب أخرى للفقر نابعة من تنوع الفقراء وهي كما يأتي[١٠]:

١. الفقير الذي سبب فقره البطالة.
٢. الفقير الذي سبب فقره العجز، والعجز يكون لأسباب هي:

١- الضعف الجسدي ويشمل الصغير، وعدم وجود العائل كاليتيم، أو كبير السن، والشيخوخة، والنقص في الحواس، وأصحاب العاهات المزمنة، وكل ذلك عجز بدني، يبتلى المرء به، فهذا يعطى من الزكاة ما يغنيه جبراً لضعفه، وقد تحتاج بعض عناصر هذه الفئة إلى التدرب على حرفة تناسب قدراتهم وترعى وضعهم.

٢- العجز عن الكسب: هو انسداد أبواب العمل الحلال في وجه القادرين على العمل،

رغم طلبهم، وسعيهم الحثيث إليه، فالقوي المكتسب؛ لا حق له في مال الزكاة، فإذا لم يجد الكَسُوب عملاً، أو وجد عملاً غير مباح، أو لا يليق بمكانته عرفاً، أو يشق عليه مشقة غير معتادة، حل له حينئذ الأخذ من الزكاة.

٣- الفقير المستور الحال، ليس عاطلاً عن العمل، ولا عاجزاً عنه، ولكن عمله لا يكفي خرجه، ومكسبه لا يسد حاجته، فلا يحقق له تمام الكفاية، فهؤلاء المساكين يحل لهم الأخذ من الزكاة لتحقيق تمام الكفاية لهم، أما حجم المصروف له فهو تمام الكفاية، وهو محل خلاف بين الفقهاء مبسوط في السنة[١١].

٤- الفساد المالي والإداري، نحو الغلول " أصل الغلول: الأخذ من الغنيمة " أو المال العام " قبل التوزيع "، وذلك يؤثر على توزيع الموارد توزيعاً عادلاً بين رعايا الدولة.

المطلب الثاني: وسائل الإسلام في مكافحة الفقر:

الفرع الأول: دور العمل في مكافحة مشكلة الفقر:

لمكافحة مشكلة الفقر لا بد أولاً من العمل وإحسانه، ويتجلى إحسان العمل في النصوص القرآنية والسنية على النحو الآتي:

نعني بالعمل: (كل جهد بدني أو ذهني مقصود ومنظم يبذله الإنسان لإيجاد زيادة مادية أو منفعة)[١٢]، فالعمل هو كل مجهود منظم يبذله الإنسان بدنياً أو عقلياً، لاستغلال الموارد وتحقيق المنافع، سواء عمل العامل لنفسه أو لغيره، في أي مجال من مجالات العمل الزراعي أو الصناعي، أو الخدمي أو التجاري؛ فالعمل هو السبيل الفعال في كل طرق الكسب التي أباحها الله تعالى، وعلى قدر عمل الفرد المسلم واتساع نشاطه وإنتاجه يكون نفعه وجزاؤه[١٣].

لقد جعل الإسلام العمل عبادة وأساساً للنشاط الاقتصادي، فممارسة النشاط الاقتصادي بكل صوره هو من العمل، وكل عمل يؤدي إلى إنتاج سلعة أو خدمة تنفع الناس أو تجمل حياتهم، وتجعلها أكثر سلاسة وبهجة هو محض العبادة؛ فالإسلام يبارك هذا العمل الدنيوي، ويضفي عليه قدسية العبادة لله، وكذا الجهاد في سبيل الله تعالى، إذا صحت النية، والتزمت حدود الله؛ لأن هذا النشاط والسعي هو الذي يمكن المجتمع من أداء رسالته، ولقد حضت السنة المطهرة على العمل، فيما رواه عبد الله عن عمران قال: قلت: يا رسول الله، فيم يعمل العاملون؟ قال: ((كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))[١٤]؛ فالكل مطلوب منه العمل في الميدان الذي هو فيه، فالعمل مطلوب لكفاية النفس عن ذل الحاجة إلى الآخرين، ولإغناء من يعول؛ بل العمل مطلوب لإغناء المجتمع، والحديث عن الثلاثة يكون على النحو الآتي:

الأول: العمل لكفاية النفس:

على المسلم أن يعمل لكفاية نفسه ليقوتها، ويغنيها بالحلال، ويعف نفسه عن ذل السؤال، ويحفظ ماء وجهه فلا يُراق، وينزه يده أن تظل هي السفلى.

لقد حرم الإسلام السؤال من غير حاجة ولذلك حرمت المسألة فقال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَاناً أَوْ فِي أَمْرٍ لَابُدَّ مِنْهُ))[15]، فلم يجز للمرء أن يسأل إلا ولي الأمر المسؤول عن الناس أفراد الرعية.

ومما يدل على حرمة المسألة والمنع منها ما روي عن رسول الله: ﷺ ((لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَلِيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْم))[16]، وعلى هذا فلابد للمسلم من كفاية نفسه بنفسه، عن طريق العمل والكسب الشريفً البعيد عن المذلة، وإن كان العمل شاقاً، وقليل المدخول فلا يجوز العدول عنه إلى المسألة، فهو خير من تكفف الناس[17]، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ: ((لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطبَ عَلَى ظَهْرِه فَيَتَصَدَّقَ به وَيَسْتَغْنِيَ به مِنْ النَّاس خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابدَأ بمَنْ تَعُولُ))[18]، مما يدل على أهمية العمل مهما كان شاقاً، وقليل الإيرادات، وفضله على المسألة التي تجلب على صاحبها المذلة.

الثاني: العمل لكفاية من يعول:

المسلم مسؤول عمن يعول؛ فينفق عليهم بحسب قدرته وسعته، فقد قال تعالى في شأن النفقة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا((٧)﴾ [الطلاق: ٦٥]، فالإنفاق على الأسرة مسؤولية الرجل، والعمل طريق النفقة، وقد ذكر عليه السلام تلك المسؤولية فقال: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ...))[19]، فالعمل مطلوب للإنفاق على الأسرة وعلى الأقارب ضمن نظام نفقات الأقارب.

الثالث: العمل لصالح المجتمع:

ولو لم يكن المسلم بحاجة إلى العمل لوفرة ما له من موارد، لكان عليه أن يعمل لصالح المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن المجتمع يعطيه، فلابد أن يأخذ منه.

كما لابد للمسلم أن يعمل لذات العمل فقد جاء عنه ﷺ: ((إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ

فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))[٢٠]، فما معنى أن يغرس فسيلة والقيامة قائمة، والحياة مولية، وليس هناك من أدنى أمل أن يأكل منها أحد، ولكنه الحث على العمل لأجل العمل.

إن العمل لا يكون لصالح الناس فقط؛ بل لصالح الأحياء عموماً حتى الحيوان والطير وسائر خلق الله تعالى لا يحرم من نفع المؤمن، وفي هذا المجال سقي الحيوان والطير فيه الثواب والأجر يقول ﷺ: ((... فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))[٢١]، مما يدل على رسوخ الرحمة في نفس المؤمن حتى بالحيوان، وفي مجال إطعامه يقول عليه السلام: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ))[٢٢]، وبهذا فالعمل مطلوب من المسلم لكفاية نفسه وأهله ومجتمعه، وحتى من أجل الكائنات التي تعيش على وجه هذه الأرض.

الرابع: العمل المنظم المتقن فريضة دينية:

من القيم المهمة في مجال الإنتاج، أن يحسن المسلم العمل ويتقنه، فإحسان العمل ليس أمراً هامشياً في نظر الإسلام؛ بل فريضة دينية مكتوبة على المسلم، ولذلك أمر الإسلام الإحسان في العمل؛ كالذبح مثلاً، وعليه القياس؛ فقد قال عليه السلام: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[٢٣]، وقد استعمل النص لفظ "كتب" الذي يفيد الفرضية؛ كما استعملت في النصوص القرآنية بنفس المعنى.

فلا يجوز التفريط في إحسان العمل؛ لأن العمل يأخذ الوقت الذي هو الحياة[٢٤]، فلابد من أن يكون منظماً وعلى أكمل وجه، ونجد في الإسلام أنه يطلب ليس فقط العمل الحسن؛ بل الأحسن ونلحظ ذلك بوضوح في تنمية أموال اليتامى، فلابد من المحافظة عليها وتنميتها بأمثل الأساليب وأحسنها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ... (١٥٢)﴾ [الأنعام: ٦][٢٥]، وهذه الوصية تكررت في القرآن لتأكيد وجوب إحسان العمل كله وليس لصالح الأيتام فحسب.

الخامس: قصد الشارع من وجوب العمل:

من مقاصد الشريعة وجوب العمل؛ وهذا الوجوب لم يؤخذ من نص واحد، ولا من دليل معين؛ بل أخذ معناه من نصوص عدة وجملة الأدلة التي أمر بها الشارع الحكيم بالمشي

في مناكب الأرض، وجعله سبباً للأكل والرزق، فقال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ((١٥﴾ [سورة الملك: ٦٧]، وأمر بالانتشار في الأرض لابتغاء الرزق الذي هو نعمة الله وفضله فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ((١٠﴾، [الجمعة: ٦٢]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَأَنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٢٦]؛ كما روي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ))[٢٧]، وأحاديث الباب الحاضة على العمل وأن الزكاة لا تحل للقادر على العمل أكثر من أن تحصى.

وعلى هذا فإن قصد الشارع من وجوب العمل هو أن يتوافر للفرد الكفاية من الحاجات الضرورية ومن يعول، فإذا أوفى العمل بمتطلبات الفرد فهذا قصد الشارع من العمل، ولا بد من الاعتماد عليه؛ وإن عجز عن الوفاء يأتي دور المرشحات الأخرى وهي النظم المالية الإلزامية والطوعية، فإن عملت بنجاح وقامت الدولة بدورها في توفير الأعمال وعملت الزكاة في الطبقات الضعيفة؛ فإن جيلاً من الأمة يستطيع أن يتخلص من هذه الآفة.

الفرع الثاني: دور النظم المالية الإسلامية في مكافحة مشكلة الفقر[٢٨]:

ينظر الإسلام إلى الفقر، على أنه خطر على العقيدة والقيم والأخلاق وكذا سلامة التفكير، بالإضافة إلى خطورته على الفرد والأسرة، ويعتبره مصيبة يطلب دفعه، ويستعاذ بالله من شره، فقد روي عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ..)[٢٩]، وفي حديث آخر قرن التعوذ من الفقر بالتعوذ من الذل والقلة، فيما روي عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ))[٣٠]، لقد قرن النص في التعوذ بين ما هو أعظم من الإشراك بالله تعالى وبين الفقر ونتائجه من القلة الجالبة للذل، ووسائل الإسلام في مكافحة الفقر بعضها إلزامي، وبعضها الآخر طوعي، وهي على النحو الآتي:

المحور الأول: النظم المالية الإلزامية ودورها في مكافحة الفقر: تعددت النظم المالية الإلزامية في معالجة مشكلة الفقر، وهذه النظم هي:

أولاً: دور الزكاة في علاج مشكلة الفقر[٣١]:

ربما لا يعرف الكثيرون دوراً للزكاة إلا علاج الفقر ومساعدة الفقراء، وإن كانت صورة هذا العلاج غير واضحة المعالم في أذهان الكثيرين، والواقع أن المتبصر يجد أن الإسلام لم يجعل الزكاة وحدها هي العلاج الوحيد للفقر؛ بل جعل العمل مرحلة متقدمة على الزكاة في علاج هذه المشكلة، العمل الذي يسعى له الفرد وتساعده الدولة على إيجاد سبله إن ضاقت، كما أن هناك نظماً إسلامية أخرى تسبق مرحلة الأخذ من الزكاة مثل نفقات الأقارب، والحقوق الأخرى في المال كالصدقات الطوعية، فكل ذلك يعمل على علاج الفقر واجتثاثه من أعماقه، بجانب الزكاة.

* الوثائق التاريخية من عهود الازدهار((أثر الزكاة في حل مشكلة الفقر في المجتمع الإسلامي)):

تطبيقات عصور الازدهار أكبر دليل على اهتمام الخلفاء - ونخصُّ الراشدين المهديين - باجتثاث مشكلة الفقر من جذورها عبر النظم المالية الإسلامية وخاصة الزكاة، التي اهتمت بتخليص المجتمع المسلم من هذه الآفة، ولنأخذ تطبيقين من حياة الجيل الفريد لنرى دور الزكاة في حل الإشكالية.

*** الصورة الأولى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

روى أبو عبيد في كتابه " الأموال " قصة لها مغزاها ودلالتها في تطبيق الزكاة وأدائها دورها في إنهاء مشكلة الفقر، يقول: ((بينما عمر بن الخطاب نصف النهار قائل في ظل شجرة، وإذا أعرابية، فتوسّمت الناس فجاءته فقالت، إني امرأة مسكينة، ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر، بعث محمد بن مسلمة ساعياً - تعني عاملاً على الصدقة في بني قومها - فلم يعطنا، فلعلّك - يرحمك الله - أن تشفع إليه!! قال، فصاح ب" يرفأة " - خادمه - أن ادع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه؛ فقال: إنه سيفعل، إن شاء الله تعالى.

فجاءه " يرفأة " فقال: أجب ... فجاء ... فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة. . . فقال عمر: والله ما آلو أن أختار خياركم، كيف أنت قائل إذا سألك الله، عز وجل، عن هذه؟! فدمعت عينا محمد. . . ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه. . ثم استخلفني فلم آل أن أختار خياركم. . إن بعثتك فأدّ إليها صدقة العام، وعام أول، وما أدري لعلي لا أبعثك، ثم دعا لها بجمل، فأعطاها دقيقاً وزيتاً، وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها، . . . فأتته بخيبر بجملين آخرين، وقال خذي هذا فإن فيه

بلاغاً، حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام أول))[٣٢].

ولا بد لنا من تحليل هذه القصة ونأخذ منها العبر، وهي تدل على معانٍ سامية يمكن أن نلخصها بالآتي:

١. شعور الحاكم المسلم بمسؤوليته أمام الله عن كل فرد من أفراد رعيته، حتى لو كانت أعرابية تعيش في بطن الصحراء.
٢. شعور الأفراد أنفسهم بحقهم المعلوم في عنق الدولة ومطالبتهم لحقوقهم منها.
٣. دلالتها على أن هذا الحق كان معونة منتظمة، إن لم تصل لصاحبها في مكانه، فله أن يتظلم للحاكم ويطالب بهذا الحق.
٤. تدل على أن السياسة العمرية الراشدة أساسها الإعطاء والإغناء، فالجمل الأول والاثنان في خيبر إغاثة عاجلة مؤقتة لحين وصول ابن مسلمة وأخذها لحقها عامين: عام مضى وآخر أقبل.
٥. تدل على أن نصيب الفرد من الزكاة سنوياً ليس بالأمر الهين رجلاً كان أو امرأة، مع بساطة الحياة البدوية.
٦. هدف الزكاة نقل الفقير من حال العوز والفقر إلى حال الغنى.
٧. أن عمر، رضي الله عنه، لم يكن مبتدعاً، وإنما كان يسير على خطى المصطفى ﷺ والخليفة الصديق رضي الله عنه.

*** الصورة الثانية: في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:**

كتب الإمام ابن شهاب الزهري[٣٣] للخليفة عمر بن عبد العزيز عن مواضع السنة في الزكاة ليعمل بها في خلافته فذكر:

((إن فيها نصيباً للزمنى، والمقعدين " أصحاب العجز الأصلي "، ونصيباً لكل مسكين به عاهة، لا يستطيع عيلةً وتقليباً في الأرض " أصحاب العجز الطارئ "؛ كالعامل الذي يصاب في عمله والمجاهد الذي يصاب في الحرب "، ونصيباً للمساكين الذين يسألون ويستطيعون، ونصيباً لمن في السجون من أهل الإسلام، ونصيباً لمن يحضر المساجد من المساكين، الذين لا عطاء لهم، ونصيباً لمن أصابه فقر، وعليه دين، ولم يكن شيء منه في معصية الله، ونصيباً لكل مسافر...))[٣٤]، وبهذا فإنك ترى أن الزكاة ضمان اجتماعي شامل لكل أصناف المحتاجين في المجتمع، وبهذا فإنك ترى أن الخليفة عدد له أصنافاً أخرى مستحقة لوجود الوفرة في بيت مال الزكاة؛ نحو الزمنى، والمقعدين، والمساكين، والأسرى، والمدينين، ونحوهم، وهكذا

نرى أن الزكاة تترك أثراً في فئات المجتمع المسلم حيث أن أفقرهم يحصلون على ٥ ، ٢٪ من حجم الدخل القومي للمجتمع ، وهذا يسمح بمضاعفة الدخل الذي يذهب إلى هؤلاء .

ثانياً: صدقة الفطر:

تجب صدقة الفطر عند جمهور الفقهاء على كل مسلم من ذكر أو أنثى ، صغيراً أو كبيراً ، حراً أو عبداً ، وهي ضريبة رؤوس ، يخرجها الشخص عن نفسه ومن يعول ، ما دام مالكاً لقوته وقوت عياله ، ليلة عيد الفطر ، فيدفعها كل من ملك قوت يومه ، وبهذا فإنها تجب على الغني والفقير ، وإن استحقها الثاني ما دام فقيراً لم يصل إلى حد الكفاف أو الكفاية[٣٥] .

أما دورها في التوزيع فهو أن صدقة الفطر موجهة إلى أفقر الفقراء ، وقد وضحت كتب الفقه مقدارها ووقت إخراجها وأحكامها العامة ؛ وهي مدفوعات تحويلية تسد حاجة آنية ، وهو تحويل حياة الفقير يوم العيد من الفقر إلى الغنى ومساواته الشعورية مع إخوانه من أبناء المجتمع ، واستشعاره الفرح في هذا اليوم مادياً ومعنوياً .

ثالثاَ: الإرث:

نظام الإرث يؤدي إلى إعادة توزيع ثروة المتوفى كلها ، ويختلف أثر الإرث على التوزيع بحسب نظام الإرث ، ولما كان نظام الإرث في الإسلام يتعدد فيه الورثة ، ولا يجوز للمورث التصرف في ماله بأكثر من حدود الثلث ، فإن أثره في تفتيت الثروة ظاهر .

وكلما كان التزاوج بين الناس لا يأخذ بعين الاعتبار الطبقية كان أثر التفتيت أكبر أي يترك أثراً كبيراً على التوزيع ؛ فلو كانت الطبقة الغنية لا تتزاوج إلا من بعضها والفقراء لا يتزاوجون إلا من بعضهم ، كان أثر إعادة التوزيع الكامنة في نظام الإرث قليلاً ، وأثر هذا النظام في التوزيع لا يستهان به .

رابعاً: الفيء[٣٦]:

هو ما يأخذه المسلمون من أموال الكفار بغير قتال ، فهو بعبارة أخرى ثروة نالتها الأمة بغير جهد خاص من أحد منهم ، من الناحية الفقهية يشمل خراج الأراضي المفتوحة ، والعشور المفروض على تجار أهل الحرب ، والأدلة الشرعية على الفيء كثيرة[٣٧] ، وقد استخدم النبي ﷺ "فيء بني النضير " لإعادة توزيع الثروة في المدينة المنورة حين قسمه بين المهاجرين ، وكانوا هم الفقراء حينئذ ، ولم يعط الأنصار إلا اثنين أو ثلاثة شكوا حاجة[٣٨] ، ودوره في إعادة التوزيع

ظهر في تغيير حياة المهاجرين فيما بعد من الفقر إلى الغنى .

فاستحقاق الفقراء من الفيء ظاهر ، فالفيء يدخل بيت المال ويصرف في المصالح العامة للمجتمع ، ولقد ذكرت آية الفيء فئات الفقراء الذين يعطون منه " اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل " على الرغم من كون هؤلاء مستحقين لنصيبهم من مال الزكاة ، ولكنه أفاد أن إزالة الفقر وإعادة التوازن في التوزيع العادل للثروة هو مصرف من مصارف الميزانية في بيت المال .

خامساً: نظام نفقات الأقارب:

تعددت في النظام الإسلامي الجهات التي جعلت الشريعة من وظائفها أن تضمن للفرد حداً أدنى للمعيشة في حال عجزه وافتقاره ، وأهم هذه الجهات ، بيت مال الزكاة[٣٩] ، ويسبقه نفقة القريب القادر على قريبه العاجز الفقير ، ويرتب الأقارب الأغنياء في النفقة على قريبهم الفقير بحسب قربهم منه في نظام الميراث ، وهذا النظام من النظم الإسلامية المهمة الدالة على تكافل المجتمع بعضه مع بعض يبدأ بالأقرب ثم الأقرب ؛ فإن انعدمت قدرة الأقارب على الإنفاق على قريبهم ، فبيت مال الزكاة يفي بهذا العجز فيجبره ويقوم بدور إعادة التوزيع ، فيعيد المدفوعات التحويلية بين المستحقين .

سادساً: نظام العواقل:

يقضي هذا النظام توزيع دية القتل الخطأ على عاقلة القاتل ، وهم الرجال من عشيرته الذين يقوم بينه وبينهم تناصر وتعاون ، فيلتزمون شرعاً بتحمل الدية مع القاتل موزعة عليهم في ثلاث سنوات ، وفي هذا تدبير حكيم مقام لمصلحة الفريقين ، الهدف منه عدم ضياع دم القتيل ، هدراً ، وذلك في حالة كون القاتل فقيراً لا يستطيع دفع الدية ، وكيلا يتحمل الدية وحده فوزعت على عاقلته لتتفتت المخاطر الكبيرة على الجماعة الكثيرة ، فتقل ؛ فتحمل .

وهذا النظام لا ينقل الدخل باطراد من الأغنياء إلى الفقراء ؛ بل ينقله إلى أي فرد تقع عليه جناية القتل الخطأ ؛ فتحويل الدية لكبرها على العاقلة يفتت المخاطر ، ويمنع تحويل الجاني إلى فقير معوز[٤٠] .

سابعاً: الركاز (الكنز) والمعدن:

الركاز هو : " مال مدفون في الأرض لا مالك له "[٤١] ، ويتصور الفقهاء أن الركاز يمكن أن يحصل عليه واجده بدون مؤونة ، وعلى واجده الخمس أي ٢٠ ٪ ، ومصرفه عند أغلب

الفقهاء هو مصرف الفيء، والعثور على الركاز أمر نادر، لذا لا ينتظر منه أن يقوم بدور كبير في إعادة التوزيع.

المعدن هو: هي " البقاع التي أودعها الله تعالى جواهر الأرض، من ذهب وفضة ونحاس "[٤٢]، أو هي " ما يخرج من جواهر الأرض بعمل وتصفية؛ كالذهب والفضة والحديد وغير ذلك "[٤٣].

والراجح من أقوال الفقهاء: أنها مملوكة ملكية عامة، بمعنى أن إيراداتها تذهب إلى بيت المال وتصرف في مصالح المجتمع، بعد إخراج الواجب منها لبيت مال الزكاة وهو الخمس، فيفعل فيها الإمام العدل ما يراه محققاً لمصالح الناس[٤٤].

المحور الثاني: دور النظم المالية الطوعية في مكافحة الفقر:

أولاً: الصدقات الطوعية المحضة:

الصدقة الطوعية من أوسع أساليب التوزيع، فقد ورد الحث على إعادة التوزيع في أحاديث كثيرة، منها أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[٤٥]، ولعظم أمر الصدقة سمى الله تعالى الزكاة المفروضة بالصدقة عندما وزع أنصبة المستحقين لها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. . . (٦٠))﴾[سورة التوبة: ٩].

ثانياً: إنفاق العفو[٤٦]:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين عند قوله تعالى: ﴿. . وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ. . . (٢١٩))﴾[سورة البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(١٩٩))﴾ [سورة الأعراف: ٧]، وفي معنى العفو عند المفسرين أقوال عدة، قال الفخر الرازي[٤٧]: في تفسير " العفو " الوارد في هاتين الآيتين: ((اعلم أن هذا السؤال قد تقدم ذكره فأجيب عنه بذكر المصرف. . . ويقصد عند قوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ، وأعيد هنا بذكر الكمية، فالله تعالى يخبرهم حال السؤال عن الإنفاق بأن العفو مقبول، ولكن ما هو العفو؟ يجيب الفخر الرازي[٤٨]: قال الواحدي[٤٩] رحمه الله تعالى: أصل العفو في اللغة الزيادة، قال القفال[٥٠]: " العفو " ما سهل وتيسر، مما يكون فاضلاً عن حد الكفاية))[٥١].

وعلى هذا فالعفو يكون فيما يفضل عن حاجات الإنسان في نفسه وعياله، ومن تلزمهم مؤنتهم، ويمكننا تلخيص كلام الرازي، رحمه الله، بأن العفو: مقدار من الإمكانات، وكمية منها، وأنه بيان لما كلف الله تعالى عباده إنفاقه في سبيل الله من إمكاناتهم، بعد سؤالهم عن

الكمية الواجب عليهم إنفاقها في معرض السؤال في الآية السابقة، ومثله قول عن عطاء، والحسن، وقتادة، والسدي، وابن أبى ليلى، وغيرهم[٥٢].

قال الطاهر بن عاشور: العفو هنا: هو ((ما زاد عن حاجة المرء من المال، أي ما فضل بعد نفقته، ونفقة عياله بمعتاد أمثاله))، ومثله عند المفسرين[٥٣]، وقال صاحب الظلال: جاء الجواب هنا بعد السؤال الجواب عن المقدار والدرجة، ومعناه الفضل والزيادة؛ فكل ما زاد عن النفقة الشخصية ـ من غير ترف ولا مخيلة ـ فهو محل للإنفاق[٥٤]، وبناءً على ذلك فإن بذل العفو: في معناه الاصطلاحي: الزائد عن الحاجة[٥٥].

- الفرق بين الفائض الاقتصادي والعفو بمعناه الاصطلاحي؛

لقد تبين لنا أن العفو هو الفضل، والفائض الاقتصادي هو فضل بصرف النظر عن تقسيمه إلى فائض محتمل، مخطط، أو فعلي؛ إنما يعني ما يتبقى من الدخل، بعد سد الحاجات، فهو بمعناه الإجمالي يتفق من حيث التكوين المادي، مع العفو من المال، بالإضافة إلى أن لفظ العفو ذو شمول لا يوجد في مفهوم الفائض الاقتصادي فحسب؛ بل يشمل بالإضافة للفائض المادي، الفائض من الجهد البشري.

- مكامن العفو:

طلب الله تعالى من المسلمين إنفاق العفو، والإنفاق إما أن يكون استهلاكياً، أو استثمارياً، أو اجتماعياً، والقسمان الأخيران هما من العفو، فهو لا يظهر إلا بعد استنفاذ الإنفاق الاستهلاكي أغراضه، فأين يكمن العفو؟ في أي القطاعات يتولد؟، والحقيقة فإن مكامن العفو كثيرة؛ ففي كل وجه يتحقق النفع والخير للمجتمع وأفراده يوجد العفو.

فالغني لديه فضل من المال يحقق به العفو، والفقير لديه فضل جهده يحقق به العفو، ولقد ظن بعض الصحابة أن مكمن العفو عند الأغنياء فقط أي في العفو المالي فغبطوا الأغنياء، عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: ((أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا))[٥٦].

والدثور بضم الدال جمع دثر بفتحها، وهو "المال الكثير"[٥٧]، وكذا ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))[٥٨]، وعلى هذا فإن مجالات العفو تتسم بالشمول والاتساع، وتتكاتف فيه الإمكانات المالية مع الإمكانات البشرية، عقلية وعضلية ونفسية وروحية، للإسهام ببناء المجتمع المتكاتف، وفي ضوء هذا الشمول والاتساع لميادين العفو، يمكن الحديث عن مكامن العفو على النحو الآتي:

الأول. العفو في الجهد البشري: الذي يعنينا هنا الجهد البشري الذي له أثر اقتصادي، فالنصوص النبوية تدل على أن المسلم مكلف بأن يبذل من فائض جهده، ومنافع بدنه، في إعانة إخوانه وإصلاح مجتمعه؛ كما يجب عليه بذل فائض ماله سواءً بسواء، وميادين هذا المجال كما جاء في الحديث الشريف سالف الذكر؛ ؛ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ؛ ؛ وقد يتمثل العفو في هذا المجال في السعي مع إخوانه في قضاء حوائجهم، أو انخراطاً في جماعات ترعى شؤون فئة ضعيفة من المجتمع يقول: ﷺ ((. . . مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥٩]، وقد يكون ميدان هذا المجال عملاً اقتصادياً يعود عليه بالنفع المادي وكذا بالثواب الأخروي؛ ذلك أن الإسلام يجعل كل عمل مباح يمارس بنية صالحة عبادة، يقول ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ))[٦٠]؛ فإنتاج الطيبات في المجتمع الإسلامي هدف، وكل طرق استخدامها بعد إنتاجها، تعود على منتجها بالثواب، فيفيض العفو في الإنفاق من الإنسان من جنسه إلى عالم الحيوان، حيث يقول ﷺ: ((. . . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا فَقَالَ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))[٦١].

الثاني: العفو في المال العيني: يملك الناس نوعاً مهما من أنواع المال، يتمثل في أدوات الإنتاج التي يستخدمها الشخص في العملية الإنتاجية؛ كما يتمثل في الأدوات التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية، وهو بصدد إشباع حاجاته؛ مثل السلع المعمرة، ودواب الركوب ومنزل السكنى. . . وغيرها، ويمثل هذا النوع من المال (القيمي الاستعمالي) الجانب الأكبر في المجتمع، إذ يُقتنى ويستعمل أياماً عديدة من العام، ولا يستخدم في الأيام الباقية فهو يمثل مكمناً ضخماً من مكامن العفو عند المسلم، ومكامن العفو في المال العيني هي كما يأتي:

- أساليب بذل فضل منافع رأس المال:

يظهر من تتبع العديد من النصوص الشرعية التفصيلية أن مبدأ بذل الفضل أو بعبارة أخرى ما عرف عند الفقهاء بإنفاق العفو لم تقصره الشريعة على الموارد الطبيعية المتجددة؛ بل عممته على منافع رأس المال الإنتاجي، حيث أوجبت في أحيان كثيرة بذلها دون عوض كما في الفقرات الآتية:

١.الماعون: هو إعارة الأدوات المنزلية (كالقدر والفأس والمنخل والغربال وآلات الحرفة، وبهائم العمل، من دلو وحبل والمنشار والمطرقة ونحو ذلك)، وأصل الماعون من كل شيء هو منفعته، وبذل الماعون مندوب إليه عند أكثر أهل العلم وواجب عند الإمام أحمد[٦٢]، هذا وقد أفرد الفقهاء باباً فقهياً خاصا بالعارية وبينوا أحكامها مما يدل على أهميتها.

قال تعالى في شأن الماعون: ﴿. . . فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧))﴾[سورة الماعون: ١٠٧]، ومنع الماعون[٦٣] يعني: عدم تقديم أدوات الإنتاج وأدوات الاستخدام الحياتي.عند عدم شغلها بحاجة صاحبها .إلى من هو في حاجة إليها، وأدق ما يمكن أن يفسر به الماعون أنه أدوات الإنتاج؛ ويلحق بها أدوات الاستخدام المعيشي[٦٤].

٢.منافع الحيوان للخدمة والحلب((المنيحة)): في العصور الأولى كانت أهم الأصول الإنتاجية الحيوانات، وفي بذل منافعها درب من إعادة التوزيع، ففي إعارة الحيوان للضراب أمر مندوب إليه شرعاً، فقد ورد في النهي عن بيع عُسْب الفحول وجعلها تجارة بين الناس فيما روىى عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ((نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَسْبِ الْفَحْلِ))[٦٥]، فالنهي عن بيع مياه الفحول مما حرمته الشريعة الإسلامية، وكذا إجارتها للضراب أو الإطراق[٦٦].

وكذا ندب إنفاق العفو في ظهور الحيوانات وذلك مما حضت عليه النصوص النبوية فقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْر فَلْيَعُدْ به عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَاد فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ))[٦٧]، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ.

٣- أما المنيحة: أو المنحة: " ما يعطى ليتناول المعطى ما يتولّد منه كالثمر واللبن على أن يرد الأصل بعد فترة من الزمن "[٦٨]، كما إذا منحه شاة ليشرب لبنها، هذا أصل معناها، ثم سمي بها كل عطية، العطية، ولكن المقصود بها هنا نوع من العطايا ومثاله أن يعطي الرجل أخاه شاة أو بقرة أو ناقة ينتفع بحلبها وصوفها مدة من الزمن ثم يردها له فقد حث ﷺ على المنيحة: يقول ﷺ: ((. . أَلَا رَجُلٌ يَمْنَحُ أَهْلَ بَيْتٍ نَاقَةً تَغْدُو بِعُسٍّ وَتَرُوحُ بِعُسٍّ إِنَّ أَجْرَهَا

لَعَظِيمٌ))[٦٩]، وقد وردت أحاديث كثيرة تتحدث عن المنيحة، بذل فضل الحيوانات؛ كالظهر، والحلب والعمل وغير ذلك. ويمكن أن نستفيد دلائل عدة من النصوص في موضوع المنيحة وهي:

١. تشير النصوص إلى تعريف المنيحة وهو أن المنيحة: " تحويل للدخل الحقيقي المتولد من رأس مال إنتاجي معين إلى شخص محتاج، ولفترة زمنية "[٧٠].
٢. ذكرت النصوص أنواعاً من المنيحة هي، منيحة الدراهم، ومنيحة الدواب للركوب، وكذا للحلب، والأرض الزراعية، والأشجار المثمرة، والمنازل، وهذه الأصناف تستوعب كثيراً من أصناف الثروة الإنتاجية المعروفة في العصر النبوي.
٣. التوزيع بطريق المنيحة يستند إلى معيار الحاجة عند المتلقي، ولا يمكن تبريرها عادة باعتبار الكفاءة أو حسن استغلال الموارد كما في بذل الفضل.
٤. واضح دور ولي الأمر في تفعيل موضوع المنيحة، وتدخل ولي الأمر على سبيل التنبيه والإرشاد.

وهناك حقوق أخرى؛ كحق الارتفاق[٧١] على العقار والتعلي والمسيل؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ((لَا يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ))[٧٢]، وحق الضيافة ثابت أيضاً على مضيفه كما روي عن رسول الله ﷺ في إثباته ما روي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ ((إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ))[٧٣]، ومع ذلك فإن حق الضيف حق يؤديه المضيف عن طيب نفس، وإكرام الضيف محمود عند العرب؛ بل هو من أخلاقهم ومحامدهم، وهكذا حض الإسلام على التوزيع في كثير من نظمه الطوعية والإلزامية.

الثالث: العفو في المال النقدي:

قد يشتري الإنسان بنقوده ما يحتاج إليه من حاجات استهلاكية أو إنتاجية، وقد يبقي لديه فضلاً زائداً منها؛ فإن كان يدخره لحاجات مستقبلية فليس بعفو، والإنفاق من المال يُعد مكمناً من مكامن العفو، وهو موجود في المال النقدي؛ كما هو الحال في المال العيني، وليس معنى هذا أن ينفق الإنسان ماله ثم يستجدي، ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى))[٧٤]، فإمساك المال ورصده لأداء واجب من الواجبات

أمر مطلوب شرعاً، حتى وإن كانت الواجبات غير حالَّة؛ بل متوقعة، فقد حرص الهادي الأمين عليه السلام وهو يحث على الإنفاق أن يرصد المسلم لنوائب الدهر فيقول في ذلك ﷺ: ((لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أَرْصِدُهُ لِدَيْنٍ))[٧٥]، ففي هذين النصين تقرير من الرسول ﷺ على جواز إمساك النقود لدواعي الحاجة ومنها الدين، لما فيه من الأجر والثواب، فهو ضعف ثواب الصدقة؛ بل يقاس عليها كل النقود التي ترصد للحاجات؛ كالإنفاق الاستهلاكي والاستثماري المطلوب للمحافظة على الطاقة الإنتاجية للأمة؛ فإمساكها أمر مطلوب شرعاً[٧٦].

وهناك أساليب أخرى للتوزيع أقل أهمية مما سبق، ذات دور أقل في مكافحة الفقر، وهي؛ الأضحية[٧٧] والعقيقة[٧٨]، وتركة من لا وارث له، والعقوبات المالية المفروضة لمصلحة الفقراء نحو؛ كفارة الأيمان، وكفارة الإفطار، وكفارة الظهار وغيرها.

المبحث الثاني: خطة الإسلام في توزيع الدخول وقواعده في التوزيع، والمشكلات التي يعالجها الفقر:

المطلب الأول: خصائص خطة الإسلام في توزيع الدخول[٧٩]:

لقد وضعت الشريعة السمحة خطة عامة (استراتيجية) لتحقيق الأهداف التوزيعية للدخول لمكافحة الفقر تتمتع بالخصائص الآتية:

العنصر الأول: شدة العناية بالتوزيع: تظهر عناية النظام الاقتصادي الإسلامي بالتوزيع في كثرة نظم التوزيع وشمولها، وفي نص القرآن الكريم في كثير من الآيات صراحة على أن من مقاصد الشريعة تخفيف التفاوت بين الناس في المال، وكذا تفصيل الشريعة لكثير من نظم التوزيع سواءٌ أكانت إلزامية (كالزكاة، وصدقة الفطر، والإرث، والفيء، ونظام النفقات الواجبة بين الأقارب)، أم كانت غير إلزامية نحو (المنيحة، والأوقاف، والصدقات الطوعية، وإنفاق العفو، وغيرها...)، وكل هذا يظهر اهتمام الشريعة بترغيبها العظيم في إعادة التوزيع على مستويين إلزامي وطوعي.

العنصر الثاني: كثرة نظم التوزيع وشمولها: استخدمت الشريعة السمحة عدداً كبيراً من نظم التوزيع؛ كما طبقت جميع المعايير والوسائل الممكنة للتوزيع باستثناء معيار القوة إلا في نطاق ضيق في سهم المؤلفة قلوبهم، وتعدد نظم التوزيع[٨٠]، التي عرفها الإسلام له دلالة

مهمة وهو أن الشريعة تفترض وجود حدود لفعالية أي معيار أو وسيلة منفردة للتوزيع، وتراعي عدم التوسع في تطبيق أية وسيلة بمفردها حذراً من الآثار السلبية.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن الرسول ﷺ لم يعوّل على الصدقة المطلقة لإزالة فقر المهاجرين؛ بل أرشد الأنصار إلى نظام المنيحة، ثم استخدم الفيء بعد ذلك لإعادة التوازن في توزيع الثروة في المجتمع[٨١].

العنصر الثالث: الوسطية والمرونة: تظهر وسطية الخطة التي وضعها الإسلام للتوزيع في استخدامها كلاً من الوسائل الطوعية والإلزامية دون التعويل على الإلزام وحده، وكذا ليس على الوسائل الطوعية وحدها، وتظهر المرونة في أن الشريعة جعلت بعض نظم التوزيع دائمة وواجبة التطبيق باستمرار كالزكاة وزكاة الفطر، والاشتراك في ملكية بعض الثروات الطبيعية، ونظام الإرث، وهناك تدابير وقائية إذا لم تف الوسائل الإلزامية بالمطلوب؛ كاستخدام الفيء لتصحيح التوزيع، والنفقات الواجبة بين الأقارب، وحق الحصول على الضروريات، وكفالة بيت المال.

العنصر الرابع: زيادة عرض المعونات: وذلك بحض الناس من خلال العقيدة، وثواب الآخرة، والتربية، وسلطة الدولة على زيادة بذل المعونات، التي تتم عن غير طريق المعاوضة، سواءٌ أكانت نقدية أم كانت عينية من السلع أو الخدمات، فالمدفوعات الإلزامية والطوعية كافة تؤدي إلى تنظيم تلك المدفوعات، وزيادة فائدة المجتمع منها، وبالتالي المساهمة في مكافحة الفقر في المجتمع المسلم.

العنصر الخامس: تخفيض الطلب على المعونات وتنظيم هذا الطلب: تتكاثر النصوص في حض الفرد على توفير ما يغني عياله عن الطلب من المعونات وخصوصاً الزكاة أو الصدقة، وفي إطار التخفيف من الطلب على المعونات يقول ﷺ فيما روي عَنْ حَكِيم بْن حِزَام رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى...))[٨٢]، وكان ضمن شروط بيعته لبعض الصحابة الأكارم أن لا يسألوا الناس شيئاً وقد وصف الصدقات بأنها: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ..))[٨٣]، وذلك للتنفير من أخذها إلا لمن لا يجد من أخذها بداً.

هذا من جهة تخفيض الطلب على المعونات، أما من جهة تنظيمه، وهو أمر في غاية الأهمية من الناحية التطبيقية، فهناك حالات أجاز فيها الإسلام للأفراد السؤال؛ فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ قَبِيصَةَ بْن مُخَارِق الْهِلَالِيِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ: ((إِنَّ الْمَسْأَلَةَ

لَا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَد ثَلَاثَة: رَجُل تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنْ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا))[٨٤]، وبهذا وضع النبي ﷺ إطاراً للسؤال وهو ذو أركان ثلاثة: رَجُل تَحَمَّلَ حَمَالَةً، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، الدين، وحالة الطواريء كالحريق، وكذا الفقر.

ولا شك في أن تطبيق أدوات التوزيع ضمن الوسائل المعاصرة المتاحة اليوم، مثل ضمان حدٍ أدنى للمعيشة، أول ما يتطلب من ولي الأمر أن يقوم بتحديد مناسب لما يعتبر حداً للفقر في المجتمع.

المطلب الثاني: الأهداف الشرعية لإعادة التوزيع[٨٥]:

إن نظرية الإسلام في التوزيع تهدف إلى تحقيق أهداف عدة شرعية تنسجم مع نظرة الإسلام الكلية، في تحقيق مقاصد معينة من وجود التشريع ومما يحققه التوزيع من الأهداف ما يأتي: .

الفرع الأول: الأهداف الشرعية للتوزيع:

أولاً: إشباع حاجة المخلوقات؛ فهذا مقصد رئيس للمدفوعات التحويلية التي يطبقها الإسلام ـ في نظمه للتوزيع ـ على الناس كافة من رعايا الدولة المسلمة؛ بل يشمل الحيوانات أيضاً؛ التي لا تنفك عن العلاقة مع البشر، أما تحديد الحاجات التي يشملها هذا الإشباع فقد حددته الشريعة إما بالنص أو بالقواعد العامة.

ثانياً: إحداث آثار إيجابية في نفس المعطي: فالاقتصادي المطلع على نصوص الشريعة وأحكامها يجد هذا الأثر القيمي المهم الذي ترسي الشريعة قواعده هدفاً مهماً في التوزيع في النظام الاقتصادي الإسلامي، في حين لا تجد مثل هذا النظر الدقيق في النظام الرأسمالي ونظرته للتوزيع، وقد صرحت به كثير من الآيات والأحاديث المطهرة ومن أمثلة هذه الآثار النفسية ما يأتي:

(١) تطهير نفس المعطي وماله؛ قال تعالى: ((. . صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا . . . (١٠))[سورة التوبة: ٩]، أي من داء الإفراط في حب المال ومن البخل، وأمر الإسلام بالقوام، وكذا تطهير الأموال من الهنات والمخالفات التي قد تكون وقعت في أثناء اكتسابها.

(٢) تثبيت المعطي على الطاعة والإيمان؛ فقد قال تعالى: ﴿. . . يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. . . (٢٦٥)﴾[سورة البقرة: ٢]، فالذي يقدم للمدفوعات التحويلية يقوى على الطاعة والإيمان وبذلك يترسخ فيه هدف التوزيع الذي أراده النظام الاقتصادي الإسلامي.

(٣) الاعتياد على العطاء؛ لقد نصت الآية السابقة على ﴿. . وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. . (٢٦٥)﴾[سورة البقرة: ٢]، فمن تثبتت نفسه على الإيمان والطاعة فإنه يتأثر بهدف التوزيع، فتترسخ في نفسه هذه العادة فيقدم للمدفوعات التحويلية ضمن الإطار الذي رسمه له دينه، وقد أكد الإمام الفخر الرازي[٨٦]، مفهوم الاعتياد هذا من الآية السالفة الذكر؛ كما أنك ترى المؤمن إذا سأله سائل من مال الله تعالى قدم له في الحال، وهو مشاهد في الحياة العامة.

ثالثاً: تأليف القلوب: إذ القصد من المدفوعات التحويلية؛ -مثل حقوق الضيافة وأمثالها، تأليف القلوب وهذا الأثر الاجتماعي غاب عن بال الاقتصاديين، إذ أن نظام التوزيع وهو عنصر من عناصر النشاط الاقتصادي يجب أن لا يصاحب المدفوعات التحويلية البغضاء والعداوة؛ بل لاحظ الإسلام الأثر النفسي الذي تتركه على المتلقي اقتصادياً على أية حال قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ(٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى. . . (٢٦٤)﴾[سورة البقرة: ٢]؛ فالهدف من التوزيع هو تأليف قلوب الرعايا، وتحقيق أهداف التوزيع الحقة حتى ولو كانت نفسية.

رابعاً: تخفيف التفاوت في توزيع الدخل والثروة: فالتوزيع لتحقيق هذا الهدف يتطلب أربع درجات، وهو ما قام به الفيء من دور في التوزيع:

١. التوزيع النقدي المباشر على الناس بالسوية أو بالتفاوت؛ كما فعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، عندما قسم الفيء بالسوية على الناس، أو كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الذي قسم بالتفاوت بين الأصحاب بالنظر إلى سابقتهم للإسلام[٨٧].
٢. تخصيص الأعطيات أو الرواتب الدورية للمجاهدين وأُسرهم.
٣. توزيع بعض الأقوات على الناس مجاناً بالسوية، وقد فعل مثل ذلك الخليفة الثاني رضي الله عنه.
٤. التحويلات لصالح الأجيال القادمة بحبس أراضي الفيء عن التوزيع وجعل خراجها في بيت المال ينفق على المصالح العامة للأمة.

خامساً: زيادة الكفاءة في استخدام الموارد الطبيعية والأصول الثابتة: قد يستغرب بعض

الاقتصاديين من وجود علاقة بين إعادة التوزيع وزيادة الكفاءة، وقد رسّخ النظام هذا الهدف حيث أمر بعدة أوامر لتحقيقه؛ من مثل وجوب بذل الفضل من الماء وكذا فضل الموارد الطبيعية المتجددة وما يلحق به من حقوق؛ كحق الشفعة، وبذل فضل منافع رأس المال، من مثل الماعون، ومنافع الحيوانات وبعض حقوق الإرتفاق؛ كحق المجرى (المسيل) والمرور ونحوها[٨٨].

سادساً: تشجيع الآخرين على العطاء: وهذا الهدف هو الحكمة التي من أجلها أجاز الإسلام إظهار الصدقة قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. . . . (٢٧١))﴾[سورة البقرة: ٢]، وهو مبدأ تحليلي أكدته الشريعة في مجالات كثيرة، وله نتائج مهمة في دراسة السلوك التطوعي عند الناس.

الفرع الثاني: قواعد التوزيع العامة: هناك عددٌ من القواعد العامة للتوزيع في النظام الاقتصادي الإسلامي يمكن ذكر أهمها على النحو الآتي:

١. اشتراك جميع المواطنين في أنواع من الثروات الطبيعية والمملوكة ملكية عامة للأمة.
٢. يندب بذل الفضل من الأموال والمنافع دون عوض مادي دنيوي، وكل ما كانت منفعته وتكلفته الإضافية للمالك معدومة أو زهيدة نسبياً.
٣. تستحب المنيحة والماعون ونحوها في أنواع الثروات الإنتاجية كافة ويجب أن تكون مؤقتة، وأن تحفظ حقوق المالكين وتعاد إليهم متى استغنى الممنوح له ذلك أو وجد في بيت المال ما يغنيهم.
٤. للجماعة أن تقتطع من كل نوع من أنواع الكسب الفردي نسبة معينة يصرف مصرف الفيء، ويخفض هذا الجزء كلما زاد الجهد والمخاطر والنفقة في التحصيل.
٥. يجب على ولي الأمر أن يحدد في ضوء الشريعة والواقع المعاش حداً أدنى للمعيشة، يضمنه بيت المال، خاصة إن لم تكف موارد الزكاة الوفاء بذلك، ويسمح للقضاة بقبول الدعاوى على بيت المال لتنفيذ هذا الضمان.
٦. وضع كل السياسات التي تخفف من التفاوت في التوزيع وتشجيعها.

المطلب الثالث: ضمان شامل للمسلمين وغير المسلمين في العصور الإسلامية الأولى:

للوقوف على تصور لتلك الحالة لا بد من قراءة العصور الإسلامية خاصة عصر ابن الخطاب وابن عبد العزيز، لنصل إلى نتيجة مفادها، أن الزكاة سدّت كل ما يتصور من أنواع الحاجات، الناشئة عن العجز الفردي والخلل الاجتماعي، أو الظروف الطارئة على حياة الناس، وقد نقلت صورتين من عهود الراشدين تدل على ما قدمت.

لكن الضمان الذي نتحدث عنه للمسلمين من أموال الزكاة، أما غير المسلمين كحال الشيخوخة فإن ضمان ذلك في عموم بيت مال المسلمين، أما إعطاء الذميين من بيت مال الزكاة فهو مما لا يجوز عند الفقهاء[٨٩].

فالنظم المالية بعمومها فيها ضمان لمن يعيش في كنف الدولة الإسلامية، وإذا عدنا للنظر في تلك النظم نجد أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، قد كتب إلى عدي بن أرطأة والي البصرة من قبله، يوصيه ببعض الوصايا ـ تعليمات، خطوط عريضة للدولة على الولاة الالتزام بها ـ التي يجب أن يراعيها في ولايته:

((وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، وذلك أنه بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على الأبواب فقال: ((ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك)، (ثم أجرى عليه عطاءً من بيت المال ما يصلحه))[٩٠]، وحسبنا أن نأخذ من هذه القصة عدداً من المبادئ الاقتصادية:

١. أن مد الأيدي (التسول) كان مستكرهاً في الإسلام، بحيث لفت صنيع اليهودي نظر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
٢. كفالة الدولة لرعاياها ليست مقصورة على المسلمين؛ بل امتدت لتشمل جميع رعاياها من أهل الذمة ولو كانوا يهوداً؛ كما جاء في القصة.
٣. أجرى عليه عمر من بيت المال ما يصلحه أي فرض له مساعدة اجتماعية دورية تصلحه وتكفيه.
٤. قرر عمر أن هذه الحالة ليست حالة استثنائية؛ بل هو مبدأ عام يشمل كل شيخ من أضرابه في حاجة لهذا العطاء.
٥. لم ينقل أن أحد الصحابة أنكر على عمر هذا الصنيع خاصة أهل الحل والعقد فدل على موافقة منهم وهو ما يسميه الفقهاء " الإجماع السكوتي ".
٦. أمر عمر بن عبد العزيز واليه في البصرة تطبيق هذا المبدأ، ونقله أبو يوسف لهارون الرشيد، ليأمر عماله بتنفيذه، مما يدل على أن هذا مبدأ عام لدى الفقهاء، ومرعي عند الحكام.
٧. أنه لا يجوز أن تنتظر الحكومة حتى يأتيها المعوزون بطلب المساعدة؛ بل يجب عليها أن تسعى إليهم لتسد حاجتهم.

المطلب الرابع: علاج مشكلة الفقر يحل مشكلات عديدة:

إن كثيراً من المشكلات هي في الحقيقة أثر من آثار الفقر، ومن هذه المشكلات التي يكافحها الإسلام ما يأتي:

الأولى: مشكلة المجاعة، التي سببها انحباس الأمطار في البيئات التي تعتمد في زراعتها على الأمطار، وخاصة الأمطار الموسمية، لقد عالج الخليفة الثاني هذه المشكلة بطريقة فريدة ضرب فيها أروع الأمثلة لحل مشكلات المجتمع، كالمجاعة التي هي فقر طارئ[٩١].

الثانية: مشكلة المرض؛ وهي لصيقة بالفقر فكلما ارتفع مستوى الدخل زادت الرفاهة الصحية في المجتمعات، فتجد في البلاد الغنية المريض له سرير في غرفة، وكلما تدنى مستوى المعيشة زادت الأسِرَّة في الغرفة الواحدة على سبيل المثال ومثلها العناية الطبية، والكشف عن الأمراض وعلاجها وقائياً، فإذا ظهرت حالة مرضية حوصر المرض في مهده وحصر في أضيق نطاق.

الثالثة: مشكلة الجهل؛ سببها الفقر، فالفقير لا يستطيع أن يتعلم ولا أن يعلم أولاده، فهو في حاجة إليهم منذ نعومة أظفارهم ليعملوا معه ويعينوه، لهذا كان من الحاجات الأصلية التي يجب أن تتوافر للفقير أن يتعلم أولاده ما لا بد لهم منه في دنياهم ودينهم، والقاعدة عند علمائنا: أن المتفرغ لطلب العلم له حق في الزكاة، بخلاف المتفرغ للعبادة فلا حق له.

الرابعة: مشكلة العزوبة، يعاني كثير من الشباب المعاصر الراغبين في الزواج من العجز عن تحمل أعباء الزواج من صداق وتأثيث ونفقات العرس ونحوها، وبما أن الزواج من تمام الكفاية كما ذكر ذلك علماؤنا، ولهذا قرروا أن من تمام الكفاية أن يأخذ الفقير الراغب في الزواج من الزكاة ليتزوج[٩٢]، فإذا انحلت مشكلة الفقر انحلت مشكلة العزوبة.

الخامسة: مشكلة التشرد[٩٣]، هؤلاء الذين لا يعرف لهم مأوى، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، فهؤلاء لهم في الزكاة نصيب في مصرف ابن السبيل لحل مشكلتهم وإزالة عوزهم، مهما كان سبب تشردهم، أو تغربهم عن أوطانهم، فلهم على الجماعة أن تعيدهم أعضاء عاملين، يفيدون الأمة ويزيدون من ناتجها القومي، ومن المقرر في دين الله أنه لا بد لكل إنسانٍ من مسكن لائق به يقيه الحر والبرد، فهو من تمام الكفاية؛ بالإضافة إلى أن المسكن من الحاجات الأصلية للمرء فإن لم يتيسر ملك المسكن فبالأجر، كأن تقوم الحكومات بتشجيع المستثمرين على بناء المساكن وتأجيرها ليسد حاجة المحتاجين، كما تفعل الدول المتحضرة.

السادسة: كذلك اللقيط وهو مما يمكن إلحاقه بابن السبيل والمشرد، واللقيط هو الذي لا يعرف له نسبٌ ينتمي إليه، ولا أسرة يأوي إليها، وقد عنيت الشريعة باللقيط وجعل الفقهاء

في كتبهم باباً خاصاً للحديث عنه وتفصيل أحكامه، واللقيط ثمرة لجريمة لا يد له فيها ولا ذنب، فلا يُحَمَّلُ وزر غيره، فقد قال تعالى: ﴿. . . . وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. . . (١٦٤))﴾ [سورة الأنعام: ٦]، فمن الواجب أن يكون لهم حظٌ في الزكاة، ترعى به شؤونهم، وينفق منها على حسن تربيتهم، وإعدادهم لغدٍ طاهر مستقيم، ليصبحوا أداة بناء لمجتمعهم لا معول هدم.

السابعة: مشكلة السجناء (الأسرى) ولا يفوتنا هنا أن نضيف إلى هذه المشكلات ـ خاصة، السياسيين، والرأي، أو الضمير ـ فهؤلاء يدفع لهم ولعائلاتهم من الزكاة وتحل مشكلتهم وحاجاتهم من الزكاة، نظراً لفقد العائلة المعيل وعجز رب الأسرة عن العمل[٩٤].

الثامنة: مشكلة التسول؛ فكذلك علاج مشكلة الفقر يعالج حيث ظهر مما سبق كيف عالجها خليفة المسلمين في مراحلها النهائية عندما صدرت من عاجز غير مسلم مسن، فالزكاة لا تعطى لكل سائل، ولا تعين على الإكثار من السائلين الشّحاذين، بل تقوم النظم المالية لو جمعت من حيث أمر الله تعالى ووزعت وفق شريعته ومنهجه على قطع التسول من المجتمع، وإنهاء وجود المتسولين من مجتمع المسلمين.

التاسعة: معالجة مشكلة الديون حيث جعل للغارمين للمصالح العامة سهماً في الأنصبة التي ذكرها القرآن لتقضى ديونهم من الزكاة، فيدفع لهم من الزكاة، ولذلك رأينا في الصدر الأول بعد القضاء على الفقر، ذهبت حصيلة الزكاة إلى تزويج العزاب، ومن ثم قضاء الديون، وهو بحد ذاته يقلل من الفقر.

فالديون تقضى من الزكاة كما جاء عن الليث بن سعد يقول كتب عمر بن العزيز رضي الله عنه: ((أن اقضوا عن الغارمين، فكتب إليه، إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، والفرس، والأثاث، فكتب عمر رضي الله عنه، أنه لا بد للمرء من مسكن يسكنه، وخادم يكفيه معونته، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن أن يكون له الأثاث في بيته، فاقضوا عنه، فإنه غارم))[٩٥]، فهذا الإرشاد العمري يدل على اهتمام الخلفاء بقضاء الدين عن المدين في الدولة الإسلامية، وفي ذلك تقليل للفقر في المجتمع المسلم.

المبحث الثالث: أثر الاتفاقيات والظواهر المعاصرة على الفقراء:

– أثر اتفاقية " الجات " على الفقراء في الحياة المعاصرة[٩٦]:

إن الهدف الأساسي لاتفاقية الجات منذ إنشائها في عام ١٩٤٧م هو تمكين الدول الأعضاء " الأطراف المتعاقدة " من النفاذ إلى أسواق الدول الأخرى، بمعنى إنتاج مستهلكين جدد

للسلع المنتجة لدى الدول الغنية، ومن هنا لا بد من دراسة أثر الاتفاقية على الفقراء:

أولاً: المجتمع المعاصر والفقر من خلال اتفاقية الجات:

يحتاج الفقير إلى القوت الذي يقيم أوده ومن أصناف طعامه القمح والزيت واللبن، ومعظم هذه المواد يقع تحت بند المنتجات الزراعية، وعند النظر إلى واقع الحال تجد أن الدول الغنية تسيطر على إنتاج تلك المواد، وفي ظل اتفاقية الجات سوف ترتفع أسعارها، وهذا يرجع إلى رفع الدعم الحكومي عنها، فقد ورد في الاتفاقية:

- تخفيض الدعم الداخلي بنسبة ٢٪ من قيمة الدعم بالنسبة للدول المتقدمة وبنسبة ٣، ١٣٪ من الدعم بالنسبة للدول النامية الفقيرة.
- تخفيض دعم التصدير بنسبة ٣٦٪ من قيمة الدعم للدول المتقدمة وبنسبة ٢٤٪ من قيمة الدعم للدول النامية الفقيرة.

إذاً اتفاقية الجات منتدى الأغنياء لقتل الفقراء، أو منتدى الأقوياء لقتل الضعفاء، وبالنتيجة الحتمية للاتفاقية سوف ترتفع أسعار القمح والألبان والسكر واللحوم بدرجة عالية عند إلغاء الدعم وخفض قيمة رسوم التصدير، وتأسيساً عليه سوف يضار الفقراء من الارتفاع في أسعار طعامهم بسبب اتفاقية الجات وسوف يستفيد الأغنياء على حساب الفقراء.

ثانياً: ضروريات الفقراء الأخرى:

فيما يتعلق بملابس الفقراء، فالفقير يحتاج إلى الملبس الشعبي الذي يستر فيه عورته ويقيه برد الشتاء وحر الصيف، ومعظم الحكومات تقوم بدعم هذا النوع من الإنتاج، فعند رفع الدعم عنه بفضل اتفاقية الجات تتحول المصانع إلى إنتاج الملابس الفاخرة لأغراض التصدير، وبما أن أساس الاتفاقية حرية التجارة بين الدول فسينتشر خلق المحاكاة للأجانب، ومن ثم تغيير النمط الاستهلاكي لأولاد الفقراء مما يسبب إرهاق آبائهم بسبب دخولهم المتدنية، بالإضافة إلى ما يعرف عن الأذواق الأجنبية من العري والملابس الخليعة وما أسميناه أكذوبة الموضة بالنسبة للرجال وكذا النساء.

أما فيما يتعلق بمساكن الفقراء، إذا كان الفقراء في بعض البلاد العربية يسكنون الكهوف والقبور، ففي ظل اتفاقية الجات وظهور المنافسة الحرة، فسيوجه الاستثمار في قطاع الإنشاءات إلى إنشاء البيوت الفارهة والتي لا تناسب دخل الفقير، وبذلك يرتفع الدعم المباشر وغير المباشر للمساكن الشعبية مما يؤثر على حياة الفقراء.

وكذا بالنسبة لعلاجه وتشغيل أبنائه، وكذلك لا بد من مقاومة هذه الاتفاقية، بالفرار إلى تطبيق شرع الله تعالى، وتنفيذ أوامره تعالى، ومراعاة الأمور الآتية:

١ ـ أن نتوجه إلى العمل الجاد الذي يقينا شر الجات .
٢ ـ إتقان العمل وإحسانه كما أمرنا ربنا ورسوله الأكرمﷺ .
٣ ـ التصالح مع الله تعالى وشرعه فبها النجاة من كيد الأعداء، وبها العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة مكافحة الفقر في الاقتصاد الإسلامي ،.وهو باكورة أبحاث عن الفقر وكيفية القضاء عليه في الاقتصاد الإسلامي في الصدر الأول وفي حياتنا المعاصرة ،. وربط ذلك بالقيم الدينية والنظم المالية في الإسلام ، فبذلك استطاع دين الإسلام في فترات تجسيده على أرض الواقع ، أن يخلي المجتمع من الفقر والفقراء ، وعالج الإسلام هذه المشكلة بغير طريق ، وظهر لنا فيه أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي :

(١) أظهرت هذه الدراسة أن العمل هو طريق للقضاء على الفقر ؛ فالعمل لكفاية النفس أمر حض عليه الإسلام بعموم النصوص وخصوصها ، ومارسه كرام الصحابة ، في مقابل أمره بمنع السؤال والتشنيع عليه ؛ كما فرض العمل والإنفاق على من نعول من زوجة وأطفال ونفقات أقارب وحض عليه بالنصوص القرآنية والسنية ؛ بل فرض العمل لصالح الأمة ، فلا بد من العمل لذات العمل وقدسيته ، كما فرض الإتقان في العمل ، وجعل العمل قبل الأخذ من الزكاة لما في الشريعة الغراء من الحض عليه .

(٢) إذا قصرت بنا السبل عن العمل لبطالة طارئة أو لعجز أو شيخوخة أو جهاد أو غير ذلك من الأسباب الملجئة ، فقد شرع الإسلام من الوسائل ما يعيد التكافل العام بين المسلمين ؛ فوضع نظام نفقات الأقارب طريقاً لإعادة توزيع الثروات ، وجعل الزكاة في المال حقاً للفقراء ، تعمل على إعادة توزيع الدخول والتقارب بين الطبقات ، بالإضافة إلى صدقة الفطر - ضريبة الرؤوس السنوية - التي تعمل على إعادة التوزيع الموسمي المفرح بين المسلمين أغنياء وفقراء ، بالإضافة إلى الإرث والفيء والغنيمة ونفقات الأقارب ونظام العواقل المفتت للمصائب ، وخمس المعادن السائلة نحو البترول الذي يجب إخراج زكاته ، فهذه جميعاً تعمل على التقليل من درجة الفقر في المجتمع ، وتقارب بين طبقات المجتمع .

(٣) تعمل النظم الطوعية ؛ كالصدقة وإنفاق العفو والهبات والهدايا وحقوق الضيافة والأضحية والعقوبات المالية على إعادة توزيع طوعي في درجة ثالثة لتقضي على الفقر .

(٤) اتسمت خطة النظام الاقتصادي في الإسلام في توزيعه للدخول بعدة سمات مهمة ؛ نحو إشباع حاجات الناس ، وتصحيح مفاهيم الأفراد القيمية في بناء المجتمع ، وتركه

للانعزالية، وتأليف قلوب الفقراء وعدم تركهم للجوع والعوز والحاجة، وتخفيف التفاوت بين طبقات المجتمع؛ بالإضافة إلى تشجيع الأفراد على العطاء حتى الفقراء منهم؛ كما في صدقة الفطر.

(٥) أظهرت نظم التوزيع على كثرتها شدة عناية النظام الاقتصادي الإسلامي بالتوزيع، وكثرة النظم التي تعددت من نظام سنوي إلى موسمي، واتسامها بالوسطية والاعتدال، فلا ترهق الغني بنسبة ٥، ٢٪ من دخله، ولا عولت على النظم الإلزامية وحدها، بل جعلت طائفة طوعية؛ بل خفضت الطلب على المعونات ونظمتها من خلال أصناف المستحقين لها.

(٦) لم تغفل خطة الإسلام الذين يعيشون في كنف المسلمين، من الأديان الأخرى، فقد شهدت الوثائق التاريخية في عصر الرشاد رعاية لهم من بيت مال المسلمين، أو تفرض عليهم ضريبة بقيمة ٥، ٢٪ لتحقيق التكافل فيما بينهم، وبهذا فالضمان يشمل المسلمين وغير المسلمين ممن يعيشون في ظل الدولة الإسلامية.

(٧) علاج الفقر يقضي على آفات كثيرة كالمرض، والجهل، والعزوبة، والتشرد، وغيرها من المشكلات التي تعصف بالمجتمعات حتى الراقية منها.

(٨) أثبتت الدراسة أثر الجات على الفقراء، وكذا العولمة، التي زادت من دُولَة المال بين الأغنياء، وزادت الفقير فقراً؛ بل أضحت الجات إلى جانب صندوق الدين الدولي والبنك الدولي الآلية التي تستخدمها العولمة، وتعمل جميعاً لتحقيق الهدف نفسه، زيادة غنى مجتمعات المحيط الأطلسي على حساب المجتمعات الفقيرة.

الهوامش:

١ - د. زلوم؛ عبد الحي يحيى، نُذر العولمة، الحلقة ٣٤، منشور في جريدة الأيام، فلسطين، الأربعاء، ٢/ ٦/ ١٩٩٩م، ص٢٠.
٢ - المرجع السابق.
٣ - ابن منظور، لسان العرب، مادة فقر.
٤ - الموسوعة الفقهية، لفظ فقر.
٥ - القرضاوي؛ يوسف، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، كتاب اقتصاديات الزكاة، كتاب مطالعة رقم ٢، تحرير منذر قحف، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٦٠٩.
٦ - دور الزكاة في حل مشكلات الفقر والبطالة، تحقيقات، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ٢٤٤، ص ٥٥.
٧ - أبو أحمد؛ أشرف شعبان، الفقر وأسبابه وجهة نظر إسلامية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ٢٤٩، ص ٤٨.
٨ - أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ص٧٨٤، حديث رقم ١٩٠٩.
٩ - تكلم الغزالي عن الجوع في إحياء علوم الدين ٣/ ٦٩ (فضل الجوع وذم الشبع، فوائد الجوع وآفات الشبع)، وذكر فيه أن التستري كان يعظم الجوع ويبالغ فيه (٣/ ٧٢). غير أن الغزالي في كتاب آخر له، هو كتاب الأربعين في أصول الدين، أفرد فصلاً لـ " تعظيم الجوع " (ص ٧٩)، وذكر فيه أن رسول الله ﷺ عظم أمر الجوع (ص ٧٨). وذكر الغزالي للجوع سبع فوائد هي: صفاء القلب، ورقته، وذل النفس، وتذكّر الجائعين، وكسر الشهوة، وخفة البدن، وقلة المؤنة (تكاليف المعيشة). وذهب إلى أن من أراد أن يستقرض من غيره لقضاء شهوته الأفضل له أن يستقرض من نفسه بترك شهوته؛ ؛ ؛ قيل لإبراهيم بن آدم في شيء: إنه غال، فقال: أرخصوه بالترك (أي بتقليل الطلب)، وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالتركً (إحياء ٣/ ٧٥، وكتاب الأربعين ص ٨١).
١٠ - القرضاوي، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، اقتصاديات الزكاة، تحرير منذر قحف، . ص ٦٠٢ وما بعدها بتصرف.
١١ - المرجع السابق، ص ٥٩٢-٦٠٠. // القرضاوي، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ج ٢، ص ٥٦٣. // الزحيلي؛ وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٢، ص ٨٧٦. // سلامة، عابدين، الحاجات الأساسية في الدول الإسلامية، منشور في قراءات في المالية العامة في الإسلام، ص ١٢٦. ، وهو منشور في مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٨٤م.
١٢ - قلعة جي؛ محمد رواس، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، دار النفائس، ط١، ١٤١٢ هـ=١٩٩١م، ص ٦٧. // الإبراهيم؛ محمد عقلة، حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠٨هـ= ص ١٩-٢١. // المصري؛ عبد السميع، مقومات الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٠.
١٣ الريسوني؛ بشير، دور قواعد الشريعة في توجيه الاقتصاد، مجلة القرويين، العدد الخامس، عمادة جامعة القرويين فاس المغرب، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م، ص ٢٨٧.
١٤ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٩٧ كتاب التوحيد، ٥٤ باب قوله تعالى ولقد

يسرنا . . . حديث رقم ٧٥٥١، ج٣، ص٣٣٦٧.

١٥ -جامع الترمذي، ٤ كتاب الزكاة عن رسول الله، ٣٨ باب ما جاء في النهي عن المسألة، رقم ٦٨١، صحيح، ص ١٣٢// سنن النسائي، ٢٣ كتاب الزكاة، باب مسألة الرجل ذي السلطان، حديث رقم ٢٥٩٩، صحيح، ص ٢٨٠.

١٦ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٤ كتاب الزكاة، ٥٢ باب من سأل الناس تكثراً، حديث رقم ١٤٤٧، ج١، ص ٨٩٢.// مسلم، ١٢ كتاب الزكاة، ٣٥ باب كراهة المسألة للناس، حديث رقم ١٠٤٠، واللفظ له، ج٢، ص ٧٢٠.// سنن النسائي، ٢٣ كتاب الزكاة، ٨٣ المسألة، حديث رقم ٢٥٨٥، صحيح، ص ٢٧٨.

١ـــ الإمام النورسي، مجموعة اللمعات من كليات رسائل النور، ترجمة عن التركية الملا محمد زاهد الملازكرديّ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ط ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م، ص ٢١٥.

١٧ - مسلم، ١٢ كتاب الزكاة، ٣٥ باب كراهة المسألة للناس، حديث رقم ١٠٤٢، واللفظ له، ج٢، ص ٧٢١.

١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١١ كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم ٨٩٣، ج١، ص ٦٦٩.// صحيح مسلم، ٣٣ كتاب الإمارة، ٥ باب فضيلة الإمام العادل، حديث رقم ١٨٢٩، ج٢، ص١٤٥٩٣، متفق عليه.

١٩ - أحمد، باقي مسند المكثرين، حديث رقم ١٢٩٨١، ح ٢٠، ص٢٩٦، و١٢٩٠٢، ج٢٠، ص ٢٥١ قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، وانفرد به أحمد.

٣- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤٢ كتاب المساقاة، ٩ باب فضل سقي الماء، حديث رقم ٢٢٦٣، ج١، ص ١٢٢٩ // مسلم، ٣٩ كتاب السلام، ٤١ باب فضل سقي البهائم المحترمة، وإطعامها، حديث رقم ٢٢٤٤، ج٤، ص ١٧٦١.

٢٠- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤١ كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس والأكل منه، حديث رقم ٢٣٢٠، ج١، ص ١٢١٣. مسلم، كتاب المساقاة، ٢ باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم ١٥٥٢، ج٣، ص ١٨٨. جامع الترمذي، ١٢ كتاب الأحكام عن رسول الله، ٤٠ باب ما جاء في فضل الغرس، حديث رقم ١٣٨٢، صحيح، ص ٣٤٢.

٢١ ـــ صحيح مسلم، ٣٤ كتاب، ١١ باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم ١٩٥٥، ج٣، ص ١٥٤٨.

٢٢ - للتعرف على أهمية الوقت في حياة المسلم انظر: أبو غدة؛ عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٨، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.// الأحدب؛ خلدون، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، الدار الشامية، ط الخامسة ١٤٢٠-هـ= ٢٠٠٠م.// سعد الله؛ رضا، مفهوم الزمن في الاقتصاد الإسلامي، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م وهو منشور في مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، المجلد الثاني، العدد الأول ١٤١٥هـ، ص ٩٣-١١٣.

٢- انظر أيضاً: سورة الإسراء ١٧: الآية ٣٤:) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا(.

٢٣ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣٤ كتاب البيوع، ١٥ باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم ٢٠٧٢، ج١، ص ١١٣٤.

٢٤ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٤ كتاب الزكاة، ٥٠ باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم ١٤٧٠، ص ٨٩١.

٢٥ - إن الغزالي أطال في مدح الفقر (إحياء ٤/ ١٦٧)، والجوع (٣/ ٦٩)، والزهد (٤/ ١٨٩)، والبكاء (٤/ ٧٠)، وذم الغنى (٤/ ١٧٣)، والمال (٣/ ٢٠٠)، والجاه (٣/ ٢٤٠)، والشهرة والصيت (٣/ ٢٣٨)، وتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر في الجملة (٤/ ١١٨). وبعد أن ذم الدنيا (٣/ ١٧٤)، حاول العودة إلى الاعتدال، وختم بقوله بأن المسلم "لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية (. . .)، ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة (. . .)، ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا" (٣/ ١٩٩).

٢٦ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٠كتاب الدعوات، ٤٤باب التعوذ من البخل، حديث رقم ٦٣٧٥، ج٣، ص٢٧٩٠.

٢٧ - النسائي، ٥٠كتاب الاستعاذة، ١٤باب الاستعاذة من الذلة، حديث رقم٥٤٦٢، صحيح، ص٥٥٥.

٢٨- قحف؛ منذر، المواد العلمية لبرنامج التدريب على تطبيق الزكاة في المجتمع الإسلامي المعاصر، وقائع ندوة ٣، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، بحث: قحف، دور الزكاة الاقتصادي، ١٠١.

٢٩- ابن سلام؛ أبو عبيد القاسم، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٧٨٧، حديث رقم ١٩١٩. // حموده؛ صلاح التيجاني، معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، مجلد ١، (١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م)، ص ٧٩-١٠٢.

٣٠ - الزُّهْري (٥٨-١٢٤هـ) محمد بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ، تابعي، من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً اعلم بالسنة الماضية منه، مات بشعب، آخر الحجاز، وأول حدّ فلسطين. // الزركلي؛ خير الدين، الأعلام، ج٧، ص٩٧.

٣١- ابن سلام؛ أبو عبيد القاسم، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، ص ٥٨١.

٣٢- القرضاوي، يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ج ٢ص ٩١٧-٩٢٣. // العبادي؛ عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية، ج٣، ص ٧٣-٧٥. // قحف؛ منذر، المواد العلمية لبرنامج التدريب على تطبيق الزكاة في المجتمع الإسلامي، وقائع ندوة ٣٣ المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ط١، ١٩٩٥م. الأبحاث ذات العلاقة، الفصل الثالث بحث قحف؛ منذر، دور الزكاة الاقتصادي، ص ٨٩، وما بعدها وص ١٢١ وما بعدها. // قحف؛ منذر، ندوة موارد الدولة المالية في المجتمع الإسلامي من وجهة النظر الإسلامية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ١٩٨٦م، ٣٠٣-٣٦٥.

٣٣ - الريس؛ محمد ضياء الدين، الدولة الإسلامية الخراج والأموال، وهو منشور في كتاب: قراءات في المالية العامة في الإسلام؛ إعداد: محمود جوليد، ص٣١ وما بعدها. وهو جزء من كتاب الريس الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الباب الثاني.

٣٤ - الزرقا؛ محمد أنس، نظم التوزيع الإسلامية، ص ٢٩. // أبو يوسف، الخراج، ضمن موسوعة

الخراج دار المعرفة، بيروت، ص ٢٣ . و القرشي؛ يحيى بن آدم، الخراج، ص ١٧ .

٣٥ - ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، مقدمة سورة الحشر، المكتب الثقافي، القاهرة، دار الصابوني، ج٣، ص٤٧٠ .

٣٦ - أوزجان؛ روحي، نظام نفقات الأقارب في الفقه الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر الدولي الثاني للاقتصاد الإسلامي، ط١، ١٩٨٥م، ص٥١ وما بعدها.// الزرقا؛ أنس، نظم التوزيع، ص ٣٤.

٣٧ - انظر: الزرقا؛ مصطفى، نظام التأمين، حقيقته والرأي الشرعي فيه، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٤م، ص ٦٢.

٣٨ - قلعه جي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط ١٩٩٦م، ص٢٠٢ .

٣٩ - حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ص ٢٥٦ .

٤٠ - المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.

٤١ - العبادي؛ عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية، ج١، ص٣٤٨-٣٦٠.// يونس؛ عبد الله مختار، الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي، ٢٥٢ - ٢٥٩.// النبهان؛ محمد فاروق، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي، ص ٢٤٩// إرشيد؛ محمود، الملكية في فكر باقر الصدر، ص ٦٧ -٨.

٤٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٤كتاب الزكاة، ١٨باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم ١٤٢٦، ج١، ص٨٧٤.

٤٣ - يوسف؛ يوسف إبراهيم، إنفاق العفو في الإسلام، بين النظرية والتطبيق، كتاب الأمة ٣٦ ط١، وزارة الأوقاف قطر، ص ٤٤.

٤٤ - الرازي؛ الفخر، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٨، ص١٠٠-١٠١.

٤٥ - الرازي، الفخر (٥٤٤-٦٠٦هـ) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، ولد بالري وإليها انتسب، توفي في هراة، من تصانيفه: مفاتيح الغيب، في التفسير، ولوامع البيان في شرح أسماء الله وصفاته، وكتب أخرى كثيرة.// الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ٣١٣.

٤٦ - الواحدي (. . . -٤٦٨هـ) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، له تصانيف: البسيط والوسيط والوجيز في التفسير، والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة.// الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ١٠٤.

٤٧ - القفال: (٢٩١-٣٦٥هـ) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، أبو بكر، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام، من كتبه، أصول الفقه، ومحاسن الشريعة ورسالة الشافعي.// الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ٢٧٤.

٤٨ - الرازي، التفسير الكبير، ج٨، ص١٠٠.// القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، ج٤، ص٣١٠.// يوسف؛ يوسف إبراهيم، إنفاق العفو، ص ٤٦.

٤٩ - يوسف؛ يوسف إبراهيم، إنفاق العفو، ص ٤٦.

٥٠ - ابن عاشور؛ الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٣٥٢.// القرطبي،

الجامع في أحكام القرآن، ج٣، ص٦١ .// الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، بدون، ج١، ص٢٢٢ .// رضا؛ السيد محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة، ط ١٩٧٣م، ج٢، ص ٢٦٨ .

٥١ – قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٤، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م، ج١، ص٢٣١ .

٥٢ – قلعه جي؛ محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط ١٤١٦هـ، ص ٢٨٥ـ٢٨٦ .

٥٣ – مسلم، ١٢ كتاب الزكاة، ١٦ باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم ١٠٠٦، ج٢، ص٦٩٧ .

٥٤ – د. الشرباصي، أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، ص١٥٠ .

٥٥ – مسلم، ١٢ كتاب الزكاة، ١٦ باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم ١٠٠٩، ج٢، ص٦٩ .

٥٦ – مسلم، ٤٥ كتاب البر والصلة، ١٥ باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٨٠، ج٤، ص١٩٩٦ .

٥٧ – مسلم، ٢٢ كتاب المساقاة، ٢ باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم ١٥٥٢، ج٣، ص١١٨٩ .

٥٨ – ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٦٤كتاب المظالم، ٢٣باب الآبار على الطرق، حديث رقم ٢٤٦٦، ج٢، ص١٢٥٩ .

٥٩ – العبادي؛ عبد السلام، الملكية، ج١، ص٣٦٨، و ج٣ ص ٩٣ .// ابن رجب الحنبلي، القواعد، القاعدة ٩٩، ط دار المعرفة، بيروت .// البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، ج٤، ص٦٣ .// الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى في غاية المنتهى، ط المكتب الإسلامي، ج٣، ص٧٢٣ .

٦٠ – قال ابن العربي: للعلماء في الماعون ستة أقوال؛ الأول: الزكاة، قاله مالك، الثاني: المال قاله ابن شهاب، الثالث: ما يتعاطاه الناس بينهم قاله ابن عباس، الرابع: هو القدر والدلو والفأس وأشباه ذلك الخامس: الكلأ والنار والماء، السادس: الماء وحده. ؛ ابن العربي، أحكام القرآن، دار الكتب العربية، البابي الحلبي، ط١، ١٩٨٥م= ١٣٧٨هـ، ج٤، ص ١٩٧٢ـ١٩٧٣ .

٦١ – يوسف؛ يوسف إبراهيم، إنفاق العفو في الإسلام، ص ٧٩ وما بعدها .

٦٢ – ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣٧كتاب الإجارة، ٢١باب عسب الفحل، حديث رقم ٢٢٨٤، ج١، ص١٢٠٠ .

٦٣ – يطلق "عسب الفحل" في اللغة على ضرابه وعلى مائه وعلى نسله، ثم قيل للكراء الذي يأخذه صاحب الفحل على ضرابه، والإطراق مثله .// حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ص١٩٧ .

٦٤ – مسلم، ٣١ كتاب اللقطة، ٤ باب استحباب المواساة بفضول الأموال، حديث رقم ١٧٢٨، ج٣، ص١٣٥٤ .

٦٥ – حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣م، ١٤١٤هـ ص ٢٦٦ .

٦٦ – صحيح مسلم، ١٢ كتاب الزكاة، ٢٢ باب فضل المنيحة، حديث رقم ١٠١٩، ج٢، ص٧٠٧ .

٦٧ – الزرقا، أنس، نظم التوزيع الإسلامية، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، عدد١، مجلد٢، ١٩٨٤م،

ص ٢٧ .

٦٨ - في الاصطلاح هو : حق مقرر على عقار لمنفعة عقار لشخص آخر ، كما عرّفه الحنفية ، ، ، وهو عند الشافعية والمالكية والحنابلة : تحصيل منافع تتعلق بالعقار ، فالارتفاق عندهم أعم منه عند الحنفية فهو يشمل : انتفاع الشخص بالعقار فضلاً عن انتفاع العقار بالعقار . // حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ص ٤٣ .

٦٩ - ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٤٦كتاب المظالم ، ٢٠باب لا يمنع جار جاره ، حديث رقم ٢٤٦٣ ، ج٢ ، ص ١٢٥٨ .

٧٠ - ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٧٨كتاب الأدب ، ٨٥باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، حديث رقم ٦١٣٧ ، ج٣ ، ص ٢٦٨٦ .

٧١ - مسلم ، ١٢ كتاب الزكاة ، ٣٢ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، حديث رقم ١٠٣٦ ، ج٢ص ٧١٧ .

٧٢- ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٤٣كتاب الاستقراض ، ٣ باب أداء الدين ، حديث رقم ٢٣٨٩ ، ج١ ، ص١٢٣٥ .

٧٣ - انظر بعض الصور التي تنحى بالإنفاق غير هذا المنحى :// النبهان ، محمد فاروق ، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ص٤٣٣ . عند الحديث عن أبي ذر ؛ ؛ مع ملاحظة أن أبا ذر لم يكن يدعو إلى المساواة في الدخول بل المساواة في تراكمات الثروة ، وأنه يمكن تحقيق ذلك لو انفق كل عفو .

٧٤ - الأضحية : اسم لما يذبح في أيام النحر بنية القربة إلى الله تعالى . // الشرباصي ، المعجم الاقتصاد الإسلامي ، ص٣٢ .

٧٥ - العقيقة : هي الذبيحة التي تذبح عن المولود يوم السابع لمولده . // الشرباصي ، المعجم الاقتصاد الإسلامي ، ص٢٩٩ .

٧٦ - الزرقا؛ محمد أنس ، نظم التوزيع الإسلامية ، ص ٤٠ وما بعدها .

٧٧ - من نظم التوزيع الإسلامية ، . . ملكية الموارد الطبيعية ملكية عامة كالماء والكلاء والنار ، إباحة إحياء الموات وإقطاع الأرض ، ملكية إيرادات المعادن ملكية عامة ، إنفاق العفو ، الإرث ، الزكاة ، زكاة الفطر ، الوقف الخيري ، المنيحة ، الفيء ، الغنيمة ، الركاز ، وهناك نظم للتكافل =الاجتماعي الإلزامي ، . . . سهم الغارمين في الزكاة ، سهم ابن السبيل ، نظام العواقل ، النفقات الواجبة بين الأقارب ، ضمان بيت المال لحدٍ أدنى من المعيشة لمواطني الدولة ، نظام الصدقات الطوعية ، . . . // الزرقا؛ محمد أنس ، نظم التوزيع الإسلامية ، ص ٩ ـ ٣٧ .

٧٨ - الزرقا؛ محمد أنس ، نظم التوزيع الإسلامية ، ص ٢٥ وما بعدها وص٢٩ .

٧٩ - ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٢٤كتاب الزكاة ، ١٨باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، حديث رقم ١٤٢٧ ، ١٤٢٩ ، ج١ ، ص٨٧٤ . // مسلم ، ١٢ كتاب الزكاة ، ٣١ باب بيان أن أفضل الصدقة . . . ، حديث رقم ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ج٢ ، ص٧١٧ .

٨٠ - مسلم ، ١٢ كتاب الزكاة ، ٥١ باب ترك استعمال آل محمدﷺ على الصدقة ، حديث رقم ١٠٧٢ ، ج٢ ص٧٥٢ .

٨١ - مسلم ، ١٢ كتاب الزكاة ، ٣٦ باب من تحل له المسألة ، حديث رقم ١٠٤٤ ، ج٢ ، ص٧٢٢ .

٨٢ – الزرقا؛ محمد أنس، نظم التوزيع الإسلامية، ص ٣٩-٤٠.
٨٣ – الرازي؛ الإمام الفخر، التفسير الكبير، ج٤، ص٦١.
٨٤ – ابو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ص٣٧٣-٣٧٥ حديث رقم ٦٤٥/٦٤٨ والحديث الدال رقم ٦٥٠.
٨٥ – الزرقا؛ محمد أنس، نظم التوزيع الإسلامية، ص ١٤-٢٠.
٨٦ – غير بعض المعاصرين ذهبوا إلى جواز لإعطائهم إذا فرض عليهم ضريبة بتسعيرة الزكاة، راجع د. الثمالي؛ عبد الله بن مصلح، المساواة بين المواطن المسلم وغيره في التكاليف المالية في ظل تطبيق الزكاة/ المشكلة والحلول، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨، عدد ٣٩، ذو الحجة ١٤٢٧هـص ٦-٢٣.
٨٧ – أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ص٦٤، حديث رقم ١١٩.
٨٨ – حموده؛ صلاح التيجاني، معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، مجلد ١، (١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م)، ص ٨٧-٨٨. // الجنيدل؛ حمد عبد الرحمن، مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي، ط شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص ٤٢.
٨٩ – يقول البعض إن الزواج نصف الدين، والحق الذي أراه أن العلوم التي يترتب على المسلم تعلمها بعد الزواج هي نصف علوم الدين.
٩٠ – الأشقر؛ عمر، مصرف ابن السبيل وتطبيقاته المعاصرة، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٣٤، ص٣٩.
٩١ – اقتصاديات الزكاة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، القرضاوي؛ يوسف، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، ص ٥٨٧.
٩٢ – أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ص٧٣٨، حديث رقم ١٧٥١.
٩٣ – شحاته؛ حسين، أهوال الفقراء من نيران ((جات)) الأغنياء، مجلة الاقتصاد الإسلامي دبي، عدد ١٩١، ص ٣٨ وما بعدها. // هلال؛ محسن، حماية الإنتاج المحلي في إطار اتفاقية الجات، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ١٩١، ص٦٧ وما بعدها. // عطية؛ بكري طه، الدور الاستراتيجي لموقع الدول الإسلامية في تدفقات التجارة العالمية، مجلة الاقتصاد الإسلامي دبي عدد١٩٢، ص٧٦// والعدد ٢٣٤، ص٢٩.

المراجع:

- ابن حنبل؛ أحمد، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.
- ابن رجب الحنبلي، القواعد، ط دار المعرفة، بيروت.
- ابن كثير، مختصر تفسير بن كثير، المكتب الثقافي، القاهرة، دار الصابوني.
- ابن ماجة؛ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، إعداد بيت الأفكار الدولية، الرياض، بدون تاريخ.
- ابن العربي؛ أبو بكر بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق علي بن محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ.
- أبو يوسف؛ يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ضمن موسوعة الخراج، دار المعرفة، بيروت.
- أوزجان؛ روحي، نظام نفقات الأقارب في الفقه الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر الدولي الثاني للاقتصاد الإسلامي، ط١، ١٩٨٥م.
- الإبراهيم؛ محمد عقلة، حوافز العمل بين الإسلام والنظريات الوضعية، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الأشقر؛ د. عمر سليمان، مصرف ابن السبيل وتطبيقاته المعاصرة، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ٢٣٤.
- بابللي؛ محمود، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في المال والاقتصاد والتعامل المادي والأخلاقي، المكتب الإسلامي، بيروت، والدار الخانية، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- جارودي؛ المفكر الفرنسي المسلم روجيه، أميركا طليعة الانحطاط، دار الشروق، ١٩٩٩م.
- البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية.
- الترمذي؛ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع المختصر من السنن عن النبي ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، ط بيت الأفكار الدولية.
- التيجاني؛ صلاح حموده، معالجة الخليفة عمر بن الخطاب لمشكلة المجاعة في عام الرمادة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، مجلد ١، (١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م).
- الثمالي؛ د. عبد الله بن مصلح، المساواة بين المواطن المسلم وغيره في التكاليف المالية في ظل تطبيق الزكاة – المشكلة والحلول، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٨، عدد ٣٩، ذو الحجة ١٤٢٧هـ.
- الجزائري؛ أبو بكر، منهاج المسلم، دار الفكر، ط٨، ١٩٧٦م.

- الجنيدل؛ د. حمد بن عبد الرحمن، مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي، دار العبيكان، ط ١٤٠٦ هـ.
- حماد؛ نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.
- الرازي؛ الإمام الفخر، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى في غاية المنتهى، ط المكتب الإسلامي.
- رضا؛ السيد محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة، ط ١٩٧٣م.
- الريس؛ محمد ضياء الدين، الدولة في الإسلام، الخراج والأموال، منشور في كتاب قراءات في المالية العامة في الإسلام، د. محمود جوليد، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب.
- الريسوني؛ بشير، دور قواعد الشريعة في توجيه الاقتصاد، العدد الخامس؛ عمادة جامعة القرويين فاس المغرب، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- الزحيلي؛ د. وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.
- الزرقا؛ محمد أنس، نظم التوزيع الإسلامية، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد الأول، المجلد الثاني، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- الزرقا؛ مصطفى، نظام التأمين، حقيقته، والرأي الشرعي فيه، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٤م.
- الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار المعرفة بيروت، بدون.
- سلامة؛ عابدين، الحاجات الأساسية في الدول الإسلامية، منشور في قراءات في المالية العامة في الإسلام، ومجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٨٤م.
- شحاتة؛ حسين، أهوال الفقراء من نيران جات الأغنياء، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ١٩١.
- العبادي؛ د. عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية، طبيعتها ووظيفتها وقيودها، دراسة مقارنة، مكتبة الأقصى، ط١، ١٩٧٧م=١٣٩٧هـ.
- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر الشهير ب ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط وإعداد بيت الأفكار الدولية، الرياض.
- عطية؛ بكري طه، الدور الاستراتيجي لموقع الدول الإسلامية في تدفقات التجارة الخارجية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ١٩٢.

- القاسم بن سلام؛ أبو عبيد، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، بالقاهرة، ط١، ، ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م.
- قحف؛ منذر، المواد العلمية والعملية لبرنامج التدريب على تطبيق الزكاة في المجتمع المسلم، وقائع ندوة رقم ٣٣، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط١، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.
- القرضاوي؛ د. يوسف، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية، كتاب اقتصاديات الزكاة، تحرير منذر قحف، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- القرضاوي؛ د. يوسف، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ط٢١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.
- القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، ط، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- قطب؛ سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.
- قلعه جي؛ محمد رواس، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، دار النفائس، ط١، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م.
- قلعه جي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس.
- قلعه جي؛ محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
- المصري؛ عبد السميع، مقومات الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٧٥م.
- النسائي؛ أبو عبد الرحمن؛ أحمد بن شعيب بن علي النيسابوري، سنن النسائي، إعداد بيت الأفكار الدولية، بدون.
- النورسي؛ الإمام بديع الزمان سعيد، مجموعة اللمعات من كليات رسائل النور، ترجمة عن التركية، الملا محمد زاهد الملازكردي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.
- النيسابوري؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي البابي الحلبي، بدون.
- هلال؛ محسن، حماية الإنتاج في إطار اتفاقية الجات، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد ١٩١.
- يوسف؛ يوسف إبراهيم، إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق، كتاب الأمة رقم ٣٦، ط١، وزارة الأوقاف قطر.

أحكام حبس المبيع لاستيفاء الثمن بين الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني

د. إسماعيل شندي*

* أستاذ الفقه المقارن المشارك ومنسق تخصص التربية الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، الخليل– فلسطين.

ملخص:

يعالج هذا البحث موضوعاً فقهياً مهماً بعنوان: " أحكام حبس المبيع لاستيفاء الثمن بين الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني " ، وقد انبنى من ستة مباحث وخاتمة، خُصِّصَ الأول منها لبيان معنى مصطلح حبس المبيع لاستيفاء الثمن، والثاني لحكم حبس المبيع لاستيفاء الثمن، والثالث لشروط ثبوت حق البائع في حبس المبيع لاستيفاء الثمن، والرابع لبيان حالات سقوط حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن وعدمه، والخامس لانتقال حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن إلى الورثة، والسادس لهلاك المبيع المحبوس لاستيفاء الثمن، ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث.

Abstract:

The aim of this research is to introduce the Fiqih related to Islamic jurisprudence compared to Civil Jordanian law as related to Sales incarceration until price is paid. The descriptive research method was used, although the inductive and deductive reasoning were used at certain stages. It was concluded that the seller has the right to keep the sales until he receives the price, but in certain situations he loses this right which is transmitted to the buyers heirs when he died; this is also approved by Civil Jordanian law. A set of other conclusions is included.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

فإن الإنسان المسلم يحرص -دائماً- على تكييف حياته وفق منهج الله، فهو يسعى لأن تكون جميع أقواله وأفعاله منسجمة مع أحكام الإسلام ومبادئه، تحقيقاً للعبودية التي هي الغاية من خلقه، مصداقاً لقوله -تعالى-: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "]الذاريات/ ٥٦[، باعتبار أن العبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ولذلك نجد أن الإنسان المسلم دائم السعي لمعرفة حكم الإسلام في أقواله وأفعاله، بالبحث والتنقيب وسؤال المختصين، ومعلوم أن الفقه الإسلامي هو المجال الرحب لمعرفة حكم الإسلام في أقوال الناس وأفعالهم وتصرفاتهم.

ويعتبر " حبس المبيع لاستيفاء الثمن " واحداً من الموضوعات المهمة في الفقه الإسلامي، فهو يتعلق بالمعاملات المالية التي تحدث بين الناس، ويعد من الأمور التي تشغل بال الكثيرين منهم، فيسألون عنها، رغبة في معرفة الحكم الشرعي فيها والتزامه.

ونظراً لأهمية الإجابة عما يرتبط بهذا الموضوع من استفسارات، ولكونه إحدى طرق توثيق الحقوق في الشريعة الإسلامية، صيانة لها عن الجحود والنكران، ونتيجة لعدم وجود بحث مستقل -على حد علمي- يجيب عن استفسارات الناس، ويناقش هذا الموضوع من زواياه كافة؛ ارتأيت أن أكتب فيه خدمة للعلم الشرعي، وقد جعلته مقارناً بالقانون المدني الأردني في محاولة للتعرف على موقف هذا القانون من مسائله المختلفة، وعنونته بـ: " أحكام حبس المبيع لاستيفاء الثمن بين الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني " وقد انبنى من ستة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: معنى حبس المبيع لاستيفاء الثمن.

المبحث الثاني: حكم حبس المبيع لاستيفاء الثمن.

المبحث الثالث: شروط ثبوت حق البائع في حبس المبيع لاستيفاء الثمن.

المبحث الرابع: حالات سقوط حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن وعدمه.

المبحث الخامس: انتقال حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن إلى الورثة.

المبحث السادس: هلاك المبيع المحبوس لاستيفاء الثمن.

ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث.

المبحث الأول
معنى حبس المبيع لاستيفاء الثمن

من حسن الاستهلال هنا، وقبل الوقوف على معنى حبس المبيع لاستيفاء الثمن اللَّقَبي -باعتبار هذه الجملة اسماً لمصطلح واحد- أرى لزاماً توضيحَ معنى كل مفردة من هذه الجملة في سياق مستقل على النحو الآتي:

أولاً: معنى الحَبْس:

الحَبْسُ في اللغة(١): هو الإمساك، يقال: حَبَسَه يَحْبسُه حَبْساً، فهو مَحْبُوس، وحَبِيسٌ، واحْتَبَسَه، وحَبَّسَه: أَمسكه. والحَبْسُ ضِدّ التَّخْلية، واحْتَبَسَه، واحْتَبَسَ بنفسه: يَتَعَدّى، ولا يَتَعَدّى. وتَحَبَّسَ على كذا: أَي حَبَسَ نفسه على ذلك، واحْتَبَسَه: اتخذه حَبِيسَاً، وقيل: احْتِباسُك إياه: اختِصَاصُك نَفْسَكَ به، تقول: احْتَبَسْتُ الشَّيءَ: إذا اختصصته لنفسك خاصة. والحَبْسُ والمَحْبَسَةُ والمَحْبِسُ: اسم الموضع الذي يُحْبَسُ فيه.

أما الحَبْسُ في الاصْطلاح، فيُطلق ويُرَاد به: " تَعْويقُ الشَّخْصِ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّصَرُّفِ بِنَفْسِهِ" (٢). أو "الإمْسَاكُ فِي المَكَانِ والمَنْعُ من الخُرُوج" (٣).

ثانياً: معنى المَبيع:

المَبِيعُ والمَبْيُوعُ فِي اللُّغَةِ(٤)، مِثْلُ مَخِيطٍ، ومَخْيُوطٍ، عَلَى النَّقْصِ والإتْمَام: السِّلْعَةُ المُبَاعَةُ. أما في الاصطلاح: فلا يختلف المعنى الاصطلاحي للمبيع عن معناه في اللغة، فهو: مَحَلُّ البَيْع، (أي المال الذي يتعلق به البيع)، أو هو ما يُبَاع، وهو العين التي تتعيَّن في البيع، وهو المقصود الأصلي من البيع، لأن الانتفاع إنما يكون بالأعْيَان، والأثمان وسيلة للمبادلة(٥).

ثالثاً: معنى الاسْتِيفَاء:

الاسْتِيفَاءُ في اللغة(٦): الاسْتِيعَابُ، والاسْتِغْرَاقُ، وأَخْذُ الحَقِّ على التَّمَام. وفي الاصطلاح: طَلَبُ الوَفَاءِ بِالأَمْرِ(٧)، أو أخذ صاحب الحق حقه كاملاً، دون أن يترك منه شيئاً(٨).

رابعاً: معنى الثمن:

الثَّمَنُ في اللغة(٩)، مفرد، وجَمْعُهُ أَثْمَانٌ، وهو ما يُسْتَحَقُّ به الشَّيءُ. والثَّمَنُ: ثمنُ البيعِ،

وثَمَنُ كلّ شيء: قِيمَتُهُ، وشَيءٌ ثَمينٌ: أَي مُرْتفعُ الثَّمَن. وفي الاصطلاح، هو: العِوَضُ الذي يُؤخَذُ على التَّراضِي في مُقابَلةِ البيع؛ عَيْنَاً كان أو سلعة(١٠). أو هو قيمة الشيء وسعره الذي تم التراضي عليه(١١)(١٢). أو هو ما يكون بدلاً عن البيع ويتعلق بالذمة(١٣).

من خلال ما سبق، أستطيع القول: إن حبسَ المبيع لاستيفاء الثمن بمعناه اللَّقَبِي(١٤) يعني: إمْسَاكُ المَبِيعِ والامْتِنَاعُ عَنْ تَسْلِيمِهِ(١٥) للمُشْتَرِي طَلَبَاً للوَفَاءِ بِالثَمَنِ.

المبحث الثاني
حكم حبس المبيع لاستيفاء الثمن

من المعلوم بداهة أن تسليم المبيع إلى المشتري هو من التزامات البائع الناشئة من عقد البيع، كما أن تسليم الثمن إلى البائع هو من التزامات المشتري الناشئة من عقد البيع أيضاً، لأن تسليم البدلين (الثمن والمبيع) واجب على العاقدين، لتحقق الملك لكل منهما في البدلين(١٦). قال الكاساني: " وأما الأحكام التي هي من التوابع للحكم الأصلي للبيع، فمنها وجوب تسليم المبيع والثمن. . . ، فتسليم البدلين واجب على العاقدين؛ لأن العقد أوجب الملك في البدلين، ومعلوم أن الملك ما ثبت لعينه، وإنما ثبت وسيلة إلى الانتفاع بالمملوك، ولا يتهيأ الانتفاع به إلا بالتسليم، فكان إيجاب الملك في البدلين شرعاً إيجاباً لتسليمهما ضرورة، ولأن معنى البيع لا يحصل إلا بالتسليم والقبض؛ لأنه عقد مبادلة، وهو مبادلة شيء مرغوب فيه بشيء مرغوب، وحقيقة المبادلة في التسليم والقبض؛ لأنها أخذ بدل وإعطاء بدل، وإنما قول البيع والشراء، وهو الإيجاب والقبول جعل دليلاً عليهما "(١٧).

وقد يحدث أن يتفق البائع والمشتري على تأجيل تسليم أحد البدلين (المبيع أو الثمن)، أو تأجيل تسليمهما، تحقيقاً لمصلحة، وحينئذ لا يوجد في الفقه الإسلامي(١٨) ما يمنع، إذا تم ذلك بالتراضي بينهما، وهذا ما أخذ به القانون المدني الأردني، حيث أوجب على المشتري تسليم الثمن للبائع، وأوجب على البائع تسليم المبيع للمشتري، ما لم ينص القانون، أو يتم الاتفاق على غير ذلك، جاء في المادة ٤٨٥، الفقرة "أ" ما نصه: " ١- تنتقل ملكية المبيع بمجرد تَمَام البيع إلى المشتري ما لم يقض القانون أو الاتفاق بغير ذلك. ٢- ويجب على كل من المتبايعين أن يبادر إلى تنفيذ التزاماته إلا ما كان منها مؤجلاً "(١٩).

فإذا تَسَلَّمَ كلٌّ من طرفي العقد (البائع والمشتري) ما ثبت له بعقد البيع، أو أَجَّله، وانتهى

الأمر دون اختلاف بينهما، فلا إشكال عندئذ.

ولكن قد يحصل أن يُطالِبَ المشتري بالمبيع، ويصر على استلامه، دون أن يكون قد سَلَّم الثمن كله للبائع، أو كان قد سَلَّم بعضه، وبقي شيء منه، فهل يجوز للبائع -حينئذٍ- حبس المبيع، والامتناع عن تسليمه للمشتري إلى حين قبض الثمن كله؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: للبائع الحق في أن يحبس المبيع(٢٠)، ويمتنع عن تسليمه للمشتري، حتى يدفع الأخير كلَّ الثمن(٢١)، وهو قول الحنفية(٢٢)، والمالكية(٢٣)، والشافعية(٢٤) في قول(٢٥)، وابن قدامة من الحنابلة(٢٦)، والزيدية(٢٧). جاء في بدائع الصنائع -عند الحديث عن الأحكام التي هي من التوابع للحكم الأصلي للبيع- قوله: "ومنها ثبوت حق الحبس للمبيع لاستيفاء الثمن"(٢٨)، وقال ابن عابدين: "للبائع حبس المبيع إلى قبض الثمن، ولو بقي منه درهم(٢٩)، ولو كان المبيع شيئين بصفقة واحدة، وسمَّى لكلٍّ ثمناً، فله حبسهما إلى استيفاء الكل"(٣٠). وجاء في القوانين الفقهية قوله: "قال مالك: للبائع أن يتمسك بالمبيع حتى يقبض الثمن"(٣١)، وقال الشربيني: "للمشتري قبض المبيع استقلالاً، إن كان الثمن مؤجلاً، لانتفاء حق الحبس، وكذا لو حل قبل التسليم، . . . أو إن كان حالاً، وسلمه لمستحقه، أي وإن كان حالاً، ولم يسلمه كله أو بعضه، فلا يستقل به، بل لا بد من إذن البائع فيه، لأن حق الحبس ثابت له، فإن استقل به لزمه رده، ولا ينفذ تصرفه فيه"(٣٢).

وقد انبنى هذا القول(٣٣) على أصل يقضي بوجوب مراعاة الترتيب إذا كان البيع عَيْنَاً(٣٤) بدين(٣٥)، وفي هذه الحالة يجب على المشتري(٣٦) تسليم الثمن أولاً(٣٧) إذا طالبه البائع(٣٨)، ثم يجب على البائع تسليم المبيع إذا طالبه المشتري(٣٩)، فإن قال أحدهما: لا أسلم ما بيدي حتى أقبض ما عاوضت عليه؛ أُجْبِرَ المشتري على تسليم الثمن، ثم أُخِذَ المبيع من البائع(٤٠). وقد اسْتُدِلَّ للقول بوجوب دفع الثمن أولاً في هذا النوع من البيع بما يلي(٤١):

١-قوله -عليه الصلاة والسلام-: " . . . والدَّيْنُ مَقْضِيٌّ وَالزَّعِيمُ(٤٢) غَارِم(٤٣)"(٤٤).
وجه الدلالة من الحديث الشريف، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف الدين بكونه مقضياً، عاماً أو مطلقاً، فلو تأخر تسليم الثمن عن تسليم المبيع، لم يكن هذا الدين مقضياً، وهذا خلاف النص(٤٥).

٢-قوله -عليه الصلاة والسلام-: " ثَلاثٌ لا يُؤَخَّرْنَ: الجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَت وَالأَيِّمُ(٤٦) إِذَا وَجَدَتْ لَهَا كُفْئاً(٤٧) وَالدَّيْنُ إِذَا وَجَدْتَ مَا يَقْضِيهِ"(٤٨). ووجه الدلالة من هذا

الحديث، أن تقديم تسليم المبيع تأخير الدَّيْن، وهو منفي بظاهر النص(٤٩).

٣-ولأن المعاوضات(٥٠) مبناها على المساواة عادة وحقيقة، ولا تتحقق المساواة إلا بتقديم تسليم الثمن؛ لأن المبيع متعين قبل التسليم، والثمن لا يتعين إلا بالتسليم، فلا بد من تسليمه أولاً تحقيقاً للمساواة(٥١).

القول الثاني: ليس من حق البائع حبس المبيع لاستيفاء الثمن، وهو قول الشافعية الثاني(٥٢)، والحنابلة(٥٣)، جاء في المغني قوله: " وَيَصِحُّ الْقَبْضُ قَبْلَ نَقْدِ الثَّمَنِ وَبَعْدَهُ باخْتِيَارِ الْبَائِع، وَبغَيْرِ اخْتِيَارِه؛ لأَنَّهُ لَيْسَ لِلْبَائِع حَبْسُ الْمَبِيعِ عَلَى قَبْضِ الثَّمَنِ، وَلأَنَّ التَّسْلِيمَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ العَقْدِ، فَمَتَى وُجِدَ بَعْدَهُ وَقَعَ مَوْقِعَهُ كَقَبْضِ الثَّمَنِ " (٥٤).

وقد بُني هذا القول على أصل يقضي بأن البائع هو المُلزَمُ -حال اختلافه مع المشتري في أيهما يسلم ما عليه أولاً- بتسليم المبيع أولاً(٥٥)، وبالتالي ليس له حق الحبس، ودليل هذا القول، أن حق المشتري في العين، وحق البائع في الذمة، فيقدم ما يتعلق بالعين (المبيع)، لأن تقديم تسليم المبيع فيه صيانة للعقد عن الانفساخ بهلاك المبيع، وليس ذلك في تقديم تسليم الثمن، لأنه لو هلك المبيع قبل القبض ينفسخ العقد، وإن قبض الثمن، فكان تقديم تسليم المبيع أولى صيانة للعقد عن الانفساخ ما أمكن، ولأن البائع يتصرف في الثمن في الذمَّة بالحوالة(٥٦) والاعتياض، فوجب أن يجبر البائع على التسليم ليتصرف المشتري في المبيع(٥٧).

وقد أرجع الشافعية(٥٨) في رواية أخرى عندهم عدم جواز الحبس إلى أصل آخر(٥٩) يقضي بأن التسليم يكون واجباً على الاثنين معاً(٦٠)، لأن الثمن والمبيع من الألفاظ المترادفة، ويتعين كل منهما بالتعيين، فكان كل ثمن مبيعاً، وكل مبيع ثمناً، وعليه فلا يبقى هناك مجال للحبس، وعلى هذا القول يُسَلِّم كلٌّ منهما ما بيده إلى عَدْل(٦١)، ثم يقوم هذا العَدْل بتسليم الثمن للبائع، والمبيع للمشتري، وله الحق في أن يبدأ بأيهما شاء(٦٢).

والقول الأول هو ما أميل إليه لقوة أدلته، إذا ما استثنيت الحديث الثاني، فإن موضع الشاهد فيه غير ثابت في كتب السنة. أما قول الشافعية القاضي بوجوب تقديم تسليم المبيع صيانة للعقد عن الانفساخ بهلاك المبيع، فيجاب عنه: بأن هلاك المبيع قبل التسليم نادر، والنادر مُلحق بالعدم، فيلزم اعتبار معنى المساواة(٦٣)، وأما القول بأن البائع يستطيع أن يتصرف بالثمن الذي هو في ذمة المشتري بالحوالة والاعتياض، فيجب تسليم المبيع، ليتمكن المشتري من التصرف فيه، فيجاب عنه بأن احتمال الفسخ قبل القبض قائم، وبالتالي فإن هذا المال الذي هو حق للبائع في ذمة المشتري لا يثبت حقاً قوياً إلا بالتسليم. وأما القول بأن التسليم يكون من البائع والمشتري معاً استناداً إلى أن المبيع والثمن من الألفاظ المترادفة، فغير

مُسَلَّم، باعتبار أن الثمن في العرف اللغوي هو اسم لما في الذمة، ولأن أحد البدلين يسمى ثمناً والآخر مبيعاً في عرف اللغة والشرع، واختلاف الأسامي دليل على اختلاف المعاني في الأصل، أما استعمال أحدهما مكان صاحبه، فهو من باب التوسع، لأن كل واحد منهما يقابل صاحبه، فيطلق اسم أحدهما على الآخر لوجود معنى المقابلة(٦٤)، كما يُسمَّى جزاءُ السيئة سيئة(٦٥)، وجزاءُ الاعتداءِ اعتداء(٦٦)(٦٧).

وبناء على ما سبق، فإذا لم يكن المشتري قد سلَّم الثمن كله للبائع، فمن حق البائع أن يحبس المبيع، ويمتنع عن تسليمه، حتى يقبض الثمن، والله أعلم.

موقف القانون:

أجاز القانون المدني الأردني للبائع حبس المبيع حتى يستوفي الثمن كاملاً، فقد جاء في المادة (٥٢٣) من القانون نفسه: " للبائع أن يحتبس المبيع حتى يستوفي ما هو مستحق له من الثمن. . . "(٦٨).

المبحث الثالث
شروط ثبوت حق البائع في حبس المبيع لاستيفاء الثمن

يشترط لثبوت حق البائع في حبس المبيع لاستيفاء الثمن شرطان:

١-أن يكون أحد البدلين عيناً والآخر ديناً، فإن كانا عَيْنَيْن، أو دَيْنَيْن، فلا يثبت حق الحبس، ويكون البائع والمشتري حيئنذٍ ملزمين بتسليم البدلين معاً(٦٩).

٢-أن يكون الثمن حالّاً(٧٠)، فإن كان الثمن مؤجّلاً، لا يثبت حق الحبس، لأن ولاية الحبس تثبت حقاً للبائع لطلبه المساواة عادة، ولما باع بثمن مؤجل، فقط أسقط حق نفسه، فبطلت الولاية(٧١).

ولو كان بعض الثمن حالَّاً، وبعضه الآخر مؤجلاً، فللبائع الحق في أن يحبس المبيع ويمتنع عن تسليمه حتى يقبض الحالَّ منه(٧٢).

ولو كان الثمن مؤجلاً في العقد، فلم يقبض المشتري المبيع حتى حلَّ الأجل، فيرى الحنفية(٧٣)، والشافعية(٧٤) أن من حقه أن يقبضه قبل نقد الثمن، وليس للبائع حق الحبس عندئذٍ، لأنه أسقط حق نفسه بالتأجيل، والساقط متلاشٍ، فلا يحتمل العوْد.

ولو طرأ الأجل على العقد، بأن أَخَّرَ الثمن بعد العقد، فلم يقبض البائع حتى حلَّ الأجل، له أن يقبضه عند الحنفية(٧٥) قبل نقد الثمن، ولا يملك البائع حبسه أيضاً، لأنه أسقط حقه بالتأجيل.

وقد أسقط القانون المدني الأردني حق البائع في حبس المبيع إذا كان الثمن مؤجلاً، حيث جاء في المادة (٤٨٥) الفقرة "أ": "يجب على كل من المتبايعين أن يبادر إلى تنفيذ التزاماته، إلا ما كان منها مؤجلاً" (٧٦). وجاء في المادة (٥٢٣) نقطة (٢) من القانون نفسه: "فإذا قبل البائع تأجيل الثمن، سقط حقه في احتباس المبيع، والتزم بتسليمه للمشتري" (٧٧).

المبحث الرابع
حالات سقوط حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن وعدمه

أولاً: حالات سقوط حق الحبس:

يسقط حق البائع في حبس المبيع لاستيفاء الثمن في الحالات الآتية(٧٨):

١- إذا نقد المشتري للبائع ثمن المبيع كله، وذلك لانتفاء الحاجة إلى الحبس، فإن بقي منه شيء، فلا يبطل حق الحبس؛ لأن المبيع في استحقاق الحبس بالثمن لا يتجزأ، فكان كل المبيع محبوساً بكل جزء من أجزاء الثمن(٧٩).

ولو كان البيع لاثنين، فَنَقَدَ أحدهما حصته، فللبائع حق الحبس عند الحنفية في ظاهر الرواية(٨٠)، ووجه هذا القول، أن المبيع في حق الاستحقاق لحبس الثمن لا يحتمل التجزؤ، فكان استحقاق بعضه استحقاق كله، ثم إن الصفقة الواحدة لا تحتمل التفريق في البعض، كما لا تحتمله في القبول(٨١).

ويرى أبو يوسف في رواية عنه(٨٢)، أن للمشتري الحق في أن يأخذ من المبيع ما يساوي الثمن الذي دفعه، ووجه قوله، أن الواجب على كل واحد منهما نصف الثمن، فإذا أدى النصف، يكون قد أدى ما وجب عليه، فلا معنى لتوقف حقه في قبض المبيع على أداء صاحبه، ولأنه لو توقف وصاحبه مختار في الأداء قد يؤدي، وقد لا يؤدي، فيفوت حقه أصلاً ورأساً، وهذا لا يجوز، ولهذا جعل التخلية والتخلي(٨٣) تسليماً وقبضاً في الشرع.

٢- حوالة البائع على المشتري بالثمن، وقبول المشتري بذلك، فإذا أحال البائع على المشتري شخصاً بالثمن الذي هو عليه، وقبل المشتري ذلك، لم يبق للبائع حق في الحبس حينئذ.

٣- حوالة المشتري البائع على رجل آخر، وقبول البائع، فإذا أحال المشتري البائع بالثمن

الذي له عليه على شخص آخر، وقبل البائع، يسقط حق البائع في الحبس في قول أبي يوسف، ومحمد في رواية(٨٤).

٤- إذا أجل البائع الثمن كله. فإن فعل ذلك، فليس له أن يحبس قبل حلول الأجل، ولا بعد حلوله، أما قبل حلول الأجل ليس له أن يطالب بالثمن، وإنما يحبس المبيع بما له أن يطالبه من الثمن، وأما بعد حلول الأجل؛ فلأن حق الحبس لم يثبت له بأصل العقد، فلا يثبت بعد ذلك تبعاً بهذا الحق ما كان له من استحقاق اليد قبل البيع، فإذا لم يبق ذلك بعد العقد، لا يثبت ابتداءً بحلول الأجل(٨٥).

٥- تسليم البائع المبيع للمشتري قبل قبض الثمن، فإذا فعل ذلك، سقط حقه في الحبس، بخلاف ما إذا قبضه المشتري بغير إذن البائع.

٦- أن يودع البائع المبيع عند المشتري، أو يعيره إياه، لأن الإعارة والإيداع أمانة في يد المشتري، وهو لا يصلح نائباً عن البائع في اليد، لأنه أصل في الملك، فكان أصلاً في اليد، فإذا وقعت العارية أو الوديعة في يده، وقعت بجهة الأصالة، وهي يد الملك، ويد الملك يد لازمة، فلا يملك إبطالها بالاسترداد، وهذا بخلاف الرهن، فإن المرتهن في اليد الثابتة بعقد الرهن بمنزلة الملك، فيمكن تحقيق معنى الإنابة، ويد النيابة لا تكون لازمة، فملك الاسترداد(٨٦).

٧- إذا قبض المشتري المبيع بغير إذن البائع، ورآه البائع وسكت؛ لأن السكوت هنا دلالة على الإذن، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني، حيث جاء في المادة (٥٢٤) النقطة (١): " إذا قبض المشتري المبيع قبل أداء الثمن على مرأى من البائع، ولم يمنعه، كان ذلك إذناً بالتسليم " (٨٧).

٨- إذا قبض المشتري المبيع بلا إذن، ثم أجازه البائع.

٩- أن يشتري شخص الدار التي يسكنها البائع.

١٠- إذا أبرأ(٨٨) البائع المشتري من الثمن كله، لأن حق الحبس لاستيفاء الثمن، وبالإبراء أصبح الثمن غير موجود، فيبطل حق الحبس.

ثانياً: حالات عدم سقوط حق الحبس(٨٩):

هناك ثلاث حالات لا يسقط فيها حق البائع في حبس المبيع(٩٠)، وهي:

١- الرهن(٩١).

٢-الكفالة(٩٢).

٣-إبراء المشتري من بعض الثمن حتى يستوفي الباقي.

فإذا طلب المشتري المبيع وأعطى البائع رهناً، أو كفيلاً بالثمن، أو أبرأه من بعض الثمن، فلا يُسقطُ ذلك حق البائع في الحبس؛ لأن الرهن والكفالة هما توثيق للدَّين، وحق البائع في الاستيفاء بالفعل، والتوثيق لا يقوم مقام الاستيفاء(٩٣)، ثم إن الإبراء عن بعض الثمن لا يسقط الحبس، لأن الحبس مما لا يتجزأ(٩٤). قال الكاساني: " والرهن بالثمن والكفالة به لا يبطلان حق الحبس، لأنهما لا يسقطان الثمن عن ذمة المشتري، ولا حق المطالبة به، فكانت الحاجة إلى تعيينه بالقبض، فيبقى حق الحبس لاستيفائه "(٩٥). وقال ابن عابدين: " ولا يسقط حق الحبس بالرهن، ولا بالكفيل، ولا بإبرائه عن بعض الثمن، حتى يسقط الباقي "(٩٦). وجاء في شرح مجلة الأحكام العدلية: " إعطاء المشتري رهناً أو كفيلاً بالثمن لا يسقط حق الحبس، وكذلك إبراء البائع للمشتري من بعض الثمن المسمى لا يسقط حق البائع في حبس المبيع كله، فلذلك يحق للبائع أن يمسك المبيع حتى يقبض الثمن المعجل؛ لأن الرهن والكفالة هما توثيق للدين، وحق البائع في الاستيفاء بالفعل، والتوثيق لا يقوم مقام الاستيفاء "(٩٧).

موقف القانون:

جاء في المادة (٥٢٣) نقطة (١) من القانون المدني الأردني: " للبائع أن يحتبس المبيع حتى يستوفي ما هو مستحق له من الثمن، ولو قدم المشتري رهناً أو كفالة "(٩٨).

المبحث الخامس
انتقال حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن إلى الورثة

يكون ورثة المتبايعين بمنزلتهما بعد موتهما في تسليم المبيع واستلام الثمن(٩٩)، وعلى هذا، فمذهب الحنفية(١٠٠)، ومقتضى قول المالكية(١٠١)، والشافعية(١٠٢)، والزيدية(١٠٣)، وابن قدامة من الحنابلة(١٠٤)، أن حبس المبيع لاستيفاء الثمن يعد من الحقوق التي تنتقل إلى الورثة إذا مات البائع، ويكون من حقهم -أي الورثة- الاستمرار في الحبس إلى حين قبض كل الثمن. جاء في رد المحتار قوله: " أما الحقوق، فمنها ما يورث؛ كحق حبس المبيع، وحبس الرهن(١٠٥). وقال الشيرازي: " فإن جن من له الخيار، أو أغمي عليه، انتقل الخيار إلى الناظر في ماله، وإن مات، فإن كان في خيار الشرط انتقل إلى من ينتقل إليه المال، لأنه حق ثابت لإصلاح المال، فلم يسقط بالموت، كالرهن، وحبس المبيع على الثمن "(١٠٦).

موقف القانون:

ينتقل حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن بعد موت البائع إلى الورثة في رأي القانون المدني الأردني، بناء على أن ورثة أي من المتبايعين يكونون بمنزلته في تسليم المبيع واستلام الثمن، وهو ما يفهم من المادة (٥٣٠) من القانون نفسه(١٠٧).

وأما على رواية الشافعية الثانية(١٠٨)، ومذهب الحنابلة(١٠٩)، في عدم جواز حبس المبيع لاستيفاء الثمن، وأن البائع يجبر على التسليم، فإن مات دون أن يكون قد سلم المبيع إلى المشتري، فَيُلزم الورثةُ عندئذٍ بالتسليم.

وحيث سبق أن رجحت القول بجواز حبس المبيع لاستيفاء الثمن، ومعلوم أن ورثة المتبايعين بمنزلتهما بعد موتهما، فإن حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن ينتقل إليهم، ويكون من حقهم الاستمرار في حبسه إلى حين قبض الثمن كله، والله -تعالى- أعلم بالصواب.

المبحث السادس
هلاك المبيع المحبوس لاستيفاء الثمن

إذا هلك المبيع المحتبس عند البائع(١١٠) بفعل المشتري فهو مضمون عليه(١١١)، فيردُّ ثمنه إلى البائع إن كان باقياً، أو بدله إن كان تالفاً(١١٢)، وإن هلك بغير فعل المشتري، فهلاكه على البائع نفسه(١١٣) في قول الحنفية(١١٤)، والمالكية(١١٥)، والشافعية(١١٦)، والحنابلة(١١٧) جاء في بدائع الصنائع قوله: " وأما حبس العين بالدين، فالمحبوس بالدين في الأصل على نوعين: محبوس هو مضمون، ومحبوس هو أمانة(١١٨)، والمضمون على نوعين أيضاً: مضمون بالثمن، ومضمون بالقيمة(١١٩)، فالمضمون بالثمن كالمبيع في يد البائع، حتى لو هلك سقط الثمن؛ لأنه لو بقي لطالبه البائع به، فيطالبه المشتري بتسليم المبيع؛ لأن البيع تمليك بإزاء تمليك، وتسليم بإزاء تسليم، وهو عاجز عن التسليم لهلاك المبيع، فلا يملك مطالبته، فلا يملك البائع مطالبته بالثمن، فيسقط ضرورة عدم الفائدة في البقاء، ولأن المبيع في يد البائع لا يكون أدنى حالاً من المقبوض على سوم الشراء، وذلك مضمون، فهذا أولى، إلا أن ذلك مضمون بالقيمة، وهذا بالثمن لوجود التسمية الصحيحة ههنا، وانعدام التسمية هناك أصلاً" (١٢٠).

وإن هلك بعض المبيع المحتبس لاستيفاء الثمن، وكان هلاكه بفعل المشتري، فلا ينفسخ البيع حينئذ، ولا يسقط عنه شيء من الثمن(١٢١)، وإن حصل الهلاك بآفة سماوية، ففي

قول الحنفية(١٢٢) ينظر : إن كان النقصان نقصان قدر، بأن كان مكيلاً أو موزوناً، أو معدوداً، ينفسخ العقد بقدر الهالك، وتسقط حصته من الثمن؛ لأن كل قدر من المقدرات معقود عليه، فيقابله شيء من الثمن، وهلاك كل المعقود عليه يوجب انفساخ البيع وسقوط الثمن بقدره، ويكون المشتري هنا بالخيار، إن شاء أخذه بحصته من الثمن، وإن شاء ترك، لأن الصفقة قد تفرقت عليه، وإن كان النقصان نقصان وصف(١٢٣)، لا ينفسخ البيع، ولا يسقط عن المشتري شيء من الثمن؛ لأن الأوصاف لا حصة لها من الثمن إلا إذا ورد عليها القبض أو الجناية، ولا يوجد واحد منهما هنا، وعليه فيكون المشتري في هذه الحالة بالخيار، إن شاء أخذ المبيع بجميع الثمن، وإن شاء تركه لتعيبه قبل القبض(١٢٤).

أما في قول الشافعية(١٢٥)، فالمشتري بالخيار بين فسخ البيع وإجازته، فإن أجازه يأخذه بكل الثمن، كما لو كان العيب الحاصل مقارناً.

ولا أرى أن يُلزم المشتري في هذه الحالة بأخذ كل المبيع بجميع الثمن، إن أجاز البيع، لأن هناك عيباً قد حل في المبيع، ليس بسببه هو، وليس بسبب البائع أيضاً، وعليه فإن أجازه، فالذي أميل إليه أن على البائع والمشتري في هذه الحالة أن يتفقا على إسقاط شيء من الثمن يراعى فيه الوضع الذي آل إليه المبيع بعد ما حدث له، والله أعلم.

وإن حصل الهلاك بفعل البائع، يبطل البيع بقدر الناقص في قول الحنفية(١٢٦)، والشافعية(١٢٧) في رواية، وهو ما أميل إليه، ويسقط عن المشتري ما يقابله من الثمن، والمشتري بالخيار، إن شاء أخذ ما بقي من المبيع بحصته من الثمن، وإن شاء ترك، لتفرق الصفقة عليه، ويخير المشتري عند الشافعية(١٢٨) في المذهب، بين فسخ البيع أو إمضائه، فإن أمضاه فإنه يمضيه بكل الثمن، كما لو حصل التلف بآفة سماوية.

وإن كان الهلاك بفعل أجنبي، فعليه ضمانه في قول الحنفية(١٢٩) والشافعية(١٣٠)، ويكون المشتري بالخيار، إن شاء اختار البيع، واتبع الجاني بالضمان، وعليه جميع الثمن، وإن شاء فسخ، وأتبع البائع الجاني بالضمان.

وإن هلكت زوائد(١٣١) المبيع مع بقائه، وكان هلاكها بفعل المشتري، فهلاكها مضمون عليه؛ لأنه حصل بفعله، وإن هلكت عند البائع بغير فعل المشتري(١٣٢)، فمذهب الحنفية(١٣٣) أن هلاكها مضمون كهلاك البيع، إلا أن البيع لا ينفسخ، وإنما يسقط مقدار حصتها من الثمن.

ومذهب الشافعية(١٣٤)، أن البيع لا ينفسخ، ويكون هلاكها على البائع هلاك أمانة، فإن هلكت بتعد وتقصير من البائع، فهي مضمونة عليه، وإلا فلا.

وقد انبنى الخلاف بين الحنفية والشافعية في هذه المسألة على أصل(١٣٥) يقضي أن زوائد المبيع مبيعة عند الحنفية، وليست كذلك عند الشافعية، وإنما تملك عند الشافعية بملك الأصل لا بالبيع السابق، وقد استدل الشافعية لأصلهم أن المبيع هو ما أضيف إليه البيع، ولم توجد الإضافة في الزوائد، لأنها كانت منعدمة عند البيع، ووجه قول الحنفية أن المبيع هو ما يثبت فيه الحكم الأصلي للبيع، والحكم الأصلي للبيع يثبت في الزوائد بالبيع السابق، فكانت مبيعة، ذلك أن الحكم الأصلي للبيع هو الملك، والزوائد مملوكة بلا خلاف، والدليل على أنها مملوكة بالبيع السابق، أن البيع السابق أوجب الملك في الأصل، ومتى ثبت الملك في الأصل، ثبت في التبع، فكان ملك الزيادة بواسطة ملك الأصل مضافاً إلى البيع السابق، فكانت الزيادة مبيعة، ولكن تبعاً لثبوت الحكم الأصلي فيها تبعاً.

وقول الحنفية في هلاك الزوائد هو ما أميل إليه، بناء على قوة أصلهم الذي بنوا عليه، وعليه فإن تلفت زوائد المبيع عند البائع بغير فعل المشتري، فهي مضمونة على البائع، ويسقط مقدار حصتها من الثمن، والله -تعالى- أعلم.

موقف القانون من هلاك المبيع(١٣٦):

جاء في المادة (٤٧٢) من القانون المدني الأردني: " إذا هلك المبيع في يد المشتري بعد تسلمه، لزمه أداء الثمن المسمى للبائع، وإذا هلك قبل التسليم بسبب لا يد للمشتري فيه يكون مضموناً على البائع " .

وجاء في المادة (٥٠٠): " ١- إذا هلك المبيع قبل التسليم بسبب لا يد لأحد المتبايعين فيه، انفسخ المبيع، واسترد المشتري ما أداه من الثمن. ٢- فإذا تلف بعض المبيع، يخير المشتري، إن شاء فسخ البيع، أو أخذ المقدار الباقي بحصته من الثمن " .

وجاء في المادة (٥٠١) : " إذا هلك المبيع قبل التسليم، أو تلف بعضه بفعل المشتري، اعتبر قابضاً للمبيع، ولزمه أداء الثمن " .

وجاء في المادة (٥٠٢): " ١- إذا هلك المبيع قبل التسليم بفعل شخص آخر، كان للمشتري الخيار؛ إن شاء فسخ البيع، وإن شاء أجازه، وله حق الرجوع على المتلف بضمان مثل المبيع أو قيمته. ٢- وإذا وقع الإتلاف على بعض المبيع، كان للمشتري الخيار بين الأمور التالية:

١-فسخ المبيع.

٢-أخذ الباقي بحصته من الثمن وينفسخ البيع فيما تلف.

ج- إمضاء العقد في المبيع كله بالثمن والرجوع على المتلف بضمان ما أتلف " .

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث:

١- حبس المبيع لاستيفاء الثمن معناه: إمساك المبيع والامتناع عن تسليمه للمشتري طلباً للوفاء بالثمن.

٢- اختلف الفقهاء في حكم حبس البائع للمبيع لاستيفاء الثمن، فمنهم من قال بالمنع، ومنهم من أجاز، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني، وهذا ما رجحته.

٣- هناك شرطان لثبوت حق البائع في حبس المبيع، وهما كون المبيع عيناً بدين، وكون الثمن حالاً.

٤- هناك حالات يسقط فيها حق البائع في حبس المبيع، وهناك حالات أخرى لا يسقط هذا الحق، ويبقى مستمراً.

٥- ينتقل حق حبس المبيع لاستيفاء الثمن إلى الورثة بعد موت مورثهم، ويكون لهم الحق في استمرار الحبس إلى حين قبض الثمن، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني.

٦- إذا هلك المبيع المحتبس عند البائع بفعل المشتري، فهو مضمون عليه، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني.

٧- إذا هلك المبيع المحتبس عند المشتري بآفة سماوية انفسخ البيع، وعلى البائع أن يرد على المشتري ما دفعه من الثمن.

٨- إذا هلك المبيع بفعل أجنبي، يكون المشتري بالخيار في قول الحنفية والشافعية، إن شاء فسخ البيع، وإن شاء دفع الثمن، واتبع الجاني، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني.

٩- إذا هلك المبيع بفعل البائع انفسخ البيع عند الحنفية والشافعية في المذهب، وهو ما أخذ به القانون المدني الأردني، ويخير المشتري بين الفسخ وبين دفع الثمن وتغريم البائع قيمة المبيع في قول الشافعية الثاني.

١٠- إذا هلك بعض المبيع المحتبس لاستيفاء الثمن بفعل البائع، فهلاكه مضمون عليه، وإن هلك بآفة سماوية أو بفعل البائع، أو بفعل أجنبي، فالمشتري بالخيار بين فسخ البيع، أو إجازته، وللفقهاء تفصيل حال إجازة البيع في هذه الحالة.

١١- إن هلكت زوائد المبيع المحتبس عند البائع بغير فعل المشتري فهلاكها كهلاك المبيع عند الحنفية، إلا أن البيع لا ينفسخ، ويسقط من الثمن بمقدار حصتها، ولا ينفسخ البيع بهلاك الزوائد عند الشافعية، ويكون هلاكها هلاك أمانة.

١٢- إذا هلكت زوائد المبيع المحتبس عند البائع بفعل المشتري، فهلاكها مضمون عليه.

الهوامش:

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ٢/ ٤٦-٤٧، مادة (حبس). وابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٩-٢١، مادة (حبس).

(٢) ابن القيم، الطرق الحكمية، ص ١١٥.

(٣) قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ١٧٤.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٥١١٨، مادة (حبس). وجاء فيه: " قالَ الخَليلُ: الَّذي حُذفَ مِنْ مَبيع وَاوُ مَفْعُول، لأَنَّهَا زائدَةٌ، وهي أَوْلَى بالحَذْف. وقال الأَخْفَشُ: المَحْذُوفَةُ عَيْنُ الفَعْل، لأَنَّهُمْ لَمَّا سَكَّنوا اليَاءَ أَلْقَوْا حَرَكَتَها على الحَرْفِ الَّذي قَبْلَها فانْضَمَّت، ثُمَّ أَبْدَلُوا من الضَّمَّة كَسْرَةَ اليَاء الَّتي بَعْدَها ثُمَّ حُذفَت الياءُ وانْقَلَبَتِ الوَاوُ ياءً، كما انْقَلَبَتْ وَاوُ ميزَانٍ للْكَسْرَة. قال المازِنيُّ: كِلاَ القَوْلَيْنِ حَسَنٌ وقَوْلُ الأَخْفَش أَقْيَسُ".

(٥) مجلة الأحكام العدلية، مادة (١٥٠-١٥١)، انظر: علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ١/ ١٢٢-١٢٣. وقلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٠١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٣٦٠، مادة (وفي). والنسفي، طلبة الطلبة، ١/ ١١٦. وإبراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٤٧، مادة، (وفى).

(٧) قلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٦٧.

(٨) وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، ٤/ ١٤٦.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٣٤، مادة (ثمن).

(١٠) أبو جيب، القاموس الفقهي، ص ٥٢.

(١١) يرى العلماء أن الثمن أعم من القيمة التي هي السعر الحقيقي الذي يقومه بها المقومون. قلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ١٥٤.

(١٢) قلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ١٥٤.

(١٣) المصدر السابق نفسه.

(١٤) بحثت في مصادر الفقه، فلم أقف على تعريف اصطلاحي لهذا المصطلح.

(١٥) المراد بالتسليم: التخلية، أي أن يخلي البائع بين المشتري والمبيع بحيث يستطيع المشتري أخذه والتصرف فيه. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤.

(١٦) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤٠. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٣. والزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ٤/ ٤١٣.

(١٧) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٣.

(١٨) هذا إذا كان البيع عيناً بدين، أما إذا تبايعا عيناً بعين، فيجب -عندئذ- تسليم البدلين معاً، إذا طالب كل واحد منهما صاحبه بالتسليم، لأن المساواة في عقد المعاوضة مطلوبة المتعاقدين عادة، وتحقيق التساوي ههنا في التسليم، لأنه ليس أحدهما بالتقديم أولى من الآخر، وكذلك إذا تبايعا ديناً بدين. انظر ما سبق في: السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤٠. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤.

(١٩) القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٢٠) تحبس على هذا القول -أيضاً- الفوائد الحادثة بعد البيع وقبل التسليم كالولد ونحوه. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٦. والعنسي، التاج المذهب، ٤/ ٧٨.

(٢١) أجاز جمهور الحنفية أيضاً للوكيل بالشراء -وإن لم يكن قد دفع الثمن للبائع من مال نفسه على الراجح عندهم- أن يحبس المبيع حتى يقبض الثمن من الموكل، وخالف زفر في ذلك، وذهب إلى عدم الجواز، مستدلاً بأن الموكل صار قابضاً بقبض الوكيل، بدليل أن هلاكه في يد الوكيل كهلاكه في يد الموكل، فكأن الوكيل سلم المبيع إلى الموكل، وبالتالي فيسقط حق الحبس، لأن يد الوكيل يد الموكل حكماً، فلو وقع في يد الموكل حقيقة لم يكن للوكيل حق الحبس، فكذا إذا وقع في يده حكماً. وأجيب عنه: بأننا وإن سلمنا أن الموكل صار قابضاً بقبض الوكيل، لكن هذا القبض مما لا يمكن التحرز عنه، لأن الوكيل لا يتوسل إلى الحبس ما لم يقبض، ولا يمكنه أن يقبض على وجه لا يصير الموكل قابضاً، وما لا يمكن التحرز عنه فهو عفو، فلا يسقط به حق الوكيل في الحبس، لأن سقوط حقه باعتبار رضاه بتسليمه، ولا يتحقق منه الرضا فيما لا طريق له إلى التحرز عنه، وإذا كان كذلك، فلا يكون راضياً بسقوط حقه في الحبس، ولا نسلم أيضاً أن الموكل صار قابضاً بقبض الوكيل، بل إن قبض الوكيل في الابتداء موقوف -أي متردد بين أن يكون لتتميم مقصود الموكل، وأن يكون لإحياء حق نفسه- وإنما يتبين أحدهما عن الآخر بحبسه، فإن لم يحبسه الوكيل عن الموكل عرفنا أنه كان عاملاً له، فيقع له، وإن حبسه عنه عرفنا أنه كان عاملاً لنفسه، وأن الموكل لم يصر قابضاً بقبضه. الزيلعي، تبيين الحقائق، ٤/ ٢٦١. والموصلي، الاختيار، ٢/ ١٦٠. وقاضي خان، شرح الزيادات، ٣/ ٨٥٢. وقاضي زاده، تكملة فتح القدير، ٨/ ٣٩-٤٠. وقد وافق القانون المدني الأردني هذا الرأي، في حال أن يكون الوكيل قد دفع الثمن من ماله، حيث جاء في المادة: المادة (٨٥١): ١- إذا دفع الوكيل بالشراء ثمن المبيع من ماله، فله الرجوع به على موكله مع ما أنفقه في سبيل تنفيذ الوكالة بالقدر المعتاد. ٢. وله أن يحبس ما اشتراه إلى أن يقبض الثمن. القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٢٢) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤١. والسرخسي، المبسوط، ١٣/ ١٩٢. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩. والشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥. وشلبي، حاشية شلبي على تبيين الحقائق، ٤/ ١٤. والعبادي، الجوهرة النيرة، ١/ ١٩٠. وعلي حيدر، درر الحكام، ١/ ٥٤.

(٢٣) ابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٦٤. والحطاب، مواهب الجليل، ١٣/ ٤٤٤. والصاوي، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٨/ ١١٤. والخرشي، حاشية الخرشي على مختصر خليل، ٣/ ٢٥٨.

(٢٤) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٣، ٧٥. والشيرازي، المهذب، ٣/ ١٥٦. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٥. والكوهجي، زاد المحتاج، ٢/ ٧٧.

(٢٥) خلاف الشافعية في هذا القول، والقول الآخر هو في حال ما لم يخفْ البائع فوت الثمن، أما إذا خاف ذلك فهم متفقون على أن له حبس المبيع حينئذ، قال الشربيني: " وللبائع حبس مبيعه حتى يقبض

ثمنه كله الحال أصالة، إن خاف فوته بلا خلاف، . . . ، وإنما الأقوال السابقة إذا لم يخف أي البائع فوته أي الثمن . . . ، وتنازعا في مجرد الابتداء بالتسليم، لأن الإجبار عند خوف الفوات بالهرب أو تمليك المال أو نحو ذلك فيه ضرر ظاهر". الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٥. وانظر: الرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٥. والكوهجي، زاد المحتاج، ٢/ ٧٨-٧٩.

(٢٦) ابن قدامة، المغني، ٥/ ٢٩٢.

(٢٧) العنسي، التاج المذهب، ٣/ ٤٢٧، و ٤/ ٢١٢. وإذا كان المبيع من اثنين حُبس المبيع حتى يُستوفى منهما، إلا إذا كان مما قسمته إفراز فَيُسَلَّم حصته من قد سلم.

(٢٨) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٢٩) الدرهم: هو وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية، وهو يساوي ٩٧ . ٢ غراماً. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ٢/ ٧٩١.

(٣٠) ابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦١.

(٣١) ابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٦٤.

(٣٢) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٣.

(٣٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤. وابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٦٤.

(٣٤) المقصود بالعين: ما لا يصح أن يثبت ديناً في الذمة. ابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٣٥.

(٣٥) المقصود بالدين: ما يصح أن يثبت في الذمة سواء أكان نقداً أو غيره. ابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٣٥.

(٣٦) إذا اشترط المشتري تسليم المبيع قبل نقد الثمن فسد البيع عند الحنفية، لأنه لا يقتضيه العقد، وقال محمد: لجهالة الأجل، فلو سمَّى وقت تسليم المبيع جاز. انظر: ابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦٠.

(٣٧) وهذا ما أخذ به القانون المدني الأردني، كما أجاز أن يسلم المبيع أولاً إذا كان ذلك بالاتفاق، حيث جاء في المادة (٥٢٢): " على المشتري تسليم الثمن عند التعاقد أولاً وقبل تسلم المبيع أو المطالبة به ما لم يتفق على غير ذلك". عن شبكة الإنترنت، موقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٣٨) هذا إذا كان المبيع حاضراً، لأن البيع عقد معاوضة، والمساواة في المعاوضات مطلوبة المتعاوضين عادة، وحق المشتري في المبيع قد تعين بالتعيين في العقد، وحق البائع في الثمن لم يتعين بالعقد، لأن الثمن في الذمة، فلا يتعين بالتعيين إلا بالقبض، فيسلم الثمن أولاً ليتعين، فتتحقق المساواة، وإن كان المبيع غائباً عن حضرتهما، فللمشتري أن يمتنع عن التسليم حتى يحضر المبيع؛ لأن تقديم تسليم الثمن لتتحقق المساواة، وإذا كان المبيع غائباً لا تتحقق المساواة بالتقديم، بل يتقدم حق البائع، ويتأخر حق المشتري، حيث يكون الثمن بالقبض عيناً مشاراً إليه، والمبيع لا، ولأنه من الجائز أن المبيع قد هلك، وسقط الثمن عن المشتري، فلا يؤمر بالتسليم إلا بعد إحضار المبيع، سواء كان المبيع في ذلك المصر، أو في موضع آخر؛ بحيث تلحقه المؤنة بالإحضار، والفرق بين هذا وبين الرهن، أن الراهن إذا امتنع من قضاء الدين لإحضار الرهن، ينظر في ذلك، إن كان الرهن في ذلك المصر بحيث لا يلحق المرتهن مؤنة في الإحضار، يؤمر بإحضاره أولاً، كما في المبيع، لجواز أن الرهن قد هلك، وسقط الدين عن الراهن بقدره، وإن كان في موضع يلحقه المؤنة في الإحضار، لا يؤمر المرتهن بالإحضار أولاً،

بل يؤمر الراهن بقضاء الدين أولاً إن كان مقراً أن الرهن قائم ليس بهالك، وإن ادعى أنه هالك وقال المرتهن هو قائم، فالقول قول المرتهن مع يمينه، فإذا حلف يؤمر بقضاء الدين، ووجه الفرق بينهما أن البيع عقد معاوضة، ومبنى المعاوضة على المساواة، ولا تتحقق المساواة إلا بالإحضار، بخلاف الرهن، فإنه عقد ليس بمعاوضة، بل هو عقد أمانة، بمنزلة عقد الوديعة، كأن المرهون أمانة في يد المرتهن، إلا أنه إذا هلك يسقط الدين عن الراهن، لا لكونه مضموناً، بل لمعنى آخر على ما عرف، وإذا لم يكن معاوضة لم يكن الدين عوضاً عن الرهن، فلا يلزم تحقيق المساواة بينهما بإحضار الرهن إذا كان بحيث تلحقه المؤنة بالإحضار. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٧– ٢٣٨. وانظر: العنسي، التاج المذهب، ٣/ ٤٢٧.

(٣٩) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤.

(٤٠) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤. وابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٦٤.

(٤١) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩. والعبادي، الجوهرة النيرة، ١/ ١٩٠. والشربيني، ٢/ ٧٤. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٣. وابن قدامة، المغني، ٥/ ٢٩٢.

(٤٢) الزَّعِيم: الكَفِيل، من زَعَمَ: أي كَفِلَ. ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٤٧، مادة (زعم).

(٤٣) الغَارِم: الضَّامِنُ. ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٥٩، مادة (غرم).

(٤٤) رواه أبو داود في سننه، ٣/ ٢٩٥، كتاب الإجارة، باب في تضمين العَارية، حديث رقم: (٣٠٩٤). والترمذي في الجامع الصحيح، ٣/ ٥٦٥، كتاب البيوع، باب في أن العارية مؤداة، حديث رقم: (١٢٦٥). وابن ماجة في سننه، ٧/ ٢٤٠، كتاب الصدقات، باب العارية، حديث رقم: (٢٣٩٦). وصححه الألباني، انظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، ٨/ ٦٥، برقم: (٣٥٦٥). والألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، ٣/ ٢٦٥، برقم: (١٢٦٥).

(٤٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٤٦) الأيِّمُ: مفرد، والجمع أيَامَى، وأيَايم، والأَيِّمُ من النساء: من لا زوج لها، بكراً كانت أو مطلقة، أو أرملة، والأيِّمُ من الرجال من لا امَرأة له، تزوج من قبل أو لم يتزوج. إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، ١/ ٣٥، مادة (أيم). وقلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ٩٩.

(٤٧) الكُفْءُ والكُفُؤُ بسكون الفاء وضمها: النظير والمِثْل. الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٣٩، مادة (كفأ).

(٤٨) هكذا ذكره الكاساني في بدائع الصنائع، لكن الموجود في كتب السنة لا يحوي الشاهد المراد، وهو "والدين إذا وجدت ما يقضيه". وقد رواه دون الشاهد أحمد في المسند، ٢/ ٢٩٢، حديث رقم: (٢٨٧). والترمذي في سننه، ١/ ٣٢٠–٣٢١، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، حديث رقم: (١٥٦). وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، ١/ ١٤٤، برقم: (١٧١).

(٤٩) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٥٠) المعاوضات: جمع معاوضة، والمعاوضة من اعتاض، ومنه: أخذ العِوَض، أي البدل، وعقد

المعاوضة: عقد يُعطى كل طرف فيه نفس المقدار من المنفعة التي يعطيها الطرف الآخر، وهي تعتمد التراضي. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٩٣، مادة (عوض). وقلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٣٨.

(٥١)السرخسي، المبسوط، ١٣/ ١٩٢. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٥٢) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤.

(٥٣) ابن قدامة، المغني، ٤/ ٢٣٩. وقد ورد عند الحنابلة رواية عن الإمام أحمد أنه قال: إذا حبس المبيع ببقية الثمن فهو غاصب، ولا يكون رهناً إلا أن يكون شرطاً عليه في نفس البيع، قال المقدسي: وهذا يدل على صحة الشرط؛ لأنه يصح بيعه، فصح رهنه، وقال القاضي: " معنى هذه الرواية أنه شرط عليه في البيع رهناً غير المبيع، فيكون له حبس المبيع حتى يقبض الرهن، فإن لم يف به فسخ البيع، وأما شرط رهن المبيع نفسه على ثمنه فلا يصح. انظر: المقدسي، الشرح الكبير، ٤/ ٤٦٤.

(٥٤) ابن قدامة، المغني، ٤/ ٢٣٩.

(٥٥) ثم يجبر المشتري على التسليم في الحال، إن حضر الثمن في المجلس، لأن التسليم واجب عليه، ولا مانع منه، والمراد بحضور الثمن، حضور عينه إن كان معيناً، أو نوعه الذي يقضى منه إن كان في الذمة، وإن لم يحضر الثمن، فإن كان المشتري معسراً بالثمن، فهو مفلس، وللبائع الفسخ بالفَلَس، وإن كان موسراً، وماله بالبلد، أو بمسافة قريبة، وهو دون مسافة القصر، يحجر عليه في المبيع، وفي جميع أمواله، حتى يسلم الثمن، لئلا يتصرف في ذلك بما يبطل حق البائع، وإن كان ماله بمسافة القصر فأكثر، لم يكلف البائع بالصبر إلى إحضاره؛ لتضرره بذلك، ويكون له الفسخ في الأصح عند الشافعية. الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٥. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٣-١٠٥. والكوهجي، زاد المحتاج، ٢/ ٧٨. وابن قدامة، المغني، ٥/ ٢٩٢.

(٥٦) الحوالة عن الحنفية هي: نقل المطالبة من ذمة المديون إلى ذمة الملتزم. وعند غيرهم: هي عقد يقتضي نقل دين من ذمة إلى ذمة. انظر: ابن الهمام، فتح القدير، ٧/ ٢٣٨. والدردير، الشرح الكبير، ٣/ ٣٢٥. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ١٩٣. وابن قدامة، المغني، ٥/ ٥٤.

(٥٧) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٢-١٠٣. والشرواني، حاشية الشرواني، ٤/ ٤٢٠. والمطيعي، تكملة المجموع، ١٢/ ١٦١. وابن قدامة، المغني، ٥/ ٢٩٢.

(٥٨) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤-٧٥. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٣. والشرواني، حاشية الشرواني، ٤/ ٤٢٠. والمطيعي، تكملة المجموع، ١٢/ ١٦١.

(٥٩) وهناك أصل آخر ضعيف، بنى عليه الشافعية قولهم بعدم جواز الحبس، وهو أنه لا يجوز إجبار البائع أو المشتري ابتداء، وعلى هذا يمنعهما الحاكم من التخاصم، فمن سلّم أجبر صاحبه على التسليم، لأن كلاً منهما ثبت له إيفاء واستيفاء، ولا سبيل إلى تكليف الإيفاء قبل الاستيفاء، وقد ذُكر أن الشافعي ذكر هذا عن غيره ثم رده، لأن فيه ترك الناس يتمانعون من الحقوق. الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤.

(٦٠) القول بأن التسليم يكون من الاثنين معاً خاص بالشافعية دون الحنابلة.

(٦١) أي رِضاً ومُقْنَعٌ. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٧٦، مادة (عدل).

(٦٢) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤-٧٥.

(٦٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٦٤) المقابلة عند البلاغيين تعني: أن يأتي المتكلم بمعنيين، أو معانٍ، ثم يأتي بما يقابلهما، أو بما يقابلها على الترتيب. انظر: علم البلاغة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ص ٣٥٣.

(٦٥) كما في قوله -تعالى-: " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ". (سورة الشورى/ ٤٠).

(٦٦) كما في قوله -تعالى-: "... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...". (سورة البقرة/ ١٩٤).

(٦٧) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٣.

(٦٨) القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٦٩) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٧٠) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩. وشلبي، حاشية شلبي على تبيين الحقائق، ٤/ ١٤. والعبادي، الجوهرة النيرة، ١/ ١٩٠. والشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٣. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٣. والكوهجي، زاد المحتاج، ٢/ ٧٩. والعنسي، التاج المذّهب، ٣/ ٤٢٧.

(٧١) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٧٢) الشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥.

(٧٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٧٤) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٣.

(٧٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٩.

(٧٦) القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٧٧) المصدر السابق نفسه.

(٧٨) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤١، ٤٢. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠-٢٥١. والسرخسي، المبسوط، ١٣/ ١٩٢وما بعدها. وابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦١. وعلي حيدر، درر الحكام، ١/ ٢٦٦-٢٦٨. والشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥-١٦. والغزالي، شرح الوجيز، ٨/ ١٩٨. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٣، ٧٦. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ١٠٥-١٠٦.

(٧٩) وكذا لا يبطل حق البائع في حبس المبيع لو باع شيئين في صفقة واحدة، وسمَّى لكل واحد منهما ثمناً، فنقد المشتري حصة أحدهما، وكذلك لو أبرأه من حصة أحدهما، لأن المبيع في استحقاق الحبس بالثمن لا يتجزأ، فكان كل المبيع محبوساً بكل جزء من أجزاء الثمن، ولأن قبض أحدهما دون الآخر تفريق الصفقة الواحدة في القبض، والمشتري لا يملك تفريق الصفقة الواحدة في حق القبول، بأن يقبل الإيجاب في أحدهما دون الآخر، فلا يملك التفريق في حق القبض أيضاً، لأن للقبض شبهاً

بالعقد. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠.

(٨٠) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠.

(٨١) فإن غاب أحدهما لم يجبر الآخر على تسليم كل الثمن؛ لأن الواجب على كل واحد منهما نصف الثمن لا كله، فلا يؤاخذ بتسليم كله، فإن اختار الحاضر ذلك، ونقد كل الثمن، وقبض المبيع، هل يكون متبرعاً فيما نقد أم لا؟ قال أبو حنيفة ومحمد وهو الذي أميل إليه: لا يكون متبرعاً فيما نقد، وله أن يحبسه عن الشريك الغائب حتى يستوفي ما نقد عنه، ووجهه: أنه قضى دين صاحبه بأمره دلالة، فلا يكون متبرعاً، كما لو قضاه بأمره نصاً ودلالة ذلك أنه لما غاب قبل نقد الثمن مع علمه أن صاحبه استحق قبض نصيبه من المبيع بتسليم حصته من الثمن ولا يمكنه الوصول إليه إلا بتسليم كل الثمن كان إذناً له بتسليم حصته من الثمن، فكان قاضياً دينه بأمره دلالة، فلم يكن متطوعاً، وصار هذا كمن أعار ماله إنساناً ليرهنه بدينه فرهن، ثم افتكه الغير من مال نفسه، لا يكون متبرعاً، ويرجع على الراهن، لأن الراهن لما علم أنه علق مال الغير بدينه ولا يزول العلوق إلا بانفكاكه، فكان إذناً له بالفكاك دلالة كذا هذا. وقال أبو يوسف: هو متبرع في حصته، لأنه قضى دين غيره بغير أمره فكان متبرعاً كما في سائر الديون. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠.

(٨٢) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠.

(٨٣) التَّخَلِّي: هُوَ التَّمَكُّنُ مِنْ إِثْبَاتِ الْيَدِ وَذَلِكَ بِارْتِفَاعِ الْمَوَانِع. بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٤.

(٨٤) وفي رواية أخرى لا يسقط. انظر: السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤١. وابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦١. والشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥.

(٨٥) السرخسي، المبسوط، ١٣/ ١٩٢.

(٨٦) وروي عن أبي يوسف أن حق الحبس لا يبطل، ويكون للبائع ولاية الاسترداد، لأن الإعارة والإيداع ليسا بحق لازم، فكان له ولاية الاسترداد، كالمرتهن إذا أعار الرهن من الراهن، أو أودعه إياه، له أن يسترده. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥١.

(٨٧) القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

(٨٨) الإبراء: هو إسقاط الحق الثابت في الذمة. قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ٣٨.

(٨٩) لم أجد لغير فقهاء الحنفية في هذا الموضوع كلاماً.

(٩٠) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤١. والكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠. وشلبي، حاشية شلبي على تبيين الحقائق، ٤/ ١٤. وابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦١. والعبادي، الجوهرة النيرة، ١/ ١٩٠. والشيخ نظام وآخرون، الفتاوى الهندية، ٣/ ١٥.

(٩١) الرهن في اللغة هو الثبوت والاستقرار. وفي الاصطلاح: هو حبس شيء بحق يمكن الاستيفاء منه. الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٨٠٥٥، مادة (رهن). والغنيمي، اللباب، ٢/ ٥٤.

(٩٢) الكفالة في اللغة هي: الضم، وفي الاصطلاح: ضم ذمة إلى ذمة في المطالبة. الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٣٩، مادة (كفل). والبابرتي، العناية، ٧/ ١٦٣.

(٩٣)الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠ . وشلبي، حاشية شلبي على تبيين الحقائق، ٤/ ١٤ . وعلي حيدر، درر الحكام، ١/ ٢٦٦ .
(٩٤) السمرقندي، تحفة الفقهاء، ٢/ ٤١ .
(٩٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٠ .
(٩٦) ابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦١ .
(٩٧) علي حيدر، درر الحكام، ١/ ٢٦٦ .
(٩٨) القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.
(٩٩) هناك حقوق أخرى كخيار الشرط، وخيار التعيين. . . .إلخ، اختلف الفقهاء في انتقالها للورثة، فمنهم من قال بانتقالها، ومنهم من منع. انظر: النووي، المجموع، ١٢/ ١٩٣ . ووزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، ١٨/ ٣٨-٤٠ . والعنسي، التاج المذهب، ٣/ ٤٩٣ .
والقول بأن ورثة المتبايعين يكونون بمنزلتهما في تسليم المبيع واستلام الثمن هو ما أخذ به القانون المدني الأردني، فقد جاء في المادة (٥٣٠) ما نصه:
١ . إذا تسلم المشتري المبيع ثم مات مفلساً قبل أداء الثمن فليس للبائع استرداد المبيع، ويكون الثمن ديناً على التركة، والبائع أسوة سائر الغرماء.
٢ . وإذا مات المشتري مفلساً قبل تسلم المبيع وأداء الثمن كان للبائع حبس المبيع حتى يستوفي الثمن، ويكون أحق من سائر الغرماء باستيفاء الثمن منه .
٣ . وإذا قبض البائع الثمن ومات مفلساً قبل تسليم المبيع، كان المبيع أمانة في يده، والمشتري أحق به من سائر الغرماء. انظر: القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.
(١٠٠) ابن عابدين، رد المحتار، ٧/ ٧٦٢ .
(١٠١) ابن جزي، القوانين الفقهية، ص١٦٤ . والحطاب، مواهب الجليل، ١٣/ ٤٤٤ . والصاوي، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٨/ ١١٤ . والخرشي، حاشية الخرشي على مختصر خليل، ٣/ ٢٥٨ .
(١٠٢) الشيرازي، المهذب، ٣/ ١٧ . والنووي، المجموع، ٩/ ٢٠٥ .
(١٠٣) العنسي، التاج المذهب، ٣/ ٤٢٧، و ٤/ ٢١٢ .
(١٠٤) ابن قدامة، المغني، ٢٩٢ .
(١٠٥) ابن عابدين، رد المحتار، ٧/ ٧٦٢ .
(١٠٦) الشيرازي، المهذب، ٣/ ١٧ .
(١٠٧) انظر: القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/Link-Click.aspx.
(١٠٨) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٧٤ .
(١٠٩) ابن قدامة، المغني، ٤/ ٢٣٩ .

(١١٠) وأما إن هلك المبيع في يد الوكيل بالشراء- سواء دفع الثمن من مال نفسه، أو لم يدفعه على الراجح من مذهب الحنفية- إذا حبس السلعة لاستيفاء الثمن من الموكل، فإن كان قبل الطلب من الموكل، يهلك أمانة عند أبي حنيفة، وأبي يوسف ومحمد، وهو ما أميل إليه، لأن المبيع عند الوكيل في هذه الحالة أمانة، فيكون هلاكه كهلاكها، ويهلك مضموناً عند زفر، لعدم جواز حبسه عنده. أما بعد الطلب، فيهلك مضموناً ضمان المبيع عند أبي حنيفة ومحمد، وضمان الرهن (أي يعتبر الأقل من قيمته ومن الدين) عند أبي يوسف، وضمان الغصب (أي أنه يجب مثله أو قيمته بالغة ما بلغت) عند زفر. وجه قولهما أن هذه عين محبوسة بدين هو ثمن، فكانت مضمونة ضمان البيع، كالمبيع في يد البائع، وكذلك الوكيل بالبيع، إذا باع وسلم وقبض الثمن، ثم استحق المبيع في يد المشتري، فإنه يرجع بالثمن على الوكيل، فيأخذ عينه إن كان قائماً، ومثله أو قيمته إن كان هالكاً، ووجه قول أبي يوسف أن هذه عين محبوسة بدين يسقط بهلاكها، فكانت مضمونة بالأقل من قيمتها ومن الدين كالرهن، ووجه قول زفر أن المبيع أمانة في يد الوكيل هنا، والأمين لا يملك حبس الأمانة عن صاحبها، فإذا حبسها صار غاصباً، والمغصوب مضمون بقدره من المثل أو بالقيمة بالغاً ما بلغ. وقول أبي حنيفة ومحمد هو ما أميل إليه، باعتبار أن الوكيل من الموكل كالبائع من المشتري، فلما حبس المبيع بعد طلب صاحبه له، فهلاكه مضمون عليه، والله أعلم. انظر فيما سبق: الكاساني، بدائع الصنائع، ٦/ ٣٧، و ٧/ ١٧٥. والموصلي، الاختيار، ٢/ ١٦٠.

(١١١) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٨. وابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ١٦٠. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٦-٦٧. وابن قدامة، المغني، ٤/ ٢٣٥.

(١١٢) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٧.

(١١٣) يرى الحنفية والشافعية أن المبيع إن هلك بآفة سماوية انفسخ البيع، وإن هلك بفعل أجنبي فالمشتري بالخيار، إن شاء فسخ البيع، فيضمن الجاني للبائع ذلك، وإن شاء أمضاه، ودفع الثمن، واتبع الجاني. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٨-٢٣٩. وابن عابدين، رد المحتار، ٤/ ٥٦٠. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٧. وإن هلك بفعل البائع، فيرى الحنفية والشافعية في المذهب أن هلاكه يكون على البائع، وينفسخ البيع، وذهب الشافعية في رواية أخرى إلى القول أنه لا ينفسخ البيع، وإنما يتخير المشتري، فإن فسخ سقط الثمن، وإن أجاز غرم البائع القيمة، وأدى له الثمن، وقد يتقاصان. انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٨. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٧.

(١١٤) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٨، و ٧/ ١٧٥.

(١١٥) القيرواني، التهذيب في اختصار المدونة، ٣/ ٨٤. والبغدادي، المعونة، ٢/ ٩٧٣. وإن لم يكن المبيع محبوساً لاستيفاء الثمن، وهلك عند البائع، فيرى المالكية أنه إذا كان في المبيع حق توفية، من كيل أو وزن أو عدد فإن ضمانه على البائع، وإذا لم يكن فيه حق توفية، فإن تلفه يكون على المشتري. البغدادي، المعونة، ٢/ ٩٧٣-٩٧٤.

(١١٦) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٥-٦٧.

(١١٧) الحنابلة -كمذهب- وإن لم يقولوا بجواز حبس المبيع لاستيفاء الثمن، إلا أنهم يقولون أن كل مبيع من ضمان البائع حتى يقبضه المشتري. ابن قدامة، المغني، ٤/ ٢٩٢، ٢٣٥، ٢٣٧.

(١١٨) معنى هذا أنه إذا هلك بتعد من الذي حبسه يكون مضموناً، وإن هلك من غير تعد وتقصير منه، لا يكون مضموناً، كنماء الرهن المحبوس في يد المرتهن، فهو محبوس بالدين، لكنه أمانة في يد المرتهن، فإن هلك دون تعدٍ من المرتهن، فلا يسقط شيء من الدين. الكاساني، بدائع الصنائع، ٧/ ١٧٥.

(١١٩) المحبوس المضمون بالقيمة: كالمبيع بيعاً فاسداً إذا لم يكن من ذوات الأمثال، إذا فسخ البائع البيع، والمبيع في يد المشتري، فحبسه ليرد البائع الثمن عليه، فهلك في يده، يهلك بقيمته، ويتقاصان، ويترادان الفضل. الكاساني، بدائع الصنائع، ٧/ ١٧٥.

(١٢٠) الكاساني، بدائع الصنائع، ٧/ ١٧٥.

(١٢١) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٠. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٨.

(١٢٢) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٩.

(١٢٣) نقصان الوصف: هو كل ما يدخل في البيع من غير تسمية، كالشجر والبناء في الأرض، والجودة في المكيل والموزون. الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٩.

(١٢٤) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٣٩-٢٤٠.

(١٢٥) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٨.

(١٢٦) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤٠.

(١٢٧) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٨.

(١٢٨) المصدر السابق نفسه.

(١٢٩) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٤١.

(١٣٠) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٨.

(١٣١) الزوائد والزيادة: جمع زاد، وتعني: ما ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه، وهي تنقسم إلى قسمين:

زوائد متصلة، كالسمن والجمال، وزوائد منفصلة، كالولد واللبن، والبيض. الرازي، مختار الصحاح، ص ١١٨، مادة (زيد). وقلعجي، وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص ٢٣٥. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٦. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ٧٧.

(١٣٢) لم أجد لغير فقهاء الحنفية والشافعية كلاماً في هذه المسألة.

(١٣٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٦.

(١٣٤) الشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٦.

(١٣٥) الكاساني، بدائع الصنائع، ٥/ ٢٥٦. والشربيني، مغني المحتاج، ٢/ ٦٦. والرملي، نهاية المحتاج، ٤/ ٧٧.

(١٣٦) انظر: القانون المدني الأردني رقم: (٤٣)، عن شبكة الإنترنت، الموقع: www.jc.jo/Link-Click.aspx.

قائمة المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم.

١-إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (د، ط)، تركيا، دار الدعوة، (د، ت).

٢-أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، المسند، قرص المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.

٣-الأزهري، محمد بن أحمد، ت٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الوراق، http://www.alwarraq.com.

٤-الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥-الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٦-البابرتي، محمد بن محمود، ت ٧٨٦هـ، العناية في شرح الهداية، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٧-البغدادي، عبد الوهاب بن علي، ت ٤٢٢هـ، المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، تحقيق حميش عبد الحق، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٨-الترمذي، محمد بن عيسى، ت٢٩٧هـ، الجامع الصحيح، (د، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د، ت).

٩- جامعة القدس المفتوحة، علم البلاغة، ط١، ١٩٩٧.

١٠- ابن جزي، محمد بن أحمد، ت٧٤١هـ، القوانين الفقهية، (د، ط)، بيروت، دار القلم، (د، ت).

١١- أبو جيب، سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

١٢- الحطاب، محمد بن محمد، ت٩٥٤هـ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.

١٣- الخرشي، محمد الخرشي، ت ١١٠١هـ، حاشية الخرشي على مختصر خليل، (د، ط)،

بيروت، دار الفكر، (د، ت).

١٤- أبو داود، سليمان بن الأشعث، ت٢٧٥هـ، سنن أبي داود، (د، ط)، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥- الدردير، أحمد الدردير، ت١٢٠١هـ، الشرح الكبير، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

١٦- الرازي، محمد بن أبي بكر، ت٦٦٦هـ، مختار الصحاح، (د، ط)، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م.

١٧- الرملي، محمد بن أحمد، ت ١٠٠٤هـ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٨- الزبيدي، محمد مرتضى، ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، قرص المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الوراق، http://www.alwarraq.com، وتتمته من ملفات وورد على ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com.

١٩- الزحيلي، وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٠- الزيلعي، عثمان بن علي، ت ٧٤٣هـ، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ط١، مصر، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٥هـ.

٢١- السرخسي، محمد بن أبي سهل، ت ٤٩٠هـ، المبسوط، (د، ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٢- السمرقندي، محمد بن أحمد، ت ٥٣٩هـ، تحفة الفقهاء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٣- شبكة الإنترنت، موقع: www.jc.jo/LinkClick.aspx.

٢٤- الشربيني، محمد الخطيب، ت٩٧٧هـ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٢٥- الشرواني، عبد الحميد الشرواني، حاشية الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٢٦- شلبي، أحمد بن محمد، ت ١٠٢١هـ، حاشية شلبي على تبيين الحقائق، ط١، مصر، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٥هـ.

٢٧- الشيرازي، إبراهيم بن علي، ت ٤٧٦هـ، المهذب، تحقيق محمد الزحيلي، ط١، دمشق وبيروت، دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٨- الصاوي، أحمد بن محمد، ت١٢٤١هـ، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، قرص المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.

٢٩- ابن عابدين، محمد أمين، ت١٢٥٢هـ، رد المحتار على الدر المختار، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٣٠- العبادي، محمد بن علي، ت. . . هـ، الجوهرة النيرة، عن القرص المضغوط: (جامع الفقه الإسلامي)، الناشر: المطبعة الخيرية.

٣١- علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، عن القرص المضغوط: (جامع الفقه الإسلامي)، الناشر: بيروت، دار الجيل.

٣٢- الغنيمي، عبد الغني بن طالب، ت ١٢٩٨هـ، اللباب في شرح الكتاب، (د، ط)، بيروت، المكتبة العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٣- قاضي خان، حسن بن منصور، ت ٥٩٢هـ، شرح الزيادات، للإمام محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: قاسم أشرف نور أحمد، (د، ط)، كراتشي، المجلس العلمي، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٤- قاضي زاده، أحمد بن محمود، ت ٩٨٨هـ، تكملة فتح القدير المسمى: نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار، ط٢، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٣٥- ابن قدامة، محمد بن عبد الله، ت٦٢٠هـ، المغني شرح مختصر الخرقي، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

٣٦- قلعجي وقنيبي، محمد رواس، وحامد قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ط٢، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٧- القيرواني، خلف بن أبي القاسم، ت ٣٧٢هـ، التهذيب في اختصار المدونة، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، المكتبة الشاملة، (د، ط)، ودون دار نشر، ولا تاريخ نشر.

٣٨- ابن القيم، محمد بن أب بكر، ت ٧٥١هـ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تقديم وتعليق: الشيخ بهيج غزاوي، (د، ط)، بيروت، دار إحياء العلوم، (د، ت).

٣٩- الكاساني، علاء الدين بن مسعود، ت٥٨٧هـ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٠- الكوهجي، عبد الله بن حسن، زاد المحتاج بشرح المنهاج، ط١، صيدا، المكتبة العصرية، (د، ت).

٤١- ابن ماجة، محمد بن يزيد، ت ٢٧٥هـ، سنن ابن ماجة، قرص المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.

٤٢- المطيعي، محمد نجيب، تكملة المجموع، (د، ط)، جدة، دار الإرشاد، (د، ت).
٤٣- المقدسي، عبد الرحمن بن محمد، ت ٦٨٢هـ، الشرح الكبير على متن المقنع، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٤٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، ت٧١١هـ، لسان العرب، تحقيق وتعليق علي شيري، ط٢، بيروت، مؤسسة التاريخ الإسلامي، ودار إحياء التراث العربي، ١١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٤٥- الموسوعة العربية الميسرة، (د، ط)، بيروت، دار نهضة لبنان للنشر والتوزيع، (د، ت).
٤٦- الموصلي، عبد الله بن محمود، ت٦٨٣هـ، الاختيار لتعليل المختار، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٤٧- النسفي، عمر بن محمد، ت ٥٣٧هـ، طلبة الطلبة، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع الإسلام، http://www.al-islam.com.
٤٨- نظام الدين، ت ١٠٧٠هـ، الفتاوى الهندية، ط٢، بيروت، دار الفكر، (د، ت).
٤٩- النووي، يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ، المجموع، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
٥٠- ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد، ت ٨٦١هـ، فتح القدير شرح الهداية، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).
٥١- وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، الكويت عن القرص المضغوط: (جامع الفقه الإسلامي).

تَجرِبةُ السِّجنِ
فِي الشِّعرِ الأُمَوِيّ

د. محمد دوابشة*

* أستاذ مساعد، كلية العلوم والآداب – الجامعة العربية الأمريكية ، جنين، فلسطين .

ملخص:

يُناقِشُ هَذَا البَحْثُ العَلاقَةَ بَيْنَ السِّجْنِ وَالسَّجِيْنِ ، وَعَلاقَةَ التَّأَثُّرِ وَالتَّأْثِيرِ بَيْنَهُمَا فِي الشِّعْرِ الأمَوي ، وَيُحَاوِلُ الكَشْفَ عَمّا خلّفهُ السِّجنُ مِن أثَرٍ نَفسِيٍّ وَاجتِمَاعِيٍّ عَلَى مَن ابتُلِيَ بِهِ ، وَيُرَكِّزُ عَلَى إبرَازِ صُورَةِ السِّجنِ وَالسَّجِينِ ، وَيُبَيِّنُ أسبَابَ السِّجنِ ، وَمُعَامَلَةَ السَّجِيْنِ وَالأدَوَاتِ المُستَخدَمَةِ فِي تَعذِيبِهِ ، وَمَوضُوعَاتِ شِعرِهِ ، مُستَنطِقاً النُّصُوصَ الشِّعريَّةَ التِي تَنتَمِي إلَى ذَلِكَ العَصْرِ ، مُعتَمِداً المَنْهَجَ الوَصْفِيّ التَّحلِيْلِيّ فِي تَحلِيلِ الأشْعَارِ وَاستِنطَاقِهَا .

Abstract

The study investigated the relation between prison and prisoner in Umayyad poetry and it's psychological and social impact on those who experienced jail life using descriptive and analytical methodology. The image of prison and prisoner, instruments used for torture, the reasons behind imprisonment and prisoner's poetry were all highlighted.

تمهيد:

تَرتَدّ كَلمةُ السِّجنِ فِي أصلِها اللُّغويّ إلى الجذْر الثُّلاثيّ (سَجَنَ)، وَهوَ يَسْجنُ سِجْناً وسَجْناً، والسِّجنُ - بالكسر - المَحْبَس، والمَصْدَرُ السَّجن- بالفَتْح -، قَالَ تَعَالَى ﴿ربِّ السَّجنُ أحبُّ إليّ ممَّا يَدْعُوْنَنِي إلَيْه﴾ وَفِي قِرَاءَة أُخْرَى ﴿قال ربِّ السِّجنُ أحبُّ إليّ ممَّا يَدْعُوْنَنِي إلَيْه﴾(يوسف: آية ٣٣)، وَالسَّجَّان صَاحبُ السِّجن، وَرَجُلٌ سَجينٌ: بمَعْنَى مَسْجُوُن، وَالجَمعُ سُجَنَاء وَسَجْنَى، وَامرَأَةٌ سَجينٌ وَسَجِيْنَةٌ، أَي مَسجُونَةٌ، وَهوَ الحَبسُ الذي يُحبَسُ أو يُسْجَنُ فِيهِ الشَّخْصُ، وَمعنَاهُ المُطلَقُ الإمسَاكُ وَالمَنعُ، وهوَ اسمُ مَكَانٍ، ونسوةٌ سَجْنَى وَسَجَائِن، وَسَجَنَ الهَمَّ يَسْجنُهُ إذَا لَم يَبُثّه، قَال الشَّاعِر:

وَلا تَسْجِنَنَّ الهَمَّ إنَّ لِسِجْنِهِ　　　عَنَاءً ،وَحَمِّلْهُ المَهارَى النَّوَاجِيَا

وَسَجِيْن: فَعِيْل من السَّجْن، وسجّين وادٍ في جهنم (لسان العرب: مادة سَجَن). وَترجعُ كلمةُ الأَسر فِي أَصلِهَا اللّغوي إلى الجذرِ الثُّلاثِيّ (أَسَرَ)، فالهمزةُ وَالسينُ وَالرَّاءُ، أصلٌ وَاحدٌ وقياسٌ مُطَّرد، وَهوَ الحبسُ وَالإمسَاكُ، وَكَانوا يَشُدون الأسيرَ بِالقِدّ، وَهوَ الإسَار، فَسُمِّيَ كُلُّ أَخِيذٍ، وَإنْ لَم يُؤسَرِ أَسِيراً، قَال الأعْشَى:

وَقَيـدَنِـي الشِّـعرُ فِي بَيـتِـهِ　　　كَمَا قَيَّـدَ الآسِـرَاتُ الحِـمَارَا

(الديوان، د.ت: ٨٦)

والعربُ تَقولُ أَسَرَ قَتَبَه، أيّ شَدَّه، قَال تَعَالَى: " وَشَدَدْنَا أَسْرَهُم " وَيُقَال أَسِيْر، وَيُجْمَعُ عَلى أَسرَى وَأَسَارَى(ابن فارس: مادة أسر)، أما في الاصطلاح ــ السِّجن أو الأسر -، فهو يعني المكان الذي يقضي فيه المخالف للقوانين والأنظمة والشرائع، مدة معينة ولأسباب شتّى، وجاء الأسير في الشعر بمعنى السجين، لذا سأتعامل معهما من هذا المنظور.

لا يستطيع أحد أن يجزم عن مكان أول سِجنٍ على وجه الأرض، فلا يوجد شواهد تاريخية يُعتمد عليها اعتماداً علمياً، باستثناء ما وردٍ في الكتاب المقدس، عما فعله أولاد يعقوب بأخيهم يوسف، ومما ورد فيه " فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُم خَلَعُوا عَن يُوسُفَ قَمِيْصَهُ، القَمِيْصُ المُلَوَّنُ الَّذِي عَلَيْهِ، وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي البِئْر، وَأَمَّا البِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيْهَا مَاءٌ (سفر التكوين: الإصحاح ٣٧)، وجاء القرآن الكريم، مؤيدا لما جاء في الكتاب المقدس، في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي

غَيَابَت الجُبِّ وَأَوحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِم هَذَا وَهُم لا يَشْعُرُوْنَ﴾ (يوسف، آية ١٥)، وقد وردت كلمة السجن في سورة يوسف في القرآن الكريم عدة مرات من خلال السرد التاريخي للأحداث السابقة، وهذا دليل على أنه كان موجوداً عند الأمم التي سبقت الإسلام، ولكن ليس بالمفهوم الحالي، وإنما كان يعني البئر والمنع والتغريب والنفي، وكلها كلمات تفيد منع حرية الشخص من ممارسة حياته وحريته الطبيعيتين.

وهناك كثير من المفاهيم والمفردات التي لها علاقة بالسِّجن مثل: الأَسْر وَالأَسِيْر السِّجْن والسَّجِيْن والحَبْس والقَيْد والكَبُوْل وَالأَغْلال والعِقَاب والقَتْل والعَفْو، وكلها مسميات تفيد معنى واحدا، يُقصد بها، إما الشخص الذي وضع في هذا المكان، وإمّا صفة للمكان نفسه، وما يعكسه هذا المكان على الشخص، وعلاقة كل منهما بالآخر. وهذه الكلمات تتردد كثيراً في كتب التاريخ والأدب ذات الصلة، وبخاصة في سردها للأحداث والوقائع عبر السنين والقرون، ومن يتصفح هذه الكتب، وبالذات تاريخ الحضارات والدول القديمة، يجدها ملأى بأخبار كانت تؤدي في غالب الأحيان إلى إيقاع العقوبات بالمذنبين: إما حبساً أو قتلاً أو تعذيباً وتنكيلا، بصرف النظر عن سبب العقوبة. يقترن السجن بالثورات والقلاقل والخروج على السلطة، يتبعه تعذيب وتنكيل، وغير ذلك من صنوف العذاب وأنواع العقاب، وربما لسبب ما، أفضت هذه الأحداث إلى العفو، إن كان للمتهم بقية من عمر.

وجد السجن منذ زمن بعيد، وما زال، لشتى الأسباب ومختلف العقوبات، وكان موجوداً في عصر صدر الإسلام، ولكن ليس بالمفهوم الحديث، روى ابن طلاع أن الرسول الكريم وأبا بكر الصديق، لم يكن لهما سجن، ولم يسجنا أحداً(ابن طلاع، ٩٢: ١٩٧٨)، ولكنه في مكان آخر يقول: إن المصطفى، صلى الله عليه وسلم، عمل به – السجن –، ومن بعده الخلفاء الراشدون (السابق: ٩٤–٩٥). ففي معركة بدر أسر الرسول، عليه السلام، عدداً من الأعداء، فوزعهم على أصحابه، وأوصى بهم قائلاً "استوصوا بالأسارى خيراً" وكان الصحابة يطعمونهم كلما أكلوا، وكان مصيرهم، إما الفدية أو تعليم عشرة من شباب المسلمين القراءة والكتابة(الطبري: ٢/ ٤٦٠–٤٦١)، وروي أيضا أن الرسول الكريم حبس مجموعة من بني قريضة في دار بنت الحارث(ابن هشام: ٣/ ٢٥١)، وقيل إنه عليه السلام قضى بالضرب وبالسجن (ابن طلاع: ٩٦). وكان الهدف من السجن تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء أكان ذلك في البيت أم كان في المسجد أو في غيرهما، ولم يكن زمن الرسول أو زمن خليفته الأول مكانٌ خاصٌ ومجهزٌ لهذا الغرض.

ولما اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية زمن الخليفة عمر، رضي الله عنه، وافتتحت ديار الروم

والفرس، اتخذ الخليفة عمر مكاناً خاصا للسجن، وهو أول من خصص مكاناً ؛ ليوضع فيه السجناء، عندما اشترى داراً، كانت لصفوان بن أمية، اشتراها له نافع بن الحارث الخزامي -أمير مكة- بأربعة آلاف درهم ؛ خصصها للسجناء (ابن طلاع، ٩٢ : ١٩٧٨)، فقد حبس الحطيئة الشاعر ؛ بسبب هجائه المشهور للزبرقان بن بدر في قصيدة طويلة، ومنها :

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَل لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فإنك أنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

(الديوان،د.ت:١٠٨)

فقال الحطيئة مستعطفاً، وهو في سجنهِ :

مَاذَا تَقُولُ لأفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ حُمْرُ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

(الديوان، د.ت: ١٦٤)

وأصبحت الحاجة ملحة إلى السجن في زمن الخليفة الثالث، وبخاصة في النصف الثاني من حكمه ؛ بسبب الفتن والثورات التي أدت في النهاية إلى مقتله، فقد حبس عثمانُ عبدالرحمنَ الجُمَحِي، وكان الأخير قد هجاه ؛ لأن عثمان أعطى خُمس إفريقيا من الفَيْء لمروان بن الحكم، فأمر عثمان بحبسه، فقال عبدالرحمن، وهو في سجنه، يستنجد علياً لإطلاق سراحه :

إلَى اللهِ أشكُو لا إلَى الناسِ مَا عَدَا أبَا حَسَنٍ غَلا شَدِيداً أُكَابِدُهْ

بِخَيبرَ فِي قَعْرِ الغمُوصِ كَأنَّها جَوانِبُ قَبرٍ أَعمَقِ اللحدِ لاحِدُهْ

(العسقلاني: ٢ /٣٨٨)

روى الطبري أن عثمان كان لا يتردد في حبس المخالفين، بعد تعزيرهم (الطبري : ٤/ ٤٠٢)، فقد هجا ضابيء بن الحارث البرجمي بعض بني جرول بن نهشل، فاستعدوا عليه عثمان بن عفان، فاغتاظ ضابيء، وهم باغتيال الخليفة، فأمرعثمان بسجنه، فسجنه، وبقي في سجنه حتى مات فيه، ومما قال في سجنه :

وَلا خَيرَ فِيمَن يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حَينَ تَنُوبُ (ابن قتيبة، ١ : ١٩٦٤/ ٢٦٧- ٢٦٨)

وفي زمن الخليفة علي، كرم الله وجهه، كانت الأوضاع مضطربة جداً، وبخاصة بعد مقتل الخليفة الثالث، فكانت الحاجة ملحة أكثر للسجن؛ نظراً للحروب والفتن الداخلية والخارجية، وظهور الأحزاب، فالنتيجة المنطقية، أن تكون هناك الوسائل المناسبة؛ لمعاقبة المخالفين والثائرين ونشر الاستقرار والأمن، ومنها السجن. تشير الروايات إلى أن علياً بن أبي طالب، هو أول من خصص مكانا خاصا لهذا الغرض بالعراق، سُمِّيَ " نافعٌ "، وآخر

سُمِّيَ " المخيِّس " ، وقال فيه :

أما تَرَانِي كَيِّساً مُكَيِّساً بَنَيتُ بَعدَ نَافِعٍ مُخَيِّساً
حِصناً حَصِيْناً وَأمِيْناً كَيِّسَا

(ابن طلاع،٩٩:١٩٧٨)

فاتساع الدولة الإسلامية ، وما رافقها من بروز حركات وثورات وفتن ومعارضة ، وازدياد الطموح الشخصي أحيانا ، هذه الأمور مجتمعة وغيرها ، كانت السبب في تخصيص مكان خاص للخارجين على الدولة وتعاليمها وأهدافها ، وهذا المكان ، هو السجن .

البحث:

إن العصف السياسي الذي ميز العصر الأموي ، انعكس على الناس وحياتهم ، فظهور الأحزاب وانقسامها ، والفتن وما رافقها ، أدى إلى أوضاع غير مستقرة ، لذلك لم يتردد الخلفاء وولاتهم في معاقبة كل من يخرج على الدولة ، وربما كان السجن أخف العقوبات في هذا العصر ، لذلك تطورت السجون في العصر الأموي ؛ بسبب المعارضة ، وما انعكس عنها من نزاع سياسي وفكري ، فبرزت أهميتها ، وأصبحت الحاجة إليها وتطويرها أمرا مهما ؛ لحبس المعارضين وأصحاب الثورات ، بالإضافة إلى ذلك ، كان للخلافات والعصبيات القبلية ، والقتل والسرقة وكثرة الأحزاب ، أثره الكبير للاهتمام بها وتنظيم إدارتها .

وتجربة السجن تعكس عالما مليئا بالآلام والآمال ، وأي تجربة أكثر وقعاً ، وأوضح أثراً في نفس الإنسان من هذه التجربة ، فليس أصعب على الإنسان من أن تحتجز حريته ، وتُستلب إرادته ، ويصبح مصيره في يد المجهول ، فلا يدري ، هل هو الموت قتلاً بالسيف ، أم بعد تنكيل بقطع الأطراف ، أم سيكون تحت ثقل الحديد الأصم ، إنها تملك على الإنسان إحساسه وتحمله على الكلام ؛ هذه التجربة ، فيها من الأمور غير المألوفة ، ما يشيب لهولها الصغير ويفزع من بطشها الكبير . لهذا ، كان السجن عند من ابتلي به يوازي القبر ، يرى فيه المحبوس الموت مع كل زفرة ، فترى المحبوس يناجي نفسه ، متأملاً بها ، وبما حوله من دنياه ، ويذهب في خياله يُسَرِّي عن نفسه ، ويحاول طمأنتها . أما أسباب دخول الناس السجن فهي كثيرة ومتشعبة ومتداخلة ، يأتي في مقدمتها الأسباب السياسية ، تليها الدينية ثم الشخصية ، إضافة إلى غيرها من الأسباب ، مع العلم أن الاتهام أحيانا ، قد يكون فيه شيء كثير من التغطية على الهدف الصحيح والسبب المباشر .

أسباب السجن:

١- أسباب سياسية:

قامت الدولة الأموية عام ٤١هـ، عندما اضطر الحسن إلى التنحي عن الخلافة، بعد أن خذله أهل العراق، وأيقن أنه لا طاقة له بمعاوية، وبذلك استقرت الخلافة في البيت الأموي، الذي كان يطمع لها معاوية، منذ زمن، روى المقريزي فقال: قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إن ملكت يا معاوية فأحسن" (المقريزي: ٧٨).

ولم يكن لهذه الخلافة الطابع الكامل الذي كان للخلفاء الراشدين من قبل، فقد أصبحت ملكية في مظهرها ونظامها، ولا يميزها عن ملكية الفرس والروم إلا انضواؤها تحت لواء الإسلام وأخذها بأحكامه (الحوفي: ٢٤)، واستحدث معاوية نظام وراثة الملك، وهذا كان أحد أسباب المعارضة السياسية، الذي لم يرض عنها كثير من الأحزاب، فوقفت في الجانب المعارض للدولة الأموية، فجعلت الدولة تلقي بكل من يعارضها بالسجن، حتى أن الباحث لا يستطيع أن يجزم – أحيانا – بالسبب المباشر من غير المباشر، الذي وضع الشخص بسببه في السجن، فتختلط عليه الأسباب السياسية بالدينية بالشخصية، ولكن يبقى السبب السياسي خلف تلك الأحداث، وهو محركها، ويأتي في مقدمة الأسباب السياسية المعارضة السياسية.

تمتاز المعارضة السياسية- بكل زمان ومكان – بحظ وافر من البصيرة وحسن الرأي، وبنزعة قوية في حب السلطة والوصول إليها، والقدرة القيادية، فإذا اجتمعت لها فنون الخطابة مع الشعر، في عصر، مثل العصر الأموي، كانت قدرته على التأثير قوية فعالة، تلهب مشاعر أنصاره، وتجمعهم حوله قوة مرهوبة الجانب (السويدي: ٨٩). وكانت المعارضة السياسية من أشد موجبات السجن في العصر الأموي، بل ولربما لم يكتف الحاكم بسجن الشخص وتقييد حركته، وإنما قد يصل به الأمر إلى قتله بطريقة يندى لها جبين الإنسان العربي المسلم.

وكان السجن زمن معاوية، يقع في عاصمة الخلافة، أو ما يعرف بدار الإمارة، الواقعة جنوب المسجد الجامع، وكانت تحوي الحبوس والشرطة، وكان يحوي أكثر من حجرة لإيواء السجناء (المسعودي: ٢٦١)، وهو أول من خصص الحرس لحراسة السجناء، وأول من حبس النساء بجرائر الرجال (اليعقوبي: ٢/ ٢٣٢)، وحبس يزيد بن معاوية أتباع الحسين بن علي في سجون البصرة عند عبيد الله بن زياد، وأثقلوا بالحديد. ولما قام عبدالله بن الزبير مطالبا بالخلافة، سمّى نفسه العائذ، وحبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم، وقال: لتبايعنِّي أو لأحرقنَّكم (اليعقوبي: ٢/ ٢٦١)، وفيه يقول كُثَيِّر عزة:

تُخَبِّرُ مَن لاقَيْتَ أَنَّك عَائِذٌ   بَل العَائِذُ المَظلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمِ

(الديوان: ٣١٤)

أورد المسعودي أن ابن الزُّبَير عمد إلى مَن بِمَكَّةَ مِن بني هاشم ؛ فحصرهم في الشعب -شعب بني هاشم - ويقال إنه حصرهم في حظائر المسجد، أو في حجرة زمزم بمكة(المسعودي : ٣/ ٢٧٥)، وأبرز من مثل المطامح السياسية، وأراد الوصول إليها المختار الثقفي، التي بسببها لقي الويلات، يقول: " إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزُّبَير انتزى على الحجاز، ومروان على الشام، ونجدة على اليمامة، فلم أكن دون أحدهم " (البلاذري : ٥/ ٢٦١). وكذلك عبيدالله بن الحر في صراعه مع الأمويين، فقد كان يطمح في أن يتبوأ مركزا سياسيا، ويكون من رجال الحكم البارزين، ولذلك بايع المختار الثقفي، فلما خاب ظنه عند المختار، تركه، وتقرب من عبدالله بن الزبير(عطوان: ١٩٩).

وكان السجن أحد وسائل الحجاج في تثبيت حكم الأمويين، فقد اتخذ سجونا كثيرة، ذكر المبرد: "أن الحجاج كان يتفقد المحبوسين، فكان يحبسهم نهاراً، ثم يفتح الحبس ليلاً، فينسل الناس إلى ناحية المهلب بن أبي صفرة - الذي كان هو الآخر محبوسا فيه - وكأن الحجاج لا يعلم" (المبرد: ٣/ ٣٦٩). ولم تسلم النساء من السجن، فقد حبس المختار بن أبي عبيد الله الثقفي زوجة عبيد الله بن الحَرّ في سجن الكوفة، فهاجم الحرّ الكوفة، وكسر سجنها، وأخرج زوجته وكل من كان فيه (الطبري: ٦/ ١٢٨-١٢٩)، يقول في ذلك:

أَلَـمْ تَعلَمِـي يـا أُم تَـوبَـةَ أَنَّنِـي   أَنَا الفَارِسُ الحَامِي حقائق مذحَجِ

وَإِنّي صَبحتُ السجنَ فِي رَونقِ الضُّحَى   بِكلِّ فَتىً حَامِي الـذِّمـارِ مُدجَّجِ

(القيسي: ١/ ٩٩)

وكانت السلطة تحاسب الشاعر على أبيات قالها سابقا، حتى لو تراجع عنها، خوفا أو قناعة، فالآن جاء دور الوالي أو الخليفة ؛ ليقتص منه، بالعمل وليس القول، روى المسعودي، فقال: لما انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم، حلف الحجاج ألا يُؤتَى بأسير إلا ضرب عنقه، فأُتي بأسرى كثيرة، وكان أول من أُتي به أعشى همدان الشاعر، وهو أول من خلع عبدالملك والحجاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان، فقال له الحجاج: أنت القائل:

فَمَن مُبْلِغُ الحَجَّاجِ أنِّـي   قَد جَنَيْتُ عَلَيْهِ حَرْبَاً

قال: لا، ولكني الذي أقول:

أبَى اللهُ إلا أنْ يُتمِمَّ نُورَهُ   وَيُطْفِئَ نُورَ الفاسقين فَيُخْمَدَا

وَيُنزِلَ ذُلاًّ بِالعِرَاقِ وَأهِلِـهِ بِمَا نَقَضُوا العَهدَ الوَثِيقَ المُؤَكَّدَا

فقال الحجاج: لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلته تأسفا، وأمر بقتله (التنوخي: ٢/ ٥٧).

وكان العرجي يهجو محمد بن هشام ويتغزل في زوجته، فلم يزل محمد مضطغنا عليه من هذه الأشعار، وطالبا له، حتى أمسك به، فأخذه وقيّده وضربه، وأقامه للناس، ثم حبسه، وأقسم: لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطان، فمكث في حبسه نحوا من تسع سنين حتى مات فيه(الأصفهاني: ١/ ٣١٣، ٣١٦)، وهذا النوع من الهجاء مزج العرجي فيه السياسة بالدين، فقد حاول الوصول للسلطة، وله من الشرف والنسب ما يؤهله لذلك، ولكن الدولة منعته من تحقيق مراده، فنقم على الأمويين، فراح يهجوهم ويتغزل في نسائهم، يقول في جبرة المخزومية، زوجة محمد بن هشام:

عُوجِي عَلَيَّ فسَلِّمِي جَبْرُ فِيـمَ الـصُّـدوْدُ؟ وَأنـتُـم سَـفْرُ

(الديوان: ٤٢)

ومن الأمور التي كانت سبباً في سجن ابن مفرغ، ما قاله من هجاء لاذع في زياد بن أبيه وأولاده، وبخاصة عبيدالله وعباد، ومنه:

أَلا قَـبَّـحَ الإلَـــهُ بَـنِـي زِيَـــادٍ وَصِـــيّ أبِـيـهِـم قُـبْـحَ الـحِـمَـارِ

(الديوان،١٩٧٥: ١٤٣)

وقال بعد قتل عبيد الله بن زياد:

لا تَقبَلُ الأرضُ مَوتَاهُم إذَا قُبِرُوا وَكَـيـفَ تَـقبَلُ رِجْـسـاً بَـينَ أثـوَاب

(الديوان،١٩٧٥: ٨٤)

لذلك لقي من أسرة زياد العذاب والتشهير والتنكيل، فقد هجا عباد بن زياد بن أبي سفيان والي سجستان وطعنه في نسبه، فأحنقه وأخاه عبيد الله والي البصرة، كما أغضب بذاك الخليفة معاوية، فأذن لهما بتأديبه، فأخذاه بعذاب شديد وقاس، وشعره داخل السجن، يوحي بأن العصبية القبلية، كانت من وراء بلية الشاعر وإهانته، وأنه كان ضحية التنافس السياسي بين بعض وجهاء قريش وآل زياد (أنساب الأشراف: ٥/ ٧٧-٨٠).

وحبس مروان بن محمد إبراهيم بن محمد بن علي، إمام العباسيين، ومعه أهل بيته في سجن حرّان، ثم قُتل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وكان معه في السجن، وقيل إنه توفي في سجن حرّان في وباء الطاعون، وقيل مات مسموما في سجن حرّان، وفيه يقول

الشاعر :

قَد كُنتُ أحْسَبُنِي جَلداً فَضَعْضَعَنِي   قَبْرٌ بِحَرَّانَ فِيهِ عِصمَةُ الدِّيْنِ

فِيْهِ الإمَامُ وَخَيرُ النّاسِ كُلِّهِم   بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالأحَجارِ وَالطِّيْنِ

(الطبري: ٧/ ٤٣٧)

فكانت حياة المعارضين السياسيين مغامرة سياسية مستمرة، فيها من الاضطراب والقلق والمعاناة، فكما أن للسلطة مذاقها المميز، فإن لها جحيماً وصراعاً خفياً مريراً، زج بمعظم معارضي السلطة للموت في السجون الرطبة المظلمة وعلى آلات التعذيب والتنكيل. وهناك كثير من الأسباب التي يختلط فيها السبب السياسي بالشخصي، كما هو الأمر بين الأحوص وأبي بكر بن حزم، فهي خصومة شخصية في بدايتها اختلطت مع القضايا السياسية، فابن حزم، والي المدينة وقاضيها – جاء هجاء الأحوص له شخصياً، ولكن هذا الهجاء جاء بألوان سياسية، لأن الأحوص كان من المقربين للخلفاء الأمويين، وهذا ما جعل هجاءه لابن حزم، يتناول بعض الأعمال العدائية التي نفذها أجداد ابن حزم ضد الأمويين، فحرص الخليفة على معاقبته والإيقاع به (ابن سعد : ٢٧٠).

كان الخليفة أو الوالي يأمر بسجن الخارج عن الدولة وتعاليمها، التي هي تعاليم الدين الإسلامي، وأحيانا كان الأمر بيد الخليفة وحده، فعندما رحل يزيد بن مفرغ إلى البصرة، ولم يستطع عبيد الله الإقدام عليه، حتى استأذن معاوية، فأذن له بتأديبه، بعد أن أحفظه عليه، وإذ ذاك طلبه حتى عثر عليه، ولم يحمه منه في البصرة جوار قبلي، فقال شعرا ومعاوية يعذبه، يكشف عن عمق المعاناة التي عومل بها (الديوان : ١٢٩). وقد اتخذ الأمويون جزيرة دهلك منفى لبعض الخصوم، والخارجين على الدولة، فكان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها، ويبدو أنها كانت أشبه بالسجن الكبير، يقول الشاعر فيها :

وَأَقبِح بِدَهلِكَ مِن بَلدةٍ   فَكُلُّ امرِىءٍ حَلَّهَا هَالِكُ

كَفاكَ دَليلاً عَلَى الرَّغمِ أنَّهَا   جَحِيمٌ وَخَازِنُهَا مَالِكُ

(ياقوت، مادة دهلك)

وأحيانا كان يحبس الشخص لسبب بسيط، روى ابن عبد ربه عن الأصمعي، فقال : " عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب، ووجد فيهم أعرابي أخذ يبول في أصل مدينة واسط، فكان فيمن أطلق " (ابن عبد ربه : ٤/ ٣٦)، قال أبو سعيد البقّال : كنت محبوساً في ديماس الحجاج ومعنا

إبراهيم التيمي، فبات في السجن، فأتى رجل، فقال له: يا أبا إسحاق في أي شيء حُبست؟ فقال: جاء العريف، فتبرّأ مني، وقال: إن هذا كثير الصوم والصلاة، وأخاف أنه يرى رأي الخوارج(التنوخي: ١/ ٢٦١)، وروي أيضا عن النضر بن شمير، فقال: " سمعت هشاما يقول: احصوا من قتل الحجاج صبرا، فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا "(ابن عبد ربه: ٤/ ٣٦، ٤٠)، وأمر سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة، أن يحضر له الأحوص، فأحضره، ثم أمر بنفيه إلى دهلك، فلم يزل بها إلى أيام يزيد فرده (الأصفهاني: ٤/ ٤٢١).

وكان الشاعر يغرق في المبالغة عند حديثه عن التعذيب والتنكيل، فأرى أن الفرزدق مال إلى المبالغة والتهويل في قوله، وهو في سجن خالد بن عبد الله القسري بالعراق:

يقولُ لِي الحَدَّادُ هَل أَنتَ قَائِمٌ وَهَل أَنَا إلا مِثلُ آخَرِ قَاعِدِ

كَأنِّي حَرورِي لَهُ فَوقَ كَعبِهِ ثلاثون قيداً مِن قُروص مَلاكدِ

(الديوان: ١/ ١٣٣)

ومن الأسباب التي امتزج فيها السبب الديني بالسياسي، هجاء ابن مفرغ الحميري للأمويين، وبخاصة زياد بن أبيه وأولاده، إذ طعن في عرضهم ونسبهم، فسياسي؛ لأنه لم ير فيهم الرجال الأكفياء للدولة وسياستها، فعاقبته الدولة عليه، وديني؛ لأن الإسلام نهى عن التهاجي والطعن في أعراض المسلمين، وكان ابن مفرغ يلجأ إلى المقارنة بين سعيد بن عثمان – والي خراسان – وعباد بن زياد؛ لإيذائه نفسياً، والوصول إلى صورة ساخرة، مضحكة، أقرب ما تكون إلى الصورة (الكاريكاتورية) في أيامنا هذه، يقول:

إنَّ تَركِي نَدَى سَعيدِ بن عثما نَ نَاصِرِي وَعَدِيدِي

وَاتبَاعِي أخَا الرضاعة وَاللؤ م لَنَقصٌ وفوت شَأو بعيدِ

قلتُ وَالليلُ مُطبِقٌ بعراه لَيتني مُتّ قبلَ ترك سعيدِ

ليتني متّ قَبلَ تَركي أخَا النَّجدةِ وَالحزم والفَعَال الشَّديدِ

عَبشَمِيّ أبوهُ عَبدُ مُناف فَازَ منَهَا بتَاجِهَا المَعقودِ

ثُمَّ جود لَو قِيلَ: فِيهِ مَزيدٌ قُلتُ لِلسائلِينَ: مَا مِن مَزِيدِ

(الديوان: ١٠٩-١١٠)

وقد حققت بعض الظواهر الأسلوبية والنحوية غايتها، مثل تكرار أداة الاستفهام " أين " في قول يزيد بن مفرغ الحميري:

دَارَ سَلمَى بالخَبت ذي الأطلال ... كَيفَ نَومُ الأسير في الأغلال

أينَ منّي السَّلامُ مِن بَعد نَأيَ ... فارجعي لي تَحيَّتي وَسُؤالِيَ

أينَ منّي نَجائِبي وَجيَادِيَ ... وَغَزَالي سَقَى الإلهُ غزالي

أينَ لا أينَ جُنتَي وَسِلاحي ... وَمطَايَا سَيَّرتها لارتحَالي

ثُمَّ جود لَو قِيلَ: فِيهِ مَزيدٌ ... قُلتُ لِلسائلينَ: مَا مِن مَزيدِ

(الديوان، ١٩٧٥:١٨٥)

فالشاعر يوظف أداة الاستفهام من خلال تكرارها ؛ ليحقق غرضاً إيحائيا، يرتبط بالمعنى والفكرة والخيال والإيقاع، بهدف التنفيس عما يجول بخاطره من الكبت واليأس والاكتئاب الذي يكاد يخنقه، كما يساهم الاستفهام في رسم الدائرة الكبيرة المغلقة التي تطبق على الشاعر، فتبدأ القصيدة باستفهام وتنتهي بالاستفهام ذاته :

وَأطلتُم مَعَ العقوبةِ سَجنِي ... فَكَم السِّجنُ أَو مَتَى إرسَالِي؟؟!

(السابق:١٨٨)

حج محمد بن هشام – والي مكة والمدينة أيام هشام – بالناس، فهجاه العرجي بقوله :

دَعُوا الحَجِّ لا تَستَهلِكُوا نَفَقَاتِكُم ... فَمَا حَجُّ هَذَا العَامِ بِالمُتَقَبَّلِ

(الديوان: ٣١٨)

لقد تفنن عبيدالله في تعذيب يزيد بن مفرغ بعد مطاردة عنيفة، التجأ الشاعر خلالها من مكان إلى آخر، من البصرة إلى الشام ؛ للنجاة من قبضته، حتى إذا وقع أذاقه أنواعاً من العذاب والتنكيل الذي لا يوصف، فقد أمره بمحو ما كتبه من هجاء على الجدران بأظافره، فإذا ذهبت أظافره محاه بعظام أصابعه ودمه، وهو يصف محنته وتعذيبه في هذه الأبيات :

أَصَابَ عَذابِي اللونَ فاللونُ شَاحِبُ ... كَمَا الرأسُ من هَولِ المَنِيَّةِ أَشيَبُ

قُرِنتُ بِخنزِيرٍ وَهِرٍّ وَكَلبَةٍ ... زَمَاناً وَشَانَ الجلدَ ضَربٌ مُشذِّبُ

وَجُرعتها صهباء من غير لذةٍ ... تُصَعِّد في الجثمان ثُم تصوبُ

وَأُطعِمتُ مَا إنْ لا يَحِلُّ لآكِلٍ ... وَصَلَّيتُ شَرقاً بَيتَ مَكةَ مَغربُ

مِن الطَّفِّ مَجلُوباً إلى أرضِ كَابُلٍ ... فَمَلُّوا وَمَا مَلَّ الأسيرُ المُعَذَّبُ

(الديوان:٥٥– ٥٧)

وأبدى الشاعر تجلداً وصبراً، ولم يزدد إلا استهانة بآل زياد على ما هو فيه من الابتلاء، موقنا أن القرشيين حلفاءه مستنقذوه مراغمة لعبيد الله، بما لهم من جاه وتأثير عند الخليفة.

وكان إبراهيم بن العربي والياً على اليمامة زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وهي بعيدة عن عاصمة الملك، فكافح فيها اللصوص، ونشر الأمن، وأقر النظام حتى خشيه العصاة، فلمااستخلف سليمان، وثب عليه أعداؤه وأثقلوه بالحديد، وسيروه إلى سجن المدينة، فأمكنهم من نفسه؛ خوفا من عصيان الخليفة، ولكن ما لبث أن تبين أن آسريه الحقيقيين، هم خصومه المشاغبون عليه، وليس للخليفة من أرب في حبسه، إلا تنصيب أنصاره على الأقاليم، فتمنى لو توارى عن الأنظار في فجاج الأرض، وهو الخبير بدروبها، ولم يستسلم لهم، فقبض عليه، وحمّل إلى المدينة أسيراً، فلما مرّ بسلع، قال:

لَعمركَ إنِّي يومَ سَلع للائم ... لِنفسي، وَلكن مَا يرد التلومُ

أأمكنتُ مِن نَفسِي عَدوِّي ضلةً ... أَلَهفاً عَلَى مَا فَاتَ لَو كُنتُ أعلَمُ

لَو أنّ صدورَ الأمرِ يُبدونَ لِلفَتَى ... كَأعقَابِه لَم تلفهُ يتنَدّمُ

لَعمرِي لَقد مَكنّت فِجاجٌ عَريضةٌ ... وَلَيلٌ سُخَامِيّ الجَنَاحَينِ مظلمُ

إذَا الأرضُ لَم يَجهَل عَلَي فُروجِها ... وَإذ لِي مَن دارِ المذّلة مَرغمُ

(ياقوت: مادة سَلَعَ)

٢- العصبية القبلية

العصبية، أن يعمل الشخص لعصبيته، ويدعو لها، ظالمة أو مظلومة والقبيلة نسبة إلى قبيلة، والقبيلة جمعها قبائل واشتق الزّجاج القبائل من قبائل الشجر، أي أعضائها، ويقال رأيتُ قبائل من الطير، أي أصنافاً، قال الراعي النميري:

رأيتَ رُدَافَي فَوقَهَا من قبيلةٍ ... مِن الطَّيرِ يَدعوها أَحَمُّ شَهوجُ

(الديوان: ٢٦)

وتعني عند الإنسان السيطرة، وهي نزعة داخلية عنده، وما نزعات الحرية والإرادة والعزم والأنانية والظلم إلا مظاهرها أو بعض مظاهرها (فهمي: ٣١). وكانت القبيلة ومنزلتها في العصر الأموي أوسع كيان وطني يومذاك، وكان الشعور القبلي العام لا يقضي على ذاتية الشاعر ورغباته وتطلعاته الخاصة، بل كانت تترعرع في حماه، ومن ثم كان " للعصبية القبلية دورها الفعال في إثارة الفتن والحروب في مختلف الأقطار" (البزرة: ١٥٨-١٥٩)، والعصبية قد تكون لسبب فكري أو قبلي أو سياسي، لذلك لم يكن ظهور العصبية في العصر الأموي

أمرا مستغربا، ولكن ما يلفت الانتباه " أنها بلغت من الحدة والعنفوان مدى لم تبلغه في العصور السابقة، وتوافر لها من دواعي الاشتداد والإثارة فيه، ما لم يتوافر لها مثله في سائر العصور " (النص: ٢٥١)، فكان كتاب الخليفة بالولاية أو العزل قرار النصر لقبيلة وهزيمة لأخرى، وهو الأذن بأن يأخذ الخصم من خصمه ما شاء من العذاب، فما العصبية بين الأمويين والزبيريين، إلا صراع بين القيسية واليمانية، فقد تعصبت اليمن ليزيد بن معاوية ؛ لأن أمه يمنية، وتعصبت قيس لابن الزبير؛ لأنه ابن قبيلتهم، فورثوا هذه العصبية عن آبائهم، عصبية القيسية على اليمنية(فهمي: ٤٢). فنهض هشام باليمانية والوليد بن يزيد بالقيسية ويزيد بن الوليد انتصر لليمانية ومروان بن محمد للقيسية(فهمي: ٤٨– ٥٢).

لذلك اتسم حكم الأمويين بشكل عام بالعصبية " عصبية العرب عامة ضد العجم والموالي، وعصبية لليمنية على القيسية، وعصبية لبني أمية على بني هاشم، وعصبية للموالي لهم على المناوئة، كعصبيتهم لكلب وتغلب على قيس " (الطبري: ٦/ ١٣٤)، ونحن نعرف ما للشعر من سلطان على نفس العربي الغضوب السريع الانفعال، والكلمة التي تمس موطن الحمية والأنفة منه، تحيله شعلة متأججة من الغضب والهياج (النص، د. ت: ٣٧٨) وكان يزيد بن معاوية أشدهم تعصبا على بني هاشم، لما كان بين البيتين من منافسة وعداء في الجاهلية والإسلام، فهو لم ينس ما حل بأجداده في معركة بدر، فعندما انتصر على أهل المدينة، بعدما ثاروا عليه، تمثل – متشفيا – يقول ابن الزِّبعرى:

ليتَ أشيَاخِي بِبَدرٍ شَهدوُا جَزِع الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأسَلْ
لاستطالُوا وَاستهلُّوا فَرَحَاً ثُمَّ قَالُوا يا يَزِيدُ لا تَسَلْ
قد قَتَلنَا الغُرّ مِن سَادِاتِهِم وَعَدَلنَاه بِبَدْرٍ فَاعتَدَلْ

(المقريزي: ١٢٧)

وهذه العصبية التي أوجدها الأمويون وبقوة –كان الإسلام قد دفنها ردحاً من الزمن– ساعدت في زوال دولتهم، فكان من نتائجها الانتقام الأعمى الغشوم، الذي لا يتورع عن نكال وقتل، وقد أبطل من حسبانه الاعتبارات الإنسانية والأخوية، فكم من إخوان جمعت بينهم دروب الجهاد والغزو، وألفت بينهم قلوبهم على المحبة، ثم فرقتهم العصبية أعداء، فأمسك بعضهم ببعض في السجون، حتى عفا العداء على سابقة المودة، وأكثر ما كانت العصبية بين الأمويين والهاشميين، وهم في الأصل أتباع معاوية وأتباع علي، الممتدة جذورها إلى ما قبل الإسلام، فأصبح لسان حالهم يقول:

عَبدُ شَمسٍ قَد أَضرَمَت لِبَنِي هَـا ... شِـمٍ حَـرباً يَـشِيبُ مِنهَا الوَلِيدُ
فَابنُ حَـربٍ لِلمُصطَفَى وَابنُ هِنـدٍ ... لِــعَلِيٍّ وَلِلْـحُسينِ يَــزِيدُ
(المقريزي: ٥٩)

وما الأمر إلا كما قال الأخطل:

إنَّ الضَّغِينَةَ تَلقَاهَا وَإنْ قَدُمَتْ ... كَالعُرّ يَكمُنُ حِيناً ثُمَّ يَنْتَشِرُ
(الأخطل:١ / ٢٣٠)

روى البلاذري فقال: "مات الوليد بن عبد الملك، وولي سليمان بن عبد الملك، وكان في نفسه الكثير على الحجاج، وكان قد مات، فصب انتقامه على بيته وأعوانه، فولى الهند بعض اليمنيين من خصوم الحجاج، فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق، وولى يزيد بن أبي كبشة السند، فحمل محمد بن القاسم مقيداً إلى صالح في العراق، فقال محمد متمثلا:

أَضَاعُونِي وَأَيّ فَتَىً أَضَاعُوا ... لِيَومِ كَرِيهَةٍ وَسَدادِ ثَغرِ

ولم يلتفت إلى مطالب أهل السند في الإفراج عنه، وقال في سجنه:

فَلَئِن ثَوَيتُ بِوَاسِط وَبَأرضِهَا ... رَهنَ الحَدِيدِ مَكَبَّلاً مَغلُولا
فَلَرُبَّ فِتْيَة فَارِس قد رَعتهَا ... وَلَرُبَّ قَرن قَد تَرَكت قتِيـ
(البلاذري: ٦١٨)

فقد عادت العصبية لسابق عهدها، وأشدّ، حتى بلغ الأمر ببني أمية أن يفضلوا خليفتهم – هشام بن عبد الملك – على النبي الكريم (المقريزي: ٦٩). وأصبحت أبسط الأمور وأدناها تثير النعرات القديمة، فقد قيد الحجاج دراج بن زرعة، وأرسله إلى عبدالملك في دمشق، وسجن هناك؛ بسبب مشاجرة فردية على ماءٍ، أدت إلى فتنة بين الضبابيين والجعفريين، كادت تقوم حرب، ربما لا تحمد عقباها، فقال في سجنه:

وَلَمَّا دَخَلتُ السِّجنَ أيقَنتُ أَنَّهُ ... هُوَ البَينُ لا بَينُ النَّوى ثُمَّ يَجمَعُ
وَمَا السَّوطُ أبكَانِي وَلا السِّجنُ شَفَّنِي ... وَلكنَّنِي مِن رَهْبَةِ المَوتِ أَجْزَعُ
(النقائض:٢ / ٩٣١)

فالصراع الفكري العصبي بين الأحزاب الدينية والأحزاب السياسية، كان الشعر فيه يمتزج بالنزاعات القبلية، وهذا الشعر يجسد المشاعر من خلال ارتطامها بالقضايا الأساسية

في الدولة، ويتمثل أيضاً في ابتعاد هذا الوالي أو العامل عن تلبية مصالح القبيلة، وموقفه منها، أو من غيرها من القبائل وهذه الظواهر في العلاقات الإنسانية – في الأصل– لم تكن لتوجد بهذه الصورة، لولا ما أرسته دولة الخلافة من صراعات سياسية، كان لا بدّ أن تتوافق وتتناقض مع طبيعة التقاليد القبلية، فيحدث من هذا التوافق أو التناقض، ما يدفع بعض القبائل إلى مواكبة هذه الصراعات بالتأكيد ويدفع بعضها بالتهديد (أحمد: ٩٥). وسجن أسيد بن عبدالله القسري عاصما الهلالي – وكان صديقا له –، فكتب له عاصم:

حَبَاكَ خَلِيلُكَ القَسريّ قيداً — لَبِئسَ عَلَى الصّداقَةِ مَا حَبَاكَا
فَانقذ، يَا فِدَاكَ أَبِي وَأمّــي — أَسِيـراً طَـالَ مَـا انتظرَ الفِكَاكَا
بمرو التَاهجَان إذا تــرَوّت — حَـديـدة سَــاقِـهُ بِــدَم دَعَـاكَـا
أَأَخلَعُكُم وَأضرِب خَالِعيكُم — بِنَصلِ السّيف كَيفَ يَكونُ ذَاكَا

(الطائي :١٠٣)

ولم تشفع القرابة، ولا حتى الأخوة في التخلص من العصبية، كما هو الأمر بين الأخ وأخيه، فعبدالله بن الزبير – الخليفة – بالغ في تعذيب أخيه عمرو في السجن؛ لأن هواه كان مع بني أمية، فكان يضربه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض ؛ لشدة ما يمر به، ويضربه، وهو على تلك الحال، ثم يأمر الأخ – الخليفة – بأن يرسل عليه الجعلان، فكانت تدب عليه، فتثقب لحمه، وهومقيد مغلول، يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، وبعد موته، قال: لا تغسلوه ولا تكفنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فقال الشاعر عبدالله بن الزُّبير الأسدي:

جَعَلتُم لِضَربِ الظّهرِ مِنهُ عَصّيكُم — تُـرَاوِحــهُ وَالأصـبَـحِـيَـةُ لِلبَطنِ
قَتَلتُم أَخَاكُـم بِالسّيَاطِ سَفَاهَــةً — فَيَـا لَـكَ لِـلـرّأيِ المُضَـلّلِ وَالأفَـنِ

(الديوان: ١٣٥)

وفي زمن بني أمية فواجع لا تقل ضراوة عما كان يجري قبل الإسلام، إن لم تكن أوجع(البزرة: ١٦٢).

فقد سمّى الناس سليمان بن عبدالملك، مفتاح الخير؛ لأنه أذهب عنهم سنّة الحجاج وأخلى السجون (ابن خلكان: ٢/ ٤٢٠). وهناك إضافة إلى ما كان يفعله الحجاج كثير من صور العنف القبلي، التي تمثل سلوكيات مبالغاً فيها من قبل معن بن زائدة، والي اليمن، وكيف كان يقتل اليمنية ويسجنهم تعصباً لقومه من ربيعة، وغيرهم من نزار، وكذلك ما كان

من عقبة بن سالم، إذ كان يقتل عبدالقيس وغيرهم من ربيعة قصداً إلى النيل من معن والكيد له، وتعقباً لقومه من اليمنيين (المسعودي: ٢/ ١٩٧). وكانوا أحياناً يتناسون هذه العصبية وكأنها غير موجودة (رواقة: ١٨٠).

كان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام، لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام بن عبدالملك، فلما ولي الخلافة، قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام، وأُشْخِصا إليه إلى الشام، ثم دعا بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، فقال: وأي قرابة بيني وبينك... فقال يا أمير المؤمنين، قد نهى الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حَدّ، قال في حدٍّ أضربك وقَوَد، أنت أول من سنّ ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان... فضربهما ضربا مبرحا، وأثقلا بالحديد، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وكتب إليه، احبسهما مع ابن النصرانية – خالد القسري–، فعذبهم عذابا شديدا، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب، ومات الثلاثة في يوم واحد، فقال الوليد بن يزيد:

قَد راحَ نَحوَ العِراقِ مَشْخَلَبَه	**قُصَارُهُ السجنُ بَعدَهُ الخَشَبَهْ**
يَركَبُهَا صَاغِراً بِلا قَتَبٍ	**وَلا خطَام وَحولَهُ جَلبَهْ**
فَقُل لِدَعجَاءَ إنْ مررتَ بِهَا	**لَن يَعجزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ**
قَد جَعَلَ اللهُ بَعدَ غَلبَتِكُم	**لَنَا عَليكُم يَا دُلْدُلُ الغَلَبَهْ**

(الديوان: ١٧)

إن التطلع إلى الخلافة ومحاولة الوصول إليها، كان من أهم أسباب بروز النزعة العصبية في العصر الأموي، فكانت "فترات فوضى الحكم والنزاع على الخلافة تؤرث العصبية القبلية بين القبائل، ثم لا يزعها إلا وال أو خليفة شديد البطش مخوف الإهاب" (البزرة: ١٦٢)، ونرى نبرة العصبية وحدتها واضحة عند الأمويين على غيرهم، إيذاناً برفع صوت الإسلام عنها وكسر القيود التي فرضت عليها أيام النبي الكريم وصحابته أملاً في الوصول إلى الخلافة، التي كانت نفوسهم تشرئب إليها منذ القدم، فعندما انتقل الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى، كان أبو سفيان غائبا، فلما قدم، قال: كيف رضيتم يا بني عبد مناف أن يلي أمركم غيركم. (المقريزي: ٧٣). ونلاحظ في بعض النماذج الشعرية نبرة التحدي والقوة في الهجاء اللاذع الموجه، الذي يهدف إلى تغيير الواقع بدافع عصبي، ويزيد بن مفرغ الحميري، أكثر النماذج تمثيلاً لهذا الاتجاه الذي يراد به التغيير، فقد كان حليفاً للقرشيين صديقاً للفرع العثماني، استنكر أن يتولى زياد بن أبيه ولاية المسلمين، وهو مجهول

النسب، بينما يحال بين الأكفياء من قريش وبين المناصب السياسية، والتي كان من المتوقع أن تكون الخلافة لهم – لقريش – وعلى رأسهم عليّ، وعليّ نفسه كان يتوقع ذلك، لذلك لم يبادر للمطالبة بها، فعندما خلا العباس – عم الرسول الكريم – بعليّ وأراد مبايعته، لحظة انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى– أجابه عليّ متعجباً " يرحمك الله، ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ياعم " (المقريزي: ٧٥)، وهذا ما جعل يزيد بن مفرغ الحميري، فيما بعد، يتخذ من نسب زياد مدخلا لهجاء مستمر مرير، نال فيه منهم، ومن هيبتهم، يقول:

فَلَو أنّ لَحمِي إذ وَهَى لَعبت بِهِ ... كِرامُ مُلوكٍ أو أسودٌ وأذؤبُ

لَهَوّنَ من وَجْدي وسلّى مصيبتي ... ولكنما أودى بلحمي أكلبُ

أَعَبّادُ مَا لِلّؤم عَنْك مُحولٌ ... وَلا لَكَ أُمٌّ فِي قُريشٍ وَلا أَبُ

وَقُل لِعُبيدِ اللَه: مَالك وَالد ... بِحقٍّ ولا يَدرِي امرؤ كَيفَ تُنْسَبُ

(الديوان: ٥٧–٥٩)

وكان أشراف قريش يباركون له هذه الخطوة ويساندونه في الخفاء، حتى إذا اشتدت المواجهة بينه وبين عباد بن زياد، انفضوا من حوله، يقول:

أصبَحتُ لا مِن بَنِي قَيسٍ فَتنصرنِي ... قَيسُ العِراقِ وَلَم تَغضبْ لَنَا مُضَرُ

وَلَم تكلّم قُريْش فِي حَلِيفِهِم ... إذ غَابَ أنصَارُهُ بِالشّامِ وَاحتُضرُوا

(الديوان:١٢١–١٢٢)

فعاش يزيد مأساة نفخت فيها العصبية القبلية ريحا دويا، فيها دخل السجن وبقوتها خرج، ومأساته مثل حي للصراع بين العصبية والسلطة، وفيها الدليل على أن الحكام الأشداء كانوا أنفذ أثرا وأعلى يدا من عصبية القبائل، هذه العصبية التي لم تستطع أن تنتصر للعرجي طوال تسع سنوات في السجن (البزرة: ١٨٦، ١٨٢).

فقد ازدادت مساحة التعصب القبلي اتساعا، وتجاوزت التعصب العرقي، أو عصبية الدم إلى أبواب أخرى، تراها في باب السياسة التي أسهمت في تفاقمها في المدن والبوادي على السواء، وأسهم في نشرها على هذا المستوى من الاتساع، موقف الولاة، فيما نهضوا به من صور التقريب أو الإبعاد أو العزل والحرمان (خليف: ٥١).

٣- الصعلكة:

من الأسباب التي كانت تؤدي إلى السجن، الصعلكة، وهناك أسباب عدة لظهور الصعلكة، منها السبب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهذه الظاهرة توارت في

صدر الإسلام، ولكنها وجدت أحداث العصر الأموي متنفساً لها، فعادت من جديد، ولا يعنينا البحث في تفاصيلها وأساليبها فقد كفاني وغيري كثير من البحوث التي تناول فيها أصحابها هذا الموضوع من جوانبه كافة، يأتي في مقدمتهم كتاب الدكتور حسين عطوان " الشعراء الصعاليك في االعصر الأموي " ، وبما أن السلطة الأموية كانت مسؤولة عن الناس وحياتهم، فكان عليها أن تتعقب كل لص ومفسد وقاتل ؛ لتعاقبه، وقد اعتبرت السلطة الأموية الصعاليك خارجين على الدولة ونظامها وعابثين بأمنها، فراحت تطاردهم، وربما فرضت المكافآت لمن يساعدها في القبض عليهم، لتذيقه ألوان العذاب، ومن الصعاليك الذين وقعوا في قبضة السلطة الأموية: مالك بن الريب وجحدر بن معاوية وعبيد الله بن الحر والمرار الفقعسي والقتال الكلابي وغيرهم، وقد عاقبتهم الدولة حبساً أو قتلاً أو جلداً، وكان الصعاليك الشعراء يهجون قبائلهم وقومهم ويتوعدونهم ؛ لأن هذه القبائل أحياناً، كانت تقصر في المطالبة بالإفراج عنهم، وظهور الصعاليك كان مرتبطا بالحقب التي كثر فيها الظلم، واشتد البغي، وبخاصة أيام عبدالملك (عطوان: ٤٦).

فمن الشعراء الصعاليك المرار الفقعسي، وكان هو وأخوه - بدر - لصين كبيرين، حبسهما عثمان بن حيان المريّ، والي المدينة، ولكن المرار فرّ من السجن، وبقي أخوه، فطارده عثمان وحبسه مرة ثانية، فبقي مع أخيه مدة في السجن، وتوفي بدر مسجوناً مقيداً، وشاهد المرار هذا المنظر، الذي لم يستطع أن يقدم أدنى مساعدة له، فقال المرار وهو في السجن:

أَنَارٌ بَدَت مِن كُوّةِ السجنِ ضوؤُهَا عَشِيَّةَ حَلّ الحَيّ بالجَرعِ العُفرِ
فَإن تَفعلا أحدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغي لكما شُكري
فَيَا وَيلتَا سجنِ اليَمَامَةِ اطلِق أسيرَكمَا ينظرُ إلى البَرقِ مَا يَفرِي
وَلَو فَارَقتْ رِجلِي القُيودُ وَجدْتَنِي رَفِيقاً بِنَص العِيسِ فِي البلدِ القفرِ

(القيسي: ٢/ ٤٥٣-٤٥٤)

فكان السجان يلقي به ألوان العذاب، حتى لكأن نار جهنم التي توعد الله بها المشركين، تستمد قوتها ولهبها وهولها من هذه النار التي يعذب بها، يقول عبيدالله بن الحر:

أَرَى الدّهر لِي يَومَين مُطّرِداً شَرِيداً وَيَوماً فِي المُلوكِ مُتوّجاً

(القيسي: ١/ ٩٨)

فالثورات التي أشعلتها الأحزاب المعارضة للأمويين، رافقها ثورات أخرى قام بها الموالي (اليعقوبي: ٢/ ٢١٠)، وكذلك بعض أشراف العرب، مثل ثورة عمرو بن سعيد بن العاص على عبد الملك، وثورة ابن الأشعث على عبدالملك أيضا، وثورة يزيد بن المهلب بالبصرة،

الذي حبس عاملها عدي بن أرطاة. إن مثل هذه الثورات ساعدت في تخلخل الاستقرار الأموي، وبالتالي مهد لتوفر جو مناسب لظهور فئة الصعاليك، وخاصة السياسيين منهم (عطوان: ص ٧٦).

وقال عبيد الله بن الحر يفتخر في سجنه:

لَنِعمَ ابنَ أختِ القومِ يَسجنُ مُصعَبٌ   لِـطَـارِقِ لَـيـلٍ خـائـفٍ وَلـنَـازِلِ

(القيسي: ١/ ١١١)

وقال السمهري العكلي في سجنه:

وَلَـو أَنّ لَيلَى أَبصَرَتنِي غُـــدوَةً   وَصَحبِي وَالصّف الذينَ أُمَارِسُ

إذاً لَبَكَـتْ لَيلَى عَلَــيّ وأَعْوَلَــت   وَمَا نَالَت الثّوبَ الذي أَنَا لابِسُ

(القيسي: ١/ ١٤٤)

فعلى الرغم من التصدع والتشتت النفسي الذي عانى منه هؤلاء الشعراء، وتحطمت من خلاله معنوياتهم ومع ما أضناهم التشرد والاضطهاد وذل الغربة فقد بقيت قصائدهم قوية متماسكة، كما تميزت القصيدة لديهم بعاطفة أو انفعال أو إحساس عام كان بمثابة السلك الخفي الذي يربط بين أجزائها. وكان الصعاليك يركزون على القلق النفسي والاضطراب الداخلي، وكل ما يذكرهم بالسجون وأبوابها وحرسها، والقيود وآثارها في أيديهم وأرجلهم، وكيف امتلأت نفوسهم توجسا وقلوبهم خوفا، قال السمهري العكلي:

كَيفَ أُحَيّيهَا وَقَد نَذَرُوا دِمي   وَأَقسَمَ أَقوَامٌ مَخوفٌ قَسَامَهَا

(القيسي: ١/ ١٤٦)

فقد ضاقت الحياة بجحدر بن معاوية بحيث لم يجد أحدا يلجأ إليه، ويخلصه مما هو فيه ولما طال حبسه واعتلت نفسه لم يلجأ إلا لله، فأوكل أمره له، يقول:

يَا نَفسُ لا تَجزَعِي إِنّي إِلَى أَمَدٍ   وَكُلّ نَفسٍ إِلَى يَومٍ وَمِقدَار

(القيسي: ١/ ١٧٥)

إن الظروف الصعبة التي عاشها الصعاليك اضطرت بعضهم إلى نظم بعض الأبيات في الاستغاثة، بعد أن كان ثائرا متمردا، يقول جحدر بن معاوية، معتذرا عما فعله في صعلكته، ومادحا إبراهيم بن عربي، والي اليمامة:

يَا أَقرَبَ النّاسِ مِن حَمدٍ وَمَكرُمَةٍ   وَأبعَدَ النّاسِ مِن ذَمٍّ وَمِن عَارِ

وَأعظَمَ النّاسِ عَفواً عِندَ مَقدِرَةٍ   وَلَيثَ غَابٍ عَلَى أَعدَائِهِ ضَارِ

أَنعِم عَليّ بِنُعمَى مِنكَ سابِغَةٍ مِن سَيبِ أَروَعَ نَفّاعٍ وَضَرّارِ

(القيسي: ١/١٧٦-١٧٧)

فالقصيدة أو المقطوعة عندهم تحقق غرضا مشتركا هو التركيز على شخصية الشاعر والتعبير عن مدى إحساسه بالعجز والألم والإحباط والثورة والتحدي والتهديد، وهذا الشعور يتفاوت من حين لآخر ومن شخصية إلى أخرى، لكنه في كل الأحوال يتركز حول شخصية الشاعر ووصف أحاسيسه ومشاعره. وقال الخطيم المحرزي، يستعطف قومه، وهو في سجن نجران:

أَبَت لِي سَعدُ أَنْ أُضَامَ وَمَالِكُ وَصِيّ الرّبَاب وَالقَبَائِل مِن عَمرِو

(القيسي: ١/٢٥٦)

وقال الخطيم المحرزي، يستجير سليمان بن عبد الملك:

أَعِذنِي عَيّاذاً يَا سُليْمَان إِنَّنِي أَتِيك لَمّا لَم أَجِد عَنكَ مُقعَداً

لِتُؤمِنني خَوفَ الذي أَخَاف وَتُبلِعنِي رِيقِي وَتنظرنِي غَدَا

قَراراً إليكَ مِن وَرَائِي وَرَهبَةً وَكنتُ أحقَّ النَّاسِ أنْ أَتَعَمّدَا

(القيسي: ١/٢٦٦)

ولعل هذا ما ذهب إليه عبد الحليم حنفي، وهو يتحدث عن شعر كثير من أفراد هذه الظاهرة حيث يرى أن شعر هؤلاء أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية التي يدون الشخص فيها أفكاره ومشاعره وما يحسه حوله في موقف من المواقف فيسجلون بشعرهم هذا الإحساس الذي أظهر من خلاله مزيدا من الوحدة والترابط وعدم التنافر بين معانيه وكل ذلك يرجع إلى لجوئه إلى أسلوب المذكرات الشخصية، وهذا ما دفع بشعراء هذه الظاهرة إلى اتخاذ المباشرة أسلوباً في التعبير عن كل ما يعتمل في نفوسهم من آمال وآلام، ولذلك كان من المتطلبات الرئيسة لهذا البحث تقدير قيمة الكلمة وإدراكها والوعي بها، إذ الكلمة هي أهم وسائل الشاعر في إبداعه وهي المثير المادي للمعاني التي تجيش بها نفسه، فالتجربة الأدبية منبعها النفس، وباعثها الانفعال الصادق، وهي ترجمة فنية لما يمور في أعماق النفس من أشواق وعواطف نحو إعادة تشكيل الواقع المرفوض ومحاولة جادة لخلق آفاق جديدة لمستقبل جديد.

فكانت حياة السجون قاسية عليهم؛ لأنهم خلعوا من مجتمعاتهم، لذلك جاءت أشعارهم غنية بالمعاني والأحاسيس والمشاعر التي أحسوها، وهم في غياهب السجون، كما كانت غنية بالصور المتنوعة التي استمدوها من واقع حياتهم؛ لأنها رسمت من واقعهم النفسي والمجتمعي.

٤- الغزل:

يعد الغزل أحد فنون الشعر القديمة التي طرقها الشعراء، وكان القدماء يطلقون عليه اسم التشبيب أو النسيب أو الغزل، وهي كلها ألفاظ مترادفة، فالغزل من الموضوعات الأساسية في الشعر العربي، ولكنه قل بشكل واضح في صدر الإسلام ؛ بسبب انشغال المسلمين بالدفاع عن كيانهم والجهاد في سبيل الله في مواقع عدة، وجهادهم هذا بالفكر والكلمة لم يكن يترك لهم مجالا للاطمئنان إلى النظرة للمرأة، ولم يهتد الشعراء إلى إدراك جديد في تلك الفترة من صدر الإسلام، فأولئك أصحاب اتجاه متميز في الشعر الأموي، وإلى جوارهم عاش شعراء آخرون أو جاؤوا بعدهم، لم يشتهروا بالحب، ولكنهم استطاعوا التعبير عن معانيه تأثراً بهؤلاء، أو محاكاة لما شاع في البيئة الإسلامية من معان وعواطف. والعصر الأموي، أوجد الجو المناسب لظهور نوع جديد آخر، وهو الغزل السياسي، بجانب أنواع الغزل المعروفة، الحسي والعذري، وبقي الغزل في هذا العصر، بل واشتهر به الشعراء، ولأن الدولة الإسلامية راحت تعاقب من يجاهر به، فقد نفي الأحوص ؛ لأنه تغزل بنساء أشراف الأنصار وقريش (سعد: ١٦٩)، وقال العرجي في جبرة، زوجة محمد بن هاشم متغزلا :

عُوجِي عَلَيّ وَسَلّمِي جَبْرُ ... فِيمَ الصّدودُ وَأَنتُم سَفْرُ

فَكَفَى بِهِ هَجراً لَنَا وَلَكُم ... إنّي وَذَلِكَ فَاعلَمِي الهَجرُ

لا نَلتَقِي إلا بِثَلاثِ مِنًى ... حَتّى يُشَتِّتَ بَينَنَا النّفْرُ

بِالشّهرِ بَعدَ الحولِ نَتبَعُهُ ... مَا الدّهرُ إلا الحَولُ وَالشّهرُ

(الديوان:٤٢– ٤٣)

وقال أيضا في أم محمد بن هشام متغزلاً :

عُوجِي عَلَينَا رَبّة الهَودَجِ ... إنّكِ إن لا تَفعَلِي تُحرَجِي

أَيسَرُ مَا نَالَ مُحِبٌّ لَدَى ... بَينِ حَبِيبٍ قَولُهُ عَرّجِ

(الديوان: ١٤)

هذا النوع من الشعر جعله سلاحا يطعن به الأمويين في معنوياتهم ونفوسهم من الداخل، فراح يصفها وصفا حسيا، والهدف من ذلك، هو فضح محمد بن هشام، لا المحبة بينهما، وكان هذا سبب حبس محمد له، وضربه حتى الموت.

هذه أهم موجبات السجن في العصر الأموي، والتي تمثل الأسباب الرئيسة، ولكننا نجد أحيانا تداخلا بين هذه الأسباب وأسباب أخرى، إذ قد يبدو السبب الظاهري شخصيا، ولكنه

في الحقيقة سياسي، أو قد يحوّل السبب السياسي إلى شخصي أو العكس، ولكن تبقى القوة من جانب والسياسة من جانب آخر، هي المحرك الأساس فيما وراء هذه الأسباب.

موضوعات شعر السجون:

كان الشعر في السجن يمثل سلوة للشاعر أو السجين، وتعزية للنفس عما حل بها، ومعظم موضوعات هذا الشعر تدور حول تجربة السجين، سواء أكان القائل داخل السجن، أم كان متصلا بمن له علاقة به، هذه التجربة المأساوية التي تركت آثارا سلبية على حياة من ابتلي به، ومن موضوعات شعر السجون:

١- العتاب والاستعطاف:

يعد العتاب والاستعطاف من موضوعات الشعر العربي بشكل عام وشعر السجون بشكل خاص، وقد أخذ مساحات واسعة من أشعارهم، تحت مسميات عدة، مثل: العتاب والاستعطاف والرجاء واللوم والطلب، وما يدور في معناهما، ومعظم هذه الأشعار كانت موجهة لأصحاب النفوذ، أملاً في تخليصهم من محنتهم، وغالبا ما يكون العتاب رقيقا، يخالطه مسحة من التذلل والخضوع والاعتراف بالذنب، فيرسل في عتاب الأهل أو الأصدقاء أو القبيلة، عتاباً رقيقاً، ملمحاً أنه من أجلهم دخل السجن، دفاعاً عنهم، وهدماً لخصمهم، وقد يلجأ الشاعر إلى ماضيه في قومه، وكيف ساند أهله وقت أزماتهم، فحق عليهم أن يقفوا بجانبه، يقول ابن مفرغ الحميري:

لَعَمري لَو كَانَ الأسيرُ ابنَ معمرٍ	**وَصَاحِبهُ أو شكلهُ ابنَ أسيدِ**
وَلَو أَنّهُم نَالُوا أُمَيّةَ أَرقَلَت	**بِرَاكِبِهَا الوَجنَاءُ نَحوَ يَزِيدِ**
فَأَبلَغَت عُذراً في لُؤي بنِ غَالبٍ	**وَأتلَفَت فِيهِم طَارِفي وَتَلِيدِي**
فَإن لَم يُغيرهَا الإمامُ بِحقّهَا	**عَدَلتُ إلى شُمٍّ شَوامِخَ صِيدِ**
فَنَادَيتُ فِيهِم دَعوَةً يَمَنِيّةً	**كَمَا كَانَ آبَائِي دَعُوا وَجُدُودِي**
وَدَافَعتُ حَتّى أبلغَ الجُهدَ عَنهُم	**دِفَاعَ امرِىءٍ فِي الخيرِ غَيرَ زَهِيدِ**
إنْ لَم تَكونُوا عِندَ ظَنّي بِنَصرِكُم	**فَلَيسَ لَهَا غَيرُ الأغَرِّ سَعِيدِ**
فَكَم مِن مَقَامٍ فِي قُريشٍ كَفَيتَهُ	**وَيوم يُشِيبُ الكَاعِبَاتِ شَدِيدِ**
وَخَصمٍ تَحَامَاهُ لُؤيُ بنُ غَالِبٍ	**شَبّت لَهُ نَارِي فَهَابَ وُقُودِي**

وَخيرٍ كَثيرٍ قَد أَفَاتُ عَليكُم   وَأَنتُم رُقودٌ أَو شِبيهُ رُقُودِ

(الديوان:: ١١٣-١١٦)

لقد ارتبطت هذه المقطوعة برباط نفسي داخلي، شدّ الأبيات بعضها ببعض، وكأن الشاعر يريد أن يشد من عزيمة أهله وقبيلته، ويستحثهم ويستنجدهم؛ كي يقفوا بجانبه، من خلال الكلمات التي توحي بالأمل والنظر نحو المستقبل، وقام حرفا العطف (الفاء والواو) في الربط بين أبيات المقطوعة بشكل مباشر، فتلاحمت خطوط الصورة الكاملة للمقطوعة من خلالهما، مما ساعد على توضيح صورة الصراع النفسي الشديد الذي كان يعانيه الشاعر، ومدى تمزقه بين الإفصاح عن حالته، وكشف مكنونات نفسه، وما يعتريها من لحظات ضعف ووهن إنساني، وبين حالة المكابرة، فاتخذت شكلاً بسيطاً من أشكال التساؤل والنفي والأسلوب التقريري الخطابي، وإن كانت من طرف واحد، إلا أننا نتبين الدور المتميز الذي قامت به في المحافظة على الوحدة النفسية، وتوزيع الانفعالات بين أبياتها، وتحقيق الانسجام، والنمو النفسي عن طريق العاطفة، ومن الاستعطاف ما قاله قال الأحوص، وهو في دهلك، مستعطفاً عمر بن عبدالعزيز:

أيَا رَاكِبَاً عَرّضتَ فَبَلّغَن   هُديتَ أَميرَ المُؤمنِينَ رَسَائِلِي
وَقُل لأبي حَفصٍ إذَا مَا لَقِيتهُ   لَقَد كُنتَ نَفّاعَا قَليلَ الغَوَائِلِ
وَكَيفَ تَرَى لِلعَيشِ طِيباً وَلذّةً   وَخَالُكَ أَمسَى مُوثَقَاً فِي الحَبَائِلِ

(الأصفهاني: ٤/ ٤٢٦)

كانت تجربة السجن شديدةعلىالسجين، قاسية في خياله متجددة فيه، تحطمت آماله فيها، وكانت خيبة أمله في الخليفة وفي الأهل والأصحاب، أشد مضاضة على نفسه، أشعلت في نفسه جذوة ملتهبة من الضياع النفسي، فضاعفت من حجم المأساة، فانسابت الحسرة والرجاء في أشعاره، ومن العتاب المشهور قول العرجي، الذي راح مثلا في هذا الغرض، وكان قد علق الآمال على قومه في إطلاق سراحه، ولكنهم لم يحركوا ساكنا، على الرغم من أنه من شعراء قريش المعدودين، فقال:

أَضَاعُونِي وَأَيّ فَتَىً أَضَاعُوا   لِيوم كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ
وَخَلّونِي لِمُعتَركِ المَنَايَا   وَقَد شَرَعَت أَسِنّتُهَا لنَحرِي
كَأنّي لَم أَكُن فِيهِم وَسِيطاً   وَلا لِي نِسبَةٌ فِي (آلِ عَمرو)
أُجَرَّرُ فِي الجَوَامِعِ كُلّ يَومٍ   أَلا للهِ مَظلَمَتِي وَصَبرِي

عَسَى المَلِكُ المُجِيبُ لِمَن دَعَاهُ يُنَجِّينِي فَيَعلَم كَيفَ شُكرِي

فَأُجزِي بِالكَرَامَةِ أَهْلَ وُدِي وَأُورِثَ بِالضَّغَائِنِ أَهْلَ وِتْرِى

(الديوان: ١٣٥-١٣٦)

وقال الفرزدق مستعطفا آل مروان ؛ لتخليصه من السجن وآثاره :

فَيَا خَيرَ أَهلَ الأرضِ إنّك لَو تَرَى بِسَاقَيّ آثَارَ القُيودِ النَّوَاسِفِ

(الديوان:٢ / ٩)

وقال يستعطف خالد بن عبدالله القسري لإطلاقه من السجن :

فَهَل لابنِ عَبداللهِ مِن شَاكِرٍ لَكُم لِمَعرُوفٍ إنْ أَطلَقْتُم القَيدَ حَامِدِ

(الديوان،١ / ١٣٣)

وتمضي الشهور وربما السنون بالسجين، ولا يلتفت إلى مأساته أحد من قومه، وكأن العصبية كانت لقضايا خاصة، فالنخوة والحمية، لم تجد آذانا صاغية، فالمصالح السياسية كانت بديلاً عن انتصار القبيلة لأحد أفرادها، حتى لو كان ذا مكانة مرموقة فيها، مثل العرجي. ويقع السجين تحت الاختبار، يعاني الضياع والاقتلاع، فيخفق في التكيف مع الوضع السياسي الجديد في هذا المكان، ويزداد شعوره بالشقاء والتعاسة والحزن، حتى يعجز عن تحقيق الانتماء المطلوب لهذا المجتمع أو القبيلة، قال السمهري العُكَلِي، وهو في السجن، يذم قومه، لتقصيرهم في إطلاقه :

أَلا لَيْتَنِي مِن غَيرِ عُكلٍ قَبِيلَتِي وَلَم أَدرِ مَا شُبّانُ عُكْلٍ وَشِيبُهَا

(القيسي:١ / ١٤١)

وقال جحدر لمن خرج من السجن، أتحمل عني شعرا، وأنشأ يقول :

فَيَا أَخَوَاي مِن جُشَم بنِ سَعدٍ أَقِلا اللّومَ إنْ لَم تَنفَعَانِي

إذَا جَاوَزتُمَا سُعُفَاتِ حجْرٍ وَأَودِيَةِ اليَمَامَةِ فَانعِيَانِي

وَقُولا جَحدَرٌ أَمسَى رَهِينَاً يُحَاذِرُ وَقْعَ مَصقُولٍ يَمَانِي

يُحَاذِرُ صَولَةَ الحَجّاجِ ظُلْماً وَمَا الحَجّاجُ ظَلاماً لِجَانِي

أَلَم تَرَنِي غُذِيتُ أَخَا حُرُوبٍ إذا لَمْ أَجْنِ كُنتُ مَجنِ جَانِ

فَإنْ أَهلَكْ فَرُبَّ فَتىً سَيَبكِي عَلَى مُهَذّبٍ رَخصِ البَنَانِ

(القيسي: ١٨٥-١٨٦)

٢- الوصف:

يأتي الوصف في مقدمة موضوعات شعر السجون ؛ لأنه يصف مأساة نفسية وجسمية حقيقية للسجين، وقد توصله هذه المأساة إلى الموت، ونرى الوصف يسير في أكثر من اتجاه، مثل وصف المكان وأهواله، وما فيه من مظاهر سلبية على حياة الشخص المسجون، ووصف نفسية السجين الداخلية في هذا المكان، ووصف القيد وما يتركه من أثر نفسي وجسمي، وتتجسد في الوصف كل معاني الذلّ والشقاء والغربة المؤلمة، لذا بقيت صورة السجن ورهبته بكل دقائقها وأبعادها واضحة في شعرهم، كما أخذت أدوات التعذيب بعداً خاصاً في شعرهم؛ لأنها خرجت عن الطبيعة الإنسانية في تعامل الإنسان مع الإنسان، فتركت في حياتهم بصمات واضحة من الذل والقهر، وبخاصة عندما كان يقترن بصورة الدم، وهي تسيل من الأرجل خلال التعذيب، مهما كانت أدواته وأنواعه، فجحدر بن معاوية يستنجد بالله ؛ لتخليص الناس والسجناء من سجن دوار ؛ لما فيه من ويلات وأهوال، يقول :

يَا رَبّ دَوّار انقِذ أَهلَهُ عَجِلا   وَانقِض مَرَائِرَهُ مِن بَعدِ إبرَام

رَبّ ارمِهِ بِخَرَابٍ وَارمِ بَانِيَهُ   بِصَولَةٍ مِن أَبِي شِبلَينِ ضِرغَامِ

(القيسي: ١٨١)

وقال جحدر مقطوعة يصف جماعة في هذا السجن، ومنها :

كَانَت مَنَازِلُنَا التي كُنّا بِهَا   شَتّى وَأَلّفَ بَينَنَا دُوّارُ

سِجنٌ يُلاقِي أَهلُهُ مِن خَوفِهِ   أَزَلا وَيُمنَعُ مِنهُم الزُوّارُ

(القيسي:١ /١٧٣)

وقال وقد حبسه الحجاج في سجن ديماس بواسط :

وَاطلَقَتنِي مِن الأصفَادِ مُخرَجَة   مِن هَولِ سِجنٍ شَدِيدِ البَأسِ ذِي رَصَدِ

(القيسي:١ / ١٧٢)

قد تجلت المعاناة النفسية المكانية الزمانية من خلال تصوير نفسه داخل الأصفاد، وكيف أن الأصفاد تلفه من كل جانب، وأرى أن استخدام الأصوات والجرس الموسيقي للكلمات، بأصواتها المفخمة، أعطى صورة عن حجم المصيبة وهولها، فجاءت الألفاظ : الأصفاد – هول – شديد – ذي رصد – تعكس الحالة النفسية الداخلية له، والتركيب الإضافي "هول السجن " هنا، عبر عن عمق المأساة ووصفها، إذ أن كل جذر لغوي يتوسطه الواو يدل على عظم الشيء وسعته حجمه، ومثله كلمة جوف، الذي يعبر عن المعنى ذاته في قول جحدر

في وصف السجن :

فِي جَوفِ ذِي شُرُفَاتٍ سُدَّ مَخرَجُهُ بِبَابِ سَاجٍ أَمِينِ القَفْلِ صَرّارِ

(القيسي: ١/ ١٢٧)

وقال عبيد الله بن الحر :

بِمَنزِلَةٍ مَا كَانَ يَرضَى بِمِثلِهَا إِذَا قَامَ غَنّتْهُ كَبُولٌ تُجَاوِبُهْ

عَلَى السّاقِ فَوقَ الكَعبِ أَسوَدُ صَامِتٌ شَدِيدُ يُدَانِي خَطوَهُ وَيُقَارِبُهْ

(القيسي:١/ ٩٣)

وقال السمهري العكلي :

إِذَا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ البَابَ أُرْعِدَت فَرَائِصُ أَقوَامٍ وَطَارَتْ قُلُوبُهَا

تَرَى البَابَ لا تَستَطِيعُ شَيئاً وَرَاءَهُ كَأَنّا قَنِيٌّ أَسلَمَتهَا كُعُوبُهَا

(القيسي:١/ ١٤١)

لم يتوان الحجاج في سجن كل من يراه خارجا عن الدولة ونظامها وأهدافها، فقد سجن جحدر بن معاوية، فبعث إلى عامله على اليمامة إبراهيم بن عربي، فأودعه في سجن دوار، فقال شعرا يصف فيه السجن وبعض أدوات التعذيب :

يَغشَونَ مُقَطّرَةً كَأنّ عَمُودَهَا عُنْقٌ تُعرِق لَحمَهَا الجَزّارُ

(القيسي:١/ ١٧٣)

وأما الشخص الذي يخرج منه فقد وصفه بقوله :

كَأَنّ سَاكِنَهَا مِن قَعرِهَا أَبَداً لَدَى الخُرُوجِ كَمُنتَاشٍ مِن النّارِ

(القيسي:١/ ١٧٧)

ويقول جحدر، وقد حبس في سجن ديماس، وهو سجن كان للحجاج بواسط :

إِنّ اللّيَالِي نَحَت بِي فَهيَ مُحسِنَةٌ لا شَكّ فِيهِ مِن الدّيمَاسِ وَالأَسَدِ

كَأنّ سَاكِنَهُ حَبا حَشَاشَته مَيْتٌ تردّد مِنهُ السّمُّ فِي الجَسَدِ

(القيسي:١/ ١٧٢)

٣- الاستغاثة:

توجد علاقة بين الاستعطاف والاستغاثة، ولكن الاستغاثة تكون بشكل أقوى وأشد، ولعلها تخبر بضرورة التحرك بسرعة؛ لوقوع خطر ما، فقد استغاث ابن مفرغ بالمنذر بن

الجارود، وكانت ابنته بحرية عند عبيد الله بن زياد، فقال يستنهض المنذر على حمايته:

حَمَى جَارَهُ بِشرُ بنُ عَمرِو بنِ مَرْثِدٍ ... بِـألـفِ كَـمِـيٍّ فِـي الحَـدِيـدِ مُكفَّرِ

(الديوان: ١٣٨)

ولكنه ما لبث أن تخلى عنه خوفا من ابن زياد، فدس عبيد الله من أتاه به، وذكر ابن المفرغ عجز المنذر عن حمايته:

تَرَكتُ قُريشاً أنْ أُجَاوِر فِيهم ... وَجَاورتُ عَبد القَيس أهلَ المشقّرِ

أُنَاسٌ أجَارُونَا فَكانَ جِوارُهُم ... أَعَاصِيرَ مِن فَسوِ العِراقِ المُبَذّرِ

فَأصبَحَ جَارِي نَائِماً مُتبسطاً ... وَلا يَمنـعُ الجيـرَان غَيـرُ المُشمّرِ

(الديوان: ١٣٥-١٣٦)

قال السمهري مستغيثا بني أسد:

بَنِي أَسدٍ هَل فِيكُم مِن هَوادَةٍ ... فَتغفرَ إنْ كَانَت بِي النّعلُ زَلّتِ

(القيسي: ١/ ١٤٣)

إن أسلوب النداء فيه نوع من اللهفة؛ لسماع خبر ما، من خلال التساؤل، الذي يعبر عن الصورة الحزينة البائسة التي كان عليها الشاعر، فهو نداء يوحي بعمق الاستغاثة، بمعطيات التوسل، وكان الشاعر موفقا في استخدام هذا الأسلوب، وبخاصة مع الاستفهام التقريري.

ومن صور الاستغاثة، ما قاله جحدر بن معاوية في إبراهيم بن عربي والي اليمامة؛ لإنقاذ أهله، وهي صرخة تخفي وراءها النقمة الحادة، واضطراب الحقد الذي ملك على مشاعره، وانعكس على جوارحه، حتى انفجرت أحاسيسه بهذه الهيئة المريرة، فقال مستغيثا:

سُقياً لِسَجنِكَ مِن سِجنٍ وَسَاكِنِه ... بِـديمـة مِـن ذَهَـابِ المَـاءِ مِـدرَارِ

بِـكُـلِّ جَـوْنٍ رَوايـاه مُطبقـةٌ ... وَاهِـي الـغَـزالِـي مِـن الجَـوزَاء جَـرّارِ

وَقَـد دَعـوتُ وَمَـا آلـو لأسمِعَـهُ ... أَبَـا الـوَلـيـدِ وَدُونِـي سِـجـنٌ دوّارِ

فِي جَوفِ ذِي شُرفَاتٍ سُدَّ مَخرَجُهُ ... بِـبَـابِ سَـاجٍ أَمِـينِ القُـفلِ صَـرَّارِ

أدعـوهُ دَعـوةَ مَظلُـومٍ لِيَنصـرَنِي ... ثُـمّ اسـتَغَثْتُ بِـذِي نُـعمَى وَأَخـطَارِ

أَشكُو إِلَى الخَيرِ إبرَاهِيم مَظلَمَتِي ... فِي غَيرِ جُـرمٍ وَإخـرَاجِـي مِن الـدّارِ

(القيسي١/ ١٧٦)

وعلى الرغم من النغمة الهادئة التي تطغى على الأبيات، في بدايتها، إلا أن هناك بعض

الكلمات فيها تستوقفنا ؛ لأنها تشف عن موجات من الغضب تلوح من تحتها، وليست الكلمات المستخدمة، إلا دليلاً قوياً على تلك الثورة العارمة، المضطربة في نفسه، وهي لا تعدو أن تكون متنفساً، ينفث من خلالها غضبه وحتفه ويأسه، ولكنه لا يجرؤ، فيبقى ظاهر الأبيات هادئاً ساكناً، ويريد بأن يعمد إلى التخفيف من أثرها معزياً نفسه، باعثاً لها على التصبر، يقول الفرزدق مستغيثاً خالدا القسري ؛ لاطلاق سراحه من السجن :

أَلا مَن لِمُعتَادٍ مِــن الحـزْنِ عَائــدِي ... وَهُم أنى دونَ الشّراسِيفِ عَائِدِي

وَكَم مِن أَخٍ لِي سَاهِرِ الليلِ لَـم يَنَـمْ ... وَمُستثقِلٍ عَنّـي مِن النّـومِ رَاقِــدِ

وَإِنّــي لأرجُــو خَــالِـداً أَنْ يَفُكّنِي ... وَيُطلِـقَ عَنّـي مُـثقِلاتِ الحَدَائِـدِ

(الديوان: ١/١٣٢)

أنواع التعذيب:

١- التعذيب الجسدي

لعل الذكريات الماضية في حياة السجين، كانت تمثل بارقة أمل، لواقعه ومستقبله، فنراه يعتمد عليها كثيرا، فيستمد منها قوة تحمل تعينه على ما هو فيه، فالسجن قلب له ظهر المجنّ، فلا مكان هنا للفروسية والشجاعة واللهو، وكأن هذه الأمور لا قيمة لها في هذا المكان، فالانكسار والذل هما المسيطران على نفسيته، فيظهر شعر السجن بشكل عام الألم والمعاناة الحقيقيتين اللتين انعكستا على جسم السجين، بسبب القيد أو الوثاق، فكان هذا يزيده هما على ما فيه، وأرى أن صور التعذيب الجسدي بألوانه وأنواعه كافة، ظهرت بشكل أوضح من التعذيب النفسي، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن صاحب الأمر يريد أن يرى بأم عينيه، ما سيحل بهذا السجين، وكيف سيؤول مصيره، ويريد أن يشفي ما في صدره من غل، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالثأر والانتقام، أو حقد دفين، أو عصبية ثائرة، ووقع الآن بين يديه، بعد مطاردة طويلة، فصاحب الأمر هنا، لايكتفي بعذاب نفسي، قد يطول، وإنما يريد أن يحقق ما في نفسه، وقصة العرجي، وغزله في زوجة محمد بن هشام وأمه وأخته خير مثال على ذلك، ولا شك أنه انتظر هذه اللحظة منذ زمن ؛ ليذيقه ألوان العذاب، يقول العرجي، وهو في سجن مكة :

فَكَم مِن كَـاعِـبٍ حَـورَاءَ رُوْدٍ ... أَلُـوفِ السِّترِ وَاضِحَـةِ التّرَاقِي

بَكَت جَزَعاً وَقَد سُمِرتْ كُبولِي ... وَجَـامِـعَـةٌ يُـشَـدُّ بِـهَـا خِـنَـاقِـي

(العرجي: ١٣٥-١٣٦)

ويقول طهمان بن عمرو الكلابي :

أَسِيراً يَعُضُّ القَيدُ سَاقَيهِ فِيهِمَا   مِن الحُلقِ السّمرِ اللّطافِ وَثِيقُ

(الديوان:١٩)

وكان جحدر قد أغار على حجر وناحيتها، فبلغ ذلك الحجاج، فأمر به قتيلا أو أسيرا، فأتي به أسيرا، قال له الحجاج : إنا قاذفون بك في حائر، فيه أسد عاقر، فإن هو قتلك، كفانا مؤنتك، وإن أنت قتلته خلينا سبيلك، وإنا لسنا بتاركيك تقاتله، إلا وأنت مكبل بالحديد، فأمر به فغلت يمينه إلى عنقه، وأرسل به إلى السجن (السيوطي ٤٠٧-٤٠٩)، يقول جحدر بن معاوية :

الدّهرَ أَرسُفُ فِي كَبْلٍ أُعَالِجُهُ   وَحلقِة قَارَبوا فِيهَا بِمِسمَارِ

أَدُورُ فِيهِ نَهَارِي ثُمَّ مُنقَلَبِي   بِالليلِ أدهَمَ مَزرورُ بِأزرَارِ

(القيسي: ١/ ١٧٦).

كان السجن حياة مختلفة متنوعة، مثّل واقعا حسياً ملموساً، ذاق فيه السجين مرارته، ورأى ظلمه، وغالبا ما يؤدي إلى الموت، أما الزمن ممثلا في الحياة، فلم يكن إلا المدخل الطبيعي للنهاية التي كتبت عليه، وقد تركت هذه الحياة بصماتها الواضحة على حركته الشعرية، وطبعت كثيراً من جوانب هذه الحركة، بما كانوا يقفون عنده من خلال السلوك المفروض عليهم في هذه الحياة، فقد بانت المعاناة على جسم السجين، وعبثت به الأيام، فنحل جسمه، وبانت عروقه، يقول أعشى همدان :

استَنكَرَتْ سَاقِي الوِثَاقَ وَسَاعِدِي   وَأَنَا امرؤ بَادِي الأشَاجِع أَعجَفُ

(الديوان:١٣٨)

فظهرت المعاناة الجسدية على جسمه، وتركت آثارا شكلت له معاناة إضافية، وطبيعة الصراع، داخلياً كان أم خارجياً، كان يمتلك سلوكه، ويخلق في هذه النفس انعطافات حادة وفجوات قاسية من الانفصام والتهالك، وقد ظلت صور هذه الحالات وانعكاساتها الخارجية، تنضح على شكل دفعات غير متوازنة، وارتدادات شعرية غير مستقيمة في شعرهم، يقول السمهري العكلي :

مُقرنَة الأقدَامِ فِي السجنِ تَشتَكِي   ظَنَابِيب قَد أَمست مُبيناً عُلوبُهَا

(القيسي:١ / ١٤١)

جمع السجن أخلاطا مختلفة فكرا وسياسة وعصبية، وقد كبلوا بالقيود، وهذا له صور

مختلفة في شعرهم، فجاء التساؤل عند العرجي ينتقد الحقيقة والواقع، بما فيه من تناقضات، وهو ينبعث من أفواه المساجين- على لسانه -، مما يمنح القارىء صورة أخرى من الصور التي أخذت موضعها في حديثه، وهو تساؤل يخرج عن حدود التقدير الضمني للإطار العام؛ لأنه يفسر الكلام الذي كانت حقائقه تناقش في حوار المساجين، تتضح أسبابه من خلال الصور التي رسمها لعذابات السجن، وقد حبس الحجاج إبراهيم بن يزيد التيمي الزاهد، ومنع عنه الطعام ثم أرسل عليه الكلاب، تنهشه حتى مات (ابن الأثير: ١/ ١٩٠). كان خالد بن عبد الله القسري في سجن يوسف بن عمر الثقفي في العراق، مدحه أبو الشعب العبسي بهذه الأبيات:

ألا إنّ خَيــرَ النّـــاسِ حَيــّاً وَمَيتَـــاً   أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِندَهُم فِي السّلاسِلِ
لَعَمــرِي لَئِن عَمرتُم السجنَ خَــالِـــدا   وَأَوطَـأتُمــوُهُ وَطــأةَ المُـتَـثَـاقِلِ
فَإن تَسجِنُوا القَسرِيّ لا تَسجِنُوااسمَهُ   وَلا تَسجِنُوا مَعروفَهُ فِي القَبَائِلِ
(ابن خلكان: ٢ / ٢٣٠)

ويقول ابن مفرغ:

مِن الطّفِّ مَجلُوباً إلَى أَرضِ كَابُلٍ   فَمَلّوا وَمَا مَلّ الأسيرُ المُعَذّبُ
(الديوان: ٥٧)

وعلى الرغم من العذاب الجسدي للسجين، فإننا نلاحظ الأمل والصبر في شعرهم، وكذلك قوة الإرادة والجرأة والشجاعة في القول والفعل - أحيانا -، وربما هذا فاق من هم خارج السجن، وحقق قضايا عجز عنها الآخرون، من خلال تصويره للحالة التي وضع فيها، وعلى متابعتها، وهي في أشد حالاتها ذعراً، قال عبدالله بن الزَّبير الأسدي متحدياً:

أَظَنَّ أَبُو الحَدرَاء سَجنِي تِجَارَةً   تُرجَى وَمَا كُلّ التّجارَةِ تَربَحُ
(الديوان: ٦٨)

لقد تحدى السجين -أحيانا- السجان والواقع، فالسجين والسجان، كلاهما وجه للحكم ونقض الحكم، كما المرض والصحة، فإن لم تستأنف الصحة حكم المرض وتنقضه، يصبح المرض مزمناً (أبو شماله: ١٨٦)، لذلك كان لا بد من التحدي والرفض للواقع الأليم، ولا خيار سواه، فالأمل بالله ثم بالأصدقاء والأهل والقبيلة ويأتي الاعتماد على النفس والتجلد والصبر أخيرا، قال عبيدالله ابن الحر:

أَقُولُ لَــهُ صِيداً عَطِيٌّ فَإِنَّمَا   هُوَالسّجنُ حَتى يَجعَلَ اللهُ مَخرَجاً
(القيسي: ١ /٩٧)

كانوا من أعماق السجون يحنون إلى الحرب ولا يخشون من سلطان السجان، فقد سجن المغيرةُ معاذَ بن جون بن حصين، وهم بنفي الخوارج عن الكوفة ، وكان معاذ من شعراء الخوارج، فأرسل إليهم من سجنه متحديا صابرا، متمنيا الخروج للقتال والفتك بالأمويين:

ألا أيها الشارون قد حان لامرىء — شرى نفسه في الله أن يترحلا

فشدوا على القوم العداة فما أرى — إقامتكم للذبح رأيا مضللا

فيا ليتني فيكم على ظهر سابح — شديد القصيرى دراعاً غير أعزلا

مشيحا بنصل السيف في حَمَس الوغى — يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا

ولو أنني فيكم وقد قصدوا لكم — أثرت إذاً بين الفريقين قسطلا

فيا رب مجتمع قد فللت وغارة — شهدت وقرن قد تركت مجندلا

(عباس: ٤٥)

وقال عبدالله بن الزَّبير الأسدي في عمرو بن الزُّبير، يصفه بالتحدي والصبر وقوة الإرادة واحتمال التعذيب:

مَا قَالَ عَمرو إذ يَجُودُ بِنَفسِهِ — لِضَارِبِهِ-حَتّى قَضَى نَحبَهُ-دَعْنِي

(الديوان:١٣٤)

وفي ذلك يقول ابن مفرغ:

سَيَنصُرُنِي مَن لَيسَ تَنفَعُ عِندَهُ — رقَاك، وَقرم مِن أُمَيّةَ مُصعَبُ

(الديوان: ٥٩)

وخاف القتال الكلابي أن يدركه الموت، وهو في السجن، بعيدا عن أهله وذويه، فقرر الهرب، فقال:

وَلَمّا رَأَيتُ البَابَ قَد حِيلَ دُونَهُ — وَخِفتُ لِحاقاً مِن كِتَابٍ مُؤَجّلِ

رَدَدْتُ عَلَى المَكرُوهِ نَفساً شَرِيسةً — إذَا وُطِّنَت لَم تَستَقِد لِلتّذَلّلِ

(الديوان:٧٥)

وما يزيد الأمر سوءا على السجين، تلك الموازنة الواضحة بين وضعين وزمانين، ماض زاهٍ مشرق، وحاضر سيىء رديء، لا يبشر بخير، لا ينبىء في الوصول إلى وضعه السابق، وغالباً ما تكون هذه الموازنة بين الداخل والخارج، داخل السجن وخارجه، وكيف تبدلت الأحوال، إذ نزل من الأعالي، واستقر في غياهب السجون، وهذه الموازنة، فيها نوع من الانكسار الداخلي غير المعلن، المعاناة الخفية، حتى لو لم يفصح عنها السجين، قال أعشى همدان:

أَصبَحتُ رَهناً لِلعِدَاةِ مُكَبّلاً أُمسِي وَأُصبِحُ فِي الأَدَاهِم أَرسِفُ

(الديوان ١٣٨)

وقال جحدر:

كَانَت مَنَازِلُنَا التِي كُنّا بِهَا شَتّى فَأَلّفَ بَينَنَا دُوارُ

فَصِرتُ فِي السجنِ وَالحُرّاسُ بَعدَ التّلَصّصِ فِي بَرٍّ وَأَمصَارِ

(القيسي:١ / ١٧٥)

وتخلي الأصدقاء والأهل عنه، ضاعف من همومه وعذابه، ففاضت نفسه بشعور قوي، بالسخط على هذا المجتمع، وانكسرت نفسه انكساراً شديداً، حين تضاف عقوبة نفسية أو عقوبات أخرى إلى معاناته الجسدية، كما حدث مع ابن مفرغ، إذ باع عبيد الله بن زياد أقرب الناس إلى نفسه، غلامه بردا وجاريته الأراكه، فقال في ذلك:

يَا بَرد مَا مَسّنَا دَهرٌ أَضَرّ بِنَا مِن قَبلِ هَذَا وَلا بِعنَا لَهُ وَلَدَا

أَمّا الأَرَاكُ فَكَانَت مِن مَحَارِمِنَا عَيشاً لَذِيذاً وَكَانَت جَنّةً رَغَدَا

(الديوان:٥٥)

التعذيب النفسي:

يترك التعذيب النفسي أثرا أقوى وأشد على السجين من التعذيب الجسدي، كالإجبار أو الإكراه على فعل أمر ما، أو التعرض للنساء أو الأهل أمام سمعه أو بصره، فمن ألوان التعذيب النفسي الذي كان يمارس على الأشخاص داخل سجونهم قول ابن مفرغ:

وَأُطعِمتُ مَا إِن لا يَحِلّ لآكِلٍ وَصَلّيتُ شَرقَاً، بَيتَ مَكَةَ مَغرِبُ

(الديوان: ٥٣)

وعبارة "صليت شرقا" تمس عقيدته، فقد أجبر أن يتوجه في صلاته إلى قبلة النصارى(البغدادي: ٤/ ٥١٦)، فقد بولغ في إيذائه نفسيا، بقضية تمس العقيدة والدين، وبالتالي سيكون أثرها أبعد، ومن أنواع التعذيب النفسي، أنهم كانوا يلجؤون إلى حبس الأهل، إذا لم يتمكنوا من الإمساك بمن يريدون، فقد ارتكب هدبة بن الخشرم جناية، وفرّ هارباً، فلم تتوان السلطة عن حبس أهله، فاضطر للعودة وتمكين نفسه للسلطة مكرهاً(الديوان: ٢). وقد استمر يزيد على نهج سابقيه في اتخاذ السجون وحبس المخالفين، فقد قبض عدي بن أرطأة على أهل يزيد بن المهلب، بعد هروبه من السجن، كما حمل له من نساء المهلب

خمسين امرأة، فحبسهن يزيد بدمشق (اليعقوبي : ٢/ ٣٠٨-٣١١).

وربما كان الحجاج يبالغ في إيذاء السجناء جسديا ونفسيا، بأن يتركهم في الحر اللاهب والبرد القارس، زيادة على ما هم فيه، يضجون مرارة وألما، فقد خرج في يوم لصلاة الجمعة، فسمع ضجة فقال؟ ما هذا؟ فقيل له: " المحبوسون يضجون، ويشكون ما هم فيه من البلاء ومن شدة الحر " (المسعودي: ٣/ ٣٧٥). قال جَحدَر، وقد حبس ببيضاء البصرة في المُخيس:

أَقُولُ لَلصّحبِ فِي البِيضَاءَ دُونَكُم مَحَلةٌ سوّدت بَيضَاءَ أقطارِي
مَأوَى الفُتوَّة للأنذَالِ مُذ خُلِقَتْ عِندَ الكِرَامِ مَحلّ الذّلِ وَالعَارِ

(القيسي: ١/ ١٧٧)

وقال:

إنّ الهُمُومَ إذَا عَادَتكَ وَارِدَة إنْ لَم تُفَرّج لَهَا وردٌ بِإصدَارِ
كَانَتْ عَلَيكَ سَقَاماً تَستَكِنُ لَهُ وَأَنصَبَتكَ لِحَاجَاتٍ وَإذكَارِ

(القيسي:١/ ١٧٥)

إن الإنسان الذي وطن نفسه على الانطلاق الرحب بالفكر والعاطفة والحركة والخيال، دون قيد أو شرط، يفعل ما يريد، وكيفما يريد، لا يستطيع التوفيق بين ما كان، وبين ما هو كائن من أنظمة الخضوع المطلق، والتحديد الضيق الذي فرضته عليه تقاليد السجن وصرامة السجان، ومراقبته له، فقد تكالبت عليه الهموم، حتى استكنت وتمكنت من نفسه وكلمة الهمّ بمعناها المطلق، تكررت كثيرا عندهم، يقول نصر بن سيار:

إنْ أَكُن مُوثَقاً أَسِيراً لَدَيهِم فِي هُمُومٍ وَكربَةٍ وَسهُومِ

(الديوان: ٤٦)

حتى أن الشاعر – أحيانا – لا يعرف ما مصير هذه النفس، وماذا ينتظرها، وكأن التساؤل عملية صراع داخلي، جاء في صورة حوار داخلي خفي، فهو لم يستقر على حال ؛ لأنه لم يجد الإجابة على ما يدور في نفسه، فكان في همٍّ وصراع دائمين، قال السمهري العُكَلِي:

لَقَد جَمَع الحَدّادُ بَينَ عُصَابَةٍ تَسَاءَلُ فِي الأسجَانِ مَاذَا ذُنُوبُهَا

(القيسي:١/ ١٤١)

وهذا الحوار، بحيرة وقلق، ينازع نفسه، وهو ينتظر ما سيحل به، وكأن الأمل معقودٌ على المكان الذي دخل منه، وهو الباب، فهو مفتاح الأمل والفرج، لذلك لا نستغرب أن تكون نظراتهم متعلقة به، عند كل حركة أو صوت حوله، إذ التقت عنده آمال السجناء، فهو الصورة

المركزية لكل المطامح المنتظرة والنهايات المرتقبة، منه يطل الأمل القادر على خلق المعجزة، وتحويل اليأس إلى أمل، ومنه تمر لحظات الموت، وهو يحمل القدر المحدد والأجل الذي دنت ساعته، وفي إطار هذه التصورات والمشاعر والمخاوف والآمال، كانت تتعالى وتتداخل، خلال هذه النفس القلقة، أشباح الألم والأمل، وصور الترقب، ولمحات الكآبة، وهي تأخذ مواضعها غير الطبيعية في نفسه أو فكره، يقول العرجي:

أُجَرَّرُ فِي الجَوامِعِ كُلَّ يَوْمٍ أَلا لـلـهِ مَظلَـمـتـي وَصَـبـرِي

(الديوان:١٣٤-١٣٥).

فقد صاحب الشعور بالضيق في السجن، حالة من الفزع والخوف والقلق، كان يعانيها السجين، وكان لا بد من محاولة للخروج مما هو فيه، والتخلص من هذا المكان، وهذه المحاولة مصحوبة بالرجاء والأمل؛ لتستطيع أن تأخذ مكانها عند أصحاب الشأن الذين يستعطفهم، وأن تكون الصورة المرسومة للأوضاع التي كان يعانيها صورة فيها شيء من إظهار جوانب الأذى النفسي والجسمي، داخليا، ما حل بجسده ونفسه، وخارجيا، ما أصاب بيته وأهله ومحارمه، قال ابن الحر:

هُم هَدَمُوا دَارِي وَقَـادُوا حَلِيلَتِي إِلَـى سِجنِهم وَالمسلمونَ شُهُودِي

وَهُم أعجَلوهَـا أن تَشـدّ خِمـارَهَا فَيَـا عَـجَـباً هَـل الـزّمـانُ مَقِيدِي

(القيسي:١/ ١٠٢)

وظلت أسماء السجون وصفاتها وذكرياتها ركيزة؛ لإثارة المشاعر الحادة في تصوير أوضاعها، فقد ظل دوّار وديماس اللذان احتضنا جحدر بن معاوية، علامة من علامات الخوف المفزعة في شعره، فتركت آلام السجن وعذاباته، ألوانا واضحة في شعره، وعرض له أكثر من مرة في شعره (القيسي: ١/ ١٧٣، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١).

والوثاق والقيد من الموضوعات الشعرية التي وقف عندها شعر السجون، إلى جانب صور القلق النفسي الذي كان يستحوذ على السجناء، وهم في حالة الوثاق والتقييد، وهم يعيشون في هذا العالم الذي أغلقت أبوابه وأحكمت حراسته، وقد امتلأت قلوبهم بكل ما يوحي بالخوف، ويشعر بالفزع والتوجس، وقد شدت العيون بالأبواب، حتى إذا قعقع الحارس بابا، ارتعدت فرائصهم، واشتد خوفهم، وطارت قلوبهم؛ لارتباط حركة فتح الباب بتنفيذ حكم، أو بداية تعذيب، وهي حالة يدركها من دخل السجن، أو سيق إليه، تحت ظروف معينة، قال السمهري:

إِذَا حَـــرَسيٌّ قَعقَــعَ البَــابَ أُرعِـدَتْ   فَـرَائِـصُ أَقــوَامِ وَطَــارَت قُلُـوبُـهَا
تَرَى البَابَ لا تَستَطِيعُ شَيئاً وَرَاءَهُ   كَـأَنّـا قِـنِـيٌّ أَسـلَـمَـتـهَا كُعـوبُـهَا

(القيسي:١ / ١٤١)

وكأن السجين يحاول أن يرسم من خلال ذلك لوحة متميزة للسجن الذي سد مخرجه بباب محكم كبير، أقفل بقفل أمين، وقد طوقته الأصفاد، وحلقت عيونه بالأبواب الكبيرة، وكان لصرير الأبواب وقع في نفوسهم، فإذا تحركت مدت إليها الأعناق والأبصار، بتلهف شديد وجوارح مرتعدة؛ لأن فتح الباب يعني أحد أمرين، إما الحرية، والخروج من السجن، وإما العذاب والموت، فقد شغلت أبواب السجن وصفاتها مساحات كبيرة، يقول جحدر بن معاوية:

إِذَا تَحرّكَ بَابُ السّجنِ قَامَ لَهُ   قَـومٌ يَمُـدّونَ أَعـنَـاقـاً وَأَبـصَـارَا

(القيسي:١٧٤)

والباب في حديثهم له أشكال وصفات عدة، فهو دائما عالٍ وكبير ومحكم، وخلف كل صفة من هذه الصفات، تختفي لواعج الهموم التي أضفتها هذه الصفة أو تلك؛ لتحول دون انتقالهم أو تطلعهم أو فرارهم، وصريره له نغمات في آذانهم؛ اقترانه بصور الرعب القاتلة التي يوحيه هذا الصرير، إن صورة السجن كانت تقترن في نفوسهم بكثير من الأحزان التي يعانونها، والسجن لا يعني فقط المكان، ولكنه يمثل أيضاً ظلم السّجان دون رحمة، ومعاملته معاملة قاسية، لا تعرف شفقة، يضاف إليهما الحرمان من الأهل أو اللقاء بهم، مما تفرضهما عليهم أوامر السجن، مثل منع الزّوار، وما يثيره تثيره سلوك السّجان من مخاوف، كل هذه الأمور، بقيت محفورة في ذهن السجين، قال جحدر بن معاوية:

سِجنٌ يُلاقِي أَهلهُ مِن خَوفِهِ   أَزَلاً وَيَمـنَــعُ مِـنـهُـم الـــزّوّار

(القيسي: ١ / ١٧٣)

ويقول نصر بن سيار:

إِنْ أَكُن مُوثَقاً أَسِيراً لَدَيهِم   فِـي هُـمُـومٍ وَكُـربَـةٍ وَسـهـومِ
رَهنَ قَسـرٍ فَمَا وَجدت بَلاء   كَـأَسَـارِ الـكِـرامِ عِـنـدَ اللئيـمِ

(الديوان: ٤٦)

فالنفس الإنسانية التي حرصت على الجرأة، أقدمت على اجتياز ما يعجز عنه الآخرون، وحرصت أيضا على تصوير الحالة التي وضعت فيها، ومتابعة ما يصيب هذه النفس، وهي في

أشد حالاتها ذعراً، فمن ألوان التعذيب النفسي أن السجان كان غالبا من غير العرب، خوفا من أن تكون هناك علاقة دم أو قرابه بينهما، وحتى لا يستطيع الشخص المسجون أن يحاججه أو يحاوره أو يجادله، أو يتفاهم معه، قال ابن مفرغ:

حَيِّ ذَا الزَّورِ وَانهَهُ أَنْ يَعُودَا — أَنّ بِالبَابِ حَارِسِينَ قُعُودَا
مِن أَسَاوِيرَ لا يَنوُونَ قِيَامَا — وَخَلاخِيلَ تُسهِرُ المَولُودَا
وَطَمَاطِيمَ مِن سَبابيجَ غُتمٍ — يُلبِسونِي مَعَ الصَّبَاحِ قُيُودَا
(الديوان :٥٧)

وقال القتال الكلابي:

إِذَا شِئْتَ غَنَّتنِي القُيودُ وَسَاقَنِي — إِلى السِّجنِ أَعلاجُ الأميرِ الطَّمَاطِمِ
(الديوان:٦٣)

معاملة السجين:

تفاوتت معاملة السجناء من خليفة إلى آخر، ومن وال إلى آخر، في عهد معاوية مثلا، كان تباين بين إلباسهم جباب الصوف وإلزامهم العمل، (البلاذري: ٤٥٦-٤٥٧)واستخدامهم مقاتلين وجنوداً في جيوش الأمويين؛ لفتح المناطق الجديدة، فقد أرسل معاوية، سعد بن عثمان إلى زياد بن أبيه؛ ليختار من أهل السجون والدعارة من يصلح للحرب، فأخذ سعيد منهم أربعة آلاف رجل. (ابن أعثم: ٢ / ٣١١).

وكان الحجاج يخصص لأهل السجن ماء خاصا، يخلط فيه الماء بالملح والرماد (التنوخي: ١/ ٤٠١)، أما طعامهم فقد كان رديئاً للغاية، يتألف من دقيق الشعير مخلوطاً بالرماد(المسعودي: ٢٧٥)، قال إبراهيم التيمي: لما حبست الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، وكان ضيقا لا يضع الرجل إلا موضع محله، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون (التنوخي: ١/ ٢٠٦). وكان الناس أحياناً يحبسون جماعات في المسجد أو الأماكن العامة، كما فعل الأمويون بجماعة زيد بن علي بن أبي طالب. (الأصفهاني: ١٣٧)

وفي بعض الأحيان كان يسمح لبعض السجناء، الذين يحملون صفة خاصة من المقربين والعمال، بتناول الطعام حسب رغبتهم، فكان يجلب لهم من خارج السجن، ويزيد بن المهلب وأخوته خير مثال على ذلك، وكان بعضهم ينعم بمزايا خاصة وطعام خاص، وبالتالي سينعكس على صحته (البيان والتبيين: ١/ ٣٧٦-٣٧٧)، قال الحجاج للغضبان حين خرج من ديماسه: سَمِنت، قال: أسمنني القيد والرَّتَعَة(الزمخشري: مادة رَتَعَ)، ولكن ابن مفرغ يقول:

وجرعتها صهباء من غير لذة تصعد في الجثمان ثم تصوب

وأطعمت ما إن لا يحل لآكل وصليت شرقا، بيت مكة مغرب

(الديوان: ٥٣)

يشير هنا إلى ما كان يأكله، وهو في السجن، روى ابن قتيبة أن ابن زياد حبس ابن مفرغ وعذبه، وسقاه التربذ في النبيذ (ابن قتيبة: ١/ ٢٧٧)، وقال أعشى همدان:

حبسوا بكابل يأكلون جيادهم بأضر منزلة وشر معوج

(الديوان:٩٣)

وقال القتال الكلابي:

إذا قلت:

رفهني من السجن ساعة تدارك بها نعمى عليّ وأفضل

(الديوان: ٧٦)

وفي المقابل فقد توفرت في بعض الأحيان وسائل التعليم والتثقيف لبعض السجناء، فقد حبس عمر بن عبد العزيز رجلاً، كان لا يحفظ من القرآن شيئاً؛ فوكّل له معلماً يعلمه القرآن، وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة، وأجرى عليه في كل يوم ثلاثة دراهم، وعلى معلمه ثلاثة أخرى، وألا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن (الأغاني: ٦/ ٨٧).

وعن الواقدي أيضاً، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر، عمرو بن حزم: " أن يعرض أهل السجن في كل سبت، ويستوثق أهل الذعارات " كما كتب عمر إلى عبد الحميد في أهل الذعارات: " أن يلزمهم السجن، ويكسوها طاقماً في الشتاء وثوبين في الصيف، وكذا وكذا في مصلحتهم "، وكتب إلى عماله: " ألا يغل مسجون "، وكتب لهم أيضاً: " أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك، فأمر بمعاقبته على قدر ذنبه " كما أمر بعض ولاته إطلاق السجناء لديهم، فقد كتب إلى وضّاح بن خيثمة بإخراج كل من سجنه، عدا يزيد بن أبي مسلم. وكان يسمح للناس أحيانا بلقاء السجين، فقد كان سلم بن زياد أموي الهوى، منظرا لهم وبقوة، فحبسه ابن الزبير، فدخل عليه الفرزدق، وهو في سجنه، فسأله، وأعطاه، فلامته زوجته على إنفاق المال، وهو وأهله على تلك الحالة، فقال شعرا يبرر موقفه هذا(الأغاني ٨/ ١٨٣).

الخروج من السجن:

لم يكن هناك مدة محددة يقضيها السجين في السجن، يقضيها ثم يخرج، فقد كان هذا الأمر غير محدد بعامل معين، وغالباً ما تكون المدة غير محدودة، وخاصة في القضايا

السياسية، قال يزيد بن المفرغ الحميري:

وأطلتُم مَع العقوبةِ سَجنِي فَكم السّجنُ أو مَتَى إرسَالِي

(الديوان:١٨٨)

روى التنوخي فقال: حدثنا توبة العنبري فقال: أكرهني يوسف بن عمر على العمل، فقيدني، فما زلت في السجن، حتى لم يبق من رأسي شعرة سوداء. (التنوخي: ٢/ ٢٢٨-٢٢٩). فقد كانت تتراوح ما بين الأيام المعدودة أو الشهور، وقد تصل إلى سنين(المسعودي: ٣/ ٣٧٥)، وقد يموت المحبوس في سجنه، فقد حُبس الغضبان القبعثري ثلاث سنين، وتوفي الحكم بن المنذر بن الجارود في سجن الحجاج بواسط (ابن قتيبة: ٣٣٩)، ومكث العرجي في سجن محمد بن هشام نحوا من تسع سنين حتى مات فيه (الأصفهاني: ١/ ٣١٦). قال جحدر:

تأوَّبني فبِتُّ لها كَنيعاً هُمومٌ لا تُفارقَني حَواني

فما بين التَفرُّق غّيرَ سبع بقين من المُحَرم أو ثمان

(القيسي:١/ ١٨٥)

وقال:

يا نفس لا تجزعي إنّي إلى أَمدٍ وكلّ نفسٍ إلى يَومٍ وَمِقدار

(القيسي:١/ ١٧٥)

بالغت بعض الروايات في تحديد عدد الأشخاص الذين كانوا في سجن الحجاج عند وفاته، فقد أورد بعض المؤرخين أن عدد السجناء كان خمسين ألف رجل وعشرين ألف امرأة محبوسين بغير جرم، وفي رواية ثانية ثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألف مجردة، وفي رواية ثالثة، أنه كان في سجون الحجاج ثلاثة وثلاثون ألفاً، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب (لتنوخي: ١/ ٢٦١).

كان خروج السجين متعلقاً بأكثر من عامل، كأن يخرج المحبوس هرباً أو بعد عفو أو احتيالاً، مثل هرب يزيد بن المهلب وإخوته من السجن، الذين استجاروا بعد هربهم بسليمان بن عبد الملك فأجارهم، كما هرب أعشى همدان، وكان ممن أغزاه الحجاج إلى الديلم، فقبض عليه هناك، وحبس، فهرب، بمساعدة ابنة العلج؛ لإعجابها به(التنوخي: ٢/ ١٢٢-١٢٣)، وقد يُطلق السجناء بعد تولي والٍ جديد أو خليفة جديد، فعندما توفي الحجاج، أطلق من كان في سجونه، بعد أن طلب منهم كفلاء يكفلونهم، فقد أطلق من سجن الحجاج الحرورية

بعد وفاته(التنوخي : ٢/ ١٦٠-١٦١) . وقد يخرج السجين؛ بسبب كلمة يقولها أمام الوالي، فتعجب هذه الكلمة الوالي، فيأمر بإطلاق سراحه (التنوخي : ٤/ ١٢١)، أو بسبب موقف أخلاقي إنساني، يكشف عن نفسية هذا الإنسان(السابق : ٤/ ١٢٢).

فأصحاب المعارضة الذين زج بهم إلى السجن، كانوا يخرجون -أحياناً- بطرق مختلفة، كأن يقتحم الناس السجن ويخرجون من فيه، كما حصل مع عبيد الله بن الحر الذي كسر السجن وأخرج زوجته ومن كان فيه(القيسي : ٧٠)، وكذلك موت الخليفة، فإذا مات الخليفة، كان الخليفة التالي له، يأمر بإطلاق السجناء، كما فعل عمربن عبد العزيز، إذ أمر بإطلاق من في السجن كافة إلا يزيد ابن أبي مسلم (التنوخي : ١/ ٢٩٢)، وقد يخرج المسجون بالهرب، كما فعل عمر بن هبيره، هرب من السجن بوساطة أعوانه، فقال الفرزدق أبياتاً صور فيها طريقة هروبه من السجن، يقول :

ولما رأيت الأرض قد سُـد ظهـرهـا ... ولـم تـر إلا بطنـها لـك مخـرجا

دعوت الذي نـاداه يونـس بـعـدمـا ... ثـوى في ثـلاث مظلماتٍ، ففرجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلةً ... وما سار سارٍ مثلها حين أدلجا

هُمـا ظُلمتـا ليـلٍ وأرضٍ تلاقتـا ... على جامحٍ من أمره ما تعرَّجا

(الديوان، ١/ ١١٧)

كذلك كان للفرزدق فضل تصوير هروب بعض المؤيدين ليزيد بن المهلب من سجن الحجاج ولجوئه إلى سليمان بن عبد الملك، يقول :

جَلَوْا عن عيون قد كرين كـلا ... ولامع الصبح إذنادى أذان المثِّوبِ

على كل حرجوج كأن صريفها ... إذا اصطك ناباها ترنُّم أخطَبِ

(الديوان:١ / ٢٠).

ومن الذين هربوا من السجن أيضا، القتال الكلابي، فقد قتل السجان، وفرّ هارباً، فقال :

أقول له والسيف يعصب رأسه ... أنا ابن أبي أسماء غير التنحُّل

عرفت نَداي من نداه وجرأتـي ... وريحاً تغشّاني إذا اشتد مسحلي

تركت عتاق الطير تحجل حوله ... على عدواء كالحوار المجدَّلِ

(الديوان: ٧٦)

وكان السمهري العكلي فأوثق في رجليه ملحفة، فألقى بنفسه من فوق السجن، فحملته

الريح حتى سقط، فانكسرت قيوده وهرب، فقال:

ولما استوت رجلاي في الأرض قلصت نـعـامـةُ ذي كبـلـين لـلـشـر حـاذر

(القيسي: ١/ ١٤٤)

وعندما تولى يزيد بن عبدالملك الخلافة، عزل محمد بن يزيد، والي عمر بن عبدالعزيز على إفريقيا، وولّى يزيد ابن أبي مسلم كاتب الحجاج، فلما ورد يزيد إفريقيا، سجن محمد بن يزيد وتسلط عليه. . . إلا أن الناس ثاروا عليه، وقتلوه، وأخرجوا محمداً من سجنه(التنوخي: ٢/ ١٤٤-١٤٥). أما ابن مفرغ فقد حمي له قومه من اليمانية، فكلموا فيه معاوية، حتى أرسل في الإفراج عنه وتسريحه(أنساب الأشراف: ٥/ ٧٧-٨٠)

طيف المحبوبة:

لم يكن ذكر المرأة وصفاتها بالجديد في شعر هذه المرحلة، فكانت المرأة ملازمة للرجل في حله وترحاله وفي سلمه وحربه، وكان الشاعر في تلك الحالة، يستحضر خيالها وطيفها، يؤنس بها وحدته، ويبدد بوجودها وحديثها وحشته، لذلك كانت مشاعره، وفقدان الاستقرار النفسي وغموض المستقبل، وفقدان الحماية والشعور بانعدام الغاية من الحياة والأمل فيها، عوامل ملحة في شعره، وكانت المرأة هي مصدر الأمل والأمن، وكان طيفها مشعاً مفعماً بمعاني الحياة، استلهمها الشعراء في السجون بشكل خاص، إذ تلح المرأة بطيفها الجميل، تتخطى الحواجز والقضبان، تطوي القفار والصحارى الشاسعة، من أجل الوصول إليهم، هذا التضاد في الحركة، يثري صور شعراء السجون، يقول ابن الزَّبير الأسدي:

ألا ليت شعري هل أتـى أم واصـل كُـبُـول أعـضـوهـا بـسـاقـيَّ تجـرح

إذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صـريـف خطاطيف بدَلـويـن تمتح

(الديوان:٦٧)

ويقول السمهري العكلي، وهو في السجن:

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة بـأشـهـب مـشـدودٍ عـلـيّ مسـامرُه

فإن أنجُ يا ليلى فرُبَّ فتى نجا وإن تكن الأخـرى فشيء أحـاذره

(القيسي:١/ ١٤٣)

فقد سكن لسانه ونطقت جوارحه، بعد أن كتب عليها السجن والقيد، وقد اتضحت أدلة هذه الجوارح من خلال ألفاظ وأصوات، ارتبطت بصور السجن والسجان والأبواب المنيعة

التي كانت تحول دون خروجهم، والقيود الثقيلة التي كانوا يكبلون بها، فكانت المرأة الوسيلة المساندة، والدافع إلى قوة العزيمة والإرادة، قال ابن مفرغ:

دار سلمى بالخبت ذي الأطلال   كيف نوم الأسير في الأغلال

(الديوان: ١٨٥)

وسيطر على نفسه بجانب المرأة، صور الأهل والأحبة، وأطياف اللواتي تتألق صورهن في ذهنه، حبا واشتياقاً ولوعة، جاء هذا في أشد اللحظات حرجاً، فالهموم التي يحملها صرير الباب، والتحرك البطيء حوله، وما يسمعه من أصوات قريبة منه، والاندفاع الذي يعقب هذه الأشياء، وما يطوف في رحابها من معان وأخيلة ولمحات، يجعل النفوس تشرئب إلى خالقها؛ لتعرف شيئا عن مصيرها في تلك اللحظة، يقول طهمان الكلابي:

لعلك بعد القيد والسجن أن ترى   تمر على ليلى وأنت طليق

(الديوان: ١٩)

ويظهر طيف المحبوبة في شعر السجين بشكل واضح، فهي تمثل الحبيبة، والفرح والمستقبل المشرق الذي يطرق مشاعره، ثم لا يلبث أن يتحطم على أرض الواقع، وتقابله الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها، وهي انتظار تنفيذ حكم قاس، قد يصل للقتل أو العفو أوالأمل والمستقبل الجديد، ويظل طيفها يحوم حول سجنه، يستعذب بلقاء الأحلام جفاء الواقع، تقترب لغته اقترابا شديداً من لغة العذريين وصورهم، برقتها وعذوبتها وفشلها المتكرر، وكأنها المحبوبة والأم والأخت والأنيسة والسلوة في هذه المحنة، يقول السمهري العكلي:

ألا حيّ ليلى قد ألمَّ لمامها   وكيف مع القوم الأعادي كلامُها

تعلل بليلى إنما أنت هامةٌ   من الهام يدنو كلَّ يوم حمامها

لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة   فما راعني في السجن إلا سلامها

فلما أرفقت للخيال الذي سرى   إذا الأرض قفر قد علاها قتامها

فقلت نساء الجن هوَّلنها لنا   ليحزن عيناً ما يجف سجامها

(القيسي: ١/ ١٤٥-١٤٦)

فالعلاقة بين الشاعر والمحبوبة تعد معادلا موضوعيا داخل البناء الشعري، للعلاقة القائمة بين فئتين متناحرتين، بمعنى أن الصلة بين الشاعر وطيف المحبوبة، مدخل يتيح للشاعر عرض محنته العامة داخل الشعر، وسرعان ما تجاوز الشاعر هذه الصلة الذاتية الصغرى للحديث عما أصابه.

وتختلط الحقيقة بالخيال، فترتبط صورة المحبوبة بالمكان والزمان، بشكل مفعم بكل صور الانفعالات، تختلط الحياة بالموت، الأمل بالفناء، الجماد بالأحياء، كل ما تحتويه الأرض وتضمه بين أحضانها، يقول السمهري العكلي:

ونُبئت ليلى بالغربيين سلمت — عليَّ ودوني طخمة فرجامها

فإن التي أهدت على نأي دارها — سلاماً لمردود عليّ سلامها

عديد الحصى والأثل من بطن بيشة — وطرفائها ما دام فيها حمامها

ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطةٍ — وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

كذلك ما كان المُحبون قبلنا — إذا مات موتها تزاور هامها

(القيسي: ١/١٤٧-١٤٨)

وإذا لم يجد الشاعر- كعادته في حالات الضجر التي مرت عليه- أفضل من طيف المحبوبة أملاً وسلوة، فسرعان ما يدرك خيبة هذا الأمل وهذه السلوة، وقال السمهري أيضا:

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة — بأسمر مشدود الوثاق ثقيل

فما البين يا سلمى بأن تشحط النوى — ولكن بيننا ما يريد عقيلُ

فإن أنجُ منها أنجُ من ذي عظيمة — وإن تكُن الأخرى فتلك سبيل

(القيسي: ١/١٤٨)

لقد قدم السجين كثيراً من الصور التي قرنها بطروق محبوبته، وهو طروق أوحته له طبيعة الحياة المؤلمةالتي يحياها، ومن الطبيعي أن يكون هو خيالها، فهو يستمد منه قوته وعزيمته، قال السمهري:

تمنت سُليمَى أن أَقيل بأرضها — وإني لسلمى وَبَيها ما تَمنَّتِ

ألا ليت شعري هل أزورنّ ساجراً — وقد رويت ماء الغوادي وعلّت

(القيسي: ١/١٤٢-١٤٣)

ومن الطبيعي أن يشتد اليأس في نفس السجين، وهو يمكث هذه المدة في سجنه حتى يصل به اليأس إلى الاستسلام لأحكام القدر الذي كتب عليه، وفي هذه الحالة اليائسة تطرقه المحبوبة، ويعقد المقارنة التي كان يقصد إليها من حديثه، فالطروق عنده يُصاحب ذكر القيد الذي شُدّت به ساقه، ويميل إلى إيضاح الصورة، ببيان ثقل القيد الذي وضع عليه، قال القتال الكلابي:

أُمَيمَ أثيبي قبل جِدّ التَّزَيُّل — أثيبي بوصلٍ أو بصرم معجّلِ

(الديوان: ٧٣)

الخاتمة:

إن دراسة شعر السجون يعكس أكثر من جانب لدارسي الأدب العربي والتراث العربي، من خلال قراءة نصوصه، وهي التي أفرزتها بعض الأحداث والوقائع، التي لا تخلو أن تكون ذات خطر آنذاك، ومنها: إن هذا الشعر ربما كان مصدراً من مصادر المعرفة التوثيقية شبه التاريخية، فكل نص من نصوصه قيل أو خط في مناسبة ما، كان سبباً في إدخال صاحبه إلى السجن، وأغلب هذه المناسبات مرتبط بأحداث سياسية، ثم إن هذه النصوص ربما كانت مصدراً من مصادر الحالات النفسية، التي يمكن أن تكون غرضاً للدراسات النفسية من منظور علمي حديث.

ويعد شعر السجون جزءا من الآثار التي تكشف عن عالم السجن وخفاياه، بكل ما فيه من ويلات وأهوال ومعاناة، وما خلفه ذلك من تأثير على من ابتلي به، نفسياً وجسدياً واجتماعياً، ذلك أن هذا الشعر قد خط أوقيل – معظمه – بين جدران السجن القائمة، وفي سراديبه المعتمة، أو ربما نطق به سجين أمام الحاكم أو الوالي، أو في لحظات عمره الأخيرة، أو ربما كتبه أحدهم في الاستتار، ذلك أن الاستتار كالسجن، فيما يلحق بالمستتر من الخوف وتوقع القتل، مع كل طرقة باب، وفرقعة سوط، فلا يعود المستتر يأمن أخاه، أو يسكن إلى جاره، وتغدو حياته عبئاً ثقيلاً ويحيق به عذاب النفس وتضيق به الدنيا على اتساعها، حتى لا يرى مخرجاً من كل هذا إلا باستعطاف وليه واسترحام غريمه، فإما أن يؤخذ بذنبه، إن كان له ذنب، وإما أن يعفى عنه فيستريح، لهذا كله جاء شعر السجون متنوع الأغراض والموضوعات، فنقرؤه مرة شعر استعطاف ورجاءٍ وعفو، ومرة أخرى شعر إقرار بالذنب وإظهار الندم، أو هو شعر عتاب ولوم، وبخاصة لوم الأًصدقاء، أو هو شعر تأمل ومناجاة للنفس والوجدان، ويختلط بذلك كله شكوى من سوء الحال وقسوة السجن وألمه، ومعاناة النفس، وهو في النهاية يشكل جزءا مهما من تراثنا العربي القديم.

المصادر والمراجع

أ- الدواوين والمجموعات الشعرية

١- ديوان الأخطل، تحقيق فخرالدين قباوة، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٠ .
٢- ديوان الأعشى، تحقيق كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٣ . د . ت .
٣- ديوان أعشى همدان، تحقيق حسن أبو ياسين، الرياض، ١٩٨٣ .
٤- شعراء أمويون، تحقيق نوري حمودي القيسي، الجزء الأول، ط مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، د . ت .
٥-شعراء أمويون، تحقيق نوري حمودي القيسي، الجزء الثاني، ط مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، ط١ ، ١٩٧٦
٦- ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف، مصر .
٧- شعر الخوارج، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، ١٩٧٤ .
٨- ديوان الحطيئة، ط المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د . ت .
٩- ديوان الراعي النميري، تحقيق راينهرت، بيروت، ١٩٨٠ .
١٠- ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، تحقيق محمد جبار، بغداد، ١٩٦٨ .
١١- شعر عبدالله بن الزَّبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري، العراق، ١٩٧٤ .
١٢- ديوان عبدالله بن همام السلولي، تحقيق نوري القيسي، الرياض، ١٩٨٨ .
١٣- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق حسين عطوان، دمشق، د، ت .
١٤- ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي، ط الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، ط١ ، ١٩٥٦ .
١٥- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق حسين عطوان، دمشق، د، ت .
١٦- ديوان القتال الكلابي، تحقيق إحسان عباس، دار المعارق، بيروت، ١٩٦١ .
١٧ - ديوان كثيِّر، شرح عدنان درويش، ط دار صادر، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٤ .
١٨- ديوان الفرزدق، ط دار صادر، بيروت، د . ت .
١٩- ديوان هدبة بن الخشرم، تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت، ط ٢ ، ١٩٨٦ .
٢٠- ديوان الوليد بن يزيد، تحقيق واضح عبدالصمد، ط دار صادر، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٨ .

٢١- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥ .
٢٢- المفضليات، المفضل الضبي، شرح التبريزي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٧٧ .
٢٣- نقائض جرير والفرزدق، ط بريل، ١٩٠٧ .
٢٤- الوحشيات، تحقيق عبدالعزيز الميمني، ط دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ .

ب- المصادر القديمة:

١- القرآن الكريم .
٢- الكتاب المقدس ، العهد القديم .
٣- ابن أعثم ، أحمد ، الفتوح ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
٤- ابن الأثير ، عز الدين ، اللباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
٥- الأصفهاني ، أبو الفرج ، مقاتل الطالبين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
٦- الأصفهاني ، الأغاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧ .
٧- البلاذري ، يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د . ت .
٨- البغدادي ، أبو علي إسماعيل ، كتاب ذيل الأمالي والنوادر ، ط ٣ ، د . ت .
٩- التنوخي ، القاضي ، كتاب الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، ط دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .
١٠- الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .
١١- ابن خلكان القاضي شمس الدين ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت ، د . ت .
١٢- الزمخشري ، أساس البلاغة .
١٣- الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، مصر .
١٤- ابن طلاع ، المالكي ، أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
١٥- ابن عبد ربه ، شهاب الدين ، العقد الفريد ،
١٦- العسقلاني ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مصر ، ١٣٣٩ هـ .
١٧- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة .
١٨- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط دار المعارف ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٨١ .
١٩- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ط دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ .
٢٠- المقريزي ، تقي الدين ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق حسين مؤنس ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٨ .

٢١- المبرد، أبو العباس، الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الفجالة، مصر .
٢٢- المسعودي، التنبيه والإشراف، ط دار التراث، بيروت، ١٩٦٨ .
٢٣- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط دار الرجاء، مصر، د. ت .
٢٤- ابن منظور، لسان العرب
٢٥- ابن هشام السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت
٢٦- اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي، ط دار صادر، بيروت، ١٩٦٠

ج - المراجع الحديثة:

١- أحمد، محمد فنوح، الشعر الأموي، ط دار المعارف، مصر، ١٩٩١.

٢- البزرة، أحمد، الأسر والسجن في شعر العرب، دمشق، ط ١، ١٩٨٥.

٣- الحوفي، أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، طار القلم، بيروت، ط ١، ١٩٦٥.

٤- الخطيب، رشا، تجربة السجن في الشعر الأندلسي، ط المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٩.

٥- خليف، مي، أبعاد الإلتزام في القصيدة الأموية، ط دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨.

٦- رواقه، إنعام، الحياة الإقتصادية واثرها في الشعر الأموي، عمان، ط١، ٢٠٠٢

٧- سعد، محمد علي، الأحوص بن محمد الأنصاري " حياته وشعره " ط دارالآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٨- السويدي، فاطمة، الاغتراب في الشعر الأموي، ط مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧.

٩- شلبي، الوحدة في شعر ابن قيس الرقيات، ط١، القاهرة، د.ت.

١٠- أبو شماله، فايز، السجن في الشعر الفلسطيني(١٩٦٧-٢٠٠١)، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، ط١، ٢٠٠٣.

١١- عطوان، حسين، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ط دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.

١٢- فهمي، عزيز، المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، تحقيق، محمد قنديل، ط دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

١٣- القيسي، نوري حمودي، شعراء أمويون، الجزء الأول، منشورات جامعة الموصل، د.ت.

١٤- النص، إحسان، العصبية القبيلية وأثرها في الشعر الأموي، ط دار اليقظة، بيروت، د.ت.

غربة الراعي والتغريبة الفلسطينية

أ. ختام سلمان*

* محاضرة، قسم اللغة العربية، جامعة بيرزيت، فلسطين.

ملخص:

تدور هذه الدراسة حول السيرة الذاتية للدكتور إحسان عباس "غربة الراعي" ، حيث تحدَّث عن طفولته ، وأسرته ، ودراسته ، وزواجه ، وعمله . . . ، وتُركّز على جزئية محدودة وهي العلاقة بين الفرد والجماعة من ناحية ، وبين الأدب والتاريخ من ناحية أخرى . وبخاصة أن الكاتب فلسطيني عاش النكبة شاباً وشيخاً، ثم انتقل إلى المنفى في العواصم العربية كالخرطوم، وبيروت، وعمان. فكان مثالا حيا لحياة الشعب الفلسطيني الذي هُجّر من أرضه، واضطر إلى حياة الاغتراب، حاله في ذلك حال الرعاة الذين يضربون في الأرض غرباء، وظل الإحساس بالغربة يرافقه حتى آخر العمر، مع نزعة رومانسية حزينة تُظللها فلسفة متشائمة، تتلخص في أن الحياة قاسية، وأن التفاؤل فيها شكل من أشكال الخداع. وكانت هذه المشاعر طبيعية، لأن حلم الكاتب بالعودة إلى وطنه لم يتحقق.

Abstract

This study deals with Dr. Ihsan Abas's autobiography titled "The Alienation of the Shepherd". The author handles his childhood, his family, his education, his marriage and his job. The study focuses specifically on the relationship between the author as an individual and the group on the one hand, and literature and history on the other hand. The Author was experiencing the period of Palestinians catastrophe (Al-Nakba) and its aftermath as a young and an old man, that is, during his movement in exile in the Arab capitals such as Khartum, Beirut and Amman. His life exemplifies the miserable life of Palestinians, whose homeland was usurped and who was forced to leave his country and live in exile, i.e. similar to the alienated shepherds who keep moving from one place to another. Such alienation which is a characteristic of all Palestinians was therefore accompanied by a sad romantic touch mixed with a pessimistic philosophy which reflects the hard and tough life in which optimism has turned into a form of deception. These feelings were natural because the dream of going back home has never been realized.

مدخل:

كانت الرياح تضرب الشجر لكن الشجر يقاوم الرياح (١)

مقدمة:

يُصنّف كتاب " غربة الراعي " للدكتور إحسان عباس (٢) الذي صدر بعمان سنة ١٩٩٦ ، ضمن أدب السيرة الذاتية (Auto biography)، ومعنى ذلك أن الكاتب كان يقصد إلى الحديث عن تجربته الشخصية في الحياة بالتفاصيل التي يريدها ، متبعاً -في الغالب- التدرج التاريخي للحدث الشخصاني ، وبما أن الفرد جزء من مجتمع ما يتأثر به ويؤثر فيه ، فقد توجّه هذا البحث إلى تلمس الروح الجماعية في عباءة إحسان عباس ، الذي لم يستطع ، وإن حاول ، أن يفصل تجربته الخاصة عن الوقائعِ العامة المريرة التي مرت بها بلاده فلسطين ، وأنّى له أن ينفصل ونيران النكبة تحاصره في حِلِه وترحاله ، وتُلوّن حياته بمشاعر الاغتراب ، حتى يصبح الاغتراب قدره ونصيبه من الدنيا ، ثم تتسع هذه المعاني لتتحول إلى غربة وجودية تشمل الشعب الفلسطيني ، وربما شملت أكثر من ذلك كما يقول د . فهمي جدعان : " إن سيرة حياته هي وقائع لحياة ، تُبدي وعيا تراجيديا بالوجود الإنساني ، لا بتشخصه الفردي فحسب ، وإنما بامتداده الجمعي أيضاً " . (٣)

إيحائية العنوان ودلالته:

لا يستطيع القارئ لكتاب " غربة الراعي " أن يتعامل مع العنوان ببساطة وعفوية ، تساوي بساطة الكلمات المستعملة ، ولا شك في أن هناك استراتيجية معينة انطلق منها الكاتب حين أطلق هذا العنوان على سيرته ، وإذا تأملنا الكلمتين اللتين كونتا العنوان في ضوء نظرية الحقول الدلالية (٤) Semantic fields theory ، نجد أن الفاظ الحقل هي : غربة/ الراعي ، والغربة تعني النوى والبعد ، والغريب هو الرجل ليس من القوم ولا من البلد ، أما كلمة الراعي فتعني : من يحفظ الماشية ويرعاها ، وقد يتسع المعنى ليشمل كل من ولي أمر قوم ، والرعية عامة الناس الذين عليهم راعٍ يدبر أمرهم ، ويرعى مصالحهم . ويتضح من التحرير التفصيلي للدلالة وجود علاقة متبادَلة بين الكلمتين (الغربة والراعي)، وهي علاقة قائمة على التلازم والترادف والتداعي ، وهذا ما ينطبق تماماً على إحسان عباس الذي أصبحت

الغربة ظلّهُ الذي لا يفارقه، والوجه الآخر الأكثر حضوراً له بعد ضياع الوطن، وقد أشار إلى غربته كل من تحدث عنه.

ويقوى الإحساس بالاغتراب تحديداً عند إحسان عباس ويتصاعد، لأنه من أهل الريف الذين ارتبطت حياتهم بالأرض، وتركّزت حول الحقول والمراعي ومزارات الأولياء، ويرى د. حليم بركات "أن القروي يؤمن إيماناً راسخاً، حتى في أعماق لا وعيه، بأن الكرامة في الأرض، وأن الفلاح يفقد سيطرته على مصيره حين يفقد ملكيته وسيطرته على الارض، إنها مورد رزقه، ومصدر آماله ومكانته الاجتماعية، بل هي محور علاقاته، ومقر جذوره في الحياة والممات... ولذا فالفلاح أقل خوفاً من الموت بالمقارنة مع البدوي والحضاري، وذلك لسبب رئيس يتعلق بنظرته إلى الموت، على أنه استمرار في الأرض" (٥).

وفي ضوء العلاقة الحميمية التي تربط الفلاح بالأرض، نفهم لماذا كانت عين غزال هي المحطة الوحيدة التي لم يشعر فيها إحسان عباس بالغربة؟ ولكنه بمجرد أن غادرها –ولو بشكل مؤقت– للدراسة في مدن فلسطين، مثل: حيفا، وعكا، والقدس، بدأت أحاسيس الاغتراب تتسلل إلى نفسه، ففي السنة الأولى التي غادر فيها قريته إلى حيفا، وأقام عند أسرة (أبو كمال)، شعر أنه غريب وأن الأسرة الجديدة ترفضه لاختلافه عنها، فهو كما يعترف فلاح جلف، لم يكن يحسن النظام بدقة، كما أن لهجته الريفية كانت ثقيلة على مسامع المدنيين(٦). ونستشف من كلماته شدة حساسيته، مع شعور مُبطّن بالنقص، فهو فلاح، وكلمة فلاح تستدعي الكثير من السلبيات كالفظاظة في التعامل، والفوضى في الحياة، إلى جانب اللهجة الريفية التي تفتقر إلى الرقة والنعومة، وهذه الملاحظات حقيقية يعرفها أهل الريف، لكنهم يتباينون في مواجهتها فبعضهم يعتبرها ميزة ولا يخجل منها بل يصر عليها، وبعضهم كإحسان عباس تشعره بالدونية، وتدفعه أحياناً إلى العزلة والانطواء وتجنب الاختلاط، وظلت هذه المشاعر ملازمة له بصورة دائمة، وإن تغيرت الأسباب والبواعث، حتى أسدل الموت عليه الستار الأخير.

ويؤكد الناقد فيصل درّاج أن سيرة إحسان عباس الذاتية بالغة الإيحاء في عنوانها "غربة الراعي... وكأنّ الراعي الذي كانه الصبي مرة لازم العالم الجليل الذي سيكونه لاحقا، كما لو كانت تلك البراءة القروية الأولى عصيّة على التغيّر والانهدام" (٧)، وفي مقابلة أجريت معه سنة ١٩٩٧ فسّر الدكتور إحسان عباس العنوان تفسيرا معجميا قائلا: "لقد كنت راعياً في قريتي حين كنت صبياً، وبقي الوعي أو اللاوعي الريفي ملازماً لي طوال حياتي بأشكال مختلفة" (٨). وأعتقد أن هذا التفسير مقبول على الضرب الابتدائي، أي إذا وقفنا فقط عند

العنوان والمعنى الظاهري، أما إذا تجاوزناه قليلاً إلى الصفحات الأولى من الغربة اكتشفنا أن هذا العنوان عبارة عن قشرة رقيقة تستر أشياء عظيمة، ولعله بسبب هذا المستور والرغبة في صرف النظر عنه، تدخل بكر عباس في نفس المقابلة قائلاً: " مع أنني كنت أفضل أن تعطي هذه السيرة عنوان "الصعود"، ذلك أن كلمة الراعي رومانطيقية جداً، في حين أن كلمة "الصعود" تظهر انتقال المؤلف من عالم القرية إلى عالم المعرفة" (٩).

وبالعودة إلى الطفولة المبكرة نجد أن إحسان عباس ولد وترعرع في الريف، وكان يغادره للضرورة، ليعود إليه أكثر تشبثا. وجدير بالذكر أنه ولد في قرية عين غزال في ٢/ ١٢/ ١٩٢٠، وهي قرية تقع إلى الجنوب من مدينة حيفا على مسافة تقارب خمسة وعشرين كيلومتراً، وينبسط أمامها السهل الساحلي على موازاة البحر، وتجمع تضاريسها بين الجبل والسهل، ويمكن اعتبار عين غزال نموذجاً للريف الفلسطيني فأكثر أهلها مزارعون، يملكون قطعاً من الأرض، يزرعون فيها كل ما يحتاجون إليه في موسمين: شتوي وصيفي، وأكثر الناس يقتنون البقر لأعمال الزراعة، والماعز للبن(١٠).

فأسرة إحسان عباس تنتمي إلى الطبقة الوسطى القريبة من الطبقة الكادحة، فهي ليست من الفلاحين، إذ لديها مِلكيات من الأرض متوسطة الحجم، ووسائل إنتاج، وعموما لم تكن أسرته من ذوي الياقات الزرق (طبقة العمال)، ولا من ذوي الياقات البيض (طبقة المتعلمين)، بل كانت تتأرجح في المنطقة الفاصلة بين الطبقة المتوسطة وطبقة الفلاحين. وهذه الطبقة من الشعب تعمل عادة في زراعة الأرض وتربية ما تقدر عليه من الحيوانات، كالحمير، والأبقار، والأغنام، فمهنة الراعي طبيعية عند القروي، ويُصّر إحسان عباس في مقابلة أُجريت معه، بعد أن خلف وراءه خمسة وسبعين عاماً، ترجمها جهدا في العلم وكدحاً في المعرفة، أنه لم يتحرر من الصبي القروي الذي كانه مرة(١١).

فهو على المستوى الواقعي عمل راعياً، وعلى المستوى النفسي كان يعشق الرعي وحياة الرعاة، لنزعة رومانسية أصيلة في نفسه، وكان يصرِّح دائماً بأنه إنسان رومانطيقي وعاشق للطبيعة ومغرم بها. ومن هنا نجده حين التحق بالكلية العربية في القدس (١٩٣٧-١٩٤١) يقبل على الشعر اللاتيني بشغف شديد، وبخاصة الجانب الرعوي منه (Pastoral Poetry)، والأثر الرعوي: هو أثر أدبي يصور حياة الرعاة وأهل الريف كالشعر الرعوي والمسرحية الرعوية. ويُبرر الكاتب عشقه لهذا النوع من الشعر، لكونه يُصوّر الهيام بالريف والافتتان بجماله، كما أنه يعكس الحياة الهادئة البسيطة، " ولذلك أصبح الريفيون هم الرعاة في نظري، وأصبح الريف هو أركاديا Arcadia(١٢)، أو الموئل المثالي للرعاة" (١٣).

فكلمة أركاديا عنده ترمز إلى المسرّة والسكينة والبساطة والنعيم. وظهر تأثره جلياً بالشعر الرعوي من خلال تجربته الشعرية، ويذكر د. خليل الشيخ: "أنه كان يقصد أن يلفت الأنظار إلى تجربة شعرية غير منفصلة عن الواقع الموضوعي لصاحبها، ولما كانت بلاده تعيشه من صراع ونكبات، مثلما كان يُلمّح إلى تجربة شعرية متفردة في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد تجربة إبراهيم طوقان الشعرية، وهي تجربة تحمل بين ثناياها سيرة لشاب يُحسّ بكثير من مشاعر الاغتراب، ويعيد إنتاج واقعه بما ينطوي عليه من رموز ودلالات في آفاق ذلك الشعر الرعوي. لدرجة أن شقيقه بكر عباس اقترح أن يطلق على ديوانه اسم ديوان "الرعاة" (١٤).

ويتسع البعد الدلالي عنده لكلمة الراعي فيطلقه على أحبّائه وأصدقائه الأعزاء، فكان موسى (القُلَيط) بمثابة الراعي الصديق(١٥)، وكانت نوار تمثل له الراعية المثالية، ونوار هو اسم مستعار لفتاة من قريته، أحبها وهو في نهاية المرحلة الثانوية، لكنه لم يجرؤ على مفاتحتها بالأمر، وقد فقدها هي الأخرى، وإن ظلت صورتها تداعب خياله حتى آخر العمر(١٦). مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها قد تكون رمزا للوطن الغائب الحاضر، وهذا افتراض سنحاول التدليل عليه في ثنايا البحث.

وظل قلبه متعلقاً بالقرية والرعاة، وزاد هذا التعلق حين اضطر لمغادرتها طلبا للعلم، فكان ينتظر حلول الإجازة بفارغ الصبر، وحين يعود إلى القرية كان يصغي في النهار إلى أغاني الرعاة، ولحن الأرغول والناي وأصوات العتابا الحزينة، وفي الليل يشاهد الأعراس كي يستمتع بما يصاحبها من أغان، وكان ذلك زاده حين يغادر القرية، ويظل ينتظر بلهفة حدوث لقاء تالٍ، شوقا إلى زاد جديد(١٧).

وفي نهاية المطاف فإن عنوان هذه السيرة كما يرى الأستاذ أحمد دحبور: " يتضمن الغربة صراحة فقد عاش إحسان عباس الاغتراب على مستوى المكان عندما كان يتابع شؤون الدراسة، ثم الاغتراب الوطني بعد النكبة واللجوء، وعاش الاغتراب الثقافي بافتراق خطوته عن المسار التقليدي الشائع" (١٨).

فعنوان هذه السيرة قائم على الترميز وهو "يشير إلى الحضور القوي لذلك المكان الغائب الذي تنهي العودة إليه غربة ذلك الراعي" (١٩). ولا شك في أن ذلك المكان هو قريته عين غزال التي ظلت ماثلة أمام ناظريه، والتي كبرت وكبرت لتصبح الوطن السليب الذي حُرم منه إلى الأبد.

الأنا والآخر في غربة الراعي:

حين يقوم شخص ما بكتابة سيرته الذاتية ونشرها على الملأ، هل يرمي فقط إلى تعظيم ذاته وتسليط الضوء على الدور الذي لعبه في الحياة؛ كي يشار إليه دائماً بالبنان، أم أن هناك غايات أخرى؟ وهل توجد تقاطعات إنسانية بين السيرة الذاتية والمجتمعية؟.

إن الإجابة عن السؤال الأول تقودنا إلى جواب السؤال الثاني، فالغاية الأولى والمباشرة للترجمة الشخصية هي الكشف عن الجوانب العديدة للشخصية المترجم لها، وتتبع مسار حياتها منذ الطفولة حتى لحظة الكتابة، وقد تحدث إحسان عباس بإسهاب عن نفسه، وعن أسرته، وعن تعليمه... وتنقله في البلاد وعمله وزواجه وأبنائه...، ومع ذلك فإنه لم يلجأ إلى تضخيم الذات، ولم يقع في فخ النرجسية، وكشف أسلوبه البسيط الواضح البعيد عن الإيجاز والإيماء عن تواضعه الجم، وحرصه على أن يقرأ سيرته وينتفع بها أكبر عدد من الناس، وهذا ما قاله صراحة في مقابلة أجريت معه، رداً على سؤال حول الغاية من كتابة السيرة: "إن غايتي كانت تقديم صورة عن إنسان عادي، قاسم الشعب الفلسطيني قدره ومصيره، وتحمل مشقة شعبه في مواجهة المنفى، وتأمين شروط الاستمرار في الحياة بجد وكرامة،..." غايته إذن تسجيل مصير إنسان عادي بعيداً عن طقوس السيرة الذاتية القائمة على الأنا والفردية المتميزة، وهالة المثقف التقليدية (٢٠)، أراد أن يقدم للقارئ إنسانا شبيها به، وقريبا منه. وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد، واستطاع أن يؤثر في القارئ وأن يخلق حالة من المشاركة الوجدانية والتعاطفية، مع الظروف الصعبة التي مرَّ بها، ويتصاعد هذا التعاطف لأن الشخصية في الأوتوبيوغرافي ليست خيالية أو من صنع الكاتب كما هو الحال في الشخصيات القصصية، بل هي شخصيات من لحم ودم، عاشت وعانت، فإحسان عباس هذا الرجل اللامع المبدع الخالد لم يكن في أعماقه يشعر بالرضا المطلق أو السعادة التي لا يكدرها شيء، والمفاجأة الكبرى في سيرته -بالنسبة إلي- كانت في زواجه، الذي لم يخجل ولم يشعر بالحرج في الاعتراف بأن هذا الزواج فُرض عليه، كما يفرض على الفتاة التي تعاني من سلطة الأب وسلطان الرجولة، هو الآخر كان معطل الإرادة، ممزق النفس بين رسوم الطاعة، وواجب العصيان" (٢١)، كان يعاني مما يعرف بالإقطاعية العائلية التي يسري فيها حكم الأب (رب الأسرة) على جميع أفرادها ذكورا كانوا أم إناثاً، وخرج من تجربته هذه بحكمة ملخصها: إن من يجرب الزواج مرة لا يمكن أن يعود إليه مرة ثانية.

فالفردية هي المحرك الأول لكتابة السيرة الذاتية، فهي تنطلق من الذات/ الداخل، وتتجه

نحو الجماعة/ الخارج، لأن الكاتب يعيش في وسط اجتماعي، وتنعكس على ذاته وتجاربه المفاهيم الجماعية، فهناك حالة من التداخل والاندماج (Affiation) عن قصد أو غير قصد بين التجربة الشخصية والتجارب الجماعية.

وإذا عدنا إلى تعريف فن السيرة نجد أنه "نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي" (٢٢)، ويرى الأستاذ أنيس المقدسي(٢٣) أن السيرة الذاتية لا تكتسب صفة السيرة بمعناها الحقيقي إلا إذا كانت تفسيرا للحياة الشخصية في جوها التاريخي.

ويؤمن الفيلسوف الألماني ويليام ديلتاي Whilhelm Dilthey بالأهمية المركزية للسيرة الذاتية كوثيقة تاريخية، مؤكداً أن السيرة الذاتية تقدم في الواقع أساساً لا غنى عنه للكتابة التاريخية برمتها(٢٤).

ويؤكد د. عز الدين إسماعيل أن ترجمة الحياة تجمع بين الشكل الأدبي والشكل التاريخي، ولتوضيح هذه الثنائية ربط بين كاتب الترجمة وبين رسام البورتريت (Portrait) وهو المصور الفنان الذي يتخصص في رسم الصور النصفية للأشخاص، فهو يحرص على تقديم صورة صادقة للشخص الجالس أمامه، "وفي الوقت نفسه يواجه مشكلة خلفية الصورة، وليس الرسامون على وفاق بشأن هذه الخلفية، فبعضهم يتركها عارية من أي تفصيلات، وبعضهم يختار منظراً له دلالته ليجعل منه خلفية للصورة. وبنفس المنطق يواجه كاتب الترجمة مشكلة الخلفية التاريخية. . . ترى أي الإطارين يختار؟ أيكتفي بحياة الشخص نفسه المحدودة بحادثتي ميلاده ووفاته؟أم يضع هذه الحياة المحددة داخل إطار من تفصيلات عصره؟ "(٢٥).

والإجابة على هذه التساؤلات نعثر عليها عند د. إحسان عباس فأي الإطارين اختار؟.

كان د. إحسان عباس يعي تماماً جدلية العلاقة بين الأدب والتاريخ، بين الأنوية والمجتمعية أسعفه في ذلك خبرة واسعة في كتابة التراجم والسير، فقد كان مُلمّا بكل ما وقع بين يديه من مؤلفات تتناول السيرة، واطلع على الأساليب التي اتبعها من قبله من الكتاب، وتابع الأستاذ أحمد أمين حين كتب سيرة حياته في "حياتي". كما عالج الكثير من الكتابات الاوتوبيوغرافية، منها على الترتيب: الحسن البصري سنة ١٩٥٢، أبو حيان التوحيدي ١٩٥٦، فن السيرة ١٩٥٦ وغيرها(٢٦). وكان يؤمن منذ فجر شبابه "بأن الاتجاه في الحياة المعاصرة آخذ يتشكل نحو الجماعة بخطى سريعة، " فإذا اعتقدنا أن التجربة الفردية لا قيمة لها، فإننا نسيء إلى روح الجماعة. . . ، فقد تزول عبادة الأفراد من النفوس، وقد يفقد الفرد معنى التفرد الأناني، ولكن شيئاً واحدا لا يزول، هو هذه التجارب الحية وطريقة التعبير عنها"(٢٧).

وقد اتبع في كتابة السيرة منهج التدرج التاريخي للشخصية مع ملاحظة الأحداث في الداخل والخارج وانعكاساتها على أعماقه، ونظر إلى الزمان واهتم بعنصر المكان، ويبدو أنه استعار الأسلوب الروائي، لكنه لم يلتزم بمقوماته الفنية مثل التلاعب بالزمن (اتبع التسلسل الزماني)، وإطلاق العنان لخياله في بناء شخصيات لم تعش على هذه الأرض، فجميع الشخصيات، بدءاً من الشخصية المحورية إلى الشخصيات الهامشية، كانت حقيقية تتصل بزمان معين ومكان معروف. فالقارئ لهذه السيرة لا يستطيع أن يعزلها عن الشعب الفلسطيني وقضيته، وما رافقها من أحداث تاريخية ووقائع، تركت عليه علامات ماثلة، حتى وإن لم يشارك فيها مباشرة، كما أنها تطرح الهم الجماعي منذ اللحظة الأولى، وأعترف أنني حين قرأت هذه الغربة سمعت صوت أمي وأبي قادمين من كرمل حيفا، وهما يسردان علينا، دون ملل، (قصص) الثورة والثوار والأوضاع المأساوية التي عاشوا فيها قبل النكبة وبعدها.

إن عنوان هذه السيرة "غربة الراعي" لم يأت مصادفة، بل تعمده الكاتب، واستوحاه من التغريبة الفلسطينية الجماعية، وقد جاء مفجرا لكثير من الدلالات والإيحاءات الجماعية، فالراعي ليس شخصاً واحداً عاش تجربة التشرد والاغتراب، بل هو مئات الآلاف من الرعاة الذين قُدّر لهم أن يضربوا في الأرض، وأن يرتحلوا من مكان إلى آخر دون أن يذوقوا للاستقرار طعماً. وفي المجاز كأن الكاتب ذكر الجزء وأراد الكل، فالأنا عنده لا تمثله وحده، بل هي أنا الجماعة التي ينتمي إليها، والتي عانت فعانى، وهُجرت من أرضها فُهجر، وجمعه معها اسم جديد واحد هو اسم "اللاجئين". فالأمر الطبيعي والمنطقي أن كهف الراعي يحتوي التغريبة الفلسطينية، فالراعي هو المعادل الموضوعي والنموذجي للشعب الفلسطيني الذي يجد نفسه مضطرا دائما للتنقل طلباً للأمن والاستقرار، ولن يعرفهما إلا بوضع عصا الترحال وتحقيق الحلم (عصي المنال) (٢٨)، وهو استرداد الوطن السليب. وللتدليل على مصداقية هذه المقولة، فإنه يستحسن أن نقسّم الحديث عنها قسمين تبعاً للتسلسل التاريخي:

أولاً: التغريبة داخل الوطن وكانت قبل نكبة سنة ١٩٤٨.

ثانياً: التغريبة في المنافي والشتات وكانت بعد النكبة.

أولاً: داخل الوطن:

ينتمي د. إحسان عباس إلى الجيل المخضرم الذي شهد اضطرابات كثيرة على الساحة الفلسطينية، ففي سنة ١٩٢٠، وهي السنة التي ولد فيها، أقر انتداب بريطانيا وفرنسا على المنطقة العربية بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، وفي هذا العام أيضاً دخلت البرامج

الصهيونية حيز التنفيذ، والمتمثلة في خلق واقع جديد في فلسطين، يقوم على حشد المهاجرين اليهود، والاستيلاء على الأراضي(٢٩)، وبدأ العرب بمقاومة سياسة التهويد فحدث أول انفجار بمدينة القدس في نهاية شهر نيسان من عام ١٩٢٠، ثم توالت أعمال المقاومة والمصادمات في السنوات التالية. وكانت هذه بداية المرحلة، احتلال بريطاني، استيطان صهيوني، مقاومة عربية. وقد أوحى هذا الثالوث لأديبنا أن يبدأ أوتوبيوغرافيته بعنوان "رموز الخوف"، حيث ذكر أن هذه الرموز استقرت في ذاكرته وعمره أربع سنوات(٣٠)، وأول هذه الرموز ما رآه الصغير وقد خرج ذات يوم ليرى البحر....، وفيما هو ينظر إلى الأفق السماوي رأى غيمة تراءت له في شكل جمل فاغر فمه، عندها أدركه شيء من الخوف دفعه إلى العودة.

أما الرمز الثاني فهو الرصاص (السلاح) الذي قتل عمه سلامة خليل على خلفية ما يسمى يشرف العائلة. أما الرمز الثالث فكان للأفعى التي ترقد في عش العصافير على الشجرة الكائنة في بيت الشاب الجميل ذي الشعر الأحمر، لويّح الدبكة في الأعراس أحمد الريشان، الذي مد يده إلى العش فنكزته الأفعى اللابدة هناك ومات.

ويأتي الصوت الرابع على شكل صوت مزعج في حلكة الليل، والجميع نيام، أما هو (الطفل الصغير) فلا يستطيع النوم حتى يكتشف سر الصوت، فإذا به دقات الساعة(المنبّه).

والمتأمل في هذه الرموز التي شكلت بدايات هذه السيرة، يجد أنها إرهاصات لما سيأتي من ناحية، وتصوير للحاضر من ناحية أخرى، فرموزه مثقلة بمشاعر القلق والخوف والتوتر، فاللحظة الحاضرة ليست آمنة لدرجة أنه لا يستطيع النوم، والمستقبل مرعب، والموت يخيم على كل شيء فهناك الرصاص الفلسطيني الموجه إلى الإنسان الفلسطيني، والأفعى داخل البيت/عش العصافير، تقتل الشباب المتدفق حيوية ونشاطاً وتختبئ، أمل المستقبل يُقتلون، والناس في غفلة من أمرهم، لا يشعرون بالخطر الذي يهددهم جميعاً، ويصرفون جل اهتمامهم إلى خلافاتهم الداخلية، والأفعى تنفذ ما تريد، وتتوالى أفواج المهاجرين الصهاينة، ويستمر شراء الأراضي من العرب وتمليكها لليهود(٣١)، وقد تنبه العرب إلى مخاطر الهجرة اليهودية المستقبلية، ورأوا أنها تمثل بالنسبة إلى اليهود عملية عودة إلى الوطن، وكان الفلاحون على وعي تام بالآثار السلبية للهجرة اليهودية وأنها ستؤدي في النهاية إلى تجريدهم من أرضهم، فابتدأت أعمال المقاومة، بحيث كان من النادر أن يمر عام دون عنف في المنطقة، ومن ابرز هذه الأحداث ما عرف بثورة البراق سنة ١٩٢٩ (٣٢)، وبعد عام ١٩٣٠ يبدأ الوعي بالحدث يتشكل عند الصبي ابن العاشرة، فيذكر أن الكآبة بدأت تظلل حياة الناس، وأخذت الأحزان

تطبق عليهم، وتلغي الأفراح من حياتهم(٣٣).

وينمو لديه الحس الوطني بصورة عفوية تلقائية بعيدة عن الانتماءات الحزبية، حاله في ذلك حال عامة الشعب الفلسطيني، ويؤكّد إحسان عباس أن الهبّات الوطنية حتى ثورة ١٩٣٦، كان مصدرها العفوية والحس الشعبي السليم، فينْظِم وهو في العاشرة قصيدةً يحرّض فيها أهل عين غزال للثورة على الإنجليز ومطلعها:

**ألا يا أهل عين غزال هبّوا		بأكبركم لأصغركم معينا(٣٤)**

وبعد ثورة البراق توالت الإضرابات والمظاهرات في فلسطين، ويذكر إحسان عباس أن المساجد كانت تقوم بدورها في توعية الناس إلى المخاطر المحدقة بهم، وكان الخطباء يلهبون المشاعر بالإشارة إلى المشكلات التي يتعرض لها الوطن من جراء الهجرة اليهودية، وخاصة خطب الشيخ بدر الدين الخطيب التي كان يلقيها في جامع الاستقلال بحيفا(٣٥)، كذلك كانت المدارس تهتم بالناحية الوطنية وشحذ الهمم، ويذكر أسماء بعض الأساتذة الذين عملوا على إيقاظ الوعي عند الناس وتنويرهم، وتوجيههم إلى النضال عن طريق تدريب الطلبة على استعمال السلاح، منهم الأستاذ تقي الدين النبهاني، وهو مؤسس حزب التحرير الإسلامي فيما بعد(٣٦).

كما أشار إلى الوسائل التي اتبعها الناس للمقاومة: كالإضراب وإقامة المظاهرات، مع أنهم يعرفون أنها لن تزيل عن أعناقهم نير الانتداب، لكنها كانت -كما قال- السلاح الوحيد الذي يعرفه الطلاب والعمال وسائر قطاعات الشعب(٣٧)، ومن الأحداث السياسية التي سجلها: ثورة عز الدين القسام سنة١٩٣٥ ، وذكر أنها نقلت المقاومة من الهبات الشعبية والخطب إلى الثورة المسلحة، وكان القسام يرى أنها الأسلوب الوحيد القادر على إنهاء الانتداب، والحيلولة دون قيام دولة يهودية. وانتهت الثورة باستشهاده وشيعت جنازته في حيفا، إذ تحولت إلى موجة قوية من الشعور الوطني العربي(٣٨).

وكان إحسان عباس يعرف الشيخ القسام، ويشاهده في الجامع، ويصفه بأنه رجل مديد القامة، طويل العمامة، لا تسمع في خطبته شيئاً ضد الانتداب، وحين عرف نبأ استشهاده حزن كثيراً، "غامت الدنيا في عيني لكثرة الدموع وفوجئت بأن الشيخ كان ينطوي على ثورة شديدة وكان له أتباع، وكان يرتب للجهاد" (٣٩).

كذلك سجل في غربته الكثير من وقائع ثورة ١٩٣٦ وأطلق عليها اسم ثورة الفلاحين، وبدأت بإعلان الإضراب الذي دعت إليه اللجنة العربية العليا وشمل الإضراب جميع المدن والقرى الفلسطينية وأغلقت المدارس، وعاد الطلاب إلى قراهم، وعاد هو إلى عين غزال،

وشارك شخصيا بفعاليات هذه الثورة ضمن قدراته، فقام مع عدد من الشباب بتنظيم مظاهرة جابت القرية وألقيت فيها الخطب الحماسية التي تحذر الناس من الأخطار المحدقة بهم، وألقى هو خطبة في الجموع المحتشدة (٤٠)، وكان حينئذ دون السادسة عشرة من عمره.

وظهرت القومية العربية في هذه الثورة بانضمام متطوعين من سوريا والعراق، وعلى رأسهم فوزي القاوقجي وهو لبناني الأصل، وكان ثورياً وطنيا، ارتبط اسمه بثورة ١٩٣٦، وكان أكثر قادة الثورة شعبية واحتراماً وفعالية(٤١).

والشيء الذي يمكن أن يقال عن هذه الثورة أنها لم تكن انتفاضة عابرة، بل كانت ثورة جماهيرية اشترك فيها أبناء فلسطين من مختلف الشرائح الفلسطينية، وأبدى الثوار بطولات رائعة خلدتها الاناشيد الشعبية التي كان يرددها مطرب الثورة نوح إبراهيم(٤٢). وفي هذه الثورة فقد إحسان عباس اثنين من أعز أصدقائه هما: موسى القليط (الذي مر ذكره) وصبري زيدان، وصبري هذا كان زميله في الكلية العربية بالقدس، وهو من قرية إجزم، وعنه يقول: " كان فقيراً مثلي وأشد فقراً، ولكنه كان أشد إخلاصاً لمبادئه " ثم يروي لنا هذه القصة (بصدق وصراحة، ودرجة عالية من التجرد والموضوعية في الحديث عن الآخر مقارنة مع الذات): " ذهبت مرة إلى الحي اليهودي بالقدس، واشتريت كتاب "الإنياذة" لفرجيل بقرشين، وأخبرت صبري بما فعلت، فاستشاط غضباً وقال لي: إنك بهذا الفعل تساعد اليهود في شراء الأرض الفلسطينية، ولم يرض عني، ولم يقبل أي عذر أبديته، وغاضبني مدة، واستشهد وهو مغاضب لي " (٤٣).

وكانت أعمال المقاومة العربية تقابل بالإجراءات القمعية المتواترة التي تتخذها حكومة الانتداب البريطاني لقتل الثورة، وقد تحدث إحسان عباس عنها باقتضاب، ومن ضمن هذه الإجراءات تطبيق قانون العقوبات الجماعية فإذا أذنب -في نظرها واحد- أخذ بذنبه جميع أهل القرية، وكان الجنود الإنجليز يطوقون القرى في الصباح الباكر، ويأمرون أهل كل قرية بالتوجه إلى ساحة البلد، ثم يتفرسون في الناس من خلال عين(جاسوس) مختبئ في سيارة يشير بأن هذا يعتقل، وذاك لا يعتقل " (٤٤).

ثم كانت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، واستغل اليهود ظروف الحرب لتأسيس الوجود المادي للدولة اليهودية من خلال فتح باب الهجرة على مصراعيه، وتغيير الواقع الديموغرافي (السكاني) للبلاد، وتشكيل القوة العسكرية التي تفرض قوتهم على البلاد، فقامت عصابات الأرغون وشتيرن وبتأييد مُسبق من الهاجاناه بتدبير مذبحة دير ياسين ١٩٤٨، والتي استشهد فيها ثلاثمائة شخص من الرجال والنساء والأطفال (٤٥)، وبعد هذه الجريمة

دب الذعر في نفوس الناس، وحصلت الهجرة التاريخية وغادر الكثيرون فلسطين، وظهرت مشكلة اللاجئين الذي نقلوا إلى مخيمات تشرف عليها هيئة الأمم، يعانون ظروفاً صعبة، ينتظرون اليوم الذي ستبعث فيه فلسطين من جديد.

ثانياً: في المنافي والشتات

إحسان عباس بين مطرقة الجواز وَسندان الزواج(٤٦): عمل إحسان عباس بعد تخرّجه من الكلية العربية بالقدس سنة ١٩٤١ معلّماً في مدرسة صفد الثانوية، لمدة خمس سنوات، حصل بعدها على بعثة من حكومة الانتداب البريطاني لدراسة الأدب العربي في مصر، وكان ذلك سنة ١٩٤٦، وبينما كان إحسان يواصل دراسته الجامعية في القاهرة بصحبة زوجته وطفليه (نيرمين وإياس)، وقعت النكبة وضاع الوطن، وكانت نذيراً ببدء مرحلة السنوات العجاف، وعن أثر النكبة عليه يقول أحمد دحبور: "... على المستوى الفلسطيني نلمس جرح النكبة في الكف، وهو لا يندب ولا يخطب، ولكنّه يسجل بهدوء كيف تلاحقه صفة اللاجئ منذ وقوع النكبة وهو خارج الوطن، إلى وقفته شيخاً، بعيداً عن مسقط رأسه عين غزال" (٤٧).

وكتب إحسان عباس يصف هذا الزلزال الذي قلب كل شيء، "لم يكد يحل شهر مايو (أيّار) من سنة ١٩٤٨، حتى هبت على وطننا أعاصير عاتية، بددت أهله في شتى النواحي، وهلك من أهله من هلك بالمذابح" (٤٨).

فضياع الوطن كان إيذاناً فعلياً ببدء التغريبة الفلسطينية، وكان إحسان عباس قد استشرف هذه المأساة، حين احتفظت ذاكرته بمقاطع من تغريبة بني هلال (السيرة الهلالية)(٤٩)، التي كان والده يتغنى بها على مسامع أهل القرية، في ليالي السمر بصوت رخيم أقرب إلى التحزين(٥٠):

قالت عزيزة بنت سلطان تونس الأيام والدنيا تسوى العجائبْ

ياما مضت لي أيام وأنا عزيزة خدام تخدمني بأعلى المراتبْ

وتحكي التغريبة قصة بني هلال وأخبارهم المليئة بالفروسية، والأشعار الشعبية، منذ انتقالهم من نجد بعد أن أصابها الجفاف لأكثر من سبع سنوات، إلى تونس الخضراء التي استقروا فيها، بعد معارك عديدة مع خصومهم في مصر والشام وشمال أفريقيا، وكانت سيرة بني هلال وأخبار زعمائهم، مثل: حسن بن سرحان، وأبي زيد الهلالي، وذياب بن

غانم تروى في المجالس العامة في مصر والشام، مما جعلها على كل لسان في معظم الأقطار العربية(٥١).

وقد ربط إحسان عباس بين التغريبة الهلالية، وما رافقها من قتالٍ وتشريدٍ وتشتت وبين التغريبة الفلسطينية، دون أن يتعمد ذلك، فالعلاقة التشابهية بين التغريبتين هي التي استحضرت سيرة بني هلال وبعثتها حية في نفسه، فها هي الأعاصير تعصف بوطننا فلسطين، تاركة آثارها في أشكال عديدة، فعلى صعيد الأهل: تشرد الأهل من عين غزال بعد أن فشلت المقاومة العربية(٥٢) أمام قصف الطائرات الإسرائيلية، وخرج الناس على وجوههم حتى وصلوا إلى جنين، حيث صادف وجود الأمير عبد الإله أمير العراق للتفتيش على الجيش العراقي، فقابله أهالي عين غزال ومعهم شيوخ قريتي إجزم وجبع، فأمر بنقلهم إلى بغداد، واستقبلهم العراقيون –حسب قوله– بالحفاوة والإكرام، وتمكن من زيارتهم سنة ١٩٥٢، بعد أربع سنوات من النكبة. أما أهل زوجته فلجأوا إلى مدينة طولكرم، بينما كان يقيم هو في القاهرة قبل أن يغادرها إلى السودان سنة ١٩٥١.

إنها مفارقات عجيبة غريبة، بين عشية وضحاها يُقتلع الفلسطيني من جذوره ليلقى به في مدن لم تخطر له على بال، وتتقطع الروابط الأسرية، وتبدأ رحلة التيه والضياع، إذ لم يلتئم شمل العائلة بعد ذلك، فقد مات معظم أهله غرباء –كما يموت معظم الفلسطينيين– في العراق تباعاً، فقد مات خاله شحادة ووالده ووالدته وزوج أخته أحمد عباس، ووجه عين غزال المشرق أحمد سلامة(٥٣)، الصديق الوفي، "وكل هؤلاء فارقوا الدنيا ولم يصلني خبر وفاة كل منهم في حينه"(٥٤). فهو لم يشارك حتى في تشييع جنازاتهم.

أما على الصعيد الشخصي فقد عانى هذا الأديب أولا من الفقر والجوع، لمدة استمرت أكثر من عشرة أشهر، وأطلق على هذه الفترة اسم حقبة الجوع. وسبب ذلك أن حكومة الانتداب البريطاني كانت تدفع المال للطلاب المرسلين في بعثات، فأوقفت دفع مستحقاتهم. ومن أجل الحصول على الطعام باعت زوجته كل ما لديها من حلي، وعرض عليه صديقه وأستاذه د. شوقي ضيف سلفة لكنه اعتذر(٥٥).

وبتأثير الجوع أيضاً كان اختياره لموضوع رسالة الدكتوراة "حياة الزهد وأثرها في الأدب الأموي" كي يبحث عن السلوى في حياة هؤلاء الزهّاد.

فقد ألقت هذه الفترة بظلالها النفسية الحزينة على حياته بكل أبعادها، وفتحت أبواباً من المعاناة لن تغلق، وفي معرض تعليقه على جوع هذه المرحلة يقول محللاً ومقارناً: "صحيح أني كنت في القرية أشكو الفقر، ولكني كنت أعيش بين أمثالي من الرعاة، إذ كان لي وطن،

أما الآن، فأنا أحس -ذاتياً- بأني فقدت القدرة على الاستقرار في وطن " (٥٦).

فهو بهذه الكلمات يفتح الجرح الفلسطيني، ويقارن بين حياته فوق تراب وطنه، وحياته في المنافي العربية، ويُشخص الداء المزمن الذي ابتلي به شعب فلسطين، والذي لا شفاء منه إلا بالعودة إلى الوطن.

كما اضطر ثانيا -وبتأثير من النكبة- إلى مواصلة مشوار حياته مع زوجته التي أرغمه أبوه على الزواج منها (اغتراب داخل الأسرة)، وإلى تحديد النسل، وليس تنظيمه فهو على الرغم من حبه للأطفال، إلا أنه بسبب الفقر والغربة، أقنع زوجته بالاكتفاء بطفلين، وحجته القوية " بانا مهما تكن أيامنا المقبلة، فلسنا سوى لاجئين مدفَّعين في الأرض، فمن الخير أن يكون العبء على أكتافنا غير ثقيل " (٥٧).

فضياع الوطن حرمه من اسم المواطن ومن حقوقه، وأعطاه اسماً جديداً وعلامة فارقة بارزة هي اللاجئ، وقد أصبحت هذه الكلمة هي الاسم الأشهر للفلسطيني، وربما غابت كلمة فلسطيني لتحل محلها كلمة لاجئ، فكان من الطبيعي أن تنعكس آثار هذه المستجدات على حالته النفسية التي عبر عنها في إبداعاته الأدبية. ومنها ما استهل به سيرته " غربة الراعي " وهو مقطوعة شعرية تحت عنوان: " تحية عام جديد " (٥٨):

في دفتر لي قديم	كتبت هذي السطور
أمس الذي عاش فينا	أمسى وراء الدهور
شكراً له قد نعانا	لوشك عام جديد
أمات مقبل عمرٍ	ذبحا بشفر حديد
فضاع ما نترجى	وعاش ما نستعيد

نعم لقد ضاع ما نترجى، وتحولت الأفراح إلى أتراح، ودرب الحياة التي يسلكها الناس وهم صغار تفضي بهم إلى مزبلة! هذه هي نهاية المشوار الإنساني، لقد اكتشف عبثية الحياة، فغلبت عليه النزعة التشاؤمية، ولم يعد قادراً على التعامل مع الأمور تعاملاً سطحياً، بل نراه يستبطن الأشياء، ويكتشف كنهها، ويشعر كل من يقرأ هذه الأبيات أن روح أبي العلاء المعري قد حلت فيه، فجاءت مفرداته تقطر أسى واكتئاباً (نعانا، أمات، ذبح، ضاع) فمن أين سقطت هذه الألفاظ عليه؟ إنها ألفاظ الواقع الذي يعيش فيه، وحياة شعبه المصحوبة بالخوف والقتل،

وغياب الأمن، والإحساس بأن العمر قصير، ويعترف إحسان عباس بأنه في شبابه سيطر عليه هاجس خلاصته أنه لن يعيش طويلاً (٥٩). ويمكن القول إن هذا الهاجس فلسطيني الجنسية، فرضته ظروف الحرب الدائمة، وجعلته جزءاً من الأدبيات الفلسطينية الهوية، فهذا محمود درويش ينطق بلسان كل فلسطيني في قصيدة له بعنوان "صلاة أخيرة" (٦٠):

يُخيّل لي أن عمري قصير

وأني على الأرض سائح

....

يخيل لي أن خنجر غدر

سيحفر ظهري

فتكتب إحدى الجرائد

كان يجاهد

غير أنّ هذا الاستشعار للموت في كل لحظة لم يحبطه فلم يعرف الانكسار، بل تقبل الحياة كما هي، وأكثر من ذلك كان هذا الإحساس حافزا له لإنجاز كل عمل يبدأه دون كلل أو ملل، وهذا ما يعرف في علم النفس بالتكيف(٦١)، أي أن الكائن الحي يحاول أن يوائم بين نفسه وبين العالم الطبيعي الذي يعيش فيه، في محاولة منه من أجل البقاء، مُتحدًياً كل العوائق التي قد تحول بينه وبين إشباع حاجاته ودوافعه، وتحقيق أحلامه وطموحاته.

كان إحسان عباس يؤمن بأن الخوف في النفس البشرية طبيعي، وهو ليس نزعة فردية، "فقد سيطرت على الإنسان منذ الأزل حقيقتان كبيرتان هما: الخوف من الموت، والحنين إلى الماضي الذهبي السعيد". وتأكد من دراساته أن الشعر يعبر عن هذه الثنائية، مما دفعه إلى التساؤل عن إمكانية تحول الشعر من هذا الجو العام الذي يسيطر عليه الحنين إلى الماضي، والخوف من الموت. وحاول الإجابة عن ذلك بفلسفته الخاصة "حين يصبح الموت كبعض حاجاتنا الطبيعية من أكل وشراب، فيتلاشى خوفنا منه، ولا نهرب إلى أحضان الماضي" (٦٢).

ولعل خوفه من الموت كان يكمن وراء إحساسه الدائم بالحزن، فهناك مسحة من الرومانتيكية الحزينة لا تفارقه، وقد ورث هذا الحزن عن أمه فاطمة، "فكانت دائمة الحزن، وهو حزن مقرون بالصمت الكامل" (٦٣). كما ورث عنها الهدوء والوقار. وبعد ضياع الوطن تعمق الحزن في نفسه، وحفر أخاديد في قلبه وروحه، فنراه يكتب في مفكرة له سنة ١٩٥٨: "أنا لا أنكر كثافة مادة الحزن فيما نظمته من شعر، ولكن ما ذنبي إذا كانت مقاطع اللغة والأوزان حتى الراقصة منها حزينة؟ وكل شيء في العالم العربي يتنفس فيه شبح الموت" (٦٤).

صرخة هذا الشيخ تُعرّي الواقع العربي المأساوي، الذي بعث من قاموس العربية كل المفردات التي تقطر مرارة وأسى، حتى صارت هذه الكلمات هي الأكثر دوراناً في حديثنا اليومي، وفي أعمال مبدعينا، فهذا نزار قباني في قصيدته بلقيس (٦٥) يفجر حضور الموت في الوسط العربي:

والموت في فنجان قهوتنا
وفي مفتاح شقتنا
وفي أزهار شرفتنا
وفي ورق الجرائد
والحروف الأبجدية

كانت الصدمة التي حصلت له بعد النكبة قوية جداً، فهي من ناحية أججت عنده مشاعر الحنين التي لن تنطفئ إلى الماضي المتمثل في القرية والرعاة، ومن ناحية أخرى كانت هذه الظروف مناسبة جدا كما يرى للعطاء الشعري، غير أنه فقد الثقة في كل شيء وبخاصة في نظم الشعر، فكان يتجنب قوله، ويهرب من اللحظات التي تجبره على نظم قصيدة بالمشي والهيام في الشوارع. "كنت أنظر إلى هول الكارثة التي حلت بوطني فأجدها أعظم من أن يصورها الشعر، ومع ذلك أرى أنه لا قيمة لشعر غارق في الذاتية والأحزان الخاصة، إذا أنا لم أحاول توجيه الشعر نحو تلك المشكلة العامة" (٦٦).

الصدمة كانت شديدة عليه وجعلته انهزاميا وقوّت عنده الإحساس بالعجز، فهو لا يملك إلا الكلمة، والوقت الآن ليس للكلام، فكل ما حوله يصرخ باسمه الجديد (لاجئ) لا يعرف إلى أين يتجه؟ أو أين يستقر؟ فقد تحول هو وجميع الفلسطينين أمثاله إلى حجر يتدحرج من مكان إلى مكان. . . بعد أن كشف الأشقاء العرب عن مشاعرهم الحقيقية.

عار من الاسم، من الانتماء
في تربة ربيتها باليدين
كل قلوب الناس جنسيتي
فلتسقطوا عني جواز السفر(٦٧)

وبدأت رحلة العذاب الفلسطينية من القاهرة، حيث تخرج في قسم اللغة العربية، وأراد أن يعمل كي يؤمّن لأسرته نفقات الحياة. فتقدم للعمل بجامعة الدول العربية، ولكن طلبه رفض بحجة أنه فلسطيني، وفلسطين لا تساهم في تمويل الجامعة العربية. فبحث عن بديل، وقد وجده في السودان في كلية (جوردن التذكارية/ كلية الخرطوم الجامعية) سنة ١٩٥١،

وحين حصل على العمل، ظهرت له مشكلة عويصة هي مشكلة جواز السفر، إذ كان يحمل جواز سفر حكومة عموم فلسطين، فسافر به، وهناك سحب منه الجواز وأعطي بدلا منه وثيقة سفر (٦٨).

وفي السودان استبشر خيراً، وخيل إليه أن الحجر قد استقر ولو على الهامش الإفريقي الجنوبي من الشرق الأوسط، وراوده إحساس " أن السودانيين صنف مختلف عن سائر العرب الذين قست قلوبهم، حتى عادت أشد قسوة من الحجارة" (٦٩). وفجأة تبدّد خياله أمام كلمات طالب سوداني قالها في سره (وكان إحسان عباس يتحدث عن ابن الرومي ضمن مساق الأدب العباسي): "هذا الفلسطيني ماله ومالنا؟ لماذا يشغل نفسه بتدريس ابن الرومي؟ لو كان ذا قدرة لبقي في وطنه يدافع عنه"، ويعلّق إحسان عباس على كلمات الطالب: "صدق هذا الطالب في كل ما قاله" (٧٠).

في سنة ١٩٥٦ حصل السودان على استقلاله، واتجهت السياسة الجديدة إلى سودنة كل شيء، فتولى رئاسة قسم اللغة العربية في كلية غوردن شخص سوداني، ولم تكن علاقة إحسان عباس به طيّبة، مما دفعه إلى الاستقالة فيما بعد، ودحرجة الحجر من جديد، فبعد سنوات عديدة من العطاء والإخلاص وتقديم الخدمات للطلبة السودانيين والأدب السوداني، كانت النتيجة أن لفظته السودان، وحكمت عليه بالرحيل، إلى أين؟ إلى بيروت، ويصف الكاتب اللحظات الأخيرة حين غادر مع أسرته مطار الخرطوم قائلاً: "كان منظرنا ونحن ننتظر في مطار الخرطوم للمغادرة مثيراً للأسى، وكانت تتردد في خاطري كلمات بيرم التونسي: وشبعت يا رب غربة". وكنت أنا وزوجتي نبكي بصمت. وكان الأطفال ينشجون... " (٧١).

ثم وصل إلى بيروت بعد طول انتظار، خُيِّل إليه معه أنه لن يسمح له بالدخول، إذ كان لا يحمل جواز سفر، مما دفعه بعد ذلك إلى حل هذه المشكلة، بالحصول على جواز سفر أردني. وفي بيروت تجاذبته ألوان شتى من المشاعر. فهو من ناحية سعيد لأنه يقيم في الواحة الجميلة الوحيدة في العالم العربي كله يومئذ، ولا يغيب عن الأذهان أن بيروت صورة بديلة عن حيفا الساكنة في قلبه وعقله، فالمسافة بين بيروت وحيفا ليست بعيدة، وتطلان على البحر الأبيض المتوسط (٧٢)، وتحيط بها تضاريس الجبال، وبإمكانه أن يسقط صورة الوطن السليب على لبنان خلافاً للفروق الشاسعة بين طبيعة فلسطين وطبيعة السودان. ولكن الرياح تُصرّ على أن تجري بما لا تشتهي السفن، فنراه في بيروت يضرب على نفسه طوقاً من العزلة، وينفصل تماماً عن المجتمع الذي يعيش فيه ويكره الاختلاط، ولم يكن الأمر طوعاً بل كان مضطراً.

" في الخرطوم اعترف بي الناس، واعترفوا بدوري فيهم، وأنكرني شخص واحد (٧٣)، وفي بيروت اعترف بي شخص واحد هو الدكتور حليم بركات، وأنكرني الجمهور " (٧٤). لذلك آثر الابتعاد عن الحياة العامة، والتدخل في السياسة، أو الخوض في القضايا التي تشغل بال الجماهير في الصحافة، واكتفى فيها بدور المتفرج. وبالمقابل انصرف كلية إلى العمل فيما هيئ له وهو الدرس والتأليف، فهو يقر بأن ضغوط الحياة الجديدة فرضت عليه العزلة والحبس في صومعة الدراسة والتدريس، إذا أراد البقاء، ولم يحاول القيام بقدر من التطبيع الاجتماعي في المجتمع الجديد الذي انتقل إليه. حتى يشعر بالتوحد مع الجماعة والتكيف معها نفسيا واجتماعياً، والتكيف في علم النفس " عملية ديناميكية تتطلب من الفرد أن يغير سلوكه في كل مرحلة من مراحل العمر، ليحقق التوافق الاجتماعي مع الآخرين " (٧٥).

وفي ضوء هذا الانفصال الاجتماعي، ركن إحسان عباس إلى وظيفة تعويضية مع خير جليس، وسيكولوجياً يمكن القول إن حياته اندغمت بالمكتبات، وهذا يفسر سر حصر علاقته بالمدن العربية التي أقام فيها، في الإطار الثقافي، مما دفع بالكثيرين إلى القول: إن مدن إحسان عباس هي مكتبات تلك المدن، حيث لا نشعر بوجود أماكن إقامة في سيرته بعد رحيله من قريته عين غزال.

في هذا الكلام شيء من الحق، فيما يخص علاقته بالكتب والمكتبات، فالرجل قُدر له من البداية أن يتوجه إلى التعليم، وكان كيس كتبه يتضخم باستمرار، وأظهر تفوقاً لفت نظر معلميه، وكان توجهه إلى مواصلة التعليم، في ذلك الوقت، خروجا عن المألوف في القرية، التي يوجه فيها الأبناء للعمل في الأرض، أما الذهاب إلى المدرسة فيعني بالنسبة إليهم تحولاً سلبيا في حياة الإنسان، فهذا خاله يرفض أن يرسل ابنه إلى المدرسة لأنه يرى أن المدرسة تُفسد الأطفال(٧٦).

إضافة إلى ذلك، فإن اهتمامات إحسان عباس، قبل النكبة، تكاد تكون محصورة في الكتاب، واستمر هذا الوضع في الإطار المكاني الذي تحرك فيه بدءاً من القاهرة، ومروراً بالخرطوم ثم ببيروت، وأخيراً نهاية المطاف في عمان. وربما توقّع منه القراء أن يضيف إلى دوره الأساسي وهو دور المثقف والباحث والأكاديمي أدواراً أخرى تمليها طبيعة المرحلة التي عاش فيها. غير أني أميل إلى الاعتقاد بأن المكتبة لم تكن سلبية، بل كانت المكان الأمثل الذي حقق من خلاله ذاته وأبرز هويته الفلسطينية المصادرة، " فهو، وإن فقد بيته، وضاع وطنه، وشرد أهله، ما زال يملك عقله، وبإمكانه أن يقدم من موقعه هذا شيئاً باسم وطنه، وأن يجسد إرادة الفلسطيني التي تخرج من تحت الأنقاض، وتبعث دائماً من جديد، تتمحور وتتحصن

لتعود أقوى من السابق، فهو في العواصم العديدة، كان الثابت الذي لا يتغير، قوميته دائماً تسبق اسمه، الفلسطيني، الحريص على إثبات كينونته، وتحقيق ذاته المسحوقة.

السنوات العجاف:

يواصل الفلسطيني إحسان عباس السير في طريق الآلام، حيث تنتهي الحقبة البيروتية بقسميها الفردوسي والجهنمي، ويغادرإلى عمان عام ١٩٨٦ للعمل بالجامعة الأردنية، وتبدأ مرحلة جديدة أطلق عليها اسم السنوات العجاف، وهي عجاف من منظورين أحدهما شخصي لأن الرجل تقدم في السن، واعتلت صحته. والآخر قومي يعود إلى روح التصارع والتمزق التي تسود ما يسمى (بالعالم العربي). أما بالنسبة إلى إقامته في عمان: فهو باعترافه يدين لهذه الفترة بكثير من الخير، إذ أعادت إليه جزءاً من الماضي السعيد، فأخوه بكر إلى جانبه، واتيح له أن يجدد العهد مع أبناء عين غزال. كما انشأ صداقات جديدة، قامت بدور تعويضي عما في أعماقه من خيبة ومرارة.

ودفعه هذا الشعور إلى وصف عمان بأنها مكان طيب أحاطه بالأهل والأحباب، فلم يعد يشعر بأنه مهيض الجناح، ووصف الزمان الذي أقام فيه بعمان بأنه زمان كريم معطاء(٧٧)، وكلامه هذا عن عمان وإن بدا أنه شخصي، إلا أنه شعور جمعي عند معظم الفلسطينيين، فعمان بالنسبة إليهم هي الوطن الثاني، والمكان الذي لا يشعرون فيه بالاغتراب. وعلى الرغم من ذلك فإحسان عباس يصرح بأن هذه الحقبة، وهي الربع الأخير من القرن العشرين، هي حقبة مظلمة في تاريخ الأمة العربية، فرحلة العذاب لم تنته، والمأساة الفلسطينية ما زالت تبحث عن حل في أروقة المنظمات والهيئات الدولية، والأمل بإيجاد حل لها أصبح بعيداً، ولذلك نراه يسجل في النهاية، ما قصده في البداية من كتابه "غربة الراعي"، "إن كل ما لقيت من آلام في تلك الرحلة لا يقف في طول ملم واحد إلى جانب أمتار الآلام الني عاناها الشعب الفلسطيني" (٧٨).

فقد كان يدرك تأثير الزمان على الأشياء، فهو يؤثر على المكان، ويؤثر على الشخصيات، قد يزيدها تألقا أو يقودها إلى الضعف والهوان، وقد ازداد إحساسه بالزمان بعد مرور عهد الصبا والشباب، وضياع الوطن فترك في نفسه كثيرا من الحسرة والألم والحزن، كما أثر ذلك على صحته وذاكرته.

الإطار السياسي لغربة الراعي:

عاش إحسان عباس في حقبة زمنية حرجة، فهو فلسطيني أصلا، وعربي ثانياً، وعاصر الكثير من الأحداث السياسية المهمة، ومع ذلك نراه في سيرته يتجنب الخوض المباشر في السياسة، أو تعاني سيرته مما سُمي "بالصمت السياسي"، فهو حين يضطر للحديث عن شأن سياسي يلجأ إلى الأسلوب التعميمي، مع تغييب للمفردات التي تحمل لهجة انتقادية خاصة، أو تشير بأصابع الاتهام إلى جهة بعينها، فلماذا فعل هذا؟ لأنه لم يكتب هذه السيرة لتصوير الآلام، " وإنما كتبتها لنقل جل التجارب"، كما أنه لا يرمي إلى تبيان آرائه ومواقفه من قضايا كبرى، أو الإجابة عن أسئلة مهمة تعرضت لها الأمة العربية(٧٩).

وهذا الصمت السياسي أثار فضول بعض الدارسين وعلى رأسهم: الناقد فيصل درّاج الذي وصف سيرة إحسان عباس "بانها سيرة متقشفة تقول شيئاً، وتصمت عن أشياء، أو تقول ما شاءت لها روح الشيخ الجليل"(٨٠). وحاول أن يخترق هذا الصمت مرتين: الأولى في مقابلة مطولة أجراها مع الشيخ الجليل بمشاركة الشاعر مريد البرغوثي، وذلك عقب صدور "غربة الراعي"، والثانية في مقالة كتبها بعد وفاته، وحاول دراج، سواء في المقابلة أو في المقالة(٨١)، أن يبحث عن أسباب عزوف إحسان عباس عن الحياة السياسية، وعدم انتمائه إلى أي حزب سواء في داخل فلسطين أو خارجها، مع أنه لم يكن بعيدا عن القضية الفلسطينية، ولا تنقصه الروح الوطنية. وفي إجابة مباشرة عن هذا السؤال وضّح أن ابتعاده عن السياسة كان لسببين ظاهرين ولأسباب أخرى، -حسب تعبيره- أما السببان الظاهران فأحدهما يتعلق بتنشئته القروية، ووعيه الريفي، وهو يرتكز إلى نزعة المحافظة، أو نزعة الشك والريبة من كل شيء جديد، أو نزعة التشبث بالموروث الساكن وإعادة انتاجه، والذي يعبر عنه التمسك بطمأنينة فقيرة. أما السبب الثاني فهو متفرع من السبب الأول، ويكمن في معنى السياسة في الوعي الريفي "فكانت السياسة في وعي الفلاحين البسطاء اختصاصاً للأغنياء وللعائلات الشهيرة في حين أن للفلاحين اختصاصاً آخر يتمثل في العمل في الزراعة، وفي الكفاح من أجل الوطن – إن أمكن – . كما أن الحياة السياسية في فلسطين لم تكن متبلورة، "بحيث تحرض المتعلم الريفي على تجاوز وعيه التقليدي، بل كانت في هشاشتها وعموميتها وتقليديتها تدعم الوعي التقليدي وتسنده"(٨٢).

أما الأسباب الأخرى التي أرادها إحسان عباس فتكمن في خط سير الحياة الذي رسمه لنفسه، والمتمثل في التحصيل الأكاديمي والمثابرة المعرفية، للبرهنة على أن الفلسطيني الوطني هو الباحث المجتهد، نعم، لقد كان لإحسان عباس توجه آخر في الحياة بعيدا عن النشاط

السياسي، نذر له نفسه، وهو تكريس الجهد في طلب العلم، وفي أقواله المتناثرة هنا وهناك، وفي نتاجه الأدبي من الادلة الساطعة ما يكفي لتوضيح هذا الجانب، من ذلك قوله معلقا على رحلته في طلب العلم وهو طفل صغير، من قريته عين غزال مروراً بمدن حيفا وعكا، والقدس وما كان يلقى من عناء وتعب بسبب الفقر، والظروف البائسة، التي كانت تدفعه دفعاً باتجاه العودة إلى القرية، والكف عن طلب العلم، لكنه لم يفعل: "ربما كنت أول طالب في القرية يهاجر للتعلم، فإذا عدت ربما لا يجرؤ أي طالب آخر أن يخوض التجربة، وأنا أحب أن يكثر المتعلمون في قريتي" (٨٣). وتابع هذا المنهج في حياته المتنقلة في المدن العربية كالقاهرة والخرطوم وبيروت وعمان، فعاش راهب فكرٍ في معهد البحث والتنقيب والتأليف، ولم يندم على سيره في هذا الطريق، بل اكتشف مع الأيام، أنه اختار الصراط الأكثر استقامة، والأقصر في تحقيق الهدف، وجاءت المأساة الفلسطينية لتعزز هذا المفهوم، فالأرض ضاعت، والبيوت تهدمت، والأهل قتلوا أو شردوا، أما العلم فهو السلاح الوحيد الذي لا يجرؤ أحد على مصادرته منا، ونراه كأب يتحمل دوره، ويؤدي رسالته بأمانة نحو أبنائه. فيقدم لهم النصح والإرشاد، حول ما ينفعهم في مستقبلهم ألا وهو العلم، كقوله لابنه الأكبر إياس: "اعلم أن الجدّ لبلوغ غاية هو خير سلاح لدينا، نحن الفلسطينين، بعد فقد الوطن" (٨٤).

يفهم من كلامه أنه كان بعيداً عن الحزبية، ويتحاشى عن قصد الانتماء إلى أي جهة سياسية، فلم يكن عضواً في حزب، حتى في الوقت الذي نشطت فيه الحركة الطلابية، وانخرط معظم زملائه في الأحزاب، لدرجة أن أحد أصدقائه المسيحيين –كما قال– انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين(٨٥).

وربما كان من أسباب إحجامه عن السياسة نزعة الزهد التي عبر عنها في مطلع حياته الفكرية حين وضع كتاباً عن أبي حيان التوحيدي، وكان –باعترافه– أقرب الشخصيات إلى نفسه لأنه يمثل المثقف الفقير الذي لا يستطيع بثقافته أن يقف في وجه تيار النهر العام، ولا أن يغير من منهج الحياة، فيلتف حول ذاته معتصماً برومانسية ثقافية، أو بتصور رومانسي للثقافة ،إذ "الثقافة حياة أخرى أو حياة جوهرية توازي الحياة اليومية المليئة بالفراغ" (٨٦). فالمثقف في رأيه قادر على تمييز الخطأ من الصواب، لكنه عاجز عن إحداث التغيير، أو حتى المواجهة، فيلجأ إلى العمل الحر ويتشرنق حول نفسه، ويشعر بالاغتراب عن مجتمعه، لأنه يحلم بعالم مثالي قائم على الحرية والمساواة، وهذا الوضع مألوف عند الغالبية العظمى من المثقفين، فهم يقفون في مشاركاتهم في الشؤون الحياتية عند الحدود الكلامية، ونادرا ما

يترجمون أقوالهم إلى أفعال .

كان المفروض والمتوقع أن يكون إحسان عباس اثنين في واحد المثقف والسياسي ، لكن هذا لم يحصل ؛ فالمثقف نما وتشعب حتى أصبح إحسان عباس " الأكاديمي اللامع ، والمثقف البارز على مستوى الثقافة العربية الجدير بالاحترام والتقدير " (٨٧) ، أما السياسي فكان بالمقابل يتهمش حتى أوشك أن يختفي . فكان الحضور القوي للثقافي ، وتغييب السياسي ، موضع تساؤل ونقد عند بعض الدارسين ، ووضع تفسيرات فرضية إذ رأى فيه فيصل دراج : " أثرا من آثار المدرسة الإنجليزية التي تُعود التلميذ على الإخلاص للكتب والتعاليم المدرسية ، وتزجره عن النظر إلى الشوارع والقضايا اللامدرسية " . كما اتهمه بأنه احتفظ في لاوعيه بأطياف التلميذ الذي كان في زمن السيطرة الاستعمارية على فلسطين ، فكان عليه حتى يكون تلميذاً مقبولاُ ، أن يحفظ دروسه جيداً وألا يقرب المظاهرات الشعبية ، فإن فعل جاء ذلك بطريق لا ينقصه التحرز والتخفي (٨٨) .

وقريب من هذا الكلام ما ذهب إليه ابن بلدته د . فهمي جدعان الذي قال عنه : لقد تعامل مع الحدث السياسي بكثير من الخوف والتردد ، ويرى " أن إحسان عباس يعاني من تردد إنساني متجذر بين مركبين انثروبولوجيين أصيلين في كينونته الخاصة : العقل والوجدان " (٨٩) .

ويتفرع من صمته السياسي سؤال آخر طرحه نفر غير قليل من الناس وهو : لماذا لم يكتب إحسان عباس كتاباً عن فلسطين ، التي شهد فجيعتها صبياً ، وعاش آلامها شاباً وشيخاً؟ ولماذا لم يكتب كتاباً عن محمود درويش كما كتب عن عبد الوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب؟ .

التساؤلات السابقة تنطوي على كثير من الاتهام الظاهر والمبطن لإحسان عباس بالتقصير بحق فلسطين ، وحق المبدعين الفلسطينيين عليه ، فأهل مكة أدرى بشعابها ، وهو -بالطبع- كان مجهزاً بكل أدوات الكتابة ومستلزماتها ، ومارس كتابة التاريخ والنقد الادبي على حد سواء .

وقد دافع عنه تلاميذُه ومريدوه منهم د . محمد شاهين ، أحد المترددين على مجلسه الثقافي بعمان حيث قال : " كانت فلسطين هي الهاجس الأول والأخير طوال سنين حياته ، هي قضية ونكبة ومأساة ، وفردوس مفقود ، وهوية في الشتات " (٩٠) .

أما فيما يتعلق بمحمود درويش فيقول محمد شاهين عن معرفة شخصية : " إن إحسان عباس كان متيّماً بمحمود بل مسكوناً به ، وقد ذكر على مسمعي ، وعلى مسمع الآخرين ، أن أمنيته أن يكتب كتاباً عن محمود درويش " (٩١) .

وكذلك فعل د. ماهر جرار أحد تلاميذه، في معرض دفاعه عن ابتعاد إحسان عباس عن الحياة السياسية والنشاطات الحزبية، فكرر ما ذكر سابقاً من أن تعامل إحسان عباس مع السياسة تأثر بعاملين هما: شخصيته القروية الطيبة، والدور الذي رسمه لنفسه وهو دور المثقف المنكب تماماً على علمه وأبحاثه وطلبته، وأضاف: "وهو وان لم ينخرط في العمل السياسي أو الحزبي، بمعناه الضيق، والتزم حدود الأكاديمي، إلا أنه يتابع بحس الناقد المرهف، وبمنهجيته المتميزة عطاءات جيل من المناضلين العرب، ينضم إليه في مجلسه جمهرة من المثقفين الملتزمين حزبياً والمناضلين من سائر الاتجاهات. إذ غدا عبر موقفه الوطني العام... وعقله المستنير، وصدره الرحب، مرجعا للجميع ورمزا ثقافياً ووطنياً، يلتقي عنده لاستخراج رأيه، القومي والبعثي والماركسي والمتدين" (٩٢).

وبعد، فماذا يمكن أن يقول هذا البحث عن الصمت السياسي في السيرة الذاتية "غربة الراعي"؟؟.

لقد نقلت إلينا هذه الغربة جانباً مهماً من تاريخ فلسطين الحديث، وسجل إحسان عباس في صفحاتها الأخيرة آراءه في الحياة السياسية العربية والتي تنطوي على نقد جريء، كما عبر بوضوح عن الحزن الذي يعتريه لما آل إليه العالم العربي من كوارث ونكبات، وكشف عن يأسه من إمكانية الإصلاح والتغيير، وفيما يلي أمثلة من آرائه (وهي للتمثيل لا للحصر): إن حرب الخليج وحصار العراق قد طمسا بقية من التفاؤل والتطلع إلى المستقبل. كما سجل تحفظاته على اتفاقية السلام (اتفاقية اوسلو)، ووصفها بأنها اضطرارية، فرضت علينا من ناحيتين: من قوة القوي، ومن ضعفنا في الوقت نفسه. ثم يشكك في مصداقية هذه المعاهدة لأنها عقدت بين طرفين غير متكافئين، وبالطبع، كنا الطرف الأضعف فيها، أما الطرف الثاني/ الخصم، فهو القوي "والقوي أقدر الناس على أن يسخر من المعاهدات، ويقلب شروطها لصالحه" (٩٣).

ويسترسل في البوح عما يشعر به من الأسى الشديد لما آلت إليه الأوضاع في الدول العربية من تراجع وانهيار، وجاء هذا البوح بشكل غير مباشر، عبر رسالة اعتذار وجهها إلى قريبته مريم التي سبقت زمانها، وخرجت في تصرفاتها عن الحدود التي تقرها القرية، وصنعت قرارها بنفسها، حين أحبت وتزوجت من قاتل عمها(٩٤) وفيما يأتي مقتطفات من هذه الرسالة:

"... فإني إليك يا مريم سالم خليل أتقدم بأسفي واعتذاري، كنت مغموراً بقيم العائلة المستمدة من قيم الريف، حين لم أستطع أن أرى في موقفك ثورة على تقاليد هي القيود بعينها.

حين لم أقدّر الإشارة القوية التي حاولت إرسالها إلى الغافلين كي يتنبهوا. إن مجتمعا وقف كله يرى في قتلك تطهيرا لشرف العائلة، لم يكن ليقف عند قتل امرأة واحدة، وإنما كان مليئا بالحقد على كل فرد، امرأة كان أو رجلا يحمل على وجهه إيماءة التحرر... "(٩٥).

إن كلمات الاعتذار هذه تحمل الكثير من الإشارات والدلالات، فهي وإن بدت في ظاهرها، شخصية، إلا أنها ترمي إلى أبعد من ذلك، هذه الرسالة صرخة لتحرير الذات من العبودية لكثير من الأعراف التي ترفضها أعماقنا، وكسر القيود التي نكبل بها أنفسنا، إذا أردنا أن نتحرر من الاحتلال. وأبرز الظن أنه يقصد ذاته في المقام الأول، إذ عاش عمره مسايراً، وفرضت عليه تركيبته النفسية بما فيها من حياء وتواضع أن يستسلم، وأن يقول نعم بدلاً من لا حتى في أكثر المواقف مصيرية. ونقصد بذلك قصة زواجه، فقد رضخ وهو الرجل والمتعلم لرغبة والده في الزواج من الفتاة التي اختارها له، وإن كانت لا تحقق الحد الأدنى من المواصفات التي كان يريدها إحسان في فتاة أحلامه، يتزوج كأي فتاة مغلوبة على أمرها، تساق إلى مصيرها دون أن تعترض لانها لا تملك حق الاعتراض، ويحكم عليها، كما حكم عليه حسب أقواله بالشقاء الابدي، وأكتفي فقط بالنقل الحرفي لجملة واحدة قالها لأبيه بخصوص زواجه: " وحين ودعني في النهار عائداً إلى القرية... قلت: سلم على أمي، وقل لها: إنك في زيارتك لي أطلقت علي رصاصة الرحمة، وتخلصت مني "(٩٦).

كان إحسان عباس في أعماقه يستاء من أشياء كثيرة، لكنه لا يجرؤ على المواجهة، وقد ينحني حتى تمر العاصفة، فمن الطبيعي والحالة هذه ألا يكون صاحب رأي يجاهر به ويدافع عنه، ولم يلجا إلى التحليل السياسي العميق، بل اكتفى بالأسلوب التسجيلي الصحفي، فكان (في الإطار السياسي) كمن يتابع الحدث من بعيد، ولا يريد أن يقترب منه، وهذا هو موقف المثقفين الذين يستشعرون الحرية الفردية، والاستقلال الذاتي، ويقفون من البيئة موقف الحذر والريبة وسوء الظن، ومما يلفت النظر في شدة حذره وربما خوفه، أنه لم يكن يستعمل كلمة استشهد للثوار، واستعمل بدلاً منها كلمات مثل: قُتل، لقي مصرعه، كذلك كان بإمكانه أن يستفيد أكثر من الحدث السياسي، لأنه يهم جمهور القراء، وربما تكون القيمة التاريخية في سيرة ذاتية "كغربة الراعي" أهم من القيمة الفنية، ولا يعني هذا أننا نريد أن نُحوّل السيرة إلى تاريخ، لكن الإغفال الشديد، أو الحديث المقتضب عن بعض الأحداث، كان سببا في إضعاف القيمة التاريخية للكتاب، وكان الأجدر به أن يعطي تفاصيل أكثر بشكل يتداخل فيه الأدب مع التاريخ بصورة طبيعية ومشوقة، وهذا ما ذهب إليه د. إبراهيم السعافين في تعليقه على استشهاد صديق إحسان عباس، موسى القليط الراعي والمثالي والمكافح على يد

الإنجليز، " وكان يمكن أن يجعله رمزاً لكفاح الشعب الفلسطيني آنذاك، ولكنه لم يفعل من ذلك شيئاً " (٩٧).

ومن الأدلة على تعامله مع الأمور بحرص وتردّد شديدين أنه لم يلتزم بالصراحة المطلقة في جميع ما كتب، وهذا الأمر طبيعي، فالاعتراف المحض في السيرة الذاتية هو اعتراف نسبي، لأن هناك عوائق تعترض سبيل المترجم لنفسه منها: عوامل واعية وإرادية كالتزييف والتمويه، فربما يعبر الأديب في سيرته عن عكس ما يفكر فيه، وما يشعر به، فيطمس بذلك معالم الحقيقة. وهناك عوامل أخرى لاإرادية كالحياء والنسيان(٩٨).

فهو لم يقل كل شيء ولم يطبق ما كان متحمساً له في شبابه، حين كتب كتاب "فن السيرة"، من ضرورة الالتزام بالصراحة الكلية وسبب ذلك كما يقول: "حين وقفت أمام التجربة بنفسي وجدت ان حماسة الشباب لا تستمر... وأني لا أستطيع أن أتحمل مسؤولية تلك الصراحة، وأن مجتمعي يصد عنها" (٩٩).

فهو لم يستطع أن يسجل كل شيء دون خجل أو وجل، ولجأ إلى الأسلوب الانتقائي، وهذا ينطبق على ما يخص الذات أو ما يخص الجماعة، ولا شك أنه أخفى عامدا أشياء كثيرة، وربما كانت هذه المخفية هي الأكثر أهمية (المخفي أعظم)، وهذا واضح وجليّ في قوله إنه صد عن الصراحة لأنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤوليتها، وما تجرّ عليه من عواقب. وكانت طبيعة إحسان عباس تتميز بالتفكير بالشيء قبل تنفيذه، وتقدير الخطر قبل وقوعه، كان يتروى طويلاً، ويتعب عقله في العمليات الحسابية حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، فهل كان إحسان عباس جباناً؟ ربما تحمل الحكاية الية بعض الإجابة:

كانت هناك أفعى تسبح على جدار، وقد تجمهر حولها الناس خائفين، يهيبون بأي من الرجال الحاضرين، كي يخلصهم منها، وكانت بين الجموع (نوار-الحبيبة المنشودة)، واتجهت الأنظار إليه كي يقوم بهذا العمل، فوجد أن الإقدام على القيام بذلك ضرب من الجنون، وقال للذين يطلبون منه قتل الحية: "هذه ليست شجاعة، إنها تغرير بالنفس" (١٠٠).

هذه ليست حكاية، هي حادثة حقيقية وقعت -كما قال- في قريته عين غزال بعد ثورة ١٩٣٦ بقليل، وبعد استشهاد عدد كبير من المشاركين في الثورة. وكانت نتيجة تخاذله أن قاطعه أهل القرية، أما نوار التي كانت تنظر إليه وتحثه على قتل الأفعى، صارت " تشيح بنظرها عن منظر هذا الجبان الذي لا يحمل أي جرأة يتصف بها الفلاحون. لقد طارت نوار من عالمي إلى الأبد" (١٠١).

أليست هذه القصة بشخوصها وحدثها ونهايتها قصة رمزية، ومن نوار؟ ألا يمكن أن تكون

الوطن الذي تسبح فيه الأفعى (الاحتلال) بحرية دون أن تجد من يقف في طريقها!

وبعد، فإن هذه القصة سواء في بعدها الظاهري أو في إيحاءاتها الرمزية لا تقلل من شأن هذا الرجل العظيم، الذي شهد له الجميع بأنه عالم جليل، أثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب على مستوى التحقيق، والتأليف في الأدب والتاريخ والنقد، إلى جانب كونه شاعراً وأديباً.

هذه السيرة تسجّل تجربته الخاصة بكل ما فيها من تناقضات، وإن كان لون الكآبة هو الغالب عليها، وقد حرص إحسان عباس أنْ يُبقي في ذاكرتنا، أن حياته لم تكن سهلة، وأن الحياة قاسية، وهذا ما سجله في آخر السيرة تحت عنوان: حكمة ختامية/ منطق الشجرات الثلاث(١٠٢)

قاسية هي الحياة

جاسية عروقها

...

صليبة كالسنديانة العتيقة

كالبطم، كالسّرّيس، كالقندول، فهي شجرهْ

تغريك بالممكن من قطافها والمستحيل

تعطيك وهي مانعة تكرّم البخيل

فالحياة قاسية، لا رحمة فيها، وهي أشبه بالشجرة الجافة التي لا فائدة منها، ويرى د. خليل الشيخ أن هذه الشجرة تجسّد أزمة الشاعر الوجودية والنفسية. وهذا الأمر طبيعي لأن غربة الراعي تبدأ من الطفولة وتنتهي بالشيخوخة، " فالزمن عنده موزّع بين لحظتي عجز قاسيتين: في الطفولة والشيخوخة " (١٠٣).

وكان قبل ذلك قد استحضر مقاطع من قصيدة محمود درويش: شظايا الأمس المنكسر(١٠٤):

ههنا حاضر

لا زمان له

... وفي

أي وقت وقعنا عن الأمس فانكسر

الأمس فوق البلاط شظايا يركبها

الآخرون مرايا لصورتهم بعدنا

فقد أنهى إحسان عباس سيرته بكلمات مشبعة بروح التشاؤم، روح إنسان خبر الحياة فلم يجد فيها إلا الألم والقسوة والمعاناة، فخرج بهذه الفلسفة الوجودية التشاؤمية التي تبعث في ذاكرتنا فلسفة مثيلة لها، صدرت عن حكيم المعرّة أبي العلاء المعري:

تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب في ازديادِ

وختاماً فإنّه يمكن القول إن إحسان عباس لم يلجأ في سيرته إلى الشخصية (المثال)، ولم يقع تحت تأثير نرجسية الأنا، بل اتّجه إلى تصوير الواقع، واستطاع أن يندمج مع العالم الخارجي، وأن يجعل ذاته متضامّةً مع الجماعة التي ينتمي إليها. جاء ذلك بأسلوب هادئ بسيط، كي تصل هذه السيرة إلى جمهور كبير متنوع، وفي سبيل هذه البساطة تنازل -كما يقول- عن الأسلوب القائم على الإيجاز والإيماء واللفظة الجزلة (١٠٥).

الهوامش:

١- مقطع من أغنية لفيروز.

٢- د. إحسان عباس: أديب وناقد فلسطيني ولد في قرية عين غزال بالقرب من حيفا سنة ١٩٢٠، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس فلسطين، ثم تابع دراسته الجامعية في مصر حيث التحق بقسم اللغة العربية، ونال شهادة الدكتوراة، وعمل في العديد من الجامعات العربية، وقد أثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب بين تأليف وتحقيق، وشهد له الجميع بذلك، وظل معتكفاً في محراب العلم والمعرفة حتى توفي بمدينة عمان سنة ٢٠٠٣ م.

٣- فهمي جدعان، إحسان عباس إنساناً، من كتاب: إحسان عباس ناقداً، محقّقاً، مؤرّخاً، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٨. ص١٩.

٤- نظرية الحقول الدلالية تعنى بجمع الألفاظ التي يمكن أن تنضوي تحت معنى عام يجمعها، ثم دراسة العلاقة المتبادلة بينها.
عبد الكريم محمد جبل، في علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٧.

٥- حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦- إحسان عباس، غربة الراعي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٦. ص٤٥

٧- إحسان عباس، أنا ذلك الراعي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، رام الله، ١٩٩٧، العدد ٥١، ص٩١.

٨،٩- م. ن، مجلة الكرمل ٥١/ ٩٢.

١٠- غربة الراعي ص٢٢.

١١- مجلة الكرمل ٥١/ ٩١-٩٢.

١٢-أركاديا: منطقة جبلية في بلاد اليونان، اشتهرت بأنها موئل الرعاة البسطاء، القانعين بما قسم لهم، وأركادي تعني: ريفي، رعوي. المورد، قاموس انجليزي عربي.

١٣- غربة الراعي ص١٣٩.

١٤- خليل الشيخ، إحسان عباس وفن السيرة، من كتاب: إحسان عباس ناقداً، محققاً، مؤرخاً، ص١٣٠.

١٥- كان موسى ثائراً اشترك في ثورة ١٩٣٦، وكان في نظر الكاتب رمزاً للبطولة، قتله الإنجليز سنة ١٩٣٩.
غربة الراعي ص ١٢٤.

١٦- غربة الراعي ص١٤٦.

١٧- م. ن، ص١٢٠-١٢١.

١٨- أحمد دحبور، في وداع د. إحسان عباس، مجلة رؤية، الهيئة العامة للاستعلامات، رام الله، أيلول سنة ٢٠٠٥.

١٩-خليل الشيخ، تحولات الشخصية في غربة الراعي، مجلة نزوى، سلطنة عمان، ١٩٩٩. يوليو/ تموز،

العدد ١٩، ص٢٤-٣١

٢٠- أنا ذلك الراعي، مجلة الكرمل ٥١/ ٩٢.

٢١- غربة الراعي ص٢٦٤.

٢٢+٢٣- أنيس المقدسي، الفنون الادبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨. ص٥٤٧، ص٥٥١

٢٤- دويت رينولدز، السيرة الذاتية في الأدب العربي، مجلة الكرمل، العدد ٧٦/ ٩٢.

٢٥- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة، ١٩٦٨. ص٢٧٨-٢٧٩.

٢٦- ومنها أيضاً: الشريف الرضي سنة ١٩٥٩، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، سنة ١٩٦٩.

٢٧-إحسان عباس، فن السيرة، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٥٦. ص٥-٦

٢٨- إحسان عباس ناقدا، محققاً، مؤرخاً، صاحب هذه العبارة د. إبراهيم السعافين، إحسان عباس قلق الوجود، شهوة الحياة، ص٣١.

٢٩-انظر: واصف العبوشي، فلسطين قبل الضياع، رياض الريس للنشر، لندن، ١٩٨٥ ص٦٥، طاهر خلف البكاء، فلسطين من التقسيم إلى أوسلو، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠٠١ م، ص٢٣.

٣٠- غربة الراعي ص٩-١٢.

٣١- واصف العبوشي ص٧٠، طاهر البكاء ص٣٢.

٣٢- واصف العبوشي ص٦٦.

البراق عند المسلمين جزء من الحرم الشريف، وهو مكان إسلامي على قدر كبير من القدسية، وهو يحتوي على التجويف الذي ربط فيه الرسول صلى الله عليه وسلم البراق، عندما تمت رحلة الإسراء من مكة إلى الصخرة في القدس. أما الصخرة فهي المكان الذي عرج منه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء.

حائط المبكى: بالنسبة لليهود هو الجزء الغربي من الهيكل اليهودي القديم، وهم يقدسونه -لأنه في رأيهم- الجزء الوحيد المتبقي من ذلك البناء المقدس.

٣٣- غربة الراعي ص٥٦.

٣٤- غربة الراعي ص٤٧.

٣٥- م. ن، ص٨١.

٣٦- م. ن، ص ٧٤.

٣٧-م. ن، ص٨٨.

٣٨- انظر تفاصيل الثورة: خليل البديري، ستة وستون عاما مع الحركة الوطنية، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٨٢، ص٦٧. واصف العبوشي ص٥٣، طاهر البكاء ص٣٧.

٣٩- غربة الراعي ص٨١.

٤٠-م. ن، ص٨٩.

٤١-واصف العبوشي ص١٦٣.

٤٢- غربة الراعي ص٩٤ . قال إحسان عباس : "كنا نسمع في الشوارع اسطوانات نوح إبراهيم شاعر الثورة الشعبي الذي أصبحت أغانيه تراثاً شعبياً . "
٤٣- غربة الراعي ص١٤١ .
٤٤- غربة الراعي ص ١٢٤-١٢٥ . من ضمن الإجراءات المتخذة : كان سكان المدن يجمعون بالعراء تحت وهج الشمس الساطعة ، وكانت النساء بالعادة تفصل عن الرجال ، وتبعاً لذلك كان الأطفال لا يستطيعون البقاء في المنزل ، فكانوا ينضمون بقلوب يملؤها الخوف لأحد الوالدين " .
واصف العبوشي ص١٥٥ ، طاهر البكاء ص٤٣ .
٤٥- طاهر البكاء ص١٣٦ .
٤٦- السندان : ما يطرق عليه الحداد الحديد ، وهذا يعني أنه بين أمرين كلاهما شر .
٤٧- أحمد دحبور ، في وداع إحسان عباس ، مجلة رؤية ، عدد أيلول ٢٠٠٥ .
٤٨- غربة الراعي ص١٨١ .
٤٩- هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، وينتهي نسبهم إلى بكر بن هوازن ، وهي قبيلة قيسية معروفة ، وكانت منازلهم في الجاهلية وصدر الإسلام بالطائف والجهات الشرقية من الجزيرة ، وشاركوا في الفتوح الإسلامية ، وهاجروا إلى شمال إفريقيا وقد أورد ابن خلدون في تاريخه المعروف معلومات كثيرة ، وأشعاراً متنوعة لبني هلال .
٥٠- غربة الراعي ص١٧ .
٥١-تركي العتيبي ، إضاءة في تغريبة بني هلال ، حوار الرياض ، بتاريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٣ .
٥٢-حمّل د . إحسان عباس الدول العربية ، صراحة ، مسؤولية ضياع فلسطين حيث يقول : "كان القرار في يد الجيوش العربية التي دخلت فلسطين فسلمتها ، وعادت إلى قواعدها سالمة . " غربة الراعي ص١٨٥ .
٥٣- أهدى إليه كتابه (من الذي سرق النار؟) بهذه الكلمات ، "إلى ذكرى أحمد سلامة ، ذلك المعلم الملهم والناقد الأمين " .
٥٤- غربة الراعي ص٢٥٧ .
٥٥- م . ن ، ص١٨١ .
٥٦+٥٧- م . ن ، ص١٨٣ .
٥٨- م . ن ، ص٨ .
٥٩- م . ن ، ص٢٠٧ .
٦٠- محمود درويش ، الأعمال الكاملة ، ديوان عاشق من فلسطين ، ص١٦٠ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٤ .
٦١- مصطفى فهمي ، التكيف النفسي ، مكتبة مصر/ دار الطباعة الحديثة ، القاهرة . ص٩ .
٦٢- إحسان عباس ، من الذي سرق النار؟ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠ . ص٣٤ .
٦٣- غربة الراعي ص٣٩ .

٦٤- م . ن ، ص١٩١ .
٦٥- نزار قباني ، ديوان بلقيس ، منشورات دار الأسوار ، ط٢ ، عكا ، ١٩٨٤ .
٦٦- غربة الراعي ص ١٩٠ .
٦٧- محمود درويش ، الأعمال الكاملة -ديوان حبيبتي تنهض من نومها ، قصيدة بعنوان "جواز سفر" ، ص٣٥٧ .
٦٨+٦٩- غربة الراعي ص١٩٢ .
٧٠- م . ن ، ص٢٠١ .
٧١- م . ن ، ص٢٢٣-٢٢٤ .
٧٢- انظر حديثه الشجي عن بيروت ، غربة الراعي ص٢٣٦ .
٧٣-قصد به : رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة آنذاك .
٧٤- غربة الراعي ، ص٢٣٧ .
٧٥- مصطفى فهمي ، التكيف النفسي ص٩ .
٧٦- غربة الراعي ص٣٣ .
٧٧- م . ن ، ص٢٦٠ .
٧٨+٧٩- م . ن ، ص٢٦٣ .
٨٠- أنا ذلك الراعي ، مجلة الكرمل العدد ٥١ / ٩١ .
٨١- نشرت المقابلة تحت عنوان "أنا ذلك الراعي" في مجلة الكرمل ، العدد ٥١ سنة ١٩٩٧ . ص ٩١-١١٤ . ونشرت المقالة تحت عنوان : إحسان عباس/ المعلم النموذجي ، الكرمل العدد ٧٨ ، سنة ٢٠٠٣ ، ص ١٣٢-١٣٦ .
٨٢- أنا ذلك الراعي ، مجلة الكرمل ٥١/ ٩٣-٩٤ .
٨٣- غربة الراعي ص٥٥ .
٨٤- م . ن ، ص٢٥٢ .
٨٥- م . ن ، ص١٥٠ .
٨٦- أنا ذلك الراعي ، مجلة الكرمل العدد ٥١ ص٩٦ .
٨٧- فيصل درّاج ، إحسان عباس/ المعلم النموذجي ، الكرمل ، العدد ٧٨ ص١٣٣ .
٨٨- م . ن ، ٧٨/ ١٣٤-١٣٥ .
٨٩- فهمي جدعان ، إحسان عباس إنساناً ، إحسان عباس ناقداً ، محققاً ، مؤرخاً ، ص١٧ .
٩٠- محمد شاهين ، إحسان عباس ، صورة شخصية ، مجلة الكرمل ، العدد ٧٨ ، ٢٠٠٣ م .
٩١- م . ن ، مجلة الكرمل ٧٨/ ١٤١ .
٩٢- ماهر جرار ، أنت الغريب في معناك ، إحسان عباس ناقداً ، محققاً ، مؤرخاً ، ص٢٦ .
٩٣- غربة الراعي ، ص٢٥٩ .
٩٤- كان يدعى موسى الصاردي ، غربة الراعي ص٣٦ .
٩٥- غربة الراعي ص٢٦٤ .

٩٦- انظر تفاصيل قصة الزواج في : غربة الراعي ص١٥٥ ، وما بعدها .
٩٧- إبراهيم السعافين، إحسان عباس، قلق الوجود، شهوة الحياة، إحسان عباس ناقداً، محققاً، مؤرخاً . ص٢٧ .
٩٨- يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤، ص ٧ .
٩٩- غربة الراعي، المقدمة، ص ٦ .
١٠٠+ ١٠١- م . ن . ص ١٢٦ .
١٠٢- غربة الراعي ص ٢٦٨ .
١٠٣- خليل الشيخ، تحولات الشخصية في غربة الراعي، مجلة نزوى، سلطنة عمان، العدد١٩ يوليو/ تموز، ١٩٩٩، ص ٢٤-٣٣ .
١٠٤- محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً ، رياض الريس للنشر، لندن، ١٩٩٥، ص٣٠ .
١٠٥- غربة الراعي، المقدمة ص٦ .

قائمة المصادر والمراجع:

١ - إحسان عباس .

١ - غربة الراعي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٦ .

٢- فن السيرة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦ .

٣- من الذي سرق النار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ . ٤

٤ - أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٨ .

٥- حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٦- خليل البديري، ستة وستون عاماً مع الحركة الوطنية، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٨٢ .

٧- رمضان عمر، سيرة فدوى طوقان وأثرها في أشعارها، دار الأسوار، عكا، ٢٠٠٤ .

٨- سلامة موسى، تربية سلامة موسى، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، ١٩٦٢ .

٩- طاهر خلف الله البكاء، فلسطين من التقسيم إلى أوسلو، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠٠١م.

١٠- عبد الكريم محمد جبل، في علم الدلالة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٧ .

١١- عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة، ١٩٦٨ .

١٢- فهمي جدعان وآخرون، - إحسان عباس ناقداً، محقِّقاً، مؤرخاً، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٨ .

١٣- محمود درويش، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٤ .

١٤- لماذا تركت الحصان وحيداُ، رياض الريس للنشر، لندن، ١٩٩٥ .

١٥-مصطفى فهمي، التكيف النفسي، مكتبة مصر/ دار الطباعة الحديثة، القاهرة، بلا تاريخ .

١٦- نزار قباني، ديوان بلقيس، منشورات دار الأسوار، ط٢، عكا، ١٩٨٤ .

١٧- واصف العبوشي، فلسطين قبل الضياع، ترجمة علي الجرباوي، رياض الريس للنشر، لندن، ١٩٨٥ .

١٨- يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤ .

الدوريات:

١- إحسان عباس، أنا ذلك الراعي، مقابلة أجراها فيصل دراج ومريد البرغوثي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، رام الله، العدد ٥١ ، ١٩٩٧ م.
٢- أحمد دحبور، في وداع د. إحسان عباس، مجلة رؤية، الهيئة العامة للاستعلامات، رام الله، عدد أيلول ٢٠٠٥ .
٣- تركي العتيبي، إضاءة في تغريبة بني هلال، حوار الرياض، الرياض، سبتمبر/ ٢٠٠٣.
٤- خليل الشيخ، تحولات الشخصية في غربة الراعي، مجلة الكرمل، مؤسسة نزوى، سلطنة عمان، العدد ١٩ يوليو/ تموز، ١٩٩٩ .
٥- دويت رينولدز، السيرة الذاتية في الأدب العربي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، رام الله، العدد ٧٦، ٢٠٠٣ .
٦- فيصل دراج، إحسان عباس المعلم النموذجي، مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية، رام الله، العدد ٧٨، ٢٠٠٣ م.
٧- محمد شاهين، إحسان عباس/ صورة شخصية، مجلة الكرمل، العدد ٧٨، ٢٠٠٣ .

المزدوج الحركي في العربية بين الوهم والحقيقة

د. سعيد إسماعيل شواهنة*

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخليل، فلسطين.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مصطلح الحركة المزدوجة Diphthong ومدى تمثل العربية له، وَجَلَّتْ الدراسة رأياً مغايراً لما جاء عند المحدثين من علماء اللغة العرب الذين أجهدوا أنفسهم في إقحام هذا المصطلح في الحركات العربية، ليس لتحققه فعلاً، وإنما لتتبع أقلام الغربيين والسير على منهجهم.

فألزموه البنية العربية قسراً. وقد بينت الدراسة أنه لا وجود لهذه الحركة في العربية، معتمدة في تفنيدها على الوظيفة التي تقوم بها الحركة في العربية، أي من ناحية فونولوجية. فهي تقع في قمة المقطع، والمزدوجة لا تقوم بهذه الوظيفة، بل إن ما أطلق عليه حركة مزدوجة ما هو إلا انتقال صوتي أو هو تباين انتاجي لصوتين مختلفين في مقطع واحد.

Abstract

This study investigates the definition of the phonological term Diphthong and the possible existence of this sound combination in the Arabic phonology. Literature departing from the work of contemporary Arab linguists who exhausted themselves in imposing this concept on the study of Arabic inflections was explained and found to be existing due to sheer imitation of western linguists and their research methodologies and not because it was related to the significance of this term or its actual existence. The study clearly shows that the diphthong doesnt exist in Arabic phonology. The researcher based his arguments on the clarification of the function that inflections play in Arabic. It is then believed that from a phonological perspective, inflections which are usually placed on top of the syllable and Diphthong, however, are never placed as such. Moreover, a Diphthong is usually defined as a movement or variation in sound production between two sounds in one syllable.

تطالعنا في الدراسات اللغوية الحديثة رغبة علماء اللغة العرب إلى الاتجاه التغريبي، ويلجأون إلى المسار القسري الذي يحمّل اللغة ما لا تحتمل، فيزجّون فيها ما هو غير موجود في بنيتها أو في قواعدها التي عكف علماؤنا القدامى على توصيفها، ووضع المعايير الخاصة التي تنظم المنظومة اللغوية العربية، وفق قواعد ومعايير استنبطت من الظاهرة اللغوية موضع الدرس.

ومن مواطن التغريب في الدراسات الصوتية مصطلح المزدوج الحركي الذي أجهد العلماء العرب المحدثون أنفسهم في ولادته من رحم البنية اللغوية العربية قسراً، علماً بأن العلماء القدامى لم يتطرقوا له البتة، وهذا لا يعني أن معيار القبول والرفض للمصطلحات مرتبطٌ بوجوده في مظان القدماء أو عدم وجوده، ولكن يعتمد على قبول اللغة لهذا التوصيف العربي أو رفضه، وبمعنى آخر ليس كل ما وجد في المنظومة اللغوية لدى الغرب؛ يجب أن نطبقه على المنظومة الصوتية للغة العربية، أو نجبر اللغة على قبوله، ويتبناه علماؤنا ويشرعون في إيجاد المقابل له في اللغة العربية. بل نجدهم يلجأون إلى تفسير بعض السلوكات الصرفية والبنى التركيبية النحوية ضمن هذا المصطلح ليبينوا عجز القدماء في هذا.

نحن لا ننكر أن بعض التوصيفات القديمة قد حادت عن جادة الصواب مما أدى إلى التفسير الخاطئ في بعض السلوكات الصرفية وخاصة في موضوع الإعلال. ولكن هذا لا يعني أن نحيد نحن في العصر الحديث عن جادة الصواب في اتخاذ بدائل لا تتفق ومجريات لغتنا.

لذا؛ سيجلي، هذا البحث مصطلح المزدوج الحركي عند العرب ويتتبع رأي علمائنا في وجوده وسنثبت عكس ذلك إن شاء الله.

أولاً: ماهية المزدوج الحركي Diphthong

تباينت المسميات عند اللغويين لمصطلح المزدوج الحركي فنعتوه بالصوت المركب، يقول إبراهيم أنيس: " التقاء صوتي لين أحدهما مقطعي والآخر غير مقطعي ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمىDiphthongs (١) ويطلق عليه المطلبي " صوت المد المركب" (٢) ويسميه الشايب المزدوج (٣) ويطلق عليه كناعنة الحركة المزدوجة. (٤)

لا شك أن معضلة المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة مشكلة كبيرة تبين عن عدم الفهم الواضح له، لأنه يعتمد على الترجمة الحرفية.

يقصد بالحركة المزدوجة، تلك الحركة التي تقع ضمن مقطع واحد بحيث يتغير نوعها

Quality في أثناء إنتاجها، ومعنى هذا أن اللسان ينتقل في أثناء إنتاج هذه الحركة من موضع نطق حركة إلى موضع نطق حركة باستمرار، ودونما توقف، فاللسان يتخذ في أثناء نطق الحركة المزدوجة وضعاً معيناً، ما يلبث أن يغيره إلى وضع جديد.

فالحركة المزدوجة بناء على ذلك هي: " تتابع مباشر لصوتي علّة يوجدان في مقطع واحد فقط" (٥)

ويعرفها ماريو باي بأنها " صوت يتكون من صائتين أي حركتين بسيطتين أو صائت بسيط وشبه صائت أي شبه حركة أو نصف حركة متتاليين في مقطع واحد مثـل (ay) في bife و(aw) في cow" (٧)

ويرى كناعنة أن الحركة المزوجة هي " تتابع الحركة وشبه الحركة في مقطع واحد" (٨)

ويعني بالحركات صوائت الفتح والضم والكسر القصيرة والطويلة، أما شبه الحركة فالواو والياء الصامتان، لأنهما تعدان من الناحية الصوتية أشباه حركات ومن الناحية الصرفية أشباه صوامت ؛ لأنهما يتحملان الحركة كما يتحملها الصامت. (٩)

ويرى الشايب أن المزدوج عبارة عن رمزين يمثلان صوتاً واحداً يشير الأول منهما إلى نقطة الابتداء بينما يحدد الآخر اتجاه الحركة" (١٠)

إن من يتتبع التعريفات السابقة يجد فيها التناقض البين في توصيف هذا المصطلح فإبراهيم أنيس ينعته بأنه صوت لين وهذا فيه خلط كبير؛ لأنه في نظرهم يتكون من حركة وصوت لين.

والنوري يسميه صوتي علّة، وهذا فيه بعد عن الصواب أيضاً، والخولي يرى أنها تتكون من صائتين، فأين هما؟!

إن هذا التوصيف الخاطئ لا ينطبق على التجسيد الحقيقي لها في اللغة العربية، أما كناعنة، فكان الأقرب إلى الصواب في تعريفه، لأنه تناول مكوناتها، وهي تتابع الحركة وشبه الحركة في مقطع واحد، ولكنه لم يتناول تتابع شبه الحركة؛ أي أن الحركة المزدوجة في اللغات الغربية تتكون من نصف حركة + حركة. أو حركة + نصف حركة.

إن اضطراب التعريفات المختلفة لدى علمائنا يدخل الشك في وجود هذه الحركة في اللغة العربية. ويجهد علماؤنا أنفسهم في تقسيمات هذه الحركة وتصنيفاتها. يقول عبد القادر عبد الجليل: " من هذه العلل ما يكون بسيطاً Monophthong ومنها ما يكون مركباً Complex vowel –، والأولى حين تلتزم مقطعاً ثابتاً، وهو ما يؤشر في النسبة الغالبة من الصوائت العربية، أما الثانية فإنها تتميز عند نسجها بجملة من الانتقالات التكيفية من أجل البناء القيمي

لها . إن ما يميز هذا النوع من العلل هو كونها ثنائية التركيب، ويوجد منها نوعان في العربية، وهما (ay) و (aw) " (١١) مثل بَيْت وخَوْف .

ويطلق عليها عبد الصبور شاهين مصطلح الانزلاق حيث يقول: " إننا نفرق بين حالتين تقع فيهما كل من الواو الياء، الأولى: أن يكون الانزلاق نهاية مقطع مقفل مثل: بيتٌ bay /tun، وقومٌ qaw /mun والثانية: أن تكون بداية مقطع مثل: واعد waa /cid وياسر yaa /sir .

الأولى: تؤكد الخاصة الحركية للصوتين وهو ما يسمى بالمقطع الهابط والثانية: تبرز الخاصة الصائتية لهما وهي ما يسمى بالمقطع الصاعد" (١٢)

إن ما ذهب إليه عبد الصبور هو تعريف للمقطع الهابط الذي يبدأ بحركة ثم ينتقل اللسان إلى موضع نطق نصف الحركة، أما المقطع الصاعد فهو الذي يبدأ بنصف حركة ثم ينتقل اللسان إلى النطق بالحركة، فهذا يوضح الخاصية السمعية للمقطع ويبين بنية المقطع .

أشكال المزدوج الحركي:

المزدوج الحركي في نظر علماء اللغة نوعان: صاعد وهابط، يقول إبراهيم أنيس: " وإذا كان المقطعي منها أولاً سمي أل Diphthong هابطاً Falling وهو الشائع في اللغة الإنجليزية، وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول سمي أل Diphthong صاعدا Rising . وتشمل اللغة العربية على النوعين فالهابط مثل بَيْت والصاعد مثل يُسر، وقد مالت العربية في تطورها إلى التخلص من النوع الأول، فقد انقلب في معظم اللهجات العربية الحديثة إلى صوت لين طويل كما في نطق المصريين الآن لكلمتي (بيت وحوض)" . (١٣)

وقد ورد مثل هذا التصنيف عند محمود السعران حيث قال: " فقد تصنف إلى حركة صاعدة Rising Diphthong وأخرى هابطة Falling Diphthong فتكون صاعدة إذا كان طرف الحركة الثانية أكثر وضوحاً في السمع من طرفها الأول، أما إذا كان طرفها الأول هو أكثر وضوحاً في السمع من طرفها الثاني فإنها عندئذ تكون حركة هابطة" . (١٤)

وذكر محمد جواد النوري " أن الحركة المزدوجة المكونة من: فتحة قصيرة + ياء (نصف حركة) مثل بيت، والحركة المزدوجة المكونة من فتحة قصيرة + واو (نصف حركة) مثل لوْن؛ قد تعرضتا في معظم اللهجات العربية للتطور، فتحولت الحركة الأولى (ay) إلى كسرة طويلة بسيطة ممالة نحو بَيْت ‹ بيت bayt àbeit، وكذلك تحولت الحركة المزدوجة الثانية إلى ضمة

طويلة بسيطة ممالة نحو لَوْن ‹ لُون " Lawn ‹ Loon (١٥)

إن الصيغ النظرية المفترض وجودها لهذين النوعين – أي الصاعدة والهابطة هي :

مزودج حركي صاعد		مزدوج حركي هابط	
مع الحركة القصيرة	مع الحركة الطويلة	مع الحركة القصيرة	مع الحركة الطويلة
ya	yaa	ay	aay
yi	yii	iy	iiy
yu	yuu	uy	uuy
wa	waa	aw	aaw
wi	wii	iw	iiw
wu	wuu	uw	uuw

غير أن الشايب يرى أن العربية تبقي من بين هذه المزدوجات :

١- الصاعدة (ya و wa) أما المزدوجات الأربعة الباقية فقد التزمت بالمخالفة بين عنصري كل منهما إذا وقعت في حشو الكلمة، وخصوصاً في الأفعال، ولكنها تبقي عليها إذا كانت في بداية الكلمة بشكل عام نحو وَجد وِشاح يناضل يسار ويعار (١٦)

٢- الهابطة : يقول الشايب "لم تبق العربية إلا اثنتين منها، وهما (aw) و (ay) والتزمت بالمخالفة بين عنصري المزدوج من الأنواع الأربعة الباقية " (١٧) غير أننا نجد في العربية تتابعات غير التي ذكرها الشايب مثل (wu) كما في قوله تعالى : أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا " (١٨) فهو موجود عند اتصال الفعل الناقص بالواو في نهاية الكلمة، وليس كما ذكر الشايب أنها تأتي في بداية الكلمة فحسب.

وثمة شاهدان على وجود المزدوجين (yu) و (yi) كما جاء في قول الشاعر (١٩)

تراه وقد فات الرماة كأنه　　أمام الكلاب مُصْغِيُ الخد أصلم

↓

mus /gi /yul

وقول الآخر : (٢٠)

لا بارك الله في الغوانيِ هل يصبحـن إلا لهُــنّ مُطّلـبُ

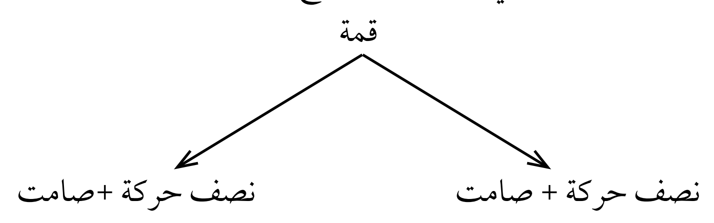
↓

› â al /ga /waa /ni /yi

المتتبع لتشكلات البنيوية للمزدوج الحركي، يجد أنه يتكون من حزمتين صوتيين مختلفين من ناحية فوناتيكية، ومن ناحية فونولوجية، فهي تتابع من نصف حركة + حركة أو العكس. ونصف الحركة من ناحية فوناتيكية، يعتري الهواء في حالة إنتاجها نوع من التضييق الذي لا يصل إلى درجة الاحتكاك. بيد أن نسبة هذا التضييق تكون أقل من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات، أما من الناحية الفنولوجية فإنها تشغل مطلع المقطع أي أنها تقوم بوظيفة الصامت.

أما الحركة من الناحية الفوناتيكية فهي عند إنتاجها يمر تيار الهواء طليقا دون أن يتعرض إلى شيء من التضييق أو الإغلاق فهي من الناحية الصوتية أقوى في السمع.

أما من الناحية الفونولوجية فهي تشغل قمة المقطع :



إذن هي مكونة من طبيعتين إنتاجيتين مختلفتين، فلا داعي لأن ننعتها بالحركة المزدوجة، لأن الحركة تشغل موقع النواة في المقطع، وهذه لا تشغل هذا الموقع.

أي أن بين جزأيها تباينا فوناتيكياً و تبايناً فونولوجياً.

ويرى اللغويون أن النظرة الصرفية العربية للمزدوج الحركي تتمثل في اعتباره وحدتين صوتيتين منفصلتين تمام الانفصال، وأن هذا التتابع يؤدي وظيفة صوت واحد، أي أن هذا التتابع وحدة واحدة في أثناء التأليف الصوتي " (٢١)

غير أننا لا نتفق مع كناعنة في اعتباره أن هذا التتابع وحدة واحدة، فهو وحدتان مختلفتان ولا تؤديان وظيفة واحدة.

موقف اللغويين من واقعية المزدوج الحركي في العربية:

لقد اختلف المحدثون وتباينت آراؤهم في وجود هذا المركب في العربية. يقول أحمد مختار عمر : " هل يوجد هذا النوع من العلل في اللغة العربية ؟ سبق أن ذكرنا أن العلة المركبة تقضي انتقال اللسان أثناء النطق بها من موقع نطق علّة إلى موضع نطق علة أخرى، وأن العلماء اختلفوا في تحليلها :

١- فمنهم من اعتبرها علة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد.

ب- ومنهم من اعتبرها تتابعا من العلل منفصلة.

ج- ومنهم من اعتبرها علة + نصف علة يقوم فيها نصف العلة بوظيفة الصوت الساكن" (٢٢)

ويقول في تجسدها الواقعي في العربية: " إذا أردنا بوجود مجرد إمكانية العثور في بعض الأمثلة أو الكلمات بغض النظر عن دوره الوظيفي في اللغة، أو فسرنا العلة المركبة بأحد التفسيرين: ب أو ج السابقين فهذا النوع موجود ولا شك، فاللغة تحوي التتابع (ay) و (aw)" (٢٣)

وفي ردنا على مختار عمر، نقول : إن اللغة العربية احتوت على تتابعات من هذا النوع وغيره من التتابعات، وهذا نظام البنية العربية أن تحوي على تتابع حركة مع صامت، أو صامت مع حركة، أو حركة مع نصف حركة، وهلم جرا، وهذا يجب أن يكون في اللغة، ولكنه لا يعني أن هذا التتابع هو حركة مزدوجة كما في اللغة الإنجليزية، مثلاً. ولا يعني وجود هذا المصطلح في الإنجليزية أن نقحمه في اللغة العربية؛ فالنسيج الصوتي للبنية الإنجليزية يختلف عن النسيج الصوتي للبنية العربية.

فاللغة العربية من الناحية الوظيفية لا تحتوي على حركة مزدوجة؛ لأن لكل صوت في اللغة العربية، في نظرنا، وظيفة في اللغة المنطوقة أو المكتوبة، والحركة المزدوجة لا وظيفة لها.

ويرى عبد الرحمن أيوب أن : " في العربية كلمات توجد فيها حركات مزدوجة، ولكن من الأوفق عند الدراسة التنظيمية اعتبار كل منهما صوتين منفصلين، على الرغم من أنها من الناحية الوصفية البحتة لا تفترق عما نسميه في اللغة الانجليزية بالحركات المزدوجة، ومثال ذلك في العربية (أو، أي) " (٢٤)

إن في ما ذهب إليه عبد الرحمن أيوب شيئا من التناقض. فكيف نعتبر المركب صوتين منفصلين، وفي التوصيف نعتمد على واقعيته في اللغة الإنجليزية ؟! وهل كل ما وجد في

المنظومة الصوتية الإنجليزية يجب أن يوجد في منظومة لغتنا ؟!

غير أننا نجد من تتفق معه في رفضه، لوجود الحركة المزدوجة في العربية، وهو كمال بشر، حيث أنكر وجود هذا المركب في العربية، يقول : " وقد وهم بعض الدارسين، فظن أن الواو والياء في حوض وبيت جزءان من حركة مركبة، وهو وهم خاطئ، ولا شك، إن الحركة المركبة وحدة واحدة one unit والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو في حوض، والفتحة + الياء في بيت " (٢٥)

إن ما ذهب إليه اللغويون في توصيف هذه الحركة فيه شيء من عدم الدقة ؛ لأن في آلية نطق هذين الصوتين انتقالا من موضع الحركة إلى نصف الحركة أو العكس، فالانتقال الأول فيه صعوبة، لأنه انتقال من سهل إلى صعب، أما الانتقال الثاني؛ أي من نصف الحركة إلى الحركة فنجده أسهل بل تتطلبه البنية، لأن الصامت يسهل نطقه بالحركة، فانتقل من الصعب إلى السهل، ولا أجد فيه تركيباً، وإنما انتقال لفظي، وهذا ما يعزز تحويله في بعض اللهجات إلى إسقاط نصف الحركة في مثل بيت ولون وحوض، ومد الحركة السابقة، مع أن بعض اللهجات أبقت عليها مثل لهجة لبنان الذي تمثل ميزة صوتية لها. وهذا لا يعني أن إسقاط نصف الحركة ومد الحركة السابقة عليها أنه نوع من التطور، لا بل إن الناطق يسعى إلى السهولة في الأعم الأغلب. ومد الحركة لا يعني أن الحركة المزدوجة قلبت إلى حركة بسيطة على ما ذهب إليه بعضهم، ونجد كثيراً من البيئات اللهجية تتمسك بالصعب، بل تبدل بالسهل الصعب، مثل اللهجة النابلسية واللهجة الخليلية التي تبدل بالقاف الهمزة، والهمزة من أشق الأصوات نطقا، فيقولون ألم بدلا من قلم، إن من ذهب إلى وجود حركة مزدوجة في اللغة العربية تأثروا بعلماء اللغة الغربيين حتى أنهم تعاملوا مع قسرية اللغة، بمعنى أنه حُشِرَ مصطلح المزدوج الحركي في اللغة العربية حشراً، أو عملوا على تطويع العربية لمناهج الدراسات الغربية

ومن أدلة الرفض في رأينا أن النسيج المقطعي للبنية العربية لا يبدأ بحركة كما في yaa /sir ويدع ya /dac فنلاحظ أن المقطع الأول منهما يتكون من نصف حركة +حركة، ولو اعتبرنا أن هذين الصوتين حركة مزدوجة لأصبح المقطع مكوناً من حركة، وهذا مالا تقبله العربية، ويتنافى مع القيود المقطعية للغة العربية التي تمنع الابتداء بحركة.

وكذلك يوصف المقطع الأول في كلمة لَوْنٌ law /nun بأنه مقطع مغلق، ولا نستطيع أن نصفه بالمفتوح، لأنه أُقفل بنصف حركة، ولو كانت (aw) حركة لأصبح المقطعُ مفتوحا.

وعلاوة على ذلك، فإن ما وصفه بعض اللغويين بالمركب الحركي لا يعدو كونه صوتا

انتقاليا، بمعنى أن اللسان ينتقل من موضع نطق الحركة إلى مخرج نصف الحركة أو العكس، فهي ليست من موضع واحد، لأن الحركة تنطق من موضع واحد، ولا نرى فيها الصفات المميزة للحركة، لأنها لا تشغل قمة المقطع برمتها، بل الجزء الصائت هو الذي يشغل ذلك الموقع، والجزء الثاني منها تنطبق عليه الخصائص الصوتية والوظيفية للصامت.

ومن الأدلة الدامغة لرفض وجود هذا المركب في لغتنا أنهم يقيسون الفصحى على العامية، ويعتبرون النطق اللهجي نوعاً من التطور، والأصل أن تؤصل اللهجة إلى اللغة الأم. يقول النوري : في بيت ولون قد تعرضتا في معظم اللهجات العربية للتطور، فتحولت الحركة المركبة إلى حركة بسيطة ممالة. (٢٦)

ويضيف مرعي بأن اللغة العربية في تطورها قد مالت إلى التخلص من الصوت المركب إلى صوت ليّن طويل كما في نطقنا الحاضر لكثير من الألفاظ نحو حوْض وليْل . . . . . (٢٧)

فلماذا لا يعتبر علماؤنا أن لهجة لبنان هي الأصل، وأن ما سواها ركن إلى السهولة، أو ركب السهل، فأسقط نصف الحركة، وعوّض عنها بطول الحركة السابقة عليها.

إن لغتنا العربية و نسيجها الصوتي وبنيتها المقطعية تقذف كل غريب عليها فلا تحمّلوا اللغة ما لا يصح أن تحمله بحال من الأحوال.

الخاتمة:

وبعد،

فإن اللغة العربية بسماتها الصوتية وخصائصها الفونولوجية تختلف عن اللغات الأخرى، فلكل لغة سماتها المميزة ، سواء في طريقة نطق أصواتها ومخارجها، ووظيفة أصواتها في نسيجها المقطعي. والخصائص البنيوية للمقطع العربي تختلف عن غيرها ؛ لأن الحركة يجب أن تحتل نواته والصامت وأنصاف الصوامت يحتلان المطلع والخاتمة، وهذا النسيج المتكامل يرفض أن تكون هناك حركة مزدوجة في اللغة العربية، لأن طبيعة مكونات هذه الحركة متباينة صوتيا وفونولوجياً.

ويبدو أن علماء اللغة المحدثين وصفوا هذا التركيب بالحركة المزدوجة أو المركبة؛ لأنها تحولت في اللهجات العامية إلى حركة بسيطة ممالة، والنطق العامي أو البيئات النطقية المختلفة لا تعطي الملامح التمييزية لمكونات اللغة الفصحى، بل الأصل أن تعطي الفصحى ملامح اللهجة بتأصيل اللهجة وربط وشائجها في اللغة الأم، فتحول نصف الحركة + الحركة إلى حركة بسيطة ممالة مغايرة للجزأين لا يعني أنها حركة مركبة تحولت إلى حركة بسيطة، وإنما هذا التحول كان سببه – كما يبدو – الميل إلى السهولة في النطق، والاقتصاد في المجهود العضلي، الناتج عن الانتقال، أو الطبيعة الانتقالية من الحركة إلى نصف الحركة، أو العكس.

الهوامش

(١) أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص: ١٦١ .
(٢) المطلب: غالب في الأصوات اللغوية، ص :٤٣ .
(٣) الشايب، فوزي أثر القوانين الصوتية، ،ص : ٤٠٨ .
(٤) كناعنة، عبد الله، أثر الحركة المزدوجة، ،ص :١٩ .
(٥) النوري، محمد جواد، فصول في علم الأصوات، ص: ٢٥٦ .
(٦) باي ماريو، أسس علم اللغة، ص ٢٥٦ .
(٧) الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ص: ٧ .
(٨) كناعنة، أثر الحركة المزدوجة، ص ٩ .
(٩) ينظر: بشر، كمال دراسات في علم اللغة ص: ١٧ .
(١٠) الشايب، أثر القوانين الصوتية، ص : .٤٠٨ .
(١١) عبد الجليل، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، ص: ٣١٩.
(١٢) شاهد عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: ٣١ – ٣٢.
(١٣) أنيس، الأصوات اللغوية، ص: ١٦١ .
(١٤) السعران محمود، علم اللغة، ص: ٢٠٤ .
(١٥) النوري، فصول في علم الأصوات، ص: ٢٥٩ .
(١٦) ينظر الشايب، أثر القوانين الصوتية، ص: ٤٢٣ .
(١٧) المرجع نفسه، ص: ٤٠٩ .
(١٨) البقرة آية: ٨٦ .
(١٩) ابن جني، الخصائص، ٢٥٨/١ .
(٢٠) ينظر في السيوطي، الأشباه والنظائر، ٣٠٢/١
(٢١) ينظر: كناعنة، أثر الحركة المزدوجة، ص ٢٢
(٢٢) مختار، أحمد عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٠٣
(٢٣) المرجع فسه، ص ٣٠٣ – ٣٠٤
(٢٤) أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ص ١٧٢
(٢٥) بشر، كمال، علم اللغة العام – الأصوات – ص ٨٥
(٢٦) ينظر: النوري، فصول في علم الأصوات، ص ٢٥٩
(٢٧) ينظر: مرعي، عبد القادر، المصطلح الصوتي، ص ١٤٨

المصادر والمراجع:

(١) القرآن الكريم

(٢) أنيس، إبراهيم (١٩٩٧)، الأصوات اللغوية ط ٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

(٣) أيوب عبد الرحمن (١٩٦٨)، أصوات اللغة ط٢، القاهرة: مطبعة الكيلاني.

(٤) باي، ماريو (١٩٩٨) أسس علم اللغة (ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر)، ط ٨، القاهرة: عالم الكتب

(٥) بشر، كمال، (١٩٨٠) علم اللغة العام – الأصوات – ط١، القاهرة: دار المعارف

(٦) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) الخصائص، ط ٢، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

(٧) الخولي، محمد علي (١٩٨٢) معجم علم اللغة النظري، ط١، بيروت: مكتبة لبنان.

(٨) السعران، محمود (د. ت) علم اللغة: مقدمة للقارىء العربي، بيروت: دار النهضة

(٩) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غريد الشيخ، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.

(١٠) شاهين، عبد الصبور (١٩٨٠)، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت: مؤسسة الرسالة.

(١١) الشايب، فوزي (٢٠٠٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ط١، إربد: عالم الكتب الحديثة.

(١٢) عبد الجليل، عبد القادر (٢٠٠٢) علم اللسانيات الحديثة، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.

(١٣) الكناعنة، عبد الله (١٩٩٥) أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

(١٤) مرعي عبد القادر (١٩٩٣) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عمان: جامعة مؤتة.

(١٥) مطلبي، غالب (د. ت) في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربي (د. نا).

(١٦) النوري محمد جواد، فصول في علم الأصوات، نابلس: مطبعة النجاح

الأبحاث

باللغة الإنجليزية

of Jordan, Amman ,Jordan.
- Neuendorf, Kimberly A. (2002). The Content Analysis Guidebook Online: An accompaniment to the content analysis guidebook. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- Riffel, D., Lacy, S., & Fico, F. (1998). Analyzing media messages: Using quantitative content analysis in research. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
- Saleh, N(1990) "An Evaluation of the TEFL Textbook (PETRA) for the Second Preparatoy Class in Jordan". Unpublished M.A Thesis .Yarmouk University,Irbid, Jordan.
- Sheldon, L.E. (1988). "Evaluating ELT textbooks and materials." ELT Journal 42/4,237-246.
- Sherman, Rand Webb, R (1988) Qualitative Research in Education: A focus in RR, Sherman and R Webb (eds). Qualitative Research in Education:Focus and Methods PP2-21 New York: The Falmer Press.
- Skierso, A. (1991). Textbook selection and evaluation. In M. Celce-Murcia (Ed.), Teaching English as a second or foreign language (pp.432-453). Boston: Heinle and Heinle.
- Solicits, J (1979) An introduction to the Analysis of Educational Concepts (2nd ed) Reading ,MA : Addison –Wesley Publishers, Inc.
- Steves J, Marli D, Andre. T and. Anderson, H (1978) The Development and Evaluation of a Self-Questioning Study Technique Reading Research Quarterly, - Vol. 14, No. 4, 605-623 . ...
- Thomas, S. "Artifactual Study in the Analysis of Culture: A Defense of Content Analysis in a Postmodern Age." Communication Research 21.6 (1994): 683-697.
- Tung, Ch.(1996) An Evaluation of the English Language in Universities /Colleges in Taiwan (China). Pro Quest . Florida International University
- Ur, P. (1996). A Course in Language Teaching: Practice & Theory. Cambridge: Cambridge University Press.
- Worthen B, and Sanders J 1991 The Changing Face of Educational Evaluation Theory into Practice–-,JSTOR Vol. 30, No. 1, 3-12.

Socratic Seminars. Princeton: Eye On Education, Inc.
- Johnson, L. and LaMontagne, M. (1993). Research methods: Using content analysis to examine the verbal or written communication of stakeholders within early intervention. Journal of Early Intervention, 17(1), 73-79
- Khalil, A. and Kattan, J.(1994). An Evaluation Study of PETRA Materials Used at the Eight, and Ninth and Tenth Grades in the West Bank Government SCHOOLS. English Department, Bethlehem University, Palestine.
- Kinsella, K et al (1999). Strategies to Accelerate Academic Vocabulary Development in Content-Based Second Language Classrooms. TESOL. Workshop held in Illinois, and Seattle U.S.A
- Labadi, W (1983) "Towards a Communicative English Syllabus for the Compulsory Cycle in Jordan. Unpublished MA Thesis, Yarmouk University, Jordan.
- Lado, Robert. (1957) Linguistics Across Cultures .University of Michigan Press . Ann Arbor .
- Laime, J.M. Making the textbook more communicative. Internet TESL Journal. [electronic journal] January 24, 1999. URL: http:www.aitech.ac.jp/~itesl /Articles/ Laime-Textbooks.html
- Mahmoud, A (2006). Analysing "English for PalestineIV" in Terms of the Characteristics of a good English Textbook. The Islamic University Journal .Gaza Palestine
- Manning ,P (1996) .Investigating Strategies in Computer Assessted Language Learning. . "ITSICALL" (Call) .Pro Quest ,Open University. United Kingdom.
- Marteni, J(1996) ."Directions for Reform: Reception of Indonesian Students Towards English Language Curricula" Pro Quest DAI-A 57-10-218
- Masri S(2003) Teachers' Evaluation of the First Graders English for Palestine in the Northern Directorates of Palestine .Unpublished M.A Thesis. An-Najah National University , Nablus, Palestine.
- McMillan, J and Schumacher (1997) Research in Education. A conceptual Introduction . An imprint of Addison Wesley Longman, Inc.
- Miller, M. and Riechert, B. (1994). Identifying Themes via Concept Mapping: A New Method of Content Analysis. Newbury Park, CA: Sage Publications.
- Ministry of Education and Higher Educatin . Curriculum Centre (2003) .Trial Edition.English for Palestine IV.
- Mitchell, D(1988) Educational Politics and Policy: The State Level. In N.J. Boyan (ed.) Handbook on Researeach in Educational Administration PP400- 466. New York: Longman ,Inc.
- Mu'men,G (1992) " Teachers' Evaluation of PETRA. The English Language Textbooks for the Seventh and Eighth Grades in Jordan." M.A. Thesis .University

Bibliography

- Alderson, J and A. Beretta (Eds) .1992. Evaluating Second Language Education. Cambridge: Cambridge University Press.
- Al- Jarrah, Kh. (1987) “Analysis and Evaluation of New TEFL Textbook (PETRA) for the Fifth and Sixth Elementary Classes in Jordan”. Unpublished MA Thesis. Yarmouk University. Jordan.
- Al- Makhzoumi, K (1992). Analyzing Some of the English Textbooks Used in Yaman. The characteristics of a good textbook. Sana’a. Yaman.
- Al-Momani, N (1998) An Evaluation of EFL Textbooks (AMRA) for the 1st and 2nd Secondary Classes in Jordan: Students’ Teachers’ & Supervisors’ Perspectives. Unpublished MA Thesis, Yarmouk University, Jordan.
- Azevendo, M (1979) Trends in Elementary Spanish Texts. The Modern Language Journal. 13:1&2: 400 -406.
- Blom, T (1992) An Analysis of Regulative Speech Acts in English Contract. Quantitative and Quantitative Methods”. Hermes (Arhus) 82 83:110.
- Canale, M and Swane, M (1980) Theoretical Bases of Communicative Approaches to Second Language Teaching and Testing . Applied Linguistics 1: 1-47.
- Canale, M (1983) From Communicative Competence to Communicative Language Pedagogy. In J Richards and R. Schmidt (Eds.) Language and Communication. London: Longman.
- Chin-Wang, L (1996). “A formative evaluation of the English Language Program in Fong Shin Senio”. School, Koohiung Country,Taiwan. China proqeest, pp 204, Florida State University , USA.
- Cunningsworth, A. (1984). Evaluating and Selecting EFL Teaching Materials. London: Heinemann Educational Books.
- El-Mostafa, M (1988) “An Evaluation of TEFL Text book (PETRA) for the First Preparatory Class in Jordan”. Unpublished Masters Thesis. Yarmouk University, Irbid, Jordan
- Grainger, D (2002) Textbook Selection for the ESL Classroom. Digest. Southern Alberta Institute of Technology. December 2002 PP. 02-10.
- Hartley, J (1994). Designing Instructional Texts. London: Kogan Page Ltd. Page 161-166
- Hatamleh, I and Jaradat. D.(1984). Evaluation of Elementary TEFL Textbook and Classroom Teaching Lessons. Abhath Al-Yarmouk. 2.1.
- Hoepfi, M (1997) Choosing Qalitative Research : A Primer for Technology Education Researchers . Journal of Technology Education Vol 9:1:1-17.
- Johnson, Bil. 1996. Performance Assessment Handbook: Volume 1 Portfolios and

37	The front cover and the first page contain the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.			
38	The available exercises are related to the presented material in the reading textbook.			
39	The number of the periods per week is enough to cover the selected material.			
40	It specifies the general objectives of the course.			
41	It motivates teaching			
42	It gives a brief description regarding units, subjects, and time allotment			
43	It is rich in illustrations in order to help teachers understand the material more effectively.			
44	The front cover contains the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.			
45	The cover is well - bound.			
46	It contains an index listing the key words with their page numbers.			
47	It is free of mistakes.			
48	It gives the English meanings of new words.			
49	It is provided with pre-recorded vocabulary items.			
50	It specifies the psychological and educational principles.			
51	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.			
52	It contains a clear list of bibliography to help teachers get better understanding of the topics included.			

17	It helps students in aiding their nation and improving their country.			
18	The included pictures promote the national philosophy and religion.			
19	It emphasizes the national culture.			
20	The vocabulary items are selected to suit the students' level.			
21	The vocabulary items are selected to suit the students' need.			
22	It is free of mistakes.			
23	The front covers and the first page of the book contain the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.			
24	It is organized appropriately to enhance the students' comprehension skills.			
25	The number of the periods per week is enough to cover the selected material.			
26	The content is interesting, enjoyable, and attractive to the students.			
27	It contains glossary and proper pronunciation exercises			
28	The content is interesting, enjoyable, and attractive to the students.			
29	It is free of mistakes.			
30	It addresses the learners.			
31	It is rich in illustrations in order to help students understand the material more effectively.			
32	The quality and the covered material are adequate for both learners and teachers.			
33	It is provided with the learning aids and test packages.			
34	It includes remedial work			
35	It is durable			
36	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.			

From 1- 26 items are dedicated for the studnt's book. Item 27-39 are dedicated for the workbook whereas the rest of the items are dedicated for the teacher's book

No. of item	Items	Mean	Percentage	Degree-Level
1	The book addresses the learners.			
2	It specifies the general objectives of the course.			
3	It motivates learning.			
4	It gives a brief description regarding units, subjects, and time allotment.			
5	It is rich in illustrations in order to help students understand the material more effectively.			
6	The quality and the covered material are adequate for both learners and teachers.			
7	It meets the students' needs			
8	It contains a glossary, proper pronunciation, and phonetic transcriptions for each word.			
9	It contains an index listing the key words with their meanings and page numbers.			
10	It is rich in decorated drawings and photographs to help students understand the material more effectively.			
11	It is provided with supportive materials such as: tape-recordings, and test packages.			
12	It includes remedial work.			
13	It makes a subtle balance between different kinds of knowledge as well as different cultures			
14	It is durable.			
15	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.			
16	It stresses the local environment and the country.			

Appendix II

Dear Sir,

The following questionnaire is the tool used to collect information for the research entitled: "Analyzing English for Palestine- 10" in terms of the characteristics of a good English Textbook."

The following items are designed to discover the Characteristics of "English for Palestine –10 ", and, solutions for the missing items.

The researcher would appreciate very much if you express your opinion about the suitability of these items. Further suggested items will be taken into account. The questionnaire is adopted from; Mariani, 1987; Makhzoumi, 1992; Kinsella, 1999.

Name :---

School:---

Age:---

Sex: --

Years of experience:---

Qualifications:--

Other training courses:---

Please fill the following spaces which will be used for research purposes only

Thank you for your co-operation.

The researcher

Appendix I

The characteristics of a good textbook

A good textbook has the following features and functions:

- It addresses both teachers and learners.
- It specifies the general objectives of the course.
- It points out the position of the textbook in comparison with other books.
- It motivates teaching and learning.
- It gives a brief description of a textbook regarding units, subjects, and time allotment.
- It allows continual enrichment of the material by being designed in an open-ended way.
- It is rich in decorated drawings and photographs in order to help students understand the material more effectively.
- The quality and quantity of the textbook should be sufficient for both learners and teachers.
- It should be provided with tape-recordings, workbooks, wall-charts, and test packages (two cassettes are attached with the appendices).
- It should motivate students to read and comprehend its overall parts.
- It should meet the students needs, including educational, social, and religious ones.
- It should include remedial work for students who have not understood the present material.
- It should give the English meanings for new vocabularies.
- It should be provided with pre-recorded vocabulary items.
- It should make a subtle balance between different kinds of knowledge as well as different cultures.
- It should be designed and made in a way that gives learners and teachers, as well as other local public and private institutions the chance to participate in preparing and selecting the content.
- It specifies the psychological and educational principles, which were taken into consideration in writing the content and organizing the subject matter.
- It should be durable.

Conclusion and Recommendations.

After the thorough analysis of the textbooks entitled" English for Palestine 10", the researcher discovered that these textbooks could be more suitable for the tenth graders and could be more in accordance with the two evaluative criteria if they regard these items:

1- Teachers, supervisors, and parents as well as the local society did not participate in selecting the materials or in choosing the objectives and this is why there is a serious drawback in revealing the national culture, values, and ways of life. These are very good books for studying, but would be better if they had included the Arab and Islamic culture.
2- The textbooks overlooked the local environment and the country: thus they do not help students in aiding their nation and improving their country.
3- The textbooks are not free of mistakes in the number of pages as well as miss-print but they are very few.
4- The number of the periods per week is enough to cover the selected material.
5- The students' book for the tenth graders does not contain a glossary, proper pronunciation, and phonetic transcription for each word. Besides it lacks an index listing the key words with their meanings and page numbers.
6- The books lack good pictures and topics that emphasize the Palestinian culture, religion and local environment.

If the textbooks mentioned had considered the above-mentioned items, they could have been in accordance with all the evaluative criteria that the researcher conducted. Besides, they would have had a more powerful effect in creating a better educational atmosphere and would have been recommended in private and public schools as well.

Because there are differences between the means, the researcher used the One-Way ANOVA Test so as to get more accurate results and see if there are any significant differences and in favour of which book.

Table 12

Books	Sum of squares	df	Main squares	F	significance
SB	2.74	2	.1.37	.013	. . 987
WB	9.38	2	.4.67	.237	.788
TB	.239	2	.120	.472	.626
Totals	4.101	2	2.050	.175	.842

As it is clearly seen from Table 12, the computed F-values were .013, .237, and .472 for Student's Book, Workbook and Teacher's Book respectively. This means there were no significant differences at {α =0.05} in the degree of evaluation by the teachers in their evaluation of the mentioned textbooks due to the academic level.

To answer the fourth question of the study, "Are there any significant differences between teacher's evaluation of "English for Palestine-10" Nablus district due to experience?, the researcher used the t-test to analyze the data from the questionnaire. Table 13 shows the results.

Table 13

The t-test results on the differences in the degree of evaluation by the teachers in their evaluation of the mentioned textbooks due to experience.

Experience			
Books	T	df	significance
SB	1.63	58	.109
WB	1.66	58	.102
TB	2.62	58	.611
Totals	2.27	58	.627

The results of Table 13 show that the computed t-test values were .109 for the SB and .102 for the Workbook while the value for the Teacher's Book was .611 .These results showed that there were significant differences at {α =0.05}} in the degree of evaluation by the teachers in their evaluation of the mentioned textbooks.in favour of experience

participate in selecting the materials and in choosing the objectives.

To answer the second question of the study, “2- “Are there any significant differences between teachers’ evaluation of “English for Palestine-10” in Nablus district due to gender?”

The researcher used the t-test to analyze the data from the questionnaire. Table 13 shows the results.

Table 10

The t-test results on the differences in the degree of evaluation by the teachers in Nablus Disttrict in their evaluation of the mentioned textbooks due to gender.

Gender			
Books	t	df	significance
SB	1.064	58	.292
WB	-.711	58	.480
TB	1.114	58	.270
Totals	.684	58	.497

The results of Table 10 show that the computed T-Test values were .292 for the SB and .480 for the Workbook while the value for the Teacher’s Book was .270 These results showed that there were no significant differences at {α =0.05}} in the degree of evaluation by the teachers in their evaluation of the mentioned textbooks.due to gender

To answer the third question of the study “Are there any significant differences between teacher’s evaluation of “Eglish for Palestine-10” in Nablus district due to their academic level?”, the researcher used the means for each book from three variables {diploma holders, B.A holders and M.A holders respectively. Table 11 shows the results

Table 11

The means of the three books regarding qualification.

Books	Qualifications			
	Diploma	Bachelor	Master	Significance
Student’s book	3.61	3.63	3.62	0.987
Work book	3.51	3.60	3.53	0.788
Teacher’s book	3.43	3.56	3.57	0.626
Totals	3.54	3.60	3.58	0.840

Table 9

The arrangement of the three books regarding the means, percentages and degrees

Arrangement	Books	Mean	Percentage	Degree-Level
1	Student's book	3.26%	65.2%	Medium
2	Work book	3.55%	70.4%	Good
3	Teacher's book	3.52%	70.4%	Good
Total				

Table 6 illustrates the basic features of the Student's Book from the teachers' perspective concerning the following items, the means, percentages and the degree or the level , show that items 8, 9, 12, 18, 20, and 22 received low degrees. The percentages of responses were 54.7%, 51.3%, 58%, and 56.3% 50.4% respectively. The same table reveals that items 15 and 25 received very poor degrees. The percentages of responses were 47% and 47.7 respectively. The rest of the items received medium, good and very good. These findings reveal that the students' book for the tenth graders does not contain a glossary, proper pronunciation, and phonetic transcriptions for each word. Besides, it lacks an index listing the key words with their meanings and page numbers. Additionally, there is not enough room for learners and other public and private institutions to participate in preparing and selecting the content. Some of the included pictures are against the national philosophy and religion and the vocabulary items are selected to suit the students' level. The book is not free of mistakes .

Table 7 illustrates the basic features of the Workbook from the teachers' perspective concerning the 13 items, the means, percentages and the degree or the level , show that items 29, and 39 received low degrees. The percentages of responses were 50.4% and 53 respectively. The same table reveals that item 36 received a very poor degree. The percentage of response was 47.6%. The rest of the items received medium, good and very good. These findings reveal that the workbook for the tenth graders is not free of mistakes and the number of the periods per week is not enough to cover the selected material. Additionally, Teachers, supervisors, and parents did not participate in selecting the materials and in choosing the objectives.

Table 8 illustrates the basic features of the Teacher's book from the teachers' perspective concerning the 12 items, the means, percentages and the degree or the level , show that items 47, , 49 and 51 received poor degrees. The percentages of responses were 53.6% and 53.6% and 51%.6 respectively. The same table reveals that item 48 received a very poor degree. The percentage of response was 38.6%. The rest of the items received medium, good and very good. These findings reveal that the teacher's book for the tenth graders is not free of mistakes and it is not provided with pre-recorded vocabulary items. Additionally, teachers, supervisors, and parents did not

Table 8

This table illustrates the basic features of the Teacher's book from the teachers' perspective concerning: the following items.

No. of items	Items	Mean	Percentage	Degree-Level
40	It specifies the general objectives of the course.	4.0333	80.6%	Very good
41	It motivates teaching	4.1667	83.3%	Very good
42	It gives a brief description regarding units, subjects, and time allotment	3.8500	77%	Good
43	It is rich in illustrations in order to help teachers understand the material more effectively.	3.7167	74.3%	Good
44	The front cover contains the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.	4.1667	83.3%	Very good
45	The cover is well - bound.	3.8500	77%	Good
46	It contains an index listing the key words with their page numbers.	3.5500	71%	Good
47	It is free of mistakes.	2.6833	53.6%	Poor
48	It gives the English meanings of new words.	1.9333	38.6%	Very Poor
49	It is provided with pre-recorded vocabulary items.	2.8333	53.6%	Poor
50	It specifies the psychological and educational principles.	3.7500	75%	Good
51	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.	2.5833	51.6%	Poor
52	It contains a clear list of bibliography to help teachers get better understanding of the topics included.	3.3667	67.3%	Medium

Table 7

This table illustrates the basic features of the Workbook from the teachers' perspective concerning: the following items.

No. of item	Items	Mean	Percentage	Degree-Level
27	It contains glossary and proper pronunciation exercises	3.32	66.4%	Medium
28	The content is interesting, enjoyable, and attractive to the students.	3.97	79.3%	Good
29	It is free of mistakes.	2.52	50.4%	Poor
30	It addresses the learners.	3.85	77%	Good
31	It is rich in illustrations in order to help students understand the material more effectively.	3.95	79%	Good
32	The quality and the covered material are adequate for both learners and teachers.	3.87	77%	Good
33	It is provided with the learning aids and test packages.	3.78	75.7%	Good
34	It includes remedial work	3.43	68.6%	Medium
35	It is durable	3.57	71.3%	Good
36	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.	2.38	47.6%	Very Poor
37	The front cover and the first page contain the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.	4.20	84%	Very good
38	The available exercises are related to the presented material in the reading textbook.	4.25	85%	Very good
39	The number of the periods per week is enough to cover the selected material.	2.65	53%	Poor

11	It is provided with supportive materials such as: tape-recordings, and test packages.	4.25	85%	Very good
12	It includes remedial work.	3.55	71%	Good
13	It makes a subtle balance between different kinds of knowledge as well as different cultures	3.43	68.7%	Medium
14	It is durable.	3.71	74.3%	Good
15	Teachers, supervisors, and parents participate in selecting the materials and in choosing the objectives.	2.35	47%	Very Poor
16	It stresses the local environment and the country..	3.21	64.3%	Medium
17	It helps students in aiding their nation and improving their country.	3.55	71%	Good
18	The included pictures promote the national philosophy and religion.	2.91	58.3%	Poor
19	It emphasizes the national culture.	3.61	72.3%	Good
20	The vocabulary items are selected to suit the students' level.	2.81	56.3%	Poor
21	The vocabulary items are selected to suit the students' need.	3.36	67.3%	Medium
22	It is free of mistakes.	2.51	50.4%	Poor
23	The front covers and the first page of the book contain the title, author(s), publisher(s), and place and date of publication.	4.31	86.3%	Very good
24	It is organized appropriately to enhance the students' comprehension skills.	3.63	72.7%	Good
25	The number of the periods per week is enough to cover the selected material.	2.38	47.7%	Very Poor
26	The content is interesting, enjoyable, and attractive to the students.	3.97	79.3%	Good

Table 5

The number of items pertaining to each book.

Books	No. of Items
SB	26
WB	12
TB	14
Total	52

Table 6

This table illustrates the basic features of the Student's Book from the teachers' perspective concerning the 35 items. The means, percentages and the degree or the level for each of the following items .

No. of item	Items	Mean	Percentage	Degree-Level
1	The book addresses the learners.	4.12	82.2%	Very good
2	It specifies the general objectives of the course.	4.13	82.7%	Very good
3	It motivates learning.	4.3	85.75	Very good
4	It gives a brief description regarding units, subjects, and time allotment.	4.00	80%	Very good
5	It is rich in illustrations in order to help students understand the material more effectively.	4.38	87.7%	Very good
6	The quality and the covered material are adequate for both learners and teachers.	4.05	81%	Very good
7	It meets the students' needs	3.98	79.7%	Good
8	It contains a glossary, proper pronunciation, and phonetic transcriptions for each word.	2.73	54.7%	Poor
9	It contains an index listing the key words with their meanings and page numbers.	2.56	51.3%	Poor
10	It is rich in decorated drawings and photographs to help students understand the material more effectively.	4.36	87.3%	Very good

Instruments of the Study

The researcher used two instruments:

1-A 52- item questionnaire on judging the suitability of a book and

2- The characteristics of a good textbook. The characteristics of a good textbook and the items of the questionnaire are adopted from (Solicits, 1978; Cunningsworth 1984; Sheldon 1988; Skierso, 1991; Al-Makhzoumi 1992; McMillan and Schumacher 1997; Laime 1999; Ur, 1996 and Grainger, 2002)

Stability and Validity of the tools

To ensure that the scale is valid, it was handed to a jury of seven professional doctors and teachers from different universities and schools in Palestine. The members of the jury were asked to evaluate the appropriateness of the questionnaire to the whole purpose of the study. Consequently, the specialists sent letters in which they ensured the validity of the questionnaire and recommended some modifications which were taken into consideration. Additionally, the researcher measured the correlation between every single item and the total mark . he kept those items which were realted to the total mark around (0.25) and above .

he stability of the scale was measured by using cronbhach alfa formula which was (0.87) and this means that it shows high stability .

Statistical Analysis and Results

The data of the study were statistically analyzed and the results were as follows.

For the purpose of interpreting the findings of the study, the following percentages and ranks are referred to:

(80% and more)	very good
(70% -79%)	good
(60%- 69%)	medium
(50%-59%)	poor
(Below 50%)	very poor

Interpretation of the Results

To answer the first question of the study, “What are the degrees of evaluation of English for Palestine-10 textbooks in Nablus district from the teachers’ perspective?”, the researcher used the means, percentages and degree-level for each item in the three books (student’s book, workbook and teacher’s book) and then the same thing was done for each of the three books separately. The following tables {4-5-6-7} explain the answers of the first question.

Table (1) The distribution of the whole population according to three variables:

Variable	Frequency	Percentage (%)
Gender		
Male	590	49.0
Femle	610	51.0
Qualification		
Diploma	190	16.0
BA	910	76.0
MA	100	8.0
Experience		
Until 5 years	360	30.0
More than 5 years	840	70.0

Table2
The random sample distribution according to the gender.

Gender	Frequency	Percentage (%)
1 Female	25	50.0
2 Male	25	50.0
Total	50	100

Table 3
The stratified random sample distribution according to the qualification.

Qualification	Frequency	Percentage (%)
1 Diploma	8	16.0
2 Bachelor degree	38	76.0
3 M.A	4	8.0
Total	50	100

Table 4
The random sample distribution according to experience.

Experience	Frequency	Percentage (%)
1 {until 5 years}	15	30.0
2 {more than 5 years}	35	70.0
Total	50	100

Palestine-10" in Nablus district due to gender?"

3- "Are there any significant differences between teachers' evaluation of "English for Palestine-10" in Nablus district due to their academic level?"

4- Are there any significant differences between Teacher's evaluation of "English for Palestine-10" in Nablus district due to experience?

Limitations of Study

This study was limited to 1200 male and female teachers form Nablus district English teachers were teaching English for the tenth graders during the second semester of the academic 2006. The stratified random sample was 50 male and female teachers

Definitions of Terms

In order to facilitate an understanding of the terms used in this study, the following definitions are adopted:

1- Analysis means working with data, organizing information, breaking it into manageable units, synthesizing it, discovering what is important, and what is to be learnt, and what you will tell others.
2- Evaluation describes and interprets the past or recent past or present in order to improve the future. It provides knowledge and understanding through focusing on events included in research questions (who, what, when, where, and why). It provides researchers and analysts with techniques of criticism which are useful for assessing the authenticity and trustworthiness and usefulness of the things which researchers judge Riffel, et al. (1998).
3- Curriculum refers to the English language curriculum for the tenth graders published by the Ministry of Education and Higher Education, Curriculum Centre, August 2004.It includes general guidelines for the authors of the syllabus, general objectives, the methods and the teaching procedures as well as the various ways of evaluating the students' achievements.

Procedures of the Study

Population of the Study

The population of this study consisted of 1200 male and female teachers who teach English for the tenth graders from Nablus district. The randomly chosen sample was 50 male and female teachers. The sample was distributed according to three independent variables. Table 1 shows the distribution of the whole population according to three variables: gender, qualification and experience respectively. Tables 2, and 3 and 4 show the distribution of the selected stratified random sample.

Tung (1996) suggested two basic ideas for improving the teaching of English in Taiwan. These two methods were:

1-Improving the teaching methods used at the universities and colleges .

2-changing the students' attitudes positively towards learning English. In this analytical study, the researcher showed that the students were more interested in gaining benefits from learning English more than having high grades.

Riffel et al 1998 in their attempt to evaluate the Japanese Exchange and Teaching Program (JET) as an effective tool to improve the English used in the Japanese institutions – revealed that this program was considered as a unique cross-cultural educational program. It enhanced the students' lingual and cultural potentials.

Canale and Swane (1980) and Canale (1983) proposed a classroom model of communicative competence, which comprises four components: grammatical competence, sociolinguistic competence, discourse competence and strategic competence. These types of competence should be included in the selected materials and in the teaching techniques.

Hartley sees three content areas that must be addressed and advises assessors to ask the following questions. Firstly, does the book meet its teaching objectives? Secondly, is there sufficient depth and breadth of material? And lastly, will it need to be supplemented? (Hartley, 1994, p.163).

Problems of the Study

Due to the inadequate number of research which deals with evaluating English textbooks in general and the series of the English textbook entitled "English for Palestine" in particular, the researcher and in an attempt to encourage the area of research in evaluating the English textbooks, conducted this study.

This study, as it is hoped, will pinpoint the strong points of these books and show the areas that need modification.

Aims of the Study

This study aimed to evaluate the effectiveness and suitability of "English for Palestine -10" content which is used for the first time for teaching English used by the tenth graders in all the government schools in Palestine.

Questions of the Study

This study sought to answer these questions:

1- What are the degrees of evaluation of English for Palestine-10 textbooks in Nablus district from the teachers' perspective?"

2- "Are there any significant differences between teachers' evaluation of "English for

them recommended that teachers needed more training programs on methodology.

The present researcher agrees that effective training on the new sullabuses is an important issue which receives the researchers' care and agreement (Mahmoud 2006, Saleh 1990, Khalil and Kattan 1994, Riffel et al 1998 among others.

El-Mostafa (1988)-in his evaluative study for the PETRA textbook used for the first preparatory students- agreed with Al-Jarah (1987) - in his evaluative study for PETRA textbooks for the fifth and sixth graders and Mahmoud (2006) in his evaluative study for - "English for Palestine IV" in the sense that each one of them stated that teachers and supervisors were not contacted by the Ministry of Education regarding the selection of the EFL objectives for the PETRA materials. Therefore, it was not surprising then that they felt the need for more training on the materials.

Al-Jarah (1987) was in congruence with Hatamleh and Jaradat (1984) who viewed that the material should meet the students' needs, the teachers' expectations, educational goals and psychological and pedagogical demands.

Labadi (1983) in his analytical study of the New Living English for Jordan textbooks (1-5), showed that the objectives and the content of these books were not realized.appropriately by teachers and students He also revealed that these books contained mechanical grammatical exercises and there was no room for silent reading; furthermore, the time allotted to EFL courses was inadequate.

Khalil and Kattan (1994) in their evaluative study of PETRA Materials used at the eight, the ninth and tenth grades in the West Bank Government schools revealed the gap between the teachers' pedagogical competence and their real classroom performance; thus teachers need more training in teaching the functional-notional syllabus.Supervisors should help teachers in this sense via workshops , training courses and reasearch work.

Ching-Wang L (1996) found out that the teaching activities were done via grammar translation techniques to train students with reading skills. Such dealings were in conflict with the national policy behind teaching English in Taiwan.

Marteni, (1996) revealed that motivation for learning English in Indonesia may be categorized into four variables: Language competence, employment opportunity, personal knowledge and cultural communication. Likewise, the researcher showed that Indonesian students were in need of more practice for using English in class.

As this study revealed teachers should gear their approaches towards student-centered approach. These findings match with Khalil and Kattan (1994) mainly those related to language competence and personal knowledge.

Manning (1996) recommended the teaching of grammar rules in a CALL environment. By doing so, a teacher could increase the students' motivation on the one hand and he could break the routine –the traditional way of teaching – on the other hand.

from disconnected observations or number-crunching to the level of significance in the field of investigation.

The literature review sets the basis for your discussion or analysis or contemplation of implications or anticipation of further research. Researchers apply the principles of analysis in their field in order to evaluate whether previous research is valid; Through the literature review one can distinguish what has been done from what needs to be done.

Because evaluation and assessment are looked upon as an integral part in the teaching and learning processes, a lot of research has been carried out to provide feedback to textbook designers, educators and the educational circles. The present researcher dedicated a seprate part for this study to show that there is a lack in the field of evaluating the Palestinian textbooks and to shed light on the ways others evaluate their work so as to get benefit from the strong points and to try to improve the weak points.

Most of the work – as it is seen from the coming paragraphs- overstresses the inaccordance between the number of alloted periods and the material in the English textbooks. Additionally, the idea of collaboration between teachers, supervisors ,parents and the local society is overlooked . Consequently, the present reasearcher tries his best to show the researchers' accordance and disagreements and to link these items with the researcher's belief and findings.

Mahmoud (2006) in his evaluative study for "English for Palestine IV" textbooks showed that textbooks need modifications concerning the irrelevant pictures and that the time allotted for the included material is inadequate. Additionally, he stated that teachers and supervisors were not contacted by the Ministry of Education regarding the setting of the EFL objectives for the "English for Palestine IV" materials. Therefore, it was not surprising then that they felt the need for more training on the materials.

Masri (2003) showed that teachers of English for the first graders in Palestine needed more training in the field of pedagogy. The content of the mentioned textbook is valid for the first graders provided that it should contain more Arabic names, more relevant pictures rather than animal pictures. Additionally,the number of the weekly periods are not enough for covering the whole textbooks. Here is a consensus on the insufficiency of the alloted time and the materia with Mahmoud (2006), Labadi (1983) and the present study.

Mu'men (1992) in his evaluative study for PETRA textbooks for the seventh and eighth grades showed that these textbooks need modifications concerning the long comprehension passages, the writing activities were of a limited type and the readers did not sufficiently meet the students' scientific and technological needs.

Mahmoud (2006) in his evaluative study for "English for Palestine IV" textbooks agreed with Saleh (1990) in his evaluative study for PETRA textbook II because both of

the messages within the text(s), the writer(s), the audience, and even the culture and time of which these are a part. (Ibid: 2002, Thomas, 1994 and Kinsella, et al 1999.)

Analysis and evaluation provide useful data for teachers, supervisors and other educational departmaents with concrete evidence regarding strong and weak points of the evaluated books. Likewise, they include important information that addresses the needs of teachers and students. These needs are divided into teacher-centered and student-centered. (Ibid: 1999)

Evaluators and analysts have to be decision makers. Besides, they have to enhance the probabilities that the technical and statistical methods employed can strengthen and improve the quality of decisions which must make the data flow. (Steves et al, 1978; Johnson and LaMontagne, 1993 and Mitchell, 1988). Additionally, Analysis and evaluation have played roles in evaluating curriculum, decision making and policy formation, assessing students' achievment, and improving educational materials and programs. (Worthen and Sanders 1987).

As far as course design is concerned, analysis and evaluation will also carry suggestions about selection (what to teach) and grading (when to teach) target language items. Those elements that are simple and concrete and related to the students' needs should be stressed while those elements that are difficult and abstract should be listed later . Since it is a universal principle of education that learning should be formed from the simple to the difficult (Lado 1957).

Questionnaires, interviews, observations, are methods of evaluating and analyzing textbooks. Objectives, students' needs, materials, content recognition, length of units, suplementary materials, teachers book and students workbook are useful criteria to look at when evaluating and judging a textbook. (Azevendo, 1979).

A practical, thorough, and straightforward method for choosing ESL textbooks is to analyze the options according to program issues, going from broad (e.g., goals and curriculum) to specific (e.g., exercises and activities). The strategy behind this technique is to eliminate unsatisfactory textbooks at each stage of analysis so that only the most appropriate are left at the end, making the choice clear and manageable.(Garinger, 2002)

Johnson (1996,:85) stated that "The important element in performance assessment development is that it is constantly under construction, and anyone can join the crew and push the work towards its progressing steps." In this respect, Johnson wants to overstress the importance of evaluation in the success of any process . Here, Johnson is in accordance with Riffel et al 1998 and Hoepfi 1997).

Reviewing of related literature

A literature review provides the meaningful context of one's project within the universe of already existing research. "Meaningful context" can elevate one's research

Introduction

A lot of complaints about the weakness in the students' performance in English have been revealed which need a lot of research to pinpoint the problems behind the teaching and learning of English in Palestinian schools and finding solutions for these problems. Improving learners' language skills is frequently the main purpose of ESL programs. However, which skills are taught and how they are taught differ from course to course and program to program; therefore, the effectiveness of each textbook in helping learners acquire the necessary skills must be considered. (Khalil and Kattan 1994 and Mahmoud 2006).

All nations all through the world have been striving through various means to improve their educational programs. In an attempt to achieve this purpose, they continuously introduce and evaluate their educational curriculum, syllabuses, and textbooks. In an attempt to keep up with the modern changes that are constantly taking place, the researcher conducted this analytical study to improve the strong points in the mentioned textbooks and to attract the reader's attention towards their shortcomings. This target goes on the line with (Alderson and Beretta 1992).

One way to understand current educational practices is to know how these practices developed and to clarify these issues concerning them. Explanations of past educational ideas or concepts, events, legal principles and policies suggest insights about current educational events and anticipate new educational issues and policies. (Sherman, and Webb, 1988 and Hoepfi, 1997).

Studies and research done in evaluation and analysis describe and interpret the past and present to improve the future. Analysis and evaluation provide knowledge and understanding through focusing on events included in research questions (who, what, when, where, and why). These two processes provide researchers and analysts with techniques of criticism which are useful for assessing the authenticity and trustworthiness and usefulness of the things which researchers judge (Riffel, et al 1998).

Content analysis is used in a large number of fields, ranging from marketing and media studies, to literature and rhetoric, ethnography and cultural studies, gender and age issues, sociology and political science, psychology and cognitive science, as well as other fields of inquiry. Additionally, content analysis reflects a close relationship with socio- and psycholinguistics, and plays an integral role in the development of artificial intelligence. (Miller, and Riechert, 1994; Blom 1992; Neuendorf and Kimberly 2002).

Content analysis contains coding, or breaking down into manageable categories a variety of levels such as: word sense, phrase, sentence, or theme, and then examining the deep relationships between them. The results are then used to make inferences about

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم الكتاب العاشر من سلسلة "الإنجليزية الفلسطينية" والمستخدم لتدريس طلبة الصف العاشر في المدارس الحكومية في فلسطين .

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، استخدم الباحث معياريْ تقويمٍ هما : الاستبانة المرفقة ومعايير الكتاب الجيد . تضمنت الاستبانة المستخدمة بنوداً عدة تمكّن المرء من الحكم على مناسبة الكتاب أو عدم مناسبته .

تبنى الباحث معياريْ التقويم من (Solicits, 1978; Cunningsworth 1984 Sheldon 1988; Skierso, 1991; Al-Makhzoumi 1992; McMillan and Schumacher 1997; Laime 1999; Ur, 1996 and Grainger, 2002) .

أعطى الباحث الاستبانة لخمسين معلماً ومعلمة يدرسون اللغة الإنجليزية لطلبة الصف العاشرالأساسي في محافظة نابلس .

وبعد الملاحظة والتحليل الدقيقين لكتاب اللغة الإنجليزية للصف العاشر، ومن المعلومات التي حصل عليها بعد تفريغ الاستبانة، توصل الباحث إلى أن هذه الكتب جيدة ومناسبة ويوصى بها للتدريس في الصف المذكور في المدارس الحكومية والخاصة شريطة أن تأخذ بالاعتبار التوصيات التي أقرتها هذه الدراسة

Abstract

The purpose of this study was to evaluate the book entitled "English for Palestine-10" which used for teaching English for the tenth graders in Public Schools in Palestine. To achieve this aim, the researcher used two criteria: a questionnaire that contains 52 items which helps to judge the suitability of a good textbook and a list that contains the characteristics of a good textbook. The two criteria are adapted from (Solicits, 1978; Cunningsworth 1984; Sheldon 1988; Skierso, 1991; Al-Makhzoumi 1992; McMillan and Schumacher 1997; Laime 1999; Ur, 1996 and Grainger, 2002).

The researcher gave the questionnaire to 50 male and female English teachers who teach the tenth graders from Nablus district. After the observation and analysis of the textbook regarding the above-mentioned evaluative measures, the researcher noticed that these textbooks are suitable and could be used in private and in government schools after regarding the different suggestions and modifications the researcher concluded.

Analysing "English for Palestine-10" in Terms of the Characteristics of a Good English Textbook

Ahmed Awad Amin Mahmoud*

* Assistant professor, An-Najah University, Nablus, Palestine.

Journal Of
Al-Quds Open University
For Research & Studies

Contents

9. References should follow rules as follows:
   (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.
   (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.
10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.
11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors

Guidelines for Authors

The Journal of Al-Quds Open University For Research & Studies Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education and distance learning. The Journal accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 25 pages or 7500 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a floppy diskette"Disk A" or on a CD accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The Journal will appoint the revisers who has the same degree or higher than the researcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive five copies of the Journal in which his paper is published.

General Supervisor Proffessor

Younis Amro
President of the University

Journal Editorial Board

Editor - in - Chief

Hasan A. Silwadi

Director of Scientific Research & Graduate Studies Program

Editorial Board

Yaser Al. Mallah
Insaf Abbas.
Taysir Jbara.
Rushdi Al - Qawasmi.
Ali Odeh.
Awatif Siam.
Majid Abu - Sbeih.

Journal Of Al-Quds Open University
For Research & Studies

P.O.Box 51800
Tel: 2409861
Fax: 2403159
Email: hsilwadi@qou.edu

Journal Of
Alquds Open University
For Research & Studies

جامعة القدس المفتوحة

مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات
مجلة علمية محكّمة تصدر كل أربعة أشهر

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات العلمية المحكمة

لمدة (________) سنة، ابتداء من ________________ وحتى ________________

الإسم: ____

العنوان: ____

____

قيمة الاشتراك ________________

طريقة الدفع: ☐ حوالة بنكية ☐ شيك ☐ حوالة بريدية

رقم: ______________ تاريخ: ______________

التوقيع ______________ التاريخ ______________

تملأ هذه القسيمة وترسل مع قيمة الاشتراك الى العنوان التالي:
أ. د. حسن السلوادي
مدير برنامج البحث العلمي والدراسات العليا
جامعة القدس المفتوحة
ص.ب: ١٨٠٤
رام الله، فلسطين

قيمة الاشتراك السنوي:

داخل فلسطين	للأفراد ١٢ $	للمؤسسات: ١٥ $
خارج فلسطين	للأفراد ١٥ $	للمؤسسات: ٢٠ $

Al-Quds Open University

Journal Of Al-Quds Open University For Research and Studies

A Scientific Refereed Journal Published every four months

Subscription Form

Please accept my subscription to the Journal Of Al-Quds Open University for Research and Studies:

For a period of (________) Year(s) starting from: __________ to: ____________

Name: ____

Address: ____

____

Subscription Fee: ____________________

Form of payment: ☐ Cheque ☐ Bank Draft ☐ Postal Order

No.: ____________________ Date: ________________

Signature: ________________ Date: ________________

Please Complete this form and send it with the subscripton fee to:

Prof. Dr. Hasan Alsilwadi
The Director of Scientific Research, and Graduate Studies programe
Al-Quds Open University
P.O.Box: 1804
Ramallah, Palestine

Annual Subscription Fee:

In Palestine	Individuals: 12 $	Institutions: 15 $
Outside Palestine	Individuals: 15 $	Institutions: 20 $